معالم المدرستين

تأليف

العلامة السيد مرتضى العسكري

١

معالم المدرستين

الجزء الأول

تأليف

السيد مرتضى العسكري

جميع الحقوق محفوظة لفريق مساحة حرة



http://www.masaha.org

المجلد الاول

الإهداء

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم السّلام عليك يا إمام العصر و رحمة اللّه و بركاته سيّدي يا ابن رسول اللّه (ص) إليك أهدي هذا المجهود الضئيل.

يَا أَيُّهَا اَلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَ أَهْلَنَا اَلضُّرُّ وَ جِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا اَلْكَيْلَ وَ تَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اَللَّهَ يَجْزِي اَلْمُتَصَدِّقِينَ .

أيّها الجواد الكريم، اشفع لنا عند اللّه ليغفر لنا ذنوبنا و يكشف عنّا و عن قومنا الضرّ؛ إنّه أرحم الراحمين.

صغير خدامكم مرتضى العسكري

أعوذ باللّه من الشّيطان الرجيم **فَبَشِّرْ عِبَادِ ` اَلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ اَلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ اَلَّذِينَ هَدَاهُمُ اَللَّهُ وَ أُولَئِكَ هُمْ أُولُوا اَلْأَلْبَابِ.** الزّمر/17-18

مقدمة الطبعة الرابعة:

بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمد للّه ربّ العالمين، و الصلاة و السلام على محمد و آله الطاهرين و السلام على أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، و على أصحابه البررة الميامين، و بعد: لما كان هذا الكتاب في بحوثه نسيج وحده، شأنه في ذلك شأن كتابي «عبد اللّه بن سبأ» و «خمسون و مائة صحابي مختلق» و لم تنسج على منوال سابق؛ كان لا بدّ لبحوث كلّ منها أن تتكامل تدريجيا، لذا صدر:

الجزء الأول منه: في طبعته الأولى، عام 1405 في 215 صفحة و في طبعته الثانية، عام 1406 في 371 صفحة و في طبعته الثالثة، عام 1409 في 519 صفحة و في طبعته الرابعة هذه، عام 1412 في 616 صفحة و الجزء الثاني منه:

في طبعته الأولى، عام 1405 في 378 صفحة و في طبعته الثالثة، هذه عام 1412 في 405 صفحة

و لو فسح اللّه تعالى في الأجل، و شاء لي-عزّ اسمه-أن أستدرك على بعض بحوث هذا الكتاب بعد هذه الطبعة فسوف ألحق المستدرك في طبعاته القادمة بآخر الكتاب و لا أغير وضع البحوث عما هو عليه في هذه الطبعة إن شاء اللّه تعالى هذا و الكمال للّه وحده.

و آخر دعوانا أن الحمد للّه ربّ العالمين.

مرتضى العسكري نجل السيد محمد الحسيني نجل السيد اسماعيل آل شيخ الإسلام

مخطّط بحوث الكتاب

بحوث تمهيديّة تبيّن منشأ الخلاف بين مدرستي الإمامة و الخلافة و تنقسم بحوث الكتاب بعدها إلى قسمين:

القسم الأوّل- بحوث مصادر الشّريعة الإسلاميّة لدى المدرستين و سبل الوصول إليها، و عليها تبنى العقيدة الإسلاميّة و أحكامها و تشمل البحوث الخمسة الآتية:

أوّلا- بحوث المدرستين في الصّحبة و الصّحابة.

ثانيا- بحوث المدرستين في الإمامة و الخلافة، و هما من سبل الوصول إلى الشّريعة الإسلاميّة و تكوين الرؤية الصّحيحة للإسلام.

ثالثا- بحوث المدرستين في مصادر الشّريعة الإسلاميّة، و تنقسم إلى مجموعتين: أ-دراسة روايات المدرستين حول القرآن الكريم. ب-بحوثهما حول سنّة الرّسول (ص) ، و بيان كيفية اتّخاذ مدرسة الخلفاء الاجتهاد و العمل بالرأي من مصادر الشّريعة الإسلامية في عداد كتاب اللّه و سنّة رسوله (ص) . و بها يتمّ بحث مصادر الشّريعة الاسلاميّة و سبل الوصول إليها لدى مدرسة الخلفاء.

رابعا- قيام الإمام الحسين (ع) ضدّ الانحراف عن سنّة الرسول بسبب الاجتهاد و العمل بالرأي.

خامسا- تمكّن أئمة أهل البيت (ع) من إعادة سنّة الرسول إلى المجتمع بعد قيام الإمام الحسين (ع) ، و تمكّن مدرستهم من نشر سنّة الرسول (ص) بعد ذلك. و بهذا يتمّ بحث مصادر الشّريعة الإسلاميّة و سبل الوصول إليها لدى مدرسة أهل البيت، و تتمّ بذلك بحوث الأسس الفكريّة لدى المدرستين.

و يليها في آخر الكتاب آراء القراء حول الكتاب.

بحوث تمهيديّة

توطئة من آثار الخلاف بين أبناء الأمّة الإسلاميّة بعض صفات اللّه و منشأ الخلاف حولها الخلاف في صفات الأنبياء و منشؤها الخلاف حول الاحتفال بذكرى الأنبياء الخلاف حول البناء على قبور الأنبياء الخلاف في البكاء على الميت و منشؤه الخلاف في تأويل آيات من كتاب اللّه خلاصة و خاتمة

-1- توطئة

شرع اللّه للإنسان، بمقتضى ربوبيّته، من الدّين ما ينظم حياته و يسعده و يوصله إلى درجة الكمال الإنسانيّ، و هداه بواسطة أنبيائه إليه و سمّاه الإسلام [1] . كما سنّ لجميع مخلوقاته أنظمة تتناسب و فطرتهم و توصلهم إلى درجة الكمال في وجودهم، و هداهم إلى السّير بموجبها إلهاميّا أو تسخيريّا [2] .

و كان النّوع الإنسانيّ كلّما توفّي رسول من رسل اللّه في أمّة منه، قام أصحاب الطّول و السّلطان من تلك الأمّة بتحريف ما يخالف هوى أنفسهم من شريعة نبيّهم أو كتمانه، ثمّ ينسبون ما لديهم من الشّريعة المحرّفة إلى اللّه

---

(1) قال اللّه سبحانه و تعالى: **إِنَّ اَلدِّينَ عِنْدَ اَللَّهِ اَلْإِسْلاَمُ** آل عمران/19. و قال:

وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ اَلْإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ آل عمران/85.

(2) قال اللّه سبحانه و تعالى: **سَبِّحِ اِسْمَ رَبِّكَ اَلْأَعْلَى `اَلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى `وَ اَلَّذِي قَدَّرَ فَهَدىَ `وَ اَلَّذِي أَخْرَجَ اَلْمَرْعىَ `فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوىَ** الأعلى/1-5.

و قال: **رَبُّنَا اَلَّذِي أَعْطىَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدىَ** طه/50.

و قال سبحانه: **وَ أَوْحىَ رَبُّكَ إِلَى اَلنَّحْلِ أَنِ اِتَّخِذِي مِنَ اَلْجِبَالِ بُيُوتاً...** النحل/68.

و قال سبحانه: **وَ اَلشَّمْسَ وَ اَلْقَمَرَ وَ اَلنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ** الأعراف/54.

و رسوله [3] .

ثم يجدّد اللّه دين الإسلام بإرسال نبيّ جديد ينسخ بعض الشّعائر و الطقوس الّتي لامسها التّحريف. و لمّا أرسل اللّه خاتم أنبيائه محمدا (ص) بالقرآن، أنزل فيه أصول الإسلام من عقائد و أحكام في آيات محكمة و أوحى إليه تفصيل ما أنزل في القرآن ليبيّن للنّاس ما نزّل إليهم [4] ، فعلّمهم الرسول شرائع الإسلام من كيفيّة ركعات الصّلاة و تعدادها، و ما يمسكون عنه في الصّوم و شرائطه، و الطّواف و أشواطه و بدايته و نهايته، إلى غيرها من أحكام واجبة و مستحبّة و محرّمة، فتكوّن منها لدى المسلمين الحديث النبويّ الشّريف.

و كذلك جعل اللّه تجسيد الإسلام في سيرة رسول اللّه (ص) و أمر النّاس باتّباعه في قوله تعالى: **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اَللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** الأحزاب/21.

و سمّي مجموع السّيرة و الحديث النبوي في الشرع الإسلامي بالسنّة، و أمرنا اللّه و رسوله باتّباع سنّة الرسول (ص) [5] .

---

(3) قال اللّه سبحانه: **وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ اَلْكِتَابِ وَ مَا هُوَ مِنَ اَلْكِتَابِ، وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اَللَّهِ وَ مَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اَللَّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اَللَّهِ اَلْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ** آل عمران/78.

و قال: **أَ فَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَ قَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اَللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ** البقرة/75.

و راجع الآيات: البقرة/42 و 146 و 159 و 174، و آل عمران/187، و النساء/46، و المائدة/13-15، 41، 59-61.

(4) قال سبحانه: **وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ اَلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** النحل/44.

(5) أمر اللّه في آية: **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اَللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** بالاقتداء بسيرة الرسول (ص) ، و في آية: **مَا آتَاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** الحشر/7، أمر بالعمل بحديث الرسول (ص) و السنّة عبارة عنها.

و هكذا أكمل اللّه تبليغ الإسلام إلينا في القرآن و السنّة النبويّة، و توفّي الرسول (ص) بعد أن أخبر أمّته و حذّرها بأنّه يجري في هذه الأمّة ما جرى في الأمم السّابقة حذو النعل بالنعل و القذّة بالقذّة، و أنّه لو دخل من الأمم السّابقة أحدهم في جحر ضبّ لدخل من هذه الأمّة أحدهم كذلك في جحر ضبّ [6] .

و كان من أمر التحريف في هذه الأمّة أنّ اللّه سبحانه و تعالى حفظ القرآن من أن تناله يد التّحريف و قال: **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا اَلذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ**

---

(6) تجد تفصيل الأحاديث الواردة في هذا الشّأن في البحث الخامس من البحوث التمهيديّة بالجزء الثاني من «خمسون و مائة صحابيّ مختلق» . و راجع-أيضا-نصوص الأحاديث في المصادر التالية:

أ-إكمال الدين للصّدوق ص 576، و روى المجلسي عنه في البحار 8/3، و في تفسير الآية:

لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ في كلّ من مجمع البيان للطبرسي. و جلاء الأذهان لكازر.

ب-صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل 2/171، ح 3، و كتاب الاعتصام بالكتاب و السنة باب قول النبي (ص) : «لتتّبعنّ سنن من كان قبلكم-الحديث» 4/176، ح 1 و 2.

و فتح الباري بشرح البخاري 17/63 و 64.

ج-صحيح مسلم بشرح النّووي 16/219 كتاب العلم.

د-صحيح الترمذي 9/27-28 و 10/109.

هـ-سنن ابن ماجة ح 3994.

و-مسند الطيالسي ح 1346 و 2178.

ز-مسند أحمد 2/327 و 367 و 450 و 511 و 527 و 3/84 و 94 و 4/125 و 5/218 و 340.

ح-مجمع الزوائد 7/261 عن الطبراني.

ط-كنز العمّال 11/123 عن الطبراني في الأوسط و الحاكم في المستدرك.

ي-في تفسير الآية: **وَ لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا** من سورة آل عمران في الدرّ المنثور للسيوطي عن المستدرك للحاكم.

لَحَافِظُونَ الحجر/9، و قال: **لاَ يَأْتِيهِ اَلْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لاَ مِنْ خَلْفِهِ** فصّلت/42.

و أمّا السنّة الّتي رويت لنا سيرة و حديثا في روايات كثيرة، فإنّ اللّه لم يحفظها من التّحريف، كما يتّضح ذلك جليّا في اختلاف الروايات النبويّة الّتي بأيدي جميع المسلمين اليوم، و لتعارض بعضها مع بعض. و أدّى الاختلاف في الحديث الشريف إلى أن يهتمّ بعض العلماء بمعالجته، و ألّفوا كتبا مثل:

تأويل مختلف الحديث [7] ، و بيان مشكل الحديث [8] ، و بيان مشكلات الآثار [9] .

و من جرّاء اختلاف الأحاديث، اختلف المسلمون في فهم القرآن و تشتّت كلمتهم أبد الدهر. أضف إليه وجودهم في بيئات مختلفة، و معاشرتهم أهل الآراء و الملل و النّحل الأخرى. كلّ ذلك أدّى إلى اختلاف رؤيتهم للإسلام، و بادر بعضهم إلى تأويل الآيات الكريمة و الصّحيح ممّا بأيديهم من الحديث الشّريف، وفقا لرأيهم و رؤيتهم للإسلام. و أدّى بهم ذلك إلى القطيعة في ما بينهم و عدم استماع بعضهم إلى آراء الآخرين، و إلى تكفير بعضهم بعضا.

كان ذلكم عوامل التّشويش الداخلي، كما كان ثمّت عوامل خارجيّة عملت في الداخل بواسطة عملائها كالآتي ذكره:

عوامل التخريب الخارجي

من عوامل التّخريب و التّحريف في مصادر الدراسات الإسلاميّة (كتب

(7) تأليف ابن قتيبة عبد اللّه بن مسلم (ت 280 هـ أو 276 هـ) .
(8) تأليف ابن فورك محمد بن الحسن (ت 406 هـ) .
(9) تأليف أبي جعفر أحمد بن محمد الأزدي المعروف بالطحاوي (ت 331 أو 332 هـ) .

الحديث و السّيرة و التفسير) و غيرها، عوامل التخريب الخارجي و هي:

أوّلا- أخبار أهل الكتاب الّتي انتشرت في مصادر الدراسات الإسلاميّة من قبل أمثال: كعب الأحبار و تميم الداري.

ثانيا- روايات و أخبار وضعتها زنادقة أمثال: ابن أبي العوجاء و سيف ابن عمر، و انتشرت في تلك المصادر [10] .

ثالثا- و أخيرا، عند ما غزت قوى الكفر (المستعمرون) بلاد المسلمين، حاربت الإسلام بأفتك سلاح هدّام، حين وظّفت المبشّرين من علماء اليهود و النّصارى و المعروفين باسم المستشرقين ليمعنوا في طلب مواطن الضّعف بمصادر الدراسات الإسلاميّة، و يحاربوا الإسلام بها. فاجتهد هؤلاء في وضع فهارس للمصادر الإسلاميّة و تنظيمها و تنسيقها و نشرها بكلّ إتقان، و أشرفوا بواسطتها على كلّ ما فيها، و التقطوا من شتّى الكتب كلّ خبر موضوع و مدسوس يشوّه الإسلام، مثل: أسطورة الغرانيق، و غيرها، و ألّفوا ممّا التقطوا منها باسلوب عصريّ بديع، كتبا مثل: (دائرة المعارف الإسلاميّة) و (محمّد النبيّ السياسيّ) [11] .

و عمل الغزاة (المستعمرون) أخطر من ذلك في حربهم للإسلام، حين دفعوا إلى الواجهة في بلاد المسلمين تلاميذ أولئك و خرّيجي مدارسهم الفكريّة و دعاة أفكارهم و مروّجي حضارتهم، و سلّطوا عليهم الأضواء و عرّفوهم باسم المصلحين للإسلام و منوّري الفكر و التقدّميّين، فاستورد هؤلاء نتيجة أفكار

---

(10) درسنا انتشار أخبار أهل الكتاب في مصادر الدراسات الإسلامية في الجزء السادس من سلسلة (أثر الأئمة في إحياء السنة) و تخريب المستشرقين في الجزء الثالث و الرابع منه، و تخريب الزنادقة في الجزء السادس منه، و البحوث التمهيدية من الجزء الأوّل من (خمسون و مائة صحابيّ مختلق) . و درسنا تحريف سيف منهم خاصّة فيه و كذلك فعلنا في كتاب عبد اللّه بن سبأ.

(11) و شذّ من المستشرقين في كلّ عصر آحاد خضعوا للحقّ.

أولئك إلى بلاد الإسلام، و نشروها بشتّى وسائل النّشر و بأسماء مختلفة و عناوين مشوّقة للنفوس.

و كان من هؤلاء: السير سيّد أحمد مؤسّس جامعة عليگره الإسلاميّة في الهند، و أحمد لطفي السيّد أستاذ الجيل، و قاسم أمين نصير المرأة في مصر. و كذلك فعلوا في العراق و إيران و غيرها من البلاد الإسلاميّة [12] .

و كان من الطبيعيّ أن تقوم بين هؤلاء و بين حفظة الفكر الإسلامي الأصيل حرب يعين فيها المستعمر و عملاؤه و المغرر بهم تلاميذ المستشرقين.

و كان أفتك سلاح بأيدي هؤلاء ما تذرّعوا به في حرب الإسلام باسم تعريف الإسلام و تاريخه و تعريف الشّخصيّات الإسلامية، مثل ما فعل السير سيّد أحمد حين كتب تفسير القرآن حسب زعمه، و جرجي زيدان في قصصه.

و جلّ محاولات هؤلاء و أساتذتهم المستشرقين ترمي إلى شيء واحد و تستهدفه، و هو ما قاله أحدهم: (لا يقتل الدين إلاّ بسيف الدين) ! و في سبيل تحقيق هذه الخطّة أخذوا يفسّرون القرآن و يشرحون الحديث النبويّ الشريف و يكتبون سيرة الرسول (ص) و الأئمة، يحاولون في كلّ ما يعملون أن يجرّدوا الجميع من الاتّصال بالغيب، و عرضها على أنّها من طبيعة البشر، ثمّ يلوّحون من طرف خفيّ، و أحيانا يصرّحون جليّا: أنّ كلّ فرد منهم و كلّ شيء من الإسلام كان متناسبا مع زمانه و كان تقدميّا في عصره

---

(12) هؤلاء و أمثالهم من دعاة الحضارة الغربية في البلاد الإسلامية و مهدّمي الأعراف الإسلاميّة و مخالفي أحكامها. و قد ناقشنا بعض ما نشره هؤلاء من الفكر الغربي المستورد، و أصدرنا الجزء الأوّل منه في العراق، و امتنعت دور النشر من نشره، كما منعت الحكومة المارونية اللّبنانية يوم ذاك من دخول الكتاب إلى لبنان، فلم نتمكّن من إصدار بقيّة أجزائه، و وجدنا أفضل ما نشر في هذا الصدد كتاب (أجنحة المكر الثلاثة) تأليف عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، من سلسلة (أعداء الإسلام) ، و لنا بعض المؤاخذات على الكتاب.

و نافعا للبشر في حينه، أمّا اليوم فنحن بحاجة إلى تطوير الإسلام و تجديده ليطابق مقتضيات العصر و حاجة أهله.

و هؤلاء مع سلاحهم هذا، الخفيّ أثره على الكثير، أضرّ على الإسلام و المسلمين من بعض السياسيّين العملاء للغزاة الكفرة في بلادنا و الّذين نصبوهم حكّاما لبلاد المسلمين، بما قاموا به في الحرب الفكريّة من تحريف لحقائق الإسلام باسم تعريف الإسلام أحيانا، و الإسلام المتطور الملبّي لحاجات العصر تارة أخرى.

من كلّ ما ذكرنا، يظهر جليّا أنّ المسلمين في هذا اليوم و بعد كلّ ما مرّ على الإسلام من تيّارات فكريّة، بحاجة شديدة إلى دراسات مستفيضة لأقوال الفرق الإسلاميّة و تمحيص ما لديها، خلافا لما يراه بعض المسلمين الغيارى الّذين يرون السّكوت عن كلّ ذلك أولى، حفظا لوحدة المسلمين! و لست أدري كيف يتمّ ذلك مع وجود الخوارج [13] الّذين بنيت أصول عقائدهم على تكفير عامّة المسلمين و أنّهم هم وحدهم المسلمون و ما عداهم مشركون، و على التبرّي من الخليفة عثمان و الإمام عليّ و أمّ المؤمنين عائشة و طلحة و الزبير و معاوية و عمرو بن العاص و من كان معهم، ثمّ لعن أولئك و لعن جميع المسلمين.

كيف يتمّ ذلك و في المسلمين من تتوق نفسه إلى زيارة قبر الرسول الأكرم (ص) و قبور أئمة المسلمين و التبرّك بها و الاستشفاع و التوسل بهم إلى اللّه، و فيهم من يرى كلّ ذلك شركا للّه و خروجا على الإسلام و بدعة محرمة، و بذلك يرون أنّ جميع المسلمين بعد القرن الثالث الهجري إلى اليوم مشركون. و قد هدّموا مساجد المسلمين الّتي بنيت في طريق غار حراء و أمثاله

(13) منتشرون في الجانب الشرقي من جزيرة العرب و شمال إفريقيا.

من الأماكن المتبرّكة إلى جانب تهديمهم قبور أئمة المسلمين و أمّهات المؤمنين و عمّ الرسول (ص) و ابن الرسول (ص) و صحابته و شهداء أحد!؟ و لا يفعل مثل ذلك مع اليهود و توراتهم و بيعهم و النصارى و كنائسهم، و فيها ما فيها من الصلبان و تماثيل عيسى و مريم (ع) و هم يعلنون أنّ عيسى ربّهم و أنّ اللّه ثالث ثلاثة-معاذ اللّه-و إنّما يعاهدون و لا يقال لهم: أنتم مشركون! ثم إنّ المسائل المذكورة و نظائرها ليست مسائل تخصّ الفرد المسلم-مثل إسبال اليدين في الصّلاة، الّذي تراه مدرسة أهل البيت و المالكية، خلافا للأحناف و الحنابلة الّذين يرون وجوب التكتف؛ و مثل الاختلاف في غسل الرجلين أو مسحهما في الوضوء ممّا يتيسّر للفرد المسلم أن يعمل بموجب ما ثبت لديه حكمه اجتهادا أو تقليدا، و يستطيع الفرد الآخر المخالف له في الرأي أيضا أن يعمل بموجب ما ثبت لديه حكمه، و يمكن لهما مع ذلك أن يعيشا في وفاق في مجتمع إسلامي واحد-و إنّما هي ممّا يبنى المجتمع الإسلامي عليها، فإمّا أن يبنى المجتمع على هذه العقيدة و تزول تلك، و إمّا أن يبنى على تلك و تزول هذه.

و هي ليست بعد قضايا سياسية غير دينيّة يمكن التغاضي عنها حفظا لوحدة المسلمين، و إنّ نشر ملايين النسخ من أمثال كتاب (و جاء دور المجوس) بأسماء مستعارة و غير مستعارة، و إنفاق بعض الحكومات على أمثالها، لتنسب إلى أمّة كبيرة من المسلمين الخروج عن الإسلام، و إنفاقها ملايين الملايين في نشر دعايتها في آلاف المعاهد و المساجد و المدارس بجميع أقطار الأرض: أنّ ما عداهم من المسلمين مشركون، إضافة إلى إيفاد آلاف المبعوثين كذلك إلى جميع أقطار الأرض لنشر دعايتها من جانب واحد، فإنّ كلّ ذلك لم يكن بدافع سياسيّ غير ديني.

كما أنّها ليست من قضايا أوجدها الاستعمار لإيجاد التفرقة بين المسلمين ليحسن السكوت عليها، بل هي قضايا كانت قائمة و منتشرة في المجتمع الإسلامي منذ عصر إمام الحنابلة أحمد (ت: 240 هـ) و عصر الشيخ ابن تيميّة (ت: 728 هـ) من أتباع مدرسته، بل قبلهما و بعدهما إلى اليوم. و إنّ قتل مئات الألوف من المسلمين و إحراق مكتباتهم في شتّى العصور و مختلف البلاد خير دليل على ما نقول. فهي إذن مما يستفاد منها سياسيا من قبل تلك الحكومة أو ذلك الاستعمار، متى ما شاءت تلك أو شاء هذا، فيما إذا لم تعالج. ثمّ إنّها، كما ذكرنا، عقائد راسخة و السكوت عنها على مضض لن يحقّق وحدة بين المسلمين و لا تقاربا و لا تفاهما، بل يعمّق الجرح و يوسّع شقّة الخلاف و يطيل أمدها. و لمزيد التوضيح و إقامة الدليل على ما بيّنت، أذكر بعض مشاهداتي من آثار مسائل الخلاف بين أبناء الأمّة الإسلاميّة في ما يأتي. ـ

-2- من آثار الخلاف بعض ما شاهدت بين أبناء الأمّة الإسلاميّة

اعتمدت في ما أشرت آنفا من تكفير المسلمين بعضهم بعضا، و ما سأذكره منها في ما يأتي، مع أنواع من استدلالهم، إضافة إلى ما ورد في الكتب المطبوعة، على مشاهداتي في أسفاري إلى البلاد الإسلاميّة و اجتماعي بعلماء فرق المسلمين و مفكّريهم و أبناء شعوبهم، و خاصّة في سفراتي العشر لحجّ بيت اللّه الحرام.

في السفرة الأولى:

و كان ممّا رأيت في سفري الأوّل للحجّ على عهد الملك عبد العزيز آل سعود: أنّ ركبنا-ركب الحاجّ العراقي-عند ما بلغ مدينة الرماح من بلاد الحكومة السعودية، مكثنا فيها أربعا و عشرين ساعة، و اشتركنا جميعا في أداء الفرائض جماعة بمسجدهم. و لمّا دنت ساعة الرحيل، اجتمع علينا لفيف من أهالي المدينة يشاهدون رحيلنا، فحضر حشدهم من بدا عليه أنّه كان من ذوي معرفتهم، و خطب فيهم و أشار إلى أفراد الحاج و قال:

هؤلاء مشركون. و قال أيضا: هؤلاء يبكون على الحسن و الحسين. ثمّ أشار إليّ و قال:

هذا مطوّعهم لو يطيح بيدي أذبحو و ألطع دمّو. فانبرى له أحد الحجّاج و قال:

لما ذا نحن مشركون نحن حججنا بيت اللّه، زرنا قبر النبيّ... !؟فإذا به يرعد و يزيد و يقول له:

أشركت، لو يجيء أبو أبو سعود ما يحامي عنك. ويش محمد؛ محمد رجّالا مثلي. (أي لا يستطيع الملك بسلطته و لا يستطيع جدّه سعود أن ينجيك منّي. و أيّ شيء كان محمدا، محمّد كان رجلا مثلي و قد مات و انتهى أمره) .

فارتعد الحاجّ العراقي و قال:

ما ذا أقول؟ما ذا أقول؟فقال له:

قل ما هو ضار إلاّ اللّه، ما هو نافع إلاّ اللّه. فردّد الحاجّ ما لقّنه إيّاه.

فانبرى له حاج عراقي آخر و قال له:

محمد رجالا مثلك!؟فأكّد قوله ثانية و قال:

محمد رجالا مثلي، مات!فقال له الحاجّ:

محمّد نزل عليه القرآن فهل ينزل عليك القرآن؟فلم يحر جوابا، و بادرنا ركوب السيّارات و تحرّكت بنا.

و كان في ركبنا حاجّ يحمل جواز سفر سعوديّا و يسكن العراق. فلمّا بلغنا الحدود و شاهده موظّف الجوازات السعوديّ، انتهره و قال له مستهزئا و مستنكرا:

تترك بلاد الإسلام و تسكن بلاد الشرك!؟ فأخذ الحاجّ السعودي يتذلل له و يتخشّع له و يطلب جواز سفره، حتّى أعاده إليه!!

في السفرة الثّانية:

كان علماء العراق يوم ذاك يحملون همّ إعادة الأحكام الإسلاميّة إلى المجتمع، يوقظون أبناء الأمّة الإسلاميّة في سبيل المطالبة بها، في مساجدهم و احتفالاتهم و مهرجاناتهم، و يعارضون السّلطة في تشريعها قوانين مخالفة للأحكام الإسلاميّة. و كنا نتنسّم أخبار تحرّكات المسلمين في هذا السبيل في أيّ مكان كان، نؤيد ثورة الجزائر على فرنسا و ندعم الثورة الفلسطينية بكلّ ما أوتينا من حول و قوّة، و نستطلع أخبار الثورة الأريتيرية على الأحباش، و نرى من لوازم نجاح المعركة في سبيل إعادة الأحكام الإسلاميّة توعية المسلمين في هذا السبيل ثمّ تكاتفهم و تعاونهم في هذا الصدد و نسيان مسائل الخلاف في ما بينهم.

و لمّا نشبت المعركة الإسلاميّة في إيران بين سلطة الطاغوت و علماء المسلمين يوم ذاك بدءا بمعركتهم من المدرسة الفيضية في الجامعة الإسلاميّة الكبرى بقم، في اليوم الخامس و العشرين من شوال سنة 1382 هـ، استبشرنا بها خيرا، و حشّدنا كلّ طاقاتنا لمساعدتها، و جنّدنا أنفسنا لخدمتها؛ فقام علماء العراق بكلّ ما أوتوا من حول و قوّة بتأييدها، جزاهم اللّه جميعا خيرا.

و كنت ممّن أقام الحفلات التأبينية، و أقمت ثلاث ليال حفلة تأبينية كبرى في بغداد، ألقيت فيها خطب توجيهية توضّح أبعاد المعركة الإسلاميّة في إيران و آثارها و مغزاها.

في مثل هذا الظرف سافرت إلى الحجّ و أنا أحمل معي شعارا و أطروحة، شعاري الدعوة لتوحيد كلمة المسلمين في سبيل إعادة حياة إسلاميّة في البلاد الإسلاميّة، و أطروحتي: النهضة الإسلاميّة المتمثّلة بالنهضة الإسلاميّة الّتي بدت طلائعها في إيران من قبل علماء المسلمين. و كنت أبذل الجهد في شرح

دوافعها لقادة المسلمين و مفكّريهم و استنهاضهم لمساعدتها و بيان أنّ معركة المسلمين في سبيل إعادة الأحكام الإسلاميّة واحدة، و أنّه إذا نجحت المعركة في أي بلد إسلامي، فإنّه ستنتشر آثارها إلى غيرها، و يعمّ المسلمين خيرها، و كلّي أمل و رجاء أنّي سوف أجد أذنا صاغية لما أعرض من مأساة المسلمين في إيران، مع بيان وحدة القضيّة و وحدة المصير.

اجتمعت في هذه السفرة بقادة الإخوان المسلمين في سوريا و سعيد رمضان بمكّة، و محمّد آدم رئيس الثورة الأريتيرية، في موقف عرفات، و مثقّفي الفلسطينيين في الأردن و بيت المقدس و محرّري الصحف الإسلامية و علماء المسلمين و خطبائهم و قادة الحركات الإسلاميّة، أمثال أبي الحسن الندوي و أبي الأعلى المودودي رئيس الجماعة الإسلاميّة بباكستان يوم ذاك، إلى غيرهم.

بدأت عملي في المدينة بالمساهمة في كتابة النشرات الّتي كانوا يعدّونها للتوزيع على الحجيج، فأجريت تعديلات على صيغ النشرات، شرحنا فيها أبعاد النهضة الإسلامية في إيران و بيّنّا ظلم حكومة الطاغوت و عمالتها لدول الكفر، نستنهض فيها المسلمين لإعانة أبناء الأمّة الإسلاميّة في إيران، و رجّحت توزيعها ليلة العيد على الحجّاج في المشعر الحرام، غير أنّي بوغت مساء السابع من ذي الحجّة في مكّة المكرمة بأنّ الشّيخ المسئول عن توزيعها وزّع بعضها في الحرم المكّي الشريف فألقي القبض عليه و زجّ في السجن و حجزت النشرات كافّة. فاجتمعنا نحن علماء العراق و إيران يوم العيد بوليّ العهد فيصل، يوم ذاك، نطلب منه إطلاق سراح الموقوف و النشرات المحجوزة، فاغتنمت الفرصة و قلت: إنّ حكومتكم رفعت شعار تنفيذ أحكام القرآن في هذا البلد، و عليه يقتضي أن تعينوا المسلمين الّذين يجاهدون في سبيل تطبيق أحكام القرآن في بلادهم و يصطدمون بحكومات بلادهم الّذين يريدون تنفيذ أحكام الكفر، و أن تجعلوا من البلد الحرام ملجأ للمشردين منهم و تساعدوهم في شرح

ظلامتهم لإخوانهم الحجيج، و ذلك هو مصداق قوله تعالى:

لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ .

ثمّ ذكرت قيام علماء المسلمين في الجامعة الإسلاميّة الكبرى بقم و أسهبت في شرح أبعاد النهضة الإسلاميّة الطالعة بإيران، و واجب قادة المسلمين خاصّة الحكومة السعودية تجاهها، و ختمت حديثي بشرح قضية العالم الّذي وزّع نشرات التظلّم على المسلمين و توقيفه، و جرت حول ذلك بيننا مناقشات، أدّت إلى إطلاق سراح الموقوف.

و نشرت الصحف بعد أداء المناسك و رجوعنا إلى مكّة دعوة للحضور في المسجد الهندي بمكّة مساء الجمعة للاستماع إلى خطبة الأستاذ المودودي.

فحضرنا الاحتفال بعد صلاة العشاء و ألقى الأستاذ المحاضر خطبة [1] ذكر فيها ثمانية أمور تلزم المسلمين لإعادة الحياة الإسلاميّة إلى المجتمع، و تقدّمت بعده خلف المذياع و خطبت معلقا على خطابه و قلت:

إنّ المسلمين في نهضتهم اليوم بحاجة إلى ثلاثة أمور: أوّلا- إنّ المسلمين بعد مضيّ أربعة عشر قرنا من بعثة الرسول الأكرم (ص) و الظروف الّتي مرّت عليهم بحاجة إلى دراسة موضوعية مستوعبة لكيفيّة استنباط الأحكام من مصادر الشريعة الإسلاميّة و دراية الحديث وفقه السنّة و ترك البقاء على تقليد العلماء السلف في كلّ ذلك.

ثانيا- إنّ الغزاة الكفرة لبلاد الإسلام-المستعمرين-استطاعوا أن يشتّتوا كلمة المسلمين و بذلك استطاعوا أن يقضوا على كلّ حركة إسلاميّة في أي مكان تظهر. ثمّ شرحت ثورة الجزائر ضدّ الفرنسيّين، و الأريتيريّين ضدّ الأحباش، و علماء إيران ضدّ الطاغوت العميل، و أسهبت في الشرح

(1) كان قد أعدّها ليلقيها في ندوات رابطة العالم الإسلامي الّتي دعي للاشتراك في جلسات تأسيسها، و لمّا لم يسمح له بذلك ألقاها في ذلك المسجد.

و استنهضت همم المسلمين لمساعدتهم.

و ذكرت ثالثا أنّنا اليوم بحاجة إلى إيمان كإيمان أبي ذرّ و عمار و سميّة، و شرحت ما تحمّلوا من الأذى على أرض مكّة الّتي نحن عليها في سبيل الإسلام.

و في المدينة المنوّرة بلغ عميد الجامعة الإسلاميّة الشيخ عبد العزيز بن باز خبر لقاءاتي بالوفود الإسلاميّة و أنّ أحد علماء بغداد من وصفه كذا و كذا في المدينة المنورة، فظنّني من أتباع مدرسة الخلفاء و رغب في أن أزور الجامعة الإسلامية بالمدينة، و كانت جديدة التأسيس، و أرسل إلينا من سيّارات الجامعة ما حملتنا إليها مع بعض علماء بغداد و مثقّفيها و وجهائها، و كان أساتذتها قد اجتمعوا في بهو كبير بانتظارنا و استقبلونا فيه و احتشد على نوافذ البهو فريق من الطلّاب لمشاهدتنا. و لمّا استقرّ بنا المقام، بدأت بعد حمد اللّه و الثناء عليه بتقديم تحايا علماء المسلمين في العراق لهم و تهانيهم بتأسيسهم الجامعة الإسلامية في المدينة المنوّرة ثمّ قلت:

إنّ رسول اللّه (ص) لما حلّ بهذا البلد المبارك بدأ بعقد التآخي بين المسلمين المهاجرين و الأنصار، و بنى على ذلك التآخي مجتمعه الإسلامي المجيد. و أنتم بوجود طلبة من خمس و أربعين دولة عندكم تستطيعون أن تقتدوا به و تقدّموا هذه الخدمة الجليلة للإسلام و المسلمين. و المسلمون اليوم بأمسّ الحاجة إليها، فإنّهم في شتّى أصقاع الأرض ابتلوا بالاستعمار الغازي الكافر؛ منهم من يئنّ تحت وطأته مباشرة، و منهم من يسيطر عملاؤه عليهم و بدءوا اليوم يجاهدون الاستعمار و عملاءه. فهذي الجزائر يجاهد مسلموها فرنسا و يجري عليهم ما يجري و في أريتيريا يجاهد ثوارها هيلاسيلاسي إمبراطور الحبشة و يجري عليهم ما يجري و علماء المسلمين في إيران يجاهدون

الطّاغوت و سيّده المستعمر و يكافحون لطرد أقسى استعمار كافر على وجه الأرض لإعادة الأحكام الإسلامية إلى البلد الإسلامي و جرى عليهم كذا و كذا...

قلت هذا بعد أن أفضت في الحديث عن مآسي التفرقة بين المسلمين، و ضربت الأمثال لذلك و أتممت الحديث، و جاء دور مضيفي الشيخ بن باز للحديث-و كان قد أنبئ بأنّي من أتباع مدرسة أهل البيت، و كان ضريرا لا يبصر-فإذا به يتنحنح ثمّ يقول بالحرف الواحد:

أنتم مشركون!أسلموا، ثمّ اطلبوا من المسلمين أن يتّحدوا معكم.

فثار الدّم في عروقي و اشتركت معه في نقاش طويل و ذكره خارج عن الصدد [2] .

استمعت في سفراتي إلى الحجّ إلى خطباء الجمعة و الجماعة في مكّة و المدينة، و اشتركت في النّقاش أحيانا مع الخطباء بين صلاتي المغرب و العشاء بمسجد الخيف، و حضرت ندوات رابطة العالم الإسلامي بمكّة مستمعا و اجتمعت في أسفاري بعلماء مصر و خاصّة الأزهر الشريف و سائر بلاد المسلمين في لبنان و بلاد الخليج و الهند و باكستان و كشمير و غيرها و طارحتهم الحديث. و سمعت أحيانا ما لا يصلح نقله اليوم و أدركت من خلال مطارحاتي مع مفكّري المسلمين و علمائهم و قادتهم-و لا ينبّئك مثل خبير-أنّه لن يتحقّق أيّ تقارب أو تفاهم بين المسلمين دون تدارس مسائل الخلاف و البحث عن منشئها ثمّ المبادرة إلى علاجها. و إذا كان لا بدّلنا من معرفة منشأ

---

(2) إنما أشرت إلى أحاديثي في هذه السفرة ليعلم مدى إخلاصي للشعار الّذي كنت أرفعه و الأطروحة الّتي كنت أطرحها، و أحيانا كان الألم يعصر قلبي حين التحدّث و الدمع ينحدر من عيني، و إذا بي أجابه تلك المجابهة الفظّة من ذلك الشيخ.

الخلاف في مسائل الخلاف من أجل علاجها، فسنذكر في ما يأتي أمثلة منها، ثمّ نختم البحوث بما ينبغي أن نعمله في سبيل علاج مسائل الخلاف بحوله تعالى.

و نبدأ بذكر مسائل الخلاف حول بعض صفات اللّه عزّ اسمه.

-3- بعض صفات اللّه جلّ اسمه و منشأ الخلاف حولها

في المسلمين من يرى أنّ اللّه:

خلق آدم على صورته [1] ، و أنّ له أصابع [2] و ساقا [3] و قدما.

و أنّه يضع قدمه يوم القيامة على نار جهنّم أو على جهنّم فتقول: قطّ، قطّ، قطّ [4] .

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام.

و صحيح مسلم، كتاب الجنّة و صفة نعيمها، باب يدخل الجنّة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير، ح 28، و كتاب البرّ، باب النهي عن ضرب الوجه، ح 115. و مسند أحمد 2/244 و 251، و 323 و 365 و 424 و 462 و 569.

(2) صحيح البخاري، تفسير سورة الزمر 2/122. و كتاب التوحيد، باب قول اللّه: **لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** 4/186 و باب **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ** 4/192. و صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة و الجنّة و النار، ح 19، 21، 22.

(3) صحيح البخاري، تفسير قوله تعالى: **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ** من سورة ن و القلم، الآية 43 و كتاب التوحيد، باب قول اللّه تعالى: **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ** 4/189.

(4) صحيح البخاري، تفسير سورة ق، و كتاب التوحيد، باب **إِنَّ رَحْمَتَ اَللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ اَلْمُحْسِنِينَ** 4/191. و الترمذي، كتاب صفة الجنّة، باب ما جاء في خلود أهل الجنّة و أهل النار.

و صحيح مسلم، كتاب الجنّة و صفة نعيمها و أهلها، باب النار يدخلها الجبارون و الجنّة يدخلها الضعفاء، ح 35 و 36 و 37 و 38.

و أن له مكانا، و أنّه ينتقل من مكان إلى مكان، و ذلك لما رووا أنّ رسول اللّه قال:

كان ربّنا قبل أن يخلق خلقه في عماء-أي ليس معه شيء-ما تحته هواء، و ما فوقه هواء، و ما ثمّ خلق. عرشه على الماء [5] .

و أنّه قال:

إنّ عرشه على سماواته كهكذا-و قال بأصابعه مثل القبّة عليه-و إنّه ليئط به أطيط الرحل بالراكب [6] .

و أنّه قال: ينزل اللّه في آخر الليل إلى السماء الدنيا فيقول: من يسألني فأستجيب له و من يسألني فأعطيه... [7] .

و أنّه قال: ينزل في ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر... [8] .

---

(5) سنن ابن ماجة، المقدمة، باب في ما أنكرت الجهمية، ح 182. و سنن الترمذي، تفسير سورة هود، الحديث الأول و فيه: العماء-أي ليس معه شيء. و مسند أحمد 4/11 و 12.

(6) سنن أبي داود، كتاب السنّة، باب في الجهمية، ح 4726. و سنن ابن ماجة، المقدمة، باب في ما أنكرت الجهمية. و سنن الدارمي، كتاب الرقائق، باب في شأن الساعة و نزول الرّبّ تعالى.

و راجع كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب (ت: 1206 هـ) و منهاج السنة لابن تيمية.

(7) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء و الصلاة في آخر الليل، و كتاب التوحيد باب قوله تعالى: **يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اَللَّهِ** . و كتاب الدعوات، باب الدعاء نصف الليل.

و صحيح مسلم، كتاب الدعاء، باب الترغيب في الدعاء و الذكر في آخر الليل. و سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في الرد على الجهمية، ح 4733. و سنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في نزول الربّ إلى السماء الدنيا كلّ ليلة، 2/233 و 235. و كتاب الدعوات، باب حدثني الأنصاري، 13/30. و سنن ابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في أيّ ساعات الليل أفضل، ح 1366. و سنن الدارمي، كتاب الصلاة، باب ينزل اللّه إلى السماء الدنيا. و موطأ مالك، كتاب القرآن، باب 30. و مسند أحمد 2/264، 267، 282، 419، 433، 487، 504، 521، و 3/34 و 4/16

(8) سنن الترمذي، أبواب الصوم، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان. و سنن ابن ماجة،

و أنّه قال عن يوم القيامة:

يقال لجهنّم: هل امتلأت؟و تقول: هل من مزيد؟فيضع الرّبّ تبارك و تعالى قدمه عليها فتقول: قطّ قطّ.

و في رواية:

فأمّا النار فلا تمتلئ حتّى يضع رجله فتقول: قطّ قطّ. فهنالك تمتلئ و يزوى بعضها إلى بعض [9] .

حول رؤيته:

رووا أنّ رسول اللّه (ص) يرى ربّه يوم القيامة. فقد قال (ص) : يأتيني المؤمنون للشّفاعة بعد إباء الأنبياء من الشّفاعة. فأنطلق فأستأذن على ربّي، فيؤذن لي، فإذا رأيت ربّي وقعت ساجدا... -إلى قوله: -ثمّ أشفع فيحدّ لي حدّا فأدخلهم الجنّة، ثمّ أرجع، فإذا رأيت ربّي وقعت ساجدا-الحديث [10] .

و أنّه قال:

إن اللّه تبارك و تعالى ينزل يوم القيامة إلى العباد ليقضي بينهم [11] .

و أنّه قال:

قكتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان. و مسند أحمد 2/433.

(9) كلتا الروايتين عن الصحابي أبي هريرة في تفسير سورة ق من صحيح البخاري 3/128، و في باب **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ** من كتاب التوحيد منه، 4/191.

و عن أنس حديث القدم في باب قول اللّه تعالى: (و هو العزيز الحكيم سبحان ربّك...) من كتاب التوحيد منه، 4/129.

و راجع سنن الترمذي، كتاب الجنّة، باب ما جاء في خلود أهل الجنّة و أهل النار، 10/29.

و مسند أحمد 2/396.

(10) صحيح البخارى، كتاب التوحيد، باب قول اللّه تعالى: **لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** 4/185 و في باب قول اللّه تعالى: **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ** بتفصيل أوفى، راجع 4/190 منه.

(11) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الرياء و السمعة 9/229.

إنّكم سترون ربّكم عيانا [12] .

و إنّ المسلمين يرون ربّهم يوم القيامة كما يرون القمر لا يضامّون في رؤيته [13] .

و إنّ اللّه يقول يومئذ:

من كان يعبد شيئا فليتّبع. فمنهم من يتّبع الشمس و منهم من يتّبع القمر، و منهم من يتّبع الطواغيت، و تبقى هذه الأمّة فيها منافقوها فيأتيهم اللّه في غير الصورة الّتي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ باللّه منك، هذا مكاننا حتّى يأتينا ربّنا، فإذا أتانا ربّنا عرفناه، فيأتيهم اللّه في الصورة الّتي يعرفون، فيقول: أنا ربّكم. فيقولون: أنت ربّنا فيتّبعونه... [14]

و في رواية:

حتّى إذا لم يبق إلاّ من كان يعبد اللّه من برّ و فاجر، أتاهم ربّ العالمين في أدنى صورة من الّتي رأوه فيها، فيقال: ما ذا تنتظرون؟تتبع كل أمّة ما كانت تعبد، قالوا: ... نحن ننتظر ربّنا الّذي نعبد. فيقول: أنا ربّكم. فيقولون:

لا نشرك باللّه شيئا، مرّتين أو ثلاثا... فيقول: هل بينكم و بينه علامة فتعرفونه بها؟فيقولون: الساق. فيكشف عن ساق (ثمّ يسجدون) [15] ثمّ يرفعون رءوسهم و قد تحوّل في صورته الّتي رأوه فيها أوّل مرّة، فقال: أنا

---

(12) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول اللّه تعالى: **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ** 4/188.
(13) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول اللّه تعالى: **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ** .

و كتاب الصلاة، باب فضل صلاة العصر، و باب وقت العشاء إلى نصف الليل، و كتاب التفسير، باب سورة ق. و صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح و العصر و المحافظة عليهما. و الترمذي، كتاب صفة الجنّة، باب ما جاء في رؤية الرّبّ تبارك و تعالى، 10/18 و 20.

(14) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية. و صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول اللّه تعالى: **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ** 4/188، و راجع تفسير سورة: ق منه.
(15) ما بين القوسين ملخّص من لفظ الحديث في السجدة.

ربّكم. فيقولون: أنت ربّنا [16] .

في الجنّة

و أنّه قال عن المؤمنين في الجنّة:

ما بينهم و ما بين أن ينظروا إلى ربّهم إلاّ رداء الكبر على وجهه في جنّة عدن [17] .

و أنّ أهل الجنّة إذا دخلوها يقول اللّه تبارك و تعالى:

تريدون شيئا أزيدكم؟فيقولون: أ لم تبيّض وجوهنا؟أ لم تدخلنا الجنّة و تنجنا من النّار؟فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحبّ إليهم من النظر إلى ربّهم عزّ و جلّ [18] .

و أنّ رسول اللّه (ص) قال:

بينا أهل الجنّة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رءوسهم، فإذا الرّبّ قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنّة!!قال:

و ذلك قول اللّه: **سَلاَمٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ** . قال: فينظر إليهم و ينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم، ما داموا ينظرون إليه، حتّى يحتجب عنهم و يبقى نوره و بركته [19] .

---

(16) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ح 229، و اللفظ منه. و صحيح البخاري في تفسير سورة النساء، باب قوله: **إِنَّ اَللّٰهَ لاٰ يَظْلِمُ مِثْقٰالَ ذَرَّةٍ** 3/80، و اللفظ فيه مختصر، و كذلك في كتاب التوحيد منه، باب قول اللّه تعالى: **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نٰاضِرَةٌ** 4/189.

لو تفضّل الراءون ربّهم و وصفوا لنا صورة ربّهم الّتي رأوه عليها و ساقه الّتي هي علامة بينهم و بين ربّهم لكان ذلك فضلا منهم كبيرا يشكرون عليه و يحمدون.

(17) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول اللّه تعالى: **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نٰاضِرَةٌ** 4/191. و في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربّهم، ح 296.
(18) صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربّهم، ح 297.
(19) سنن ابن ماجة، كتاب المقدمة، باب في ما أنكرت الجهمية، ح 184.

و أنّه قال:

... أكرمهم على اللّه من ينظر إلى وجهه غدوة و عشيّا. ثمّ قرأ رسول اللّه (ص) : **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ `إِلىَ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** [20] .

و أنّ رسول اللّه (ص) أخبر و قال: إنّ أهل الجنّة يزورون اللّه عزّ و جلّ و يبرز لهم عرشه و يتبدّى لهم في روضة من رياض الجنّة، و لا يبقى في ذلك المجلس أحد إلاّ حاضره اللّه عز و جل محاضرة حتّى أنّه يقول للرجل منكم ألا تذكر يا فلان يوم عملت كذا و كذا؟فيقول:

يا ربّ أ فلم تغفر لي؟فيقول:

بلى... ثمّ ننصرف إلى منازلنا فتلقانا أزواجنا فيقلن:

أهلا و مرحبا، لقد جئت و إنّ بك من الجمال و النور و الطّيب أفضل فارقتنا عليه. فنقول:

إنّا جالسنا اليوم ربّنا عزّ و جلّ و يحقّنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا [21] .

نكتفي بإيراد ما أوردنا من الأحاديث الكثيرة الوفيرة في صفات أعـ؟ اللّه و رؤية العباد ربّهم يوم القيامة، لأنّنا بصدد ضرب المثل لبيان الخلاف، و لسنا بصدد الإحصاء. و ندرس في ما يأتي الخلاف حول تـ؟؟ هذه الأحاديث.

الخلاف على تأويل تلكم الأحاديث

في المسلمين من يؤمن بظواهر تلكم الأحاديث و يرى الإيمان بها إيمانا

(20) سنن الترمذي، كتاب صفة الجنّة، باب رؤية الرّبّ، 10/18-19.
(21) سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب صفة أهل الجنّة، ح 4336، ص 1451- و سنن الترمذي، أبواب صفة الجنّة، باب ما جاء في سوق الجنّة، 10/16-17.

باللّه و دليلا على القول بتوحيده تعالى، و يسمّون من يؤوّلها إلى غير معنى الجسميّة بمعطّلة الصفات، أي معطلة صفات اللّه.

و قد دوّن مسلم تلك الأحاديث في كتاب الإيمان من صحيحه و البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه.

و ألّف ابن خزيمة كتابا سمّاه: (التوحيد و إثبات صفات الربّ عزّ و جلّ الّتي و صف بها نفسه في تنزيله و على لسان نبيّه، نقل الأخبار الصحيحة نقل العدول عن العدول من غير قطع في إسناد و لا جرح في ناقلي الأخبار الثقات) [22] .

و هذا فهرس بعض أبواب الكتاب كما جاء في آخره:

أبواب كتاب ابن خزيمة

إثبات النفس للّه إثبات الوجه للّه باب ذكر صورة ربّنا جلّ و علا باب ذكر إثبات العين للّه جلّ و علا باب إثبات السّماع و الرؤية للّه جلّ و علا باب إثبات اليد للخالق البارئ جلّ و علا باب ذكر إثبات الرّجل للّه عزّ و جلّ باب ذكر البيان أنّ اللّه عزّ و جلّ ينظر إليه جميع المؤمنين باب ذكر البيان أن جميع المؤمنين يرون اللّه يوم القيامة مخليا به

(22) هو الحافظ الكبير إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت: 311 هـ) أستاذ البخاري و مسلم في الحديث، طبع الكتاب سنة 1378 هـ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية بميدان الأزهر في القاهرة. راجع ترجمة المؤلف في مقدمة الكتاب.

و ألّف الإمام الحافظ عثمان بن سعيد الدارمي (ت: 280 هـ) كتاب:

الردّ على الجهميّة، و من أبوابه:

باب استواء الرّبّ على العرش و ارتفاعه إلى السماء و بينونته من الخلق باب النزول ليلة النصف من شعبان باب النزول يوم عرفة باب نزول الرّبّ يوم القيامة للحساب باب نزول اللّه لأهل الجنّة باب الرؤية [23] .

و ألّف الذهبي كتاب (العلوّ العال للعليّ الغفّار) [24] أورد فيه الآيات و الأحاديث الّتي يفهمون منها أنّ مكان اللّه في العلوّ المكاني، ثمّ ذكر أقوال الصّحابة و التابعين و العلماء و المحدّثين في تأييد ذلك.

منشأ الخلاف حول بعض صفات اللّه و رؤيته

في المسلمين من درسنا آراءهم في صفات اللّه المذكورة. و فيهم من يتلو في ردّ تلكم الأقوال قول اللّه تعالى: **لاَ تُدْرِكُهُ اَلْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ اَلْأَبْصَارَ** الأنعام/103.

و يقول: إنّ قول اللّه: **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ `إِلىَ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ، أي: إلى أمر ربّها ناظرة، أي: منتظرة، و ذلك مثل قوله تعالى في حكاية قول أولاد يعقوب لأبيهم: **وَ سْئَلِ اَلْقَرْيَةَ اَلَّتِي كُنَّا فِيهَا** يوسف/82. أي: و اسأل أهل

(23) ط. ليدن، سنة 1960 م.
(24) الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: 748 هـ) ، نشر المكتبة السلفية في المدينة المنورة، باب الرحمة، ط: الثانية، سنة 1388 هـ.

القرية، قدّر في تلك الآية (أمر) و في هذه الآية (أهل) ، و هكذا تؤوّل سائر الآيات الّتي ظاهرها يدلّ على أنّ اللّه تبارك و تعالى جسم.

و يسمّون أهل تلك الأقوال بالمجسّمة و المشبّهة أي الّذين يشبّهون ربّهم بمخلوقاته و يقولون إنّه جسم.

و يروون عن الإمام جعفر بن محمد الصّادق (ع) أنّه قال:

من زعم أنّ اللّه فوق العرش فقد صيّر اللّه محمولا و لزمه أنّ الشيء الّذي يحمله أقوى منه. و من زعم أنّ اللّه في شيء، أو على شيء، أو يخلو منه شيء، أو يشغل به شيء فقد و صفه بصفة المخلوقين؛ و اللّه خالق كلّ شيء، لا يقاس بالقياس، و لا يشبه بالناس، لا يخلو منه مكان، و لا يشتغل به مكان [25] .

و يستشهدون بقول الإمام علي (ع) :

إنّ اللّه لا ينزل، و لا يحتاج أن ينزل؛ و إنّما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص و زيادة، و كلّ متحرّك يحتاج إلى من يحرّكه أو يتحرّك به، فاحذروا في صفاته من أن تقضوا له على حدّ تحدّونه بنقص أو زيادة، أو تحريك أو تحرّك، أو زوال أو استنزال، أو نهوض أو قعود [26] .

و قال الراوي للإمام عليّ بن موسى الرضا (ع) :

---

(25) الكافي، الجزء الأول، كتاب التوحيد، باب العرش و الكرسي، ح 7، و باب الحركة و الانتقال، ح 3 و 9. و التوحيد للشيخ الصدوق، باب نفي المكان و الزمان و الحركة عنه تعالى، ح 9 و 10 و 12، و باب **وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى اَلْمَاءِ** ح 11، و باب معنى **اَلرَّحْمَنُ عَلَى اَلْعَرْشِ اِسْتَوىَ** ح 5 و 6 و 7 و 8. البحار للمجلسي، ط. الجديدة، كتاب التوحيد، باب نفي الجسم و الصورة و التشبيه و الحلول و الاتّحاد، ح 23، 3/87.

(26) الكافي، كتاب التوحيد، باب الحركة و الانتقال، ح 1. و التوحيد للصدوق، باب نفي المكان و الزمان و الحركة عنه تعالى، ح 18. و البحار للمجلسي، كتاب التوحيد، باب نفي الزمان و المكان و الحركة و الانتقال عنه تعالى ح 25، 3/311.

إنّا روينا أنّ اللّه عز و جلّ قسّم لموسى الكلام و لمحمد الرؤية. فقال أبو الحسن الرضا (ع) : فمن المبلّغ عن اللّه عزّ و جلّ إلى الثقلين الجنّ و الإنس: **لاَ تُدْرِكُهُ اَلْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ اَلْأَبْصَارَ** و **وَ لاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً** و **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** أ ليس محمدا (ص) ؟قال: بلى، قال: فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعا فيخبرهم أنّه جاء من عند اللّه و أنّه يدعوهم إلى اللّه بأمر اللّه و يقول: **لاَ تُدْرِكُهُ اَلْأَبْصَارُ...** -الآيات، ثمّ يقول: أنا رأيته بعيني و أحطت به علما و هو على صورة البشر!؟أ ما تستحون؟ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا، أن يكون يأتي عن اللّه بشيء ثمّ يأتي بخلافه من وجه آخر.

قال الراوى: فإنّه يقول: **وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرىَ** فقال أبو الحسن (ع) : إنّ بعد هذه الآية ما يدلّ على ما رأى حيث قال: **مَا كَذَبَ اَلْفُؤَادُ مَا رَأىَ** يقول: ما كذّب فؤاد محمد (ص) ما رأت عيناه. ثمّ أخبر بما رأى فقال: **لَقَدْ رَأىَ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ اَلْكُبْرىَ** فآيات اللّه عزّ و جلّ غير اللّه، و قد قال: **وَ لاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً** فإذا رأته الأبصار، فقد أحاطت به العلم، و وقعت المعرفة. فقال أبو قرّة: فتكذّب بالروايات؟فقال أبو الحسن (ع) : إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذّبت بها... [(27)] .

و هكذا بيّن أئمة أهل البيت (ع) تفسير الآيات الّتي فيها شبهة رؤية اللّه و تجسيمه، و كشفوا عن المقصود من السّاق و اليد و العرش و نظائرها في

---

(27) توحيد الصدوق، ط. طهران سنة 1387 هـ، ص 111-112. و أحاطت به العلم، أي: أحاطت به الأبصار علما، و قد أوردنا الحديث موجزا. و البحار، كتاب التوحيد، باب نفي الرؤية و تأويل الآيات، ح 14، 4/31. و الكافي، كتاب التوحيد، باب في إبطال الرؤية ح 2

الآيات الكريمة، و أنّ اللّه خلق آدم على صورته في الحديث [28] و تركنا إيرادها لأنّا لسنا بصدد إيراد أدلّة المدرستين و استقصاء أدلّتهما في ما ارتأيا، بل أردنا أن نورد أمثلة ممّا ورد من الأحاديث المتعارضة في صفات اللّه لدى المدرستين، و أنّ أحاديث كلّ مدرسة تؤوّل آيات القرآن باتّجاهها الخاصّ، و أنّه هكذا نشأ الخلاف حول صفات اللّه.

ثمّ ندرس في ما يأتي منشأ الخلاف في بعض صفات الأنبياء بحوله تعالى.

---

(28) يراجع بشأن صفات اللّه كتب: الكافي للشيخ الكليني، كتاب التوحيد. و التوحيد للشيخ الصدوق. و عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق، الباب رقم: 11، ما جاء عن الرضا من الأخبار في التوحيد.

-4- الخلاف في صفات الأنبياء و ما خصّهم اللّه بها و منشؤها

يرى البعض حول صفات الأنبياء:

أنّ التبرّك بآثار الأنبياء و اتّخاذ قبورهم محلاّ للعبادة شرك.

و أنّ البناء على قبورهم في حدّ الشرك.

و أنّ الاحتفال بأيّام مواليدهم و مواليد الأولياء معصية و بدعة محرّمة.

و أنّ التوسّل إلى اللّه بغيره في حدّ الشرك، و الاستشفاع برسول اللّه (ص) بعد وفاته مخالف للشّرع الإسلامي.

و يستدلّ مخالفوهم بما يأتي:

أ-التبرّك بآثار الأنبياء

يستدلّون على مشروعيّة التبرك بآثار الأنبياء بما تواتر نقله في جميع كتب الحديث أنّ الصّحابة تبرّكوا برسول اللّه (ص) و آثاره في حياة الرسول (ص) بمباشرته، و دعوته بذلك، و تبرّكوا-أيضا-بآثاره بعد وفاته، و في ما يأتي بعض ما يستدلّون به:

التبرّك ببصاق النّبيّ (ص)

في صحيح البخاري عن سهل بن سعد في باب ما قيل في لواء النبيّ (ص) من كتاب المغازي [1] : إنّ رسول اللّه (ص) قال يوم خيبر: لأعطينّ هذه الراية غدا رجلا يفتح اللّه على يديه، يحبّ اللّه و رسوله، و يحبّه اللّه و رسوله. قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيّهم يعطاها. فلمّا أصبح الناس غدوا على رسول اللّه (ص) كلّهم يرجو أن يعطاها فقال: أين عليّ؟فقيل:

هو يا رسول الله يشتكي عينيه. فأرسل فأتي به... و لفظه في كتاب الجهاد و السير [2] : فأمر فدعي له، فبصق في عينيه، فبرأ مكانه حتّى كأنّه لم يكن به شيء... -الحديث.

و في لفظ سلمة بن الأكوع بصحيح مسلم:

قال: فأتيت عليّا فجئت به أقوده و هو أرمد حتّى أتيت به رسول اللّه (ص) فبصق في عينيه فبرأ و أعطاه الراية-الحديث [3] .

التبرّك بوضوء النّبيّ (ص)

في صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال: رأيت رسول اللّه (ص) و حانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه. فأتي رسول

(1) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، 3/35. و كتاب الجهاد و السير، الباب رقم: 102، 2/108، و باب ما قيل في لواء النبي، 2/111، و باب فضل من أسلم على يديه رجل، 2/115. و كتاب فضائل أصحاب النبيّ، باب مناقب عليّ بن أبي طالب، 2/199. و صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عليّ بن أبي طالب (رض) ، ح 32 و 34، و باب غزوة ذي قرد و غيرها، ح 132. و سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عليّ بن أبي طالب، 13/172.
(2) صحيح البخاري، باب دعاء النبي إلى الإسلام، 2/107.
(3) صحيح مسلم، كتاب الجهاد و السير، ح 132.

اللّه (ص) بوضوء فوضع رسول اللّه في ذلك الإناء يده، و أمر الناس أن يتوضّئوا منه. فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه حتى توضّئوا من عند آخرهم [4] .

و في رواية أخرى عن جابر بن عبد اللّه أنه قال:

قد رأيتني مع النبيّ (ص) و قد حضرت العصر و ليس معنا ماء غير فضلة، فجعل في إناء فأتي النبيّ (ص) به، فأدخل يده فيه و فرّج أصابعه ثمّ قال: حيّ على أهل الوضوء، البركة من اللّه. فلقد رأيت الماء يتفجّر من بين أصابعه، فتوضّأ الناس و شربوا. فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه فعلمت أنّه بركة-فقيل لجابر: -كم كنتم يومئذ؟قال: ألفا و أربعمائة. و في رواية:

خمس عشر مائة [5] .

التبرّك بنخامة النّبيّ (ص)

روى البخاري في صلح الحديبيّة عن عروة بن مسعود قال عن رسول اللّه (ص) و أصحابه:

و اللّه ما تنخّم رسول اللّه (ص) نخامة إلاّ وقعت في كفّ رجل منهم فدلك بها وجهه و جلده، و أنّه إذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه [6] .

التبرّك بشعر النبيّ (ص)

روى مسلم في صحيحه: أنّ رسول اللّه (ص) أتى منى و حلق رأسه

---

(4) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة، 1/31.

(5) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب شرب البركة و الماء المبارك، 3/219. و سنن النسائي، كتاب الطهارة، باب الوضوء من الإناء 1/25. و مسند أحمد 1/402. و سنن الدارمي عن عبد اللّه بن عمر، المقدمة، باب ما أكرم اللّه النبي (ص) من تفجير الماء من بين أصابعه، 1/15.

(6) صحيح البخاري كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد و المصالحة مع أهل الحرب و كتابة الشروط، 2/82، و كتاب الوضوء منه، باب البزاق و المخاط و نحوه... ، 1/38، و باب استعمال فضل وضوء الناس... ، 1/33. و مسند أحمد 4/329، 330.

بعد أن رمى و نحر (ثمّ جعل يعطيه الناس) .

و في رواية أخرى: أنّه دعا الحالق فحلقه فأعطاه أبا طلحة فقال: اقسمه بين الناس [7] .

و روى أيضا عن أنس قال:

لقد رأيت رسول اللّه (ص) و الحلاّق يحلقه و أطاف به أصحابه. فما يريدون أن تقع شعرة إلاّ في يد رجل [8] .

و في ترجمة خالد بأسد الغابة: أنّ خالد بن الوليد كان له الأثر المشهور في قتال الفرس و الروم، و افتتح دمشق، و كان في قلنسوته الّتي يقاتل بها شعر من شعر رسول اللّه (ص) يستنصر به و ببركته، فلا يزال منصورا.

و في ترجمته-أيضا-بأسد الغابة و الإصابة و مستدرك الحاكم-و اللفظ له-:

أنّ خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك فقال: اطلبوها. فلم يجدوها. ثمّ طلبوها فوجدوها، و إذا قلنسوة خلقة، فقال خالد: اعتمر رسول اللّه (ص) فحلق رأسه و ابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة، فلم أشهد قتالا و هي معي إلاّ رزقت النصر [9] .

---

(7) صحيح مسلم، كتاب الحجّ، باب بيان أنّ السنة يوم النحر أن يرمي ثمّ ينحر ثمّ يحلق، و الابتداء في الحلق بالجانب الأيمن من رأس المحلوق، ح 323 و 326.

و راجع ح 324 و 325 منه في سنن أبي داود بكتاب المناسك، باب الحلق و التقصير ح 1981، 2/203. و طبقات ابن سعد 1/135. و مسند أحمد 3/111 و 133 و 137 و 146 و 208 و 214 و 239 و 256 و 287، و 4/42. و مغازي الواقدي ص 429.

(8) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب قرب النبيّ (ص) من الناس و تبركهم به، ح 74 ص 1812.

(9) المستدرك للحاكم، كتاب معرفة الصحابة، باب مناقب خالد بن الوليد، 3/299. و اللفظ له و بترجمة خالد في أسد الغابة و الإصابة. و موجز الخبر بمنتخب كنز العمّال بهامش مسند أحمد 5/178. و تاريخ ابن كثير 7/113.

و روى البخاري: أنّه كان عند أمّ سلمة زوج النبي (ص) شيء من شعر النبيّ فإذا أصاب إنسانا عين أرسلوا إليها قدحا من الماء تغمس الشعر فيه، فيداوى من أصيب [10] .

و في صحيح البخاري و غيره:

قال عبيدة: لأن تكون عندي شعرة منه-أي النبيّ (ص) -أحبّ إليّ من الدنيا و ما فيها [11] .

التبرّك بسهم النبيّ (ص)

روى البخاري في صلح الحديبيّة و قال:

نزل الرسول (ص) بجيشه في أقصى الحديبيّة على ثمد قليل الماء يتبرّضه الناس تبرضا، فلم يلبثه الناس حتّى نزحوه و شكوا إلى رسول اللّه (ص) العطش، فانتزع سهما من كنانته ثمّ أمرهم أن يجعلوه فيه فو اللّه ما يزال يجيش لهم بالريّ حتّى صدروا عنه [12] .

التبرّك بموضع كفّ النبيّ (ص)

في ترجمة حنظلة من الإصابة و مسند أحمد ما موجزه:

قال حنظلة: دنا بي جدّي إلى النبي (ص) فقال:

إنّ لي بنين ذوي لحى و دون ذلك، و إنّ ذا أصغرهم، فادع اللّه له.

---

(10) أوردناه ملخّصا من صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب ما يذكر في الشيب، 4/27.

(11) طبقات ابن سعد 6/63. و صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب الماء الّذي يغسل به شعر الإنسان، 1/31.

(12) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد و المصالحة مع أهل الحرب و كتابة الشروط، 2/81. و راجع كتاب المغازي منه، باب غزوة الحديبية، و راجع طبقات ابن سعد 3/29، و باب ذكر علامات بعد نزول الوحي 1/ق 1/118، و مغازي الواقدي ص 247.

فمسح رأسه و قال:

بارك اللّه فيك أو بورك فيه. قال الراوي:

فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالإنسان الوارم وجهه أو البهيمة الوارمة الضرع فيتفل على يديه و يقول: باسم اللّه، و يضع يده على رأسه و يقول: على موضع كفّ رسول اللّه (ص) . فيمسحه عليه.

و قال الراوي: فيذهب الورم [13] .

و في لفظ الإصابة:

و يقول: باسم اللّه، و يضع يده على رأسه موضع كفّ رسول اللّه (ص) ، فيمسحه عليه. ثمّ يمسح موضع الورم، فيذهب الورم.

كان انتشار البركة من رسول اللّه (ص) إلى من حوله كانتشار الضوء من الشّمس و الشّذى من الزّهر، لا ينفكّ عنه أينما حلّ، في صغره و كبره، سفره و حضره، ليله و نهاره، سواء أ كان في خباء حليمة السعديّة رضيعا، أم في سفره إلى الشّام تاجرا، أم في خيمة أمّ معبد مهاجرا، أم في المدينة قائدا و حاكما. و ما أوردناه أمثلة من أنواعها و ليس من باب الإحصاء، فإنّ إحصاءها لا يتيسّر للباحث، و في ما أوردناه الكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السّمع و هو شهيد.

و ندرس بعد هذا فيما يأتي مسألة الاستشفاع برسول اللّه (ص) ثمّ ندرس منشأ الخلاف في جملة ميّزات رسول اللّه (ص) على سائر الناس إن شاء اللّه تعالى.

---

(13) مسند أحمد 5/68، و تفصيله بترجمة حنظلة بن حذيم بن حنيفة التميمي في الإصابة و في لفظه، و أورد الخبر أيضا بأسناد أخرى.

ب-الاستشفاع برسول اللّه (ص)

يستدلّ القائلون بمشروعيّة التوسّل برسول اللّه (ص) و الاستشفاع به في كلّ زمان، بأنّ ذلك وقع برضا من اللّه قبل أن يخلق النبيّ (ص) و في حياته و بعد وفاته، و كذلك يقع يوم القيامة. و في ما يأتي الدليل على ذلك:

أوّلا-التوسّل بالنبيّ (ص) قبل أن يخلق

روى جماعة منهم الحاكم في المستدرك، من حديث عمر بن الخطاب (رض) أنّ آدم لمّا اقترف الخطيئة قال:

يا ربّ أسألك بحقّ محمّد لمّا غفرت لي. فقال اللّه:

يا آدم و كيف عرفت محمّدا و لم أخلقه؟قال:

يا ربّ لأنّك لمّا خلقتني بيدك، و نفخت فيّ من روحك، رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوبا: «لا إله إلاّ اللّه محمّد رسول اللّه» فعلمت أنّك لم تضف إلى اسمك إلاّ أحبّ الخلق إليك. فقال اللّه:

صدقت يا آدم، إنّه لأحبّ الخلق إليّ، ادعني بحقّه فقد غفرت لك، و لو لا محمّد ما خلقتك.

و ذكره الطبراني و زاد فيه: «و هو آخر الأنبياء من ذرّيّتك» [14] .

و أخرج المحدّثون و المفسّرون في تفسير الآية: **وَ لَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اَللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى اَلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اَللَّهِ عَلَى اَلْكَافِرِينَ** البقرة/89: أنّ اليهود من أهل المدينة و خيبر إذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب من الأوس و الخزرج

---

(14) مستدرك الحاكم، كتاب التاريخ في آخر كتاب البعث، 2/615، و مجمع الزوائد 8/253 و تحقيق النصرة للمراغي (ت: 816 هـ) ، ص 113-114. و هو الّذي نقله عن الطبراني.

و غيرهما قبل أن يبعث النبيّ، كانوا يستنصرون به عليهم، و يستفتحون لما يجدون ذكره في التوراة، فيدعون على الّذين كفروا و يقولون: (اللّهمّ إنّا نستنصرك بحقّ النبيّ الأميّ إلاّ نصرتنا عليهم) أو يقولون: (اللّهمّ ربّنا انصرنا عليهم باسم نبيّك...) [15] فينصرون. فلمّا جاءهم كتاب من عند اللّه و هو القرآن مصدّق لما معهم، و هو التوراة و الإنجيل، و جاءهم ما عرفوا، و هو محمد (ص) و لم يشكّوا فيه، كفروا به، لأنّه لم يكن من بني إسرائيل [16] .

ثانيا-التوسّل بالنبيّ (ص) في حياته

روى أحمد بن حنبل و الترمذي و ابن ماجة و البيهقي عن عثمان بن حنيف: أنّ رجلا ضرير البصر أتى النبيّ (ص) فقال:

ادع اللّه أن يعافيني. قال:

إن شئت دعوت، و إن شئت صبرت فهو خير لك. قال:

فادعه. قال:

فأمره أن يتوضّأ فيحسن وضوءه و يدعو بهذا الدعاء:

«اللهمّ إنّي أسألك و أتوجّه بنبيّك محمّد نبيّ الرحمة. يا محمّد، إنّي توجّهت بك إلى ربّي في حاجتي لتقضى لي. اللهمّ شفّعه فيّ» [17] . صحّحه

(15) يظهر من الروايات أنهم كانوا يدعون بأمثال هذه الأدعية مما فيه التوسل بالنبيّ (ص) إلى اللّه جلّ اسمه.

(16) تواترت الروايات بالمضمون الّذي أوردناه في كلّ من:

دلائل النبوة للبيهقي ص 343-345. و تفسير الآية 89 من سورة البقرة بتفسير محمد بن جرير الطبري 1/324-328. و تفسير النيسابوري بهامشه 1/333. و الحاكم بتفسير الآية 89 من سورة البقرة من كتاب التفسير بمستدركه 4/263. و تفسير السيوطي عن دلائل النبوة لأبي نعيم.

و تفسير محمد بن عبد حميد. و تفسير أبي محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم بن إدريس الرازي. و تفسير أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت: 310 هـ) .

(17) مسند أحمد 4/138. و سنن الترمذي، كتاب الدعوات 13/80-81. و سنن ابن

البيهقي و الترمذي.

ثالثا-التوسّل بالنبيّ (ص) بعد وفاته

روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث عثمان بن حنيف:

أنّ رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفّان (رض) في حاجة له، فكان لا يلتفت إليه، و لا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكا إليه ذلك. فقال عثمان بن حنيف: ائت الميضاة فتوضّأ، ثمّ ائت المسجد فصلّ ركعتين، ثمّ قل:

«اللّهمّ إنّي أسألك و أتوجّه إليك بنبيّنا محمّد (ص) نبيّ الرحمة.

يا محمّد إنّي أتوجّه بك إلى ربّي فتقضي حاجتي» . و تذكر حاجتك.

فانطلق الرجل فصنع ما قال له. ثمّ أتى باب عثمان بن عفّان، فجاءه البوّاب، فأخذ بيده. فأدخله على عثمان، فأجلسه معه على الطنفسة فقال:

ما حاجتك؟فذكر حاجته فقضاها له. ثمّ قال له: ما ذكرت حاجتك حتّى كانت الساعة. و قال: ما كان لك من حاجة فاذكرها [(18)]

الاستشفاع بالعبّاس عمّ النبيّ (ص)

في صحيح البخاري: أنّ عمر بن الخطّاب (رض) كان إذا قحطوا استسقى بالعبّاس بن عبد المطلب فقال:

قماجة، كتاب إقامة الصلاة و السنّة فيها، باب ما جاء في صلاة الحاجة ح 1385 ص 441. و ابن الأثير بسنده بترجمة عثمان بن حنيف من أسد الغابة. و البيهقي برواية صاحب كتاب تحقيق النصرة عنه. تحقيق النصرة ص 114.

و أوردنا لفظ إمام الحنابلة أحمد لأن المنكرين للشفاعة من أتباع الشيخين: ابن تيمية و ابن عبد الوهاب هم من أتباع ابن حنبل.

(18) تحقيق النصرة ص 114-115، رواه عن الطبراني في معجمه الكبير.

اللّهم إنّا كنّا نتوسّل إليك بنبيّنا فتسقينا، و إنّا نتوسّل إليك بعمّ نبيّنا فاسقنا. قال: فيسقون [19] .

كان الاستشفاع بالعباس لأنّه عمّ رسول اللّه (ص) و ليس لصفة أخرى فيه.

مع وجود هذه الأحاديث من سنّة الرسول (ص) لا ينبغي أن يكون ثمّت خلاف في مسألة صفات الأنبياء، و خاصّة خاتم الرسل، المذكورة و ما فضّلهم اللّه بها و خصّهم على سائر الناس. و سنذكر في ما يأتي بعض ما نراه سببا للخلاف في صفات خاتم الرسل خاصّة.

منشأ الخلاف حول صفات رسول اللّه (ص)

مع صراحة النّصوص المتواترة المذكورة آنفا حول بعض صفات الأنبياء، كيف نشأ الخلاف حولها؟ الجواب أنّا إذا أنعمنا النظر في روايات جمّة أخرى رويت في انتقاص شأن الأنبياء، و انتشرت في كتب الحديث، و اللاّتي تنزّل منزلة الأنبياء عن مستوى سائر الناس، وجدنا أنّها هي الّتي تكوّن للمعتقد بصحّتها رؤية خاصّة تناقض محتوى الأحاديث الآنفة. و لئلاّ يطول بنا المقام، نكتفي في ما يأتي بالإشارة إلى بعض ما روي بشأن خاتم الأنبياء و أفضل المرسلين (ص) ففيه كفاية لمن أراد أن يتدبّر و يتبصّر. منها:

1- ما رواه البخاري في صحيحه و قال:

إنّ رسول اللّه (ص) قبل أن ينزل عليه الوحي قدّم إلى زيد بن عمرو بن

---

(19) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا.
و كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب العبّاس بن عبد المطلب، 2/200 و 1/124.

و سنن البيهقي، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الاستسقاء بمن ترجى بركة دعائه، 3/352.

نفيل سفرة فيها لحم، فأبى أن يأكل منها، ثمّ قال: إنّي لا آكل إلاّ مما ذكر اسم اللّه عليه [20] .

إذا فإنّ زيدا كان في الجاهليّة أفضل من رسول اللّه يتجنّب من أمر الجاهليّة ما لا يتجنّبه رسول اللّه (ص) .

2- روى البخاري و مسلم:

أنّ رسول اللّه (ص) لمّا جاءه جبرائيل بآيات: **اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ اَلَّذِي خَلَقَ** -إلى قوله- **عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** رجع النبيّ (ص) إلى بيته ترجف بوادره، و قال لخديجة: إنّي خشيت على نفسي. فقالت له خديجة: أبشر، كلاّ فو اللّه لا يخزيك اللّه أبدا. و انطلقت به إلى ورقة بن نوفل، و كان امرأ تنصّر في الجاهلية، فأخبره رسول اللّه (ص) خبر ما رآه. فقال ورقة: هذا الناموس الّذي أنزل على موسى-الحديث [21] .

إذا فإنّ ورقة النصراني كان أدرى بالوحي و جبرائيل من رسول اللّه (ص) الّذي خوطب بالوحي، و من كلام ورقة اطمأنّ النبيّ (ص) بمصيره، و إلاّ فإنّه كان يريد أن يلقي بنفسه من حالق من جبل، بحسب ما رواه ابن سعد في طبقاته، و قال الطبري: إنّ رسول اللّه (ص) قال: إنّ الأبعد

(20) البخاري، كتاب الذبائح، باب ما ذبح على النصب و الأصنام، 3/207. و مسند أحمد 2/69 و 86. و زيد بن عمرو بن نفيل كان ابن عمّ الخليفة عمر و والد زوجته، ورد ذكره في ترجمة ابنه سعيد في الاستيعاب 2/4.
(21) صحيح البخاري: باب بدء الوحي، 1/3 و تفسير سورة اقرأ. و صحيح مسلم؛ كتاب الإيمان باب بدء الوحي، ح 252. و مسند أحمد 6/223 و 233.

و البوادر: اللحمة بين المنكب و العنق تضطرب عند الفزع.

و قد لخصنا الخبر.

و ناقشنا روايات بعثة النبيّ الواردة في كتب الحديث و السيرة و التفسير و ذكرنا عللها في الجزء الرابع من (أثر الائمة في إحياء السنّة) ، و هو سلسلة دراسات عن أثر أئمة أهل البيت (ع) في إحياء السنّة. و أوردنا الخبر الصحيح في ذلك، و الحمد للّه.

-يعني نفسه-لشاعر أو مجنون لا تحدّث بها عنّي قريش أبدا [22] .

3- روى البخاري و مسلم و قالا:

إنّ رسول اللّه (ص) كان يغضب فيلعن و يسبّ و يؤذي من لا يستحقّها، و دعا اللّه أن يجعلها لمن بدرت منه إليه زكاة و طهورا [23] .

4- و رويا أيضا و قالا:

إنّ بعض اليهود سحر رسول اللّه (ص) حتّى يخيّل إليه أنّه يفعل الشيء و ما فعله [24] .

5- روى مسلم:

أن رسول اللّه (ص) مرّ بقوم يلقّحون النخل، فقال: لو لم تلقّحوها لصلح. فتركوا تلقيحها فخرج شيصا، فقال: أنتم أعلم بأمور دنياكم [25] .

6- و رويا أيضا:

أنّ رسول اللّه (ص) استمع إلى غناء جوار من الأنصار فنهرهنّ أبو بكر [26] .

7- روى مسلم:

---

(22) تاريخ الطبري ط. اوربا 1/1150.
(23) صحيح البخاري كتاب الدعوات، باب قول النبيّ (ص) : من آذيته. و صحيح مسلم كتاب البرّ و الصلة، باب من لعنه النبيّ (ص) و ليس له أهلا.
(24) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس و جنوده، و كتاب الطبّ باب هل يستخرج السحر، و باب السحر، و كتاب الأدب، باب إن اللّه يأمر بالعدل، و كتاب الدعوات، باب تكرير الدعاء. و صحيح مسلم باب السحر.
(25) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معايش الناس.... و سنن ابن ماجة، باب تلقيح النخل.
(26) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبيّ، باب مقدم النبيّ (ص) و أصحابه المدينة. و كتاب العيدين، باب سنّة العيدين لأهل الإسلام. و صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في لعب يوم العيد.

أنّ رسول اللّه (ص) رفع عائشة على منكبه لتنظر إلى الحبشة الّذين يلعبون في المسجد فنهرهم عمر [27] .

و في رواية الترمذي:

إذ طلع فانفضّ الناس، فقال رسول اللّه (ص) : إنّي لأنظر إلى شياطين الجنّ و الإنس قد فرّوا من عمر [28] .

و في رواية:

أنّ جارية سوداء ضربت بالدفّ و غنّت بين يدي رسول اللّه (ص) بعد رجوعه من إحدى غزواته، فدخل عمر فألقت الدفّ تحت استها، ثمّ قعدت عليها، فقال رسول اللّه (ص) : إنّ الشيطان ليخاف منك يا عمر [29] .

8- روى البخاري و مسلم في صحيحيهما:

عن عائشة أنّ النبيّ (ص) سمع رجلا يقرأ في المسجد، فقال:

رحمه اللّه، أذكرني كذا و كذا آية أسقطتها من سورة كذا [30] .

رأينا في ما مرّ أن زيد بن عمرو بن نفيل ابن عمّ الخليفة عمر كان أتقى للّه من رسوله (ص) ، يمتنع من أكل ما ذبح على الأنصاب و الأصنام، بينما يأكله رسول اللّه (ص) .

(27) صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الّذي لا معصية فيه في أيام العيد، ح 18 و 19 و 20 و 21 و 22.
(28) سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب عمر.
(29) سنن الترمذي، أبواب المناقب، باب مناقب عمر. و مسند أحمد 5/353.

و قد ناقشنا هذه الأحاديث و ذكرنا عللها في الجزء 2 و 3 و 4 و 5 من كتاب أثر الأئمة في إحياء السنة.

(30) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب شهادة الأعمى و نكاحه. و صحيح مسلم، كتاب فضائل القرآن، باب الأمر بتعهد القرآن، ح 224. و سنن أبي داود، كتاب التطوع، باب في رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل، ح 1331، و كتاب الحروف و القراءات، الباب الأوّل، ح 3970.

و أنّ ورقة بن نوفل النصراني يدرك أنّ الّذي جاء إلى رسول اللّه (ص) هو جبرائيل و رسول اللّه لم يعرفه، و خشي أن يكون أصابه مسّ من الجنّ و أنّ آيات سورة اقرأ هي من سجعهم.

و أنّ سحر اليهود أثّر في رسول اللّه (ص) فكان يرى أنّه يفعل الشيء و ما فعله.

و أنّه أسقط من القرآن آيات نسيها حتّى قرأها بعض الصّحابة.

و أنّه أمر بعدم تلقيح النخل ليصلح، فلمّا أصبح شيصا قال لهم:

أنتم أعلم بأمور دنياكم منّي.

و أنه استمع إلى غناء جوار من الأنصار، و كرهه أبو بكر، و قال في شأن عمر: إنّ الشّيطان ليفرّ منك.

إنّ تلكم الأحاديث و أمثالها تثبت أنّ رسول اللّه (ص) كان دون زيد في الجاهلية، و بعد الإسلام كان ورقة النصراني أدرى بالوحي و جبرئيل من رسول اللّه (ص) و أنّ أبا بكر و عمر كانا أكثر تجنبا للّهو و اللّغو من رسول اللّه (ص) ، و أن الصحابيّ الّذي قرأ من القرآن ما كان قد أسقطه الرسول (ص) منه كان أقوى ذاكرة من رسول اللّه (ص) ، و أنّ رسول اللّه (ص) كسائر الناس لا يعصمه اللّه من عبث اليهود و سحرهم و أنّه يغضب و يلعن و يسبّ من لا يستحقّ [31] .

(31) لمّا كانت أحاديث مدرسة الخلفاء تكوّن رؤية تنزّل من مستوى الرّسول الأكرم (ص) عن مستوى الإنسان العادي و خاصّة في مثل الخبر المختلق في قصّة الغرانيق الّتي بيّنّا زيفها في الجزء الرابع من (أثر الأئمة في إحياء السنّة) و يمكن من خلالها إلقاء الشبهات في الوحي و القرآن، استند المستشرقون من مبشري النصارى في دراساتهم للإسلام إلى أحاديث مدرسة الخلفاء، و تركت أحاديث مدرسة أهل البيت ظهريّا.

و من آمن بصحّة الأحاديث المذكورة آنفا، تتكوّن له رؤية تناقض محتوى الأحاديث الّتي أشرنا إليها فيما خصّ اللّه به خاتم أنبيائه (ص) و ميّزه من سائر الناس بفضائل حمّة، و حقّ للرجل (ذي المعرفة) من السعوديّين إذن أن يقول: «محمد رجالا مثلي، مات» .

أضف إلى هذه الأحاديث الّتي كوّنت رؤية تناقض تلك الفضائل، ما فعله الخليفة الصحابيّ عمر بن الخطاب و اجتهاده في قطعه الشجرة الّتي بويع تحتها رسول اللّه (ص) [32] . و تفصيل الخبر في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 1/59.

و ينقض جميع الأحاديث الّتي تنقص من منزلة رسول اللّه (ص) ما أخبر عنه الإمام عليّ (ع) عن رسول اللّه (ص) في خطبته القاصعة، حيث قال:

و لقد قرن اللّه به-صلّى اللّه عليه و آله-من لدن أن كان فطيما، أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم و محاسن أخلاق العالم ليله و نهاره. و لقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل أثر أمّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علما و يأمرني بالاقتداء به. و لقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء، فأراه و لا يراه غيري، و لم يجمع يومئذ في الإسلام غير رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-و خديجة، و أنا ثالثهما؛ أرى نور الوحي و الرسالة، و أشمّ ريح النبوة. و لقد سمعت رنّة الشّيطان حين نزل الوحي عليه-صلّى اللّه عليه و آله- فقلت: يا رسول اللّه ما هذه الرنّة؟قال: هذا الشيطان أيس من عبادته [33] .

و لست أدري كيف لم يكن الرسول (ص) يعرف نفسه كما ورد ذلك في

---

(32) شفاء الصدور ص 27، و هي شجرة بيعة الرضوان في صلح الحديبية.
(33) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، الخطبة رقم: 192.

خبره مع ورقة [34] ، و كان على كتفه خاتم النّبوة الّذي يعرفه به كلّ من شاهده من أهل الكتاب.

و تنقضها أيضا الروايات الّتي ذكرت دلائل النبوة الّتي صدرت منه و له قبل أن يبعث، مثل ما تمّ له في سفرته الأولى إلى الشام مع عمّه أبي طالب، و الثانية في تجارة خديجة، و إخبار الرهبان بأمر بعثته، و تظليل سحابة له، ممّا علمه جميع من كان معه في السفرتين، و انتشرت أخبارهما في كتب الحديث و السير [35] .

و إخبار أهل الكتاب بظهوره قبل أن يبعث، و خبره في التوراة [36] .

و تسليم الشّجر و الحجر عليه قبل بعثته [37] .

كيف كان لا يعرف نفسه و قد بشّر به عيسى بن مريم (ع) كما أخبر تعالى

---

(34) راجع صحيح البخاري: كتاب المناقب و المرضى و الأدب. و صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النّبوة. و سنن أبي داود، كتاب اللباس. و الترمذي: كتاب المناقب.

و مسند أحمد 2/223 و 3/434 و 442 و 4/195 و 5/35 و 77 و 82 و 83 و 90 و 95 و 98 و 104 و 340 و 341 و 354 و 438 و 442 و 443 و 6/329.

(35) طبقات ابن سعد، ط. أوربا 1/ق 1/76 و 98 و 99 و 109 و 83 و 101 و 73 و 100 منه، و الجزء الثالث ق 1/153، و ما رواه البخاري في آخر كتاب بدء الوحي من أخبار هرقل عن ظهوره. و سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب ما جاء في بدء النبوة، 13/106. و سيرة ابن هشام 1/194 و 203، و راجع أيضا ص 231 و 239 و 251 منه.

(36) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في الأسواق، 2/10. و كتاب التفسير، باب تفسير سورة الفتح، و كتاب فضائل القرآن، الباب الأول. و طبقات ابن سعد، ط.

أوربا 1/23 و 1/ق 2/17 و 87 و 89. و سنن الترمذي، كتاب المناقب، الباب الأوّل. و سنن الدارمي، المقدمة، الباب الأول. و مسند أحمد 2/174 و 3/467. و طبقات ابن سعد 1/ق 1/64 و 103 و 104 و 106 و 108 و 111.

(37) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب نسب النبي، ح 2، ص 1782. و مسند أحمد 5/89 و 95 و 105. و مسند الطيالسي، ح 781. و طبقات ابن سعد 8/179.

و تسليم الشجر عليه في:

سنن الدارمي، المقدمة، الباب رقم 3. و طبقات ابن سعد 8/179.

عنه بقوله: **وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اِسْمُهُ أَحْمَدُ** الصف/6.

كيف لا يعرف نفسه و أهل الكتاب كانوا **يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ** البقرة/146، و الأنعام/20.

يعرفون **اَلرَّسُولَ اَلنَّبِيَّ اَلْأُمِّيَّ اَلَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي اَلتَّوْرَاةِ وَ اَلْإِنْجِيلِ** الأعراف/157.

سيأتي في بحوث مصادر الشريعة الإسلاميّة من هذا الكتاب محاولات السّلطات الإسلامية رفع مقام الخلافة في أنظار المسلمين على مقام النبوّة، و نذكر هنا منها مثالا واحدا من سيرة الحجّاج بن يوسف الثقفي والي الخليفة عبد الملك على العراق، إذ خطب في الكوفة فذكر الّذين يزورون قبر رسول اللّه (ص) بالمدينة، فقال:

تبّا لهم!إنّما يطوفون بأعواد و رمّة بالية!هلاّ طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك!ألا يعلمون أنّ خليفة المرء خير من رسوله [38] . و سيأتي تفصيل ذلك في الجزء الثالث من هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

و إنّ الّذي نجده من اتّجاه بعض المسلمين في القرون المتأخرة من تهوين أمر الرسول (ص) إن هو إلاّ نتيجة لتلك المحاولات مدى القرون، سواء في ما رووا من روايات تحطّ من قدر رسول اللّه (ص) ، أم ما أوّلوا من آيات القرآن و غير ذلك ممّا فعلوا في توجيه المسلمين إلى ما أرادوا. و منها ما رأوا في الاحتفال بذكرى ميلاد الرسول (ص) ، كما سنذكره في ما يأتي.

---

(38) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 15/242. و راجع الكامل للمبرد ط. النهضة بمصر، ص 222.

-5- الخلاف حول الاحتفال بذكرى الأنبياء و ذكرى عباد اللّه الصّالحين

نكتفي في إيراد أقوال المانعين لإقامة المولد النبوي بإيراد فتوى الشيخ عبد العزيز بن عبد اللّه بن باز، الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية و الإفتاء و الدعوة و الإرشاد في المملكة العربية السعودية حيث قال:

لا يجوز الاحتفال بمولد الرسول (ص) و لا غيره لأنّ ذلك من البدع المحدثة في الدين.... [1]

أمّا من يرى استحباب الاحتفال بذكرهم فإنّه يستدل على صحّة ذلك بأنّ جلّ مناسك الحجّ احتفال بذكرى الأنبياء و الأولياء، كما سنذكر أمثلة منه فيما يأتي:

جلّ مناسك الحجّ احتفال بذكرى الأنبياء و الأولياء

أ-مقام إبراهيم:

قال سبحانه و تعالى:

وَ اِتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى... البقرة/125.

---

(1) صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ 3/12/1984 في مقال تحت عنوان (حكم الاحتفال بالمولد النبويّ و غيره من الموالد) .

و في صحيح البخاري [2] ما ملخّصه:

أن إبراهيم و إسماعيل (ع) لمّا كانا يبنيان البيت، جعل إسماعيل يأتي بالحجارة و إبراهيم يبني، حتّى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر، فوضعه له، فقام عليه و هو يبني و إسماعيل يناوله الحجارة.

و في رواية بعدها: حتّى ارتفع البناء و ضعف الشيخ على نقل الحجارة، فقام على حجر المقام، فجعل يناوله الحجارة.

إنّ اللّه سبحانه أمر الناس-كما هو واضح-أن يتبرّكوا بموطإ قدمي إبراهيم (ع) في بيته الحرام و يتّخذوا منه مصلّى، احياء لذكرى إبراهيم و تخليدا، و ليس فيه شيء من أمر الشرك باللّه جلّ اسمه.

ب-الصفا و المروة:

قال اللّه سبحانه:

إِنَّ اَلصَّفَا وَ اَلْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اَللَّهِ فَمَنْ حَجَّ اَلْبَيْتَ أَوِ اِعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا البقرة/158.

و روى البخاري ما ملخّصه:

أنّ هاجر لمّا تركها إبراهيم (ع) مع ابنها إسماعيل بمكّة و نفد ماؤها عطشت و عطش ابنها و جعل يتلوى، فانطلقت إلى جبل الصفا كراهية أن تنظر إليه، فقامت عليه تنظر هل ترى أحدا، فلم تر أحدا، فهبطت من الصّفا حتّى إذا بلغت الوادي، سعت سعي الإنسان المجهود حتّى جاوزت الوادي، ثمّ أتت المروة فقامت عليها و نظرت هل ترى أحدا، فلم تر أحدا، فعلت ذلك سبع مرّات.

---

(2) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان في المشي، 2/158 و 159.

قال ابن عبّاس: قال النبي (ص) : فذلك سعي الناس بينهما- الحديث [3] .

جعل اللّه السّعي بين الصّفا و المروة من مناسك الحجّ، إحياء لذكرى سعي هاجر بينهما و احتفالا بعملها، و استحباب الهرولة في محلّ الوادي الّذي سعت فيه هاجر سعي الإنسان المجهود، إحياء لذكرى هرولتها هناك.

ج-رمي الجمار:

روى أحمد و الطيالسي في مسنديهما عن رسول اللّه (ص) أنّه قال:

إنّ جبريل ذهب بإبراهيم (ع) إلى جمرة العقبة، فعرض له الشّيطان، فرماه بسبع حصيات، فساخ. ثمّ أتى الجمرة الوسطى، فعرض له الشّيطان، فرماه بسبع حصيات، فساخ. ثمّ أتى الجمرة القصوى، فعرض له الشّيطان، فرماه بسبع حصيات، فساخ... [4] .

هكذا جعل اللّه إحياء ذكرى رمي إبراهيم (ع) الشيطان و الاحتفال بذكره من مناسك الحجّ.

د-الفدية:

قال اللّه سبحانه في قصّة إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام:

فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ*`فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ اَلسَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرىَ فِي

---

(3) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب يزفون النسلان في المشي، 2/158، و راجع معجم البلدان، مادة: (زمزم) ، و ذكر تاريخ إسماعيل (ع) من تاريخ الطبري و ابن الأثير.

(4) مسند أحمد 1/306، و قريب منه في 127. و مسند الطيالسي ح 2697. و راجع مادة: (الكعبة) من معجم البلدان؛ و تاريخ إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام من تاريخ الطبري و ابن الأثير، و ساخت قوائمه في الأرض: غاصت في الأرض.

اَلْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَا ذَا تَرىَ، قَالَ يَا أَبَتِ اِفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اَللَّهُ مِنَ اَلصَّابِرِينَ*`فَلَمَّا أَسْلَمَا وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ*`وَ نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ*`قَدْ صَدَّقْتَ اَلرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي اَلْمُحْسِنِينَ*`إِنَّ هَذَا لَهُوَ اَلْبَلاَءُ اَلْمُبِينُ*`وَ فَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ الصّافّات/101-107.

و كذلك جعل اللّه إحياء ذكرى فداء إبراهيم (ع) ابنه إسماعيل (ع) و إرسال اللّه الكبش فدية له و الاحتفال بها من مناسك الحجّ، و أمر الحجّاج بالفدية في منى اقتداء بإبراهيم (ع) و احتفالا بذكرى موقفه من طاعة اللّه.

في مقام إبراهيم (ع) ، انتشرت البركة من قدمي إبراهيم (ع) إلى موطئ قدميه، و أمر اللّه باتّخاذه مسجدا في بيته الحرام، و جعله اللّه من مناسك الحج إحياء لذكره.

و في ما يأتي نذكر انتشار البركة من آدم (ع) أبي البشر.

انتشار البركة من آدم (ع) و الاحتفال بذكره

و في بعض الأخبار أن اللّه جلّ اسمه تاب على آدم (ع) عصر التّاسع من ذي الحجّة بعرفات، ثمّ أفاض به جبرائيل عند المغيب إلى المشعر الحرام، و بات فيه ليلة العاشر يدعو اللّه و يشكره على قبول توبته. ثمّ أفاض منه صباحا إلى منى و حلق فيه رأسه يوم العاشر إمارة لقبول توبته و عتقه من الذنوب، فجعل اللّه ذلك اليوم عيدا له و لذرّيّته، و جعل كلّ ما فعله آدم أبد الدهر من مناسك الحجّ لذرّيّته، يقبل توبتهم عصر التاسع بعرفات، و يذكرون اللّه ليلا بالمشعر الحرام، و يحلقون رءوسهم يوم العاشر بمنى. ثمّ أضيف إلى هذه المناسك ما فعله بعد ذلك إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام و هاجر، و تمّت بها

مناسك الحجّ للنّاس كما ذكرناه سابقا.

إذا، فإنّ أعمال الحجّ كلّها تبرّك بتلك الأزمنة و الأمكنة الّتي حلّ بها عباد اللّه الصّالحون أولئك، و كلّها احتفال بذكرهم أبد الدهر.

و في ما يأتي نضرب مثالا لانتشار الشؤم-أيضا-إلى المكان من المكين.

انتشار الشؤم إلى المكان من المكين

روى مسلم أنّ رسول اللّه (ص) عام تبوك نزل بالناس الحجر عند بيوت ثمود، فاستسقى الناس من الآبار الّتي كان يشرب منها ثمود، فعجنوا منها و نصبوا القدور باللّحم. فأمرهم رسول اللّه (ص) فأهرقوا القدور و علفوا العجين الإبل. ثمّ ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر الّتي كانت تشرب منها الناقة و نهاهم أن يدخلوا على القوم الّذين عذّبوا، قال: إنّي أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم، فلا تدخلوا عليهم [5] .

و في لفظ مسلم: و لا تدخلوا مساكن الّذين ظلموا أنفسهم إلاّ أن تكونوا باكين، حذرا أن يصيبكم مثل ما أصابهم. ثمّ زجر و أسرع حتّى خلفها.

و في لفظ البخاري: ثمّ قنع رأسه و أسرع السّير حتّى أجاز الوادي و في رواية أخرى بمسند أحمد: و تقنّع بردائه و هو على الرحل [6] .

منشأ الشؤم و البركة في المكان

من أين نشأ شؤم بلاد ثمود و آبار ثمود و انتشر منها إلى غيرها عدا أنه نشأ من قوم ثمود، و انتشر منهم إلى بلادهم و آبارهم، و بقي فيها إلى عصر

(5) أورده مسلم باختصار في صحيحه، كتاب الزهد و الرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الّذين ظلموا أنفسهم... ح 40، و اللفظ لمسند أحمد 2/117. و صحيح البخاري، كتاب المغازي باب نزول النبيّ (ص) الحجر. و الطبري في خبر ثمود، ط. أوربا 1/250.

(6) مسند أحمد 2/66.

خاتم الأنبياء (ص) ، و إلى ما شاء اللّه. و من أين نشأ فضل بئر ناقة صالح (ع) عدا ما كان من شرب ناقة صالح (ع) منها، و انتشر الفضل منها إلى البئر، و بقي فيها إلى عصر خاتم الأنبياء (ص) ، و إلى ما شاء اللّه.

و ليست ناقة صالح (ع) و بئرها بأكرم على اللّه من إسماعيل (ع) و بئره زمزم، بل كذلك جعل اللّه البركة في زمزم من بركة إسماعيل (ع) أبد الدهر.

و كذلك شأن انتشار البركة مما يفيضه اللّه على عباده الصّالحين في أزمنة خاصّة مثل بركة يوم الجمعة.

بركة يوم الجمعة

في صحيح مسلم:

«أنّ اللّه خلق آدم يوم الجمعة، و أدخله الجنة يوم الجمعة... » [7] .

هذا و غيره ممّا أفاضه اللّه على عباده الصّالحين في يوم الجمعة، خلّد البركة في يوم الجمعة أبد الدهر.

البركة في شهر رمضان

و كذلك الشأن في بركة شهر رمضان؛ فقد قال سبحانه:

شَهْرُ رَمَضَانَ اَلَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ اَلْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِنَ اَلْهُدىَ وَ اَلْفُرْقَانِ البقرة/185.

و قال سبحانه:

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ اَلْقَدْرِ `وَ مَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ اَلْقَدْرِ `لَيْلَةُ اَلْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ... القدر/1-3.

إذا فقد انتشرت البركة من ليلة القدر الّتي أنزل فيها القرآن على خاتم

(7) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، ح 17 و 18.

أنبياء اللّه (ص) إلى جميع أزمنة شهر رمضان، و تخلّدت البركة في ذلك الشّهر من تلك اللّيلة إلى أبد الدهر.

هكذا وجدنا انتشار البركة من الزمان المبارك و المكان المبارك بما بارك به على أصفيائه، و أمرنا اللّه بأن نقتدي بعمل أصفيائه، و نقلّد أعمالهم في أزمنتها و أمكنتها، احتفالا بذكرهم و إحياء لأمرهم، و لتشملنا البركة الّتي عمّتهم. و ما المانع الشرعي من القيام بالاحتفال بأمثالها من المناسبات الإسلامية كميلاد الرسول (ص) ، و ليلة أسري به (ص) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، و يوم بعثه (ص) اللّه رحمة للعالمين؟ بعد انتهائنا من الإشارة إلى رجحان الاحتفال بذكرى أصفياء اللّه، نؤكد أنّنا نقصد من الاحتفال بذكرى أصفياء اللّه-مثلا-قراءة سيرة رسول اللّه (ص) الصحيحة غير المحرّفة في ليلة ميلاده (ص) ، و إطعام الطّعام في سبيل اللّه و إهداء ثوابه لرسول اللّه (ص) مع الاجتناب من القيام بأعمال ابتدعها بعض المتصوّفة.

و نشير في ما يأتي إشارة عابرة إلى الخلاف حول مسألة البناء على القبور و اتّخاذها محلاّ للعبادة.

-6- الخلاف حول البناء على قبور الأنبياء و اتّخاذها محلاّ للعبادة

استدلّ قسم من المسلمين على تحريم البناء على القبور بروايات أهمّها ما يأتي:

أ-عن عليّ قال:

كان رسول اللّه (ص) في جنازة، فقال:

أيّكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها و حدثنا إلاّ كسره، و لا قبرا إلاّ سوّاه، و لا صورة إلاّ لطخها؟فقال (رجل) :

أنا يا رسول اللّه، فانطلق فهاب أهل المدينة، فرجع. فقال عليّ:

أنا أنطلق يا رسول اللّه. قال:

فانطلق. فانطلق، ثمّ رجع، فقال:

يا رسول اللّه، لم أدع بها وثنا إلاّ كسرته و لا قبرا إلاّ سوّيته، و لا صورة إلاّ لطختها.

و قد تكرّر ورود هذا الحديث في كتب الحديث و اكتفينا بإيراد أتمّ لفظ منه [1] .

---

(1) مسند أحمد 1/87 و 89 و 96 و 110، 111، 128، 138، 139، 145، 150.

و مسند الطيالسي، ح 96، 155.

علّة الحديث:

أوّلا- سنذكر في ما يأتي أنّ رسول اللّه (ص) زار قبر أمّه، و بكى و أبكى من حوله. و كانت أمّه قد توفّيت في السنة السادسة من عمره الشريف بالمدينة المنوّرة، و على هذا فقد زار الرسول قبر أمّه بعد نيف و أربعين سنة، حين هاجر إلى المدينة المنوّرة، و أن أثر قبر أمّه عند ذاك كان ماثلا للعيان، و إلاّ لما عرف قبرها. و إذا كان الحكم الإسلامي، هو تسوية القبور فلم لم يأمر النبيّ (ص) بهدم قبر أمّه عند ذاك؟ ثانيا- إنّ أهل المدينة بعد أن أسلم بعضهم أرسل لهم الرسول (ص) بادئ ذي بدء مصعب بن عمير، يعلّم من أسلم منهم ما ورد من الإسلام يوم ذاك. و لمّا و فدوا إلى الحجّ، حضر المسلمون منهم العقبة و بايعوا رسول اللّه (ص) سرّا، و لم ينتشر الإسلام بينهم، إلى أن هاجر الرسول (ص) إليهم، و تبعه الإمام عليّ (ع) بعد ثلاث أو أكثر و قصّة وروده المدينة بعد ذلك مشهورة.

و تدرّج الرسول (ص) في بسط حكمه على المدينة بعد أن عاهد يهود قريظة و بني النضير و بني قينقاع، و دخل أهل المدينة كلّهم في الإسلام متدرّجا. فمتى كان إرسال النبيّ (ص) الإمام عليّا (ع) من تشييع جنازة إلى المدينة ليهدم الأصنام و يسوّي القبور و يلطخ الصّور، كالحاكم الّذي لا رادّ لأمره؟أضف إليه أنّ محتوى الخبر أنّ المرسل الأول ذهب، و هم في تشييع الجنازة، و رجع خائبا، ثمّ أرسل النبيّ (ص) الإمام عليّا (ع) بعده و هم لا يزالون في تشييع الجنازة. فكيف يتمّ ذلك!؟ ثالثا- و في بقية الحديث أنّ الإمام عليّا (ع) قال لأبي الهياج الأسدي:

أبعثك فيما بعثني رسول اللّه (ص) أمرني أن أسوّي كلّ قبر و أطمس كلّ

صنم [2] .

و لا يكون إرسال الإمام أبا الهياج الأسدي في أمر إلاّ في عصر خلافته، و عليه يتّجه هذا السؤال: متى كان إرسال الإمام أبا الهياج الأسدي؟أ في عصر خلافته و بعد الفتوحات الإسلامية و بعد زمن الخلفاء الثلاثة أم قبله؟ و إلى أي بلد بعث الإمام عليّ أبا الهياج لتهديم القبور و طمس الأصنام؟ و أخيرا في كلا الخبرين أمر من الرسول (ص) و الإمام عليّ (ع) -إن صحّ الخبران-بتهديم قبور المشركين في بلد الشّرك، فكيف يدلّ ذلك على انتشار هذا الحكم إلى قبور المسلمين و وجوب تهديمها؟

ب-رووا عن النبيّ (ص) أنّه قال:

اللهمّ لا تجعل قبري وثنا، لعن اللّه قوما اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد [3] .

و في الرواية الثانية شخّص الّذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد و قال:

قاتل اللّه اليهود، اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد [4] .

علّة الحديث:

إنّ بني إسرائيل بعد أن ساروا من مصر و عبروا البحر و جازوا التّيه و بلغوا فلسطين، أصبح لهم بيت عبادة و هو (بيت المقدس) و لم يكن لهم بيت عبادة غيره. و في عصر سليمان أصبح لسليمان الملك النبيّ بلاط يسمّى هيكل سليمان. فأين كانت قبور أنبيائهم الّتي اتّخذوها مساجد؟و كان بيت المقدس و بلده تحت أنظار المسلمين و العرب قبل عصر رسول اللّه (ص) . و أمّا ما بقي من قبور أنبيائهم مثل قبر الخليل و موسى بن عمران، فإنّا لم نر و لم نسمع و لم

---

(2) مسند أحمد 1/89 و 96.
(3) مسند أحمد 2/246.
(4) مسند أحمد 2/285.

يكتب أحد أنّ اليهود اتّخذوهما و حدثنا. و على فرض أن قبرا اتّخذ و حدثنا، فإنه لا يصدق على احترام القبر و زيارة القبر، فإنّ اتّخاذه و حدثنا يعني أن يستقبل القبر كما تستقبل الكعبة في الصّلوات. فأين هذا من ذاك؟ ليس مورد الشك في كلّ ما ذكرناه، و ما سنذكره بعد هذا، أحاديث رسول اللّه (ص) -معاذ اللّه-و إنّما البحث يجري حول رواة الأحاديث الّذين لم يعصمهم اللّه من الخطأ و السهو و النسيان.

كان ما ذكرناه أمثلة من أدلّة من رأى البناء على القبور مخالفا للشّريعة الإسلاميّة.

و في ما يأتي أدلّة من رأى ذلك موافقا لها.

أدلّة من رأى جواز اتّخاذ مقابر الأنبياء محلاّ للعبادة

يستدلّ من يرى صحّة اتّخاذ مقابر الأنبياء محلاّ للعبادة بأنّ الطائفين حول الكعبة يطوفون حول حجر إسماعيل (ع) و يتمسّحون بجداره، و فيه قبر إسماعيل (ع) و أمّه هاجر، كما أجمع عليه علماء الأمّة الإسلامية:

فقد ورد في سيرة ابن هشام (ت: 218 هـ) و تاريخ الطبري (ت: 310 هـ) و ابن الأثير (ت: 630 هـ) و ابن كثير (ت: 774 هـ) و اللفظ لابن هشام: و دفن-إسماعيل-في الحجر مع أمّه هاجر. و في لفظ ابن الأثير: و أوصى إسماعيل أن يدفن عند قبر أمّه في الحجر [5] .

و روى ابن سعد في طبقاته و قال:

(5) راجع ذكر خبر إسماعيل (ع) و ولده في كلّ من سيرة ابن هشام ط. مصر، سنة 1355 هـ 1/6 و تاريخ الطبري ط. أوربا 1/352. و تاريخ ابن الأثير ط. أوربا 1/89. و تاريخ ابن كثير 1/193. و مادة: (حجر) من معجم البلدان.

إنّ إسماعيل لمّا بلغ عشرين سنة توفّيت أمّه هاجر و هي ابنة تسعين سنة، فدفنها إسماعيل في الحجر. و إنّ إسماعيل توفّي بعد أبيه، فدفن في الحجر ممّا يلي الكعبة مع أمّه هاجر.

و في رواية بعدها: قبر إسماعيل تحت الميزاب بين الركن و البيت [6] .

و في الاكتفاء للكلاعي ما موجزه: دفن هاجر و إسماعيل و ابنه نابت في الحجر [7] .

و قد وصف ابن جبير قبري إسماعيل و أمّه هاجر في رحلته و قال:

و تحت الميزاب في صحن الحجر، بمقربة من جدار البيت الكريم، قبر إسماعيل (ع) و علامته رخامة خضراء مستطيلة قليلا شكل محراب تتّصل بها رخامة خضراء مستديرة، و كلتاهما غريبة المنظر، فيهما نكت تنفتح عن لونها إلى الصفرة قليلا كأنّها تجزيع، و هي أشبه الأشياء بالنكت الّتي تبقى في البيدق من حلّ الذهب فيه. و إلى جانبه ممّا يلي الركن العراقي قبر أمّه هاجر رضي اللّه عنها، و علامته رخامة خضراء سعتها مقدار شبر و نصف. يتبرّك الناس بالصلاة في هذين الموضعين من الحجر، و حقّ لهم ذلك لأنّهما من البيت العتيق، و قد انطبقا على جسدين مقدّسين مكرّمين، نوّرهما اللّه، و نفع ببركتهما كلّ من صلّى عليهما. و بين القبرين المقدّسين سبعة أشبار [8] .

---

(6) لخّصنا روايات ابن سعد الثلاث من طبقاته 1/25، ط. أوربا.

(7) الاكتفاء في مغازي المصطفى و الثلاثة الخلفاء ص: 119، تصحيح هنري ماسة، مطبعة جول كريونل، الجزائر، 1931 م.

و الكلاعي هو أبو الربيع، سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي، ولد سنة 565 هـ، و توفّي سنة 634 هـ. اعتمدنا ترجمته من مقدّمة الكتاب.

(8) ابن جبير هو محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، البلنسي الأصل، الغرناطي الاستيطان. ولد ليلة السبت عاشر ربيع الأول سنة 540 أو سنة 539 هـ، و توفي بالاسكندرية

كان هذا ما ورد في كتب مدرسة الخلفاء، و ورد في كتب حديث مدرسة هل البيت كالآتي:

ورد في الكافي للكليني (ت: 329 هـ) و كتاب من لا يحضره الفقيه و علل الشرائع للصدوق (ت: 381 هـ) و الوافي للفيض (ت: 1089 هـ) و البحار للمجلسي (ت: 1111 هـ) و اللفظ للأول: و فيه-أي في الحجر- قبر هاجر و قبر إسماعيل (ع) [9] .

و فيها أيضا: و فيه-أي في الحجر-قبور أنبياء [10] .

و ورد أيضا في الكافي و الوافي و البحار: و دفن في الحجر، ممّا يلي الركن

قليلة الأربعاء، التاسع أو السابع و العشرين لشعبان سنة 616 هـ. و كان أديبا بارعا، شاعرا مجيدا، سريّ النفس، كريم الأخلاق، من علماء الأندلس بالفقه و الحديث.

و رحلة ابن جبير: كتاب وصف فيه ابن جبير رحلة قام بها للحجّ، استغرقت عامين و ثلاثة أشهر و نصفا، من يوم الاثنين التاسع عشر لشهر شوال 578 هـ، إلى يوم الخميس الثاني و العشرين لمحرم 581 هـ، و زار فيها مصر و بلاد العرب و العراق و الشام و صقلية و غيرها.

و وصف هذا الرحالة المدن الّتي مرّ بها، و المنازل الّتي حلّ فيها من هذه الأقطار جميعا.

و قد نقلنا ما أوردناه هنا من ط. دار مصر للطباعة، عام 1374 هـ، تحقيق الدكتور حسين نصار، ص 63، و رجعنا إلى مقدمة الكتاب في ترجمة ابن جبير.

(9) فروع الكافي، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام و بنائهما البيت...

ح 14، ط. دار الكتب الإسلامية، طهران. 1391 هـ، 4/210. و فقيه من لا يحضره الفقيه، كتاب الحجّ، باب علل الحجّ، ح 3، ط. دار الكتب الإسلامية، طهران 1390 هـ، 2/125-126، و باب نكت في حجّ الأنبياء و المرسلين، ح 8، 2/149. و الوافي، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام... ط. الأولى، 8/28. و البحار، كتاب النبوة، باب أحوال أولاد إبراهيم (ع) و أزواجه و بناء البيت، ح 41، 5/143، و ح 54، 5/144.

(10) فروع الكافي، كتاب الحجّ، باب حجّ ابراهيم (ع) ... ح 15، 4/210. و البحار عن الصدوق، كتاب النبوة، باب أحوال أولاد إبراهيم (ع) ، ح 40، 5/142، ط. الأولى كمباني و باب أخبار أولاد إبراهيم... ح: 55، 5/144. و الوافي، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم... 8/28.

الثالث، عذارى بنات إسماعيل (ع) [11] .

و روى أبو بكر الفقيه عن النبيّ (ص) أنّه قال:

ما من نبيّ هرب من قومه إلاّ هرب إلى الكعبة يعبد اللّه فيها حتّى يموت و أنّ قبر هود و شعيب و صالح في ما بين زمزم و المقام، و أنّ في الكعبة قبر ثلاثمائة نبيّ، و ما بين الركن اليماني إلى الركن الأسود قبر سبعين نبيّا [12] .

و يستدلّون على صحّة البناء على القبر، إضافة إلى ما سبق، بأنّ قبور رسول اللّه (ص) و الخليفتين أبي بكر و عمر في بناء مسقّف منذ أن توفّوا إلى يومنا الحاضر.

و يستدلّون أيضا بقوله تعالى:

وَ اِتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى البقرة/125. و قوله تعالى في ما أخبر عن قصّة أصحاب الكهف:

قَالَ اَلَّذِينَ غَلَبُوا عَلىَ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً الكهف/21.

إنّ الوهابيّين يسمّون المسلمين الّذين يزورون قبور الأنبياء و الصّحابة و الأئمة بالقبوريّين. و من الأحرى، مع ما ذكرنا، أن يسمّوا خاتم الأنبياء (ص) و أصحابه و الأنبياء من قبلهم الّذين طافوا حول حجر إسماعيل (ع) بالقبوريّين، لما في حجر إسماعيل من قبر هاجر و إسماعيل (ع) و ولده و كذلك أنبياء من قبلهم!!

---

(11) فروع الكافي، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم... ح 16، 4/210. و الوافي، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم... 8/28. و البحار، ح 56، 5/144.

(12) مختصر كتاب البلدان، تأليف أبى بكر أحمد بن الفقيه الهمداني (ت: 340 هـ) ط. بريل بليدن سنة 1302 هـ ص 17.

هكذا كان اختلاف الأحاديث في بناء القبور، أو بالأحرى اختلاف فهم الأحاديث، منشأ هذا الخلاف.

و في ما يأتي نذكر الخلاف حول البكاء على الميّت و منشأه. ـ

-7- الاختلاف في البكاء على الميّت و منشؤه

كان البكاء على الميّت، و خاصّة الشهيد، من سنّة الرسول (ص) فقد روى البخاري في صحيحه: أنّ النبيّ نعى زيدا و جعفرا و ابن رواحة للنّاس قبل أن يأتيهم خبرهم و قال:

أخذ الراية زيد، فأصيب. ثمّ أخذ جعفر، فأصيب. ثمّ أخذ ابن رواحة، فأصيب، -و عيناه تذرفان-... [1] .

و في ترجمة جعفر من الاستيعاب و أسد الغابة و الإصابة و خبر غزوة مؤتة من تاريخ الطبريّ و غيره ما ملخّصه:

لمّا أصيب جعفر و أصحابه دخل رسول اللّه (ص) بيته و طلب بني جعفر، فشمّهم و دمعت عيناه، فقالت زوجته أسماء: بأبي و أمّي ما يبكيك؟أ بلغك عن جعفر و أصحابه شيء؟قال: نعم أصيبوا هذا اليوم. فقالت أسماء: فقمت أصيح و أجمع النساء، و دخلت فاطمة و هي تبكي و تقول: وا عمّاه. فقال رسول اللّه (ص) على مثل جعفر فلتبك البواكي.

(1) صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب خالد بن الوليد، 2/204 ط. الحلبي بمصر.

بكاء الرسول (ص) على ابنه إبراهيم

في صحيح البخاري:

قال أنس: دخلنا مع رسول اللّه (ص) ... و إبراهيم يجود بنفسه.

فجعلت عينا رسول اللّه تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف (رض) :

و أنت يا رسول اللّه!؟فقال: يا ابن عوف، إنّها رحمة. ثمّ أتبعها بأخرى فقال: إنّ العين تدمع و القلب يحزن، و لا نقول إلاّ ما يرضي ربّنا، و إنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون.

و في سنن ابن ماجة:

فانكبّ عليه و بكى [2] .

بكاء الرسول (ص) على حفيده

في صحيح البخاري:

أنّ ابنة النبيّ (ص) أرسلت إليه: أنّ ابنا لي قبض فأتنا. فقام و معه سعد بن عبادة و رجال من أصحابه. فرفع إلى رسول اللّه (ص) و نفسه تتقعقع. ففاضت عيناه، فقال سعد:

يا رسول اللّه ما هذا؟فقال:

هذه رحمة جعلها اللّه في قلوب عباده، و إنّما يرحم اللّه من عباده الرّحماء [3] .

---

(2) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبيّ (ص) : إنّا بك لمحزونون، 1/158 و اللفظ له. و صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته بالصبيان و العيال، ح 62. و سنن ابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ما جاء في النظر إلى الميّت، ح 1475، 1/473. و طبقات ابن سعد، ط. أوربا، 1/ق 1/88. و مسند أحمد 3/194.

(3) تتقعقع: أي تضطرب روحه لها صوت و حشرجة كصوت الماء إذا ارتقى في القربة الخالية.

ندب الرسول (ص) إلى البكاء على عمّه حمزة

في مغازي الواقدي و طبقات ابن سعد ما موجزه:

لمّا سمع رسول اللّه (ص) بعد غزوة أحد البكاء من دور الأنصار على قتلاهم، ذرفت عينا رسول اللّه (ص) و بكى، و قال: لكن، حمزة لا بواكي له. فسمع ذلك سعد بن معاذ، فرجع إلى نساء بني عبد الأشهل فساقهنّ إلى باب رسول اللّه (ص) فبكين على حمزة. فسمع ذلك رسول اللّه (ص) فدعا لهنّ و ردّهنّ. فلم تبك امرأة من الأنصار بعد ذلك إلى اليوم على ميّت، إلاّ بدأت بالبكاء على حمزة، ثمّ بكت على ميّتها [4] .

بكى الرّسول (ص) على قبر أمّه و أبكى من حوله

زار رسول اللّه (ص) قبر أمّه فبكى و أبكى من حوله [5] .

أمر الرسول (ص) بإرسال الطعام لأهل المصاب

لمّا جاء نعي جعفر، قال النبيّ (ص) : اصنعوا لأهل جعفر طعاما،

قصحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبيّ (ص) : «يعذّب الميّت ببعض بكاء أهله عليه» و اللفظ له. و كتاب المرضى، باب عيادة الصبيان، 4/3. و صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، ح 11، ص: 636. و سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، ح 3125، 3/193. و سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب الأمر بالاحتساب و الصبر، 1/264. و مسند أحمد 2/306 و 3/83 و 88 و 89.

(4) أوردناه من ترجمة حمزة في طبقات ابن سعد ط. دار صادر بيروت 1377 هـ، 3/11.

و أكثر تفصيلا منه في مغازي الواقدي 1/315-317. و بعده إمتاع الاسماع 1/163. و مسند أحمد 2/40. و تاريخ الطبري.

و أورده ابن عبد البرّ بإيجاز بترجمة حمزة من الاستيعاب، و باختصار أيضا. ابن الأثير بترجمته من أسد الغابة.

(5) سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب زيارة قبر المشرك، 1/267. و سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، ح 3234، 3/218. و سنن ابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة قبور المشركين، ح 1572، 1/501.

فإنّه قد جاءهم ما يشغلهم [6] .

عيّن الرسول (ص) أيام الحداد على الميّت

تواتر عن النبيّ (ص) أنّه عيّن حداد المرأة على غير زوجها ثلاثا، و على زوجها فكما قال اللّه: **أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْراً** [7] البقرة/234.

منشأ الخلاف حول البكاء على الميّت

مرّ في ما سبق أنّ رسول اللّه (ص) بكى على المتوفّى قبل أن يتوفّى و بعده، خاصّة الشّهيد، و أنّه أمر بالبكاء على الشّهيد، و بكى على قبر أمّه

(6) سنن ابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الطعام يبعث إلى أهل الميت ح 1610 و 1611، 1/514. و في سنن الترمذي 4/219، أبواب الجنائز، باب ما جاء في الطعام يصنع لأهل الميّت، و قال: هذا حديث حسن صحيح. و سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب صنعة الطعام لأهل الميّت، ح 3132، 3/195، و مسند أحمد 1/205 و 6/370.

(7) راجع البخاري، كتاب الجنائز، باب حداد المرأة على غير زوجها، 1/154، و كتاب الطلاق باب تحدّ المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر و عشرا، 3/189، و باب 68 الكحل للحادة و باب القسط للحادة عند الطهر و باب تلبس الحادة ثياب العصب و باب **وَ اَلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذَرُونَ أَزْوَاجاً** 3/189-190. و صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة و تحريمه في غير ذلك إلاّ ثلاثة أيام، ح 1486 و 1487، 1490، 1491 ص 1124 و 1125 و 1126 و 1127 و 1128. و سنن أبي داود، كتاب الطلاق، باب حداد المتوفى عنها زوجها، ح 2299، 2/290، و باب فيما تجتنبه المعتدة في عدتها ح 2302، 2/291. و سنن الترمذي، كتاب الطلاق و اللعان، باب ما جاء في عدة المتوفّى عنها زوجها، 5/171-174.

و سنن النسائي، كتاب الطلاق، باب عدة المتوفى عنها زوجها، و باب الإحداد، و باب سقوط الإحداد عن الكتابية المتوفى عنها زوجها، و باب ترك الزينة للحادة المسلمة دون اليهودية و النصرانية، و باب ما تجتنب الحادة من الثياب المصبغة، و باب الخضاب للحادة. و سنن ابن ماجة، كتاب الطلاق، باب هل تحد المرأة على غير زوجها، ح 2085-2087، 1/374.

و سنن الدارمي، كتاب الطلاق، باب في إحداد المرأة على الزوج، 2/167. و موطأ مالك، كتاب الطلاق ح 101، 105. و طبقات ابن سعد 4/ق 1/27، 28 و 8/70. و مسند أحمد 5/8 و 6/37، 184، 249، 281، 286، 287، 324، 325، 326، 369، 408، 426.

و مسند الطيالسي ح 1587، 1589، 1591.

و أبكى من حوله، و أمر بصنع الطّعام لأهل الميّت، و عين حداد المرأة على غير الزوج ثلاثا.

إذن، فالبكاء على المتوفّى و الحداد عليه و صنع الطّعام لأهله، من سنّة الرسول (ص) فما هو منشأ الخلاف و النهي عن البكاء على الميّت؟ نرجع أيضا إلى صحيحي البخاري و مسلم فنجد حديث المنع عن البكاء من الخليفة عمر (رض) .

الخليفة عمر يروي أنّ رسول اللّه (ص) نهى عن البكاء، و أمّ المؤمنين عائشة تستدرك عليه.

في صحيح البخاري و مسلم، عن ابن عبّاس:

لمّا أن أصيب عمر دخل صهيب يبكي و يقول: وا أخاه!وا صاحباه! فقال عمر: يا صهيب، أ تبكي عليّ و قد قال رسول اللّه: «إنّ الميّت ليعذّب ببكاء أهله عليه» ؟فقال ابن عباس: فلمّا مات عمر، ذكرت ذلك لعائشة فقالت: رحم اللّه عمر، و اللّه ما حدّث رسول اللّه (ص) : إنّ اللّه ليعذّب المؤمن ببكاء أهله عليه، و لكن رسول اللّه (ص) قال: «إنّ اللّه ليزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه» ، و قالت: حسبكم القرآن: **وَ لاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىَ** . قال ابن عبّاس (رض) عند ذلك: و اللّه هو أضحك و أبكى [8] .

و في صحيح مسلم: ذكر عند عائشة أنّ ابن عمر يرفع إلى النبيّ (ص) :

«إنّ الميّت يعذّب في قبره ببكاء أهله عليه» فقالت:

---

(8) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب قول النبي (ص) يعذب الميت ببكاء أهله عليه، 1/155-156، و صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، ح 22، ص 641.

و هل [9] ، إنّما قال رسول اللّه (ص) :

«إنّه ليعذّب بخطيئته أو بذنبه و إنّ أهله ليبكون عليه» .

و في رواية قبله:

ذكر عند عائشة قول ابن عمر: الميّت يعذّب ببكاء أهله عليه، فقالت رحم اللّه أبا عبد الرحمن سمع شيئا فلم يحفظه. إنّما مرّت جنازة يهوديّ على رسول اللّه و هم يبكون عليه، فقال:

«أنتم تبكون و إنّه ليعذّب. » [10] .

قال الإمام النّووي (ت: 676 هـ) في شرح صحيح مسلم عن روايات النهي عن البكاء المرويّة عن رسول اللّه (ص) : و هذه الروايات من رواية عمر ابن الخطّاب و ابنه عبد اللّه-رضي اللّه عنهما-و أنكرت عائشة و نسبتها إلى النسيان و الاشتباه عليهما، و أنكرت أن يكون النبيّ (ص) قال ذلك [11] .

و يظهر من الحديث الآتي أنّ منشأ الخلاف كان اجتهاد الخليفة عمر في النهي عن البكاء في مقابل سنّة الرسول (ص) بالبكاء، فقد ورد في الحديث أنه: مات ميّت من آل الرسول (ص) فاجتمع النساء يبكين عليه، فقام عمر ينهاهنّ و يطردهنّ فقال رسول اللّه (ص) : دعهنّ يا عمر فإنّ العين دامعة و القلب مصاب و العهد قريب [12] .

(9) و هل: بفتح الواو و فتح الهاء و كسرها، أي غلط و نسي.
(10) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، ح 25 و 26، ص 642-643 و ح 27، ص 643. و قريب من لفظ الترمذي في كتاب الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في البكاء على الميّت، 4/225. و سنن أبي داود، كتاب الجنائز، ح 3129، 3/194.
(11) شرح النووي بهامش صحيح مسلم ط. المطبعة المصرية 1349 هـ، 6/228، كتاب الجنائز، باب الميّت يعذّب ببكاء أهله عليه.
(12) سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب الرخصة في البكاء على الميّت. و سنن ابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ما جاء في البكاء على الميّت ح 1587 ص: 505. و مسند أحمد 2/110، 273، 333، 408، 444.

و في صحيح البخاري: كان عمر (رض) يضرب فيه بالعصا، و يرمي بالحجارة، و يحثي بالتراب [13] .

كان ذلكم منشأ الخلاف في شأن البكاء على الميّت، الأحاديث المتعارضة الواردة بشأنه في كتب الصّحاح، و لعلّ اجتهاد الخليفة عمر (رض) في المنع كان منشأ للأحاديث المرويّة في منع البكاء على الميت. فقد رووا غير ما ذكرنا بعض الحديث في تأييد اجتهاد الخليفة الصحابيّ عمر، و لا مجال في هذه العجالة لبيان علل تلك الأحاديث. و في ما ذكرنا الكفاية في معرفة منشأ الخلاف في شأن البكاء و الّذي نحن بصدده.

إلى هنا استعرضنا أمثلة من مسائل الخلاف الّتي كان منشؤها اختلاف الأحاديث في كلّ منها. و نذكر بحوله تعالى في ما يأتي آيات من كتاب اللّه ممّا نشأ الخلاف حول تأويلها.

---

(13) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، 1/158.

و قوله: «يضرب فيه» أي يضرب لأجل المنع من البكاء.

-8- آيات من كتاب اللّه نشأ الخلاف حول تأويلها

من أمثلة ما نشأ الخلاف حولها، خلاف في تأويل بعض آيات من كتاب اللّه المجيد نذكر أمثلة منها في ما يأتي:

دعاء غير اللّه و حكم غير اللّه

أ-دعاء غير اللّه

قال الشيخ محمد بن عبد الوهّاب مؤسس المذهب الوهّابي في كتابه (الأصول الثلاثة و أدلّتها) ص 4 منه:

اعلم رحمك اللّه أنّه يجب على كلّ مسلم و مسلمة تعلّم هذه الثلاث مسائل و العمل بهنّ [1] :

الأولى-أنّ اللّه خلقنا....

الثّانية-أنّ اللّه لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد، لا ملك مقرّب و لا نبيّ مرسل، و الدليل قوله تعالى: **وَ أَنَّ اَلْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اَللَّهِ أَحَداً** [2] الجن/28.

---

(1) كذا ورد في الأصل.

(2) رسالة الأصول الثلاثة ط. مطبعة المدني، 295 شارع رمسيس بالقاهرة سنة 1380 هـ و رسالة الدين و شروطها أيضا طبع فيها، و كذلك استدلّوا بقوله تعالى: **قُلِ اُدْعُوا اَلَّذِينَ زَعَمْتُمْ**

و قال في ص 5 منه: انّ الحنيفية ملّة إبراهيم أن تعبد اللّه وحده مخلصا له الدّين، و بذلك أمر جميع الناس و خلقهم لها، كما قال تعالى: **وَ مَا خَلَقْتُ اَلْجِنَّ وَ اَلْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** و معنى يعبدون يوحّدوني. و أعظم ما أمر اللّه به التوحيد، و هو إفراد اللّه بالعبادة، و أعظم ما نهى عنه الشرك و هو دعوة غيره معه-إلى قوله في ص 8 منه: -و الدليل قوله تعالى: **وَ أَنَّ اَلْمَسَاجِدَ لِلَّهِ...** .

و قال في ص 46 منه: القاعدة الرابعة: إنّ مشركي زماننا أغلظ شركا من الأوّلين، لأنّ الأولين يشركون في الرخاء و يخلصون في الشدّة، و مشركو زماننا شركهم دائما في الرخاء و الشدّة، و الدليل قوله تعالى: **فَإِذَا رَكِبُوا فِي اَلْفُلْكِ دَعَوُا اَللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ اَلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى اَلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** العنكبوت/65.

و قال في ص 8 من رسالته (الدين و شروط الصّلاة) [3] ما ملخّصه:

العبادة لها أنواع كثيرة؛ منها الدعاء، الدليل قوله تعالى: **وَ أَنَّ اَلْمَسَاجِدَ لِلَّهِ** .

و ورد في رسالة (شفاء الصدور) الّتي أصدرتها دار الإفتاء العامّة ردّا على رسالة الجواب المشكور ص 3:

رفعوا إلى خليفة زعماء دعوة التوحيد و الّذين أزاحوا غياهب الشرك عن هذه البلاد-أي عن مكّة المكرّمة و المدينة المنوّرة-و طهّروها من أدرانه و قضوا على كلّ أثر له... [4] .

ق **مِنْ دُونِهِ، فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ اَلضُّرِّ عَنْكُمْ وَ لاَ تَحْوِيلاً** الإسراء/56 و آيات أخرى نظيرها.

(3) رسالة الأصول الثلاثة ط. مطبعة المدني 295 شارع رمسيس بالقاهرة سنة 1380-و رسالة الدين و شروطها أيضا طبع فيها بلا تاريخ.

(4) رسالة شفاء الصدور، ط. الأولى مؤسسة النور للطباعة و التجليد.

يقصدون بدعاء غير اللّه أو مع اللّه أن يقول المسلم مثلا: (يا رسول اللّه) للتوسّل به إلى اللّه، أو يدعو غيره من أولياء اللّه كذلك. و أدلّتهم كلّها تدور حول قوله تعالى: **فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اَللّٰهِ** و نظائرها ممّا نهى اللّه عن الدّعاء مع اللّه أو غير اللّه.

ب-حكم غير اللّه

حكم غير اللّه مثله كمثل دعاء غير اللّه و قال مخالفوهم: ما أشبه الليلة بالبارحة!و ما أشبه هذا الاستدلال باستدلال الخوارج في تكفير من رضي بالتحكيم في صفّين بأمثال قوله تعالى:

إِنِ اَلْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ عَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ اَلْمُتَوَكِّلُونَ [5]

يوسف/67. و قوله:

أَ فَغَيْرَ اَللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَ هُوَ اَلَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ اَلْكِتَابَ الأنعام/114.

و كان بداية ذلك في معركة صفّين، عند ما أمر معاوية برفع كتاب اللّه على الرماح و دعوة جيش العراق إلى قبول حكم القرآن، و انخداع أكثرية قراء جيش العراق بذلك، و إجبارهم الإمام عليّا بترك القتال و قبول دعوة معاوية بالتحكيم، ثمّ تعيين معاوية من قبله عمرو بن العاص حكما، و إجبار جيش العراق الإمام عليّا على تعيين أبي موسى الأشعري حكما من قبله. فلمّا اجتمع الحكمان و خدع عمرو بن العاص أبا موسى و قال له: نخلع عليّا و معاوية و نترك الأمر للناس ليختاروا لهم إماما. و سبق أبو موسى عمرا بالكلام و قال: أنا أخلع عليّا و معاوية عن الأمر ليختار المسلمون لهم إماما. ثمّ خطب بعده ابن العاص و قال: إنّه خلع صاحبه كما رأيتم، و أنا أنصب صاحبي للإمامة. فتنازعا و تسابّا و افترقا. بعد هذا أحسّ من قبل التحكيم من جيش العراق بخطئهم و نادوا بشعار: «لا حكم إلاّ للّه» و قالوا: إنّا كفرنا بقبولنا

(5) نكرّر قولنا: بأننا لسنا بصدد إحصاء أدلّة الطرفين في البحث، و إنّما نأتي بأمثلة منها.

التحكيم، و تبنا إلى اللّه، و يجب على الآخرين أن يعترفوا بالكفر، ثمّ يتوبوا مثلنا؛ و من لم يفعل، فأولئك هم الكافرون.

و هكذا كفّروا أوّلا من اشترك في تلك الحوادث من عائشة و عثمان و عليّ و طلحة و الزبير و معاوية و عمرو بن العاص و من تبعهم؛ ثمّ شمل حكمهم بالكفر عامّة المسلمين، و سمّوا أنفسهم بالشّراة، و وضعوا سيوفهم قرونا طويلة على عواتقهم يقتلون بها المسلمين و يقتلون [6] .

و صدق رسول اللّه (ص) حيث أخبر عن الخوارج و قال: يقتلون أهل الإسلام و يدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنّهم قتل عاد [7] . و في أحاديث أخرى: لأقتلنّهم قتل ثمود [8] .

جواب مخالفيهم في المسألتين

يقول في جواب هؤلاء و أولئك مخالفوهم بأنّ القرآن يفسّر بعضه بعضا، و إذا كان قد ورد في القرآن قوله تعالى: **إِنِ اَلْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ** فقد ورد فيه أيضا قوله تعالى:

فَإِنْ جَاؤُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ إِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ

---

(6) راجع أخبار يوم صفّين في تاريخ الطبري و ابن الأثير و ابن كثير، ثمّ أخبار الخوارج فيها و في غيرها من كتب التاريخ.

(7) كان ذلك عند ما بعث ابن عمّ الرسول عليّ من اليمن بذهيبة إلى الرسول فقسّمها بين أربعة من المؤلفة قلوبهم، فتغضبت قريش و الأنصار، فقالوا: يعطيه صناديد أهل نجد و يدعنا!قال: إنّما أتألّفهم. فأقبل رجل... محلوق الرأس فقال: يا محمد، اتق اللّه!فقال النبي (ص) : فمن يطيع اللّه إذا عصيته، أ يأمنني على أهل الأرض و لا تأمنوني!؟فلمّا ولى، قال النبي (ص) إنّ من ضئضئ هذا قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الاسلام-الحديث. صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول اللّه تعالى: **تَعْرُجُ اَلْمَلاَئِكَةُ...** 4/188. و صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج و صفاتهم ح 143 ص 741.

(8) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج و صفاتهم، ح 143 و 144 و 145 و 146.

يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَ إِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ المائدة/42.

فقد خوّل نبيّه في هذه الآية أن يحكم بين أهل الكتاب، و في آية أخرى أمر بأن يتّخذوا حكما من النّاس بقوله تعالى: **وَ إِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَ حَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اَللَّهُ** النساء/35.

و لا منافاة بين الآيتين، فإنّ الآية الأولى عند ما أثبتت (الحكم) للّه لم تثبت له حكما محدودا مثل ما للقضاة في المحاكم بأنّ لهم أن يحكموا بين الناس بموجب القوانين المرعيّة، و أنّه ليس لهم أن يعيّنوا حاكما من قبلهم، و إنّما ذلك لذي سلطة أعلى، و على هذا فليس للقضاة (الحكم) مطلقا، و إنّما لهم أن يحكموا بين الناس فحسب، و لكنّ اللّه له أن يحكم بين الناس بموجب حكمه، و له أن يأذن لغيره بالحكم، أي: له أن يعيّن حاكما على أي جهة في ملكه، فله الحكم مطلقا. و على هذا فإن الأنبياء بحكم اللّه يحكمون، حين يحكمون، و كذلك الاثنان اللّذان يحكمان بين الزوجين. إذا فإنّ حكم أولئك الحكّام إذا حكموا بموجب ما أمر اللّه، ليس حكم ما سوى اللّه، و لا حكم غير اللّه، و لا حكم دون اللّه، و لا حكم مع اللّه، و إنّما هو حكم بأمر اللّه و حكم بإذن اللّه.

و سيأتي جوابهم على دعاء غير اللّه في ذكر (دعوة الرسول (ص) و التّوسل به الى اللّه) بعيد هذا إن شاء اللّه تعالى.

و كذلك الشأن بالنسبة إلى بعض الآيات الأخرى الّتي تثبت بعض الصفات للّه فإنّها لا تثبتها للّه محدودة بحدّ، و إنّما تثبتها للّه مطلقا. مثل إثبات صفة الملك للّه تعالى.

صفة الملك للّه

لا منافاة في إثبات صفة الملك للّه في قوله تعالى:

وَ لِلَّهِ مُلْكُ اَلسَّمَاوَاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا وَ إِلَيْهِ اَلْمَصِيرُ المائدة/18،

و قوله تعالى:

لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي اَلْمُلْكِ الإسراء/111، و الفرقان/2، و أمثالهما.

و بين قوله تعالى:

أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ النساء/3 و 24 و 25 و 36 و آيات أخرى مثلها، لأنّه سبحانه و تعالى يقول: **قُلِ اَللَّهُمَّ مَالِكَ اَلْمُلْكِ تُؤْتِي اَلْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ اَلْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَ تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ اَلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** آل عمران/26.

إذا فإنّ اللّه تعالى حين يملّك عبده لم يملك العبد عندئذ مع اللّه، و لم يملك غير اللّه و لا سوى اللّه و لا دون اللّه، و إنّما العبد و ما يملك لمولاه، و إنّ تملّك العبد بإذن اللّه من أجلى مصاديق (الملك للّه) ، أي: إنّ ملك اللّه ليس محدودا كملك عبيده الّذي يحدّ بحدود مشيئة اللّه و إذن اللّه، و لا حول للعبد أن يتصرّف في ما خوّله اللّه بأكثر مما حدّد اللّه له في التصرّف من زمان و مكان و سيطرة. و كذلك الشأن في صفة الخالقية.

الخالق و المحيي

كذلك شأن صفة (الخالق) و (المحيي) ، فإنّه سبحانه و تعالى **خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** الأنعام/102. و **هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اَللَّهِ** فاطر/3. و قال اللّه تعالى: **أَلاَ لَهُ اَلْخَلْقُ وَ اَلْأَمْرُ** الأعراف/54. و قال تعالى: **وَ هُوَ اَلَّذِي يُحْيِي وَ يُمِيتُ** المؤمنون/80. و قال: **فَاللَّهُ هُوَ اَلْوَلِيُّ وَ هُوَ يُحْيِ اَلْمَوْتىَ** الشورى/9.

و لا منافاة بين هذا و بين أن يأذن لعيسى بن مريم (ع) أن يخلق و يحيي كما قال سبحانه مخاطبا إيّاه: **وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ اَلطِّينِ كَهَيْئَةِ اَلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَ تُبْرِئُ اَلْأَكْمَهَ وَ اَلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَ إِذْ تُخْرِجُ اَلْمَوْتىَ**

بِإِذْنِي المائدة/110 و قوله تعالى عن لسان عيسى: **أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ اَلطِّينِ كَهَيْئَةِ اَلطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اَللَّهِ وَ أُبْرِئُ اَلْأَكْمَهَ وَ اَلْأَبْرَصَ وَ أُحْيِ اَلْمَوْتىَ بِإِذْنِ اَللَّهِ** آل عمران/49.

فإنّ اللّه سبحانه حين يخلق ليس كالآلة الصّانعة لا يحول عن عمله و لا يزول-جلّ عن ذلك-و ليس كالبشر حين يعمل لا يستطيع أن يهب قدرة العمل لغيره، بل إنّه قادر أن يخلق الحياة، إنسانا كان أو حيوانا، من طريق اللّقاح بين الزّوجين، و يستطيع أن يخلقه بيديه دون أب و لا أمّ، مثل آدم، و يقدر كذلك أن يأذن لعيسى فيخلق بإذنه، و الخالق في كلّ ذلك هو اللّه تعالى.

و كذلك شأن الإحياء، فإنّه قادر على أن يحيي الموتى بلا واسطة يوم القيامة، و قادر على أن يهب الإحياء لرسوله عيسى بن مريم (ع) فيحيي الموتى بإذنه، و قادر على أن يجعل الإحياء في ضرب بعض بقرة بني إسرائيل الصّفراء بميّتهم المقتول فيحيا المقتول و يخبرهم عن قاتله [9] .

و إنّ عيسى بن مريم حين خلق الطير و أحيا الموتى، كان الخلق و الإحياء بإذن اللّه، و على هذا فإنّ عيسى حين خلق الطّير و أحيا الموتى لم يخلق مع اللّه، و لم يحي مع اللّه، و لم يخلق و لم يحي غير اللّه و لا دون اللّه، و إنّما خلق و أحيا بإذن اللّه.

الوليّ و الشفيع

و كذلك شأن صفة الوليّ و الشّفيع:

فإنّه لا منافاة في شأن الشفاعة بين قوله تعالى:

أ- **أَمِ اِتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اَللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَ وَ لَوْ كَانُوا لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئاً**

---

(9) إشارة إلى الآيات 67-73 من سورة البقرة.

وَ لاَ يَعْقِلُونَ. `قُلْ لِلَّهِ اَلشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ اَلسَّمَاوَاتِ وَ اَلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ الزمر/43، 44.

ب- **مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لاَ شَفِيعٍ أَ فَلاَ تَتَذَكَّرُونَ** السجدة/4.

ج- **لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَ لاَ شَفِيعٌ** الأنعام/51.

د- **وَ ذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اَللَّهِ وَلِيٌّ وَ لاَ شَفِيعٌ** الأنعام/70.

و بين قوله تعالى: أ- **مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ** يونس/3.

ب- **مَنْ ذَا اَلَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ** البقرة/255.

ج- **يَوْمَئِذٍ لاَ تَنْفَعُ اَلشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ اَلرَّحْمَنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلاً** طه/109.

د- **وَ لاَ تَنْفَعُ اَلشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ...** سبأ/23.

هـ- **لاَ يَمْلِكُونَ اَلشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اِتَّخَذَ عِنْدَ اَلرَّحْمَنِ عَهْداً** مريم/87.

و- **وَ لاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ اِرْتَضىَ** الأنبياء/28.

فإنّه تعالى حين يأذن لعباده الصّالحين أن يشفعوا، كانت الشّفاعة للّه فأذن لهم أن يشفعوا. فالشفيع عندئذ ليس دون اللّه.

و كذلك شأن الولي: فإنّ قوله تعالى: **إِنَّ اَللَّهَ لَهُ مُلْكُ اَلسَّمَاوَاتِ وَ اَلْأَرْضِ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اَللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لاَ نَصِيرٍ** التوبة/116.

و قوله: **أَ لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اَللَّهَ لَهُ مُلْكُ اَلسَّمَاوَاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اَللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لاَ نَصِيرٍ** البقرة/107.

و قوله: **أَ فَحَسِبَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ. إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً** الكهف/102.

هذه الأقوال لا تنافي قوله تعالى:

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اَللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ اَلصَّلاَةَ وَ يُؤْتُونَ اَلزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ المائدة/55.

لا منافاة بينهما و ليس شركا أن نقول: اللّه وليّنا و رسوله و من يقيم الصّلاة و يؤتي الزّكاة في الركوع من المؤمنين، لأنّ الولاية للّه و هو الّذي أعطى هذه الولاية لهما كما أعطى للوالد الولاية على ولده.

في كلّ الصّفات المذكورة صحّ أن يقال: اللّه، هو الحاكم و المالك و الشفيع و الولي و... و صحّ-أيضا-أن يقال لمن منح من عبيده هذه الصفات: المالك و الحاكم و الشفيع و الولي. و إنّ أوضح مثال لما قلنا، المورد الآتي.

من يتوفّى الأنفس

قال تعالى: **اَلَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ اَلْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ** النحل/28.

و قال: **تَتَوَفَّاهُمُ اَلْمَلاَئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ** النحل/32.

و قال: **تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَ هُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ** الأنعام/61.

و قال: **قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ اَلْمَوْتِ اَلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلىَ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ** السجدة/11.

و قال: **اَللَّهُ يَتَوَفَّى اَلْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا** الزمر/42.

فمن قال: إنّ الملائكة تتوفّى الأنفس حين موتها بإذن اللّه، لم يكذب و لم يشرك، و من قال: ملك الموت عزرائيل يتوفّى الأنفس حين موتها بإذن اللّه، لم يكذب و لم يشرك. و لا منافاة بين القولين و بين القول بأنّ اللّه يتوفّى الأنفس

حين موتها، و في كلّ هذه الحالات لم يتوفّ الأنفس غير اللّه و لا مع اللّه بل إنّ اللّه هو الذي توفّاها [10] . و كذلك الشّأن بالنسبة إلى الصفات الأخرى المذكورة سابقا.

دعوة الرّسول (ص) و التوسّل به إلى اللّه

بناء على ما بيّنّا بأنّ كلاّ من الحاكم و المالك و الشّفيع و الخالق و المحيي و المميت و الوليّ إذا كان بإذن اللّه فليس ثمّت غير اللّه و لا دون اللّه و لا مع اللّه، بناء على ذلك فإنّ دعوة النبيّ (ص) في التوسّل به إلى اللّه-أيضا-إذا كان بإذن اللّه، فليس ثمّت دعاء غير اللّه و لا دون اللّه و لا مع اللّه، و ليس من مصاديق ما نهى اللّه عنه في قوله تعالى: **فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اَللّٰهِ أَحَداً** .

و قد مرّ بنا في الحديث المرويّ بمسند أحمد و سنن الترمذي و ابن ماجة و رواية البيهقي و الّتي صحّحوها بأن رسول اللّه (ص) علّم الصحابي الضرير أن يدعو بعد الصّلاة و يقول:

«اللّهمّ إنّي أسألك و أتوجّه بنبيّك محمّد نبيّ الرحمة. يا محمّد إنّي توجّهت بك إلى ربّي في حاجتي لتقضى لي. اللّهمّ فشفّعه فيّ» [11] .

فقضى اللّه حاجته و شفّع رسوله فيه و شافاه، و إنّ هذا النوع من التوسّل من مصاديق قوله تعالى:

وَ اِبْتَغُوا إِلَيْهِ اَلْوَسِيلَةَ المائدة/35.

يَبْتَغُونَ إِلىَ رَبِّهِمُ اَلْوَسِيلَةَ الإسراء/57.

---

(10) هذا الاستدلال مستفاد من قول الإمام عليّ، برواية الصدوق عنه في باب الردّ على الثنوية و الزنادقة بكتاب التوحيد، ص: 241.
(11) راجع مصادره في باب الاستشفاع برسول اللّه في حياته من هذه المقدّمة.

إلى هنا استعرضنا بعض مسائل الخلاف و أشرنا إلى ما كان ظاهرا من منشئها. و في ما يلي ندرس الباعث الحقيقي لما نشأ من الخلاف و هما أمران:

أ-استكبار المخلوقين أبد الدهر.

ب-حاجة السلطة في هذه الأمّة إلى إراءة حياة قدوات الإنسانية بما لا يناقض حياتها الغارقة في الشهوات. و في ما يلي بيانهما:

أ-الباعث الحقيقي الأوّل على ما نشأ من الخلاف

أوّلا-في بدء الخليقة:

حكى اللّه سبحانه عمّا جرى من إبليس حين لم يسجد لآدم (ع) بقوله:

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ `قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ... ص/75 و 76.

و **قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ** الحجر/33.

إنّ إبليس عبد اللّه وحده لا شريك له عمر الملائكة، ثمّ لم يخضع لآدم صفيّ اللّه في عصره و استهان به فكان من أمره ما كان.

أمّا الناس الّذين استكبروا و استهانوا بأنبياء اللّه و أصفيائه بعد ذلك فإليكم أمثلة من أمرهم في ما يأتي:

ثانيا-في الأمم السّابقة:

قال قوم نوح لنبيّهم نوح:

مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِثْلَنَا... وَ مَا نَرىَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ هود/27.

و قالوا: **مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ** المؤمنون/24.

و قال قوم نوح و عاد و ثمود لرسلهم:

إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا... إبراهيم/10.

و قالوا لنبيّهم:

مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَ يَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ المؤمنون/33.

و كان جواب الأنبياء لأممهم في هذا الاعتراض و الاستهانة بهم ما أخبر اللّه عنه و قال:

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَ لَكِنَّ اَللَّهَ يَمُنُّ عَلىَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إبراهيم/11.

ثالثا-في عصر خاتم الأنبياء (ص) :

روى ابن حجر في ترجمة ذي الخويصرة رأس الخوارج من الإصابة عن أنس، قال:

كان في عهد رسول اللّه (ص) رجل يعجبنا تعبّده و اجتهاده، و قد ذكرناه لرسول اللّه (ص) فلم يعرفه، فوصفناه بصفته فلم يعرفه. فبينا نحن نذكره إذ طلع الرجل علينا فقلنا: هو هذا. قال: إنّكم لتخبروني عن رجل إنّ في وجهه لسعفة من الشيطان. فأقبل حتّى وقف عليهم و لم يسلّم، فقال له رسول اللّه (ص) : أنشدك اللّه، هل قلت حين وقفت على المجلس: «ما في القوم أحد أفضل منّي أو خير منّي» ؟قال: اللّهمّ نعم!ثمّ دخل يصلّي فقال رسول اللّه (ص) : من يقتل الرجل-الحديث. و في آخر الحديث قال (ص) : لو قتل

ما اختلف من أمّتي رجلان... [12] .

رابعا-في عصرنا

قال الرجل (ذو المعرفة) من السعوديين:

(محمّد رجالا مثلي، مات) .

و سبب هذا القول-أيضا-هو الاستكبار كما كان شأن السابقين.

خلاصة البحث

إنّ إبليس لا يرى فضلا لصفيّ اللّه و نبيّه آدم على نفسه فلا يخضع له و يقول عنه: إنّه بشر.

و قوم نوح و عاد و ثمود لا يرون لأنبيائهم من فضل عليهم و يقولون لأنبيائهم: إن أنتم إلاّ بشر مثلنا.

و ذو الخويصرة رأس الخوارج يقول لجمع فيهم رسول اللّه: ما في القوم أفضل منّي أو خير منّي.

و كذلك الأمر في عصرنا.

إذا فالباعث الأول للاستهانة بأصفياء اللّه هو الاستكبار.

---

(12) راجع ترجمة ذي الخويصرة من الإصابة.

و ذو الخويصرة التميمي حرقوص بن زهير. أصل الخوارج قال لرسول اللّه عند ما كان يقسم قسما:

يا رسول اللّه، اعدل!فقال له: ويحك من يعدل إذا لم أعدل!؟و قال فيه: إنّ له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم و صيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين كمروق السهم من الرمية.

راجع ترجمة ذي الخويصرة في أسد الغابة. و تفصيل قول رسول اللّه فيه و في الخوارج و قتال الإمام علي إيّاهم في صحيح مسلم، باب ذكر الخوارج، و باب التحريض على قتل الخوارج، و باب الخوارج شرّ الخلق و الخليقة.

و السعفة: قروح تخرج في الوجه و الرأس، و يكون المعنى أثر ضربة الشيطان في وجهه.

ب-الباعث الثاني لما نشأ من الخلاف

الباعث الثاني على الخلاف في الأمّة الإسلامية مدى القرون، هو حاجة السّلطات الحاكمة على المسلمين إلى إراءة حياة القدوات الإنسانية، من الأنبياء و الأصفياء، بما لا يناقض حياتهم الغارقة في الشّهوات و المنهمكة في اتّباع هوى النفس.

و كان من أثر العاملين الأول و الثاني، أن أوّلت آيات من الذكر الحكيم إلى ما يبيّن صدور المعاصي من أنبياء اللّه و أصفيائه، و وضعت روايات في انغماسهم في الملاهي و الشهوات، و أحيانا استفادوا من الأخبار الإسرائيليّة في ذلك مثل ما رووا عن داود و زوجة أوريا [13] ، إلى غيرها، و الكثير من أمثالها الّتي رووها في سيرة الأنبياء؛ و قد مرّ بنا أمثلة ممّا رووا في سيرة أفضل الأنبياء و خاتمهم محمّد (ص) . و في هذا السبيل، سبيل تسوية الأنبياء و الأوصياء بغيرهم من البشر، و القول بعدم وجود ميزة لهم عمّن سواهم، أوّلوا آيات من الكتاب العزيز المصرّحة بمعجزات الأنبياء، مثل خلق عيسى (ع) من الطّين طيرا بإذن اللّه و نظائره، و وضعت روايات تتّفق و ما يقولون به من عدم وجود ميزة لأصفياء اللّه عمّن سواهم من البشر.

و في مقابل تلكم الأحاديث و تأويلات آيات كتاب اللّه، بدافع العاملين المذكورين آنفا، نجد في كتب التفسير و الحديث و السّيرة أحاديث أخرى تدلّ على ميّزات أصفياء اللّه. فآمن بها طائفة من المسلمين، و أوّلت آيات كتاب اللّه بما يوافق تلك الأحاديث. و أنتج ما ذكرناه رؤية خاصّة لصفات اللّه و صفات أنبيائه و عن العرش و الكرسيّ و سائر المعارف الإسلاميّة تناقض

---

(13) راجع أخبار سيرة النبيّ داود (ع) في تاريخ الطبريّ و غيره.

رؤية الطائفة الأخرى. و كل طائفة آمنت بما لديها بما يبلغ بها إلى تكفير من يخالفها في الرأي. و إنّ ما وقع من التفرقة مدى القرون كان من أثر ما ذكرناه.

أمّا العلاج فسنذكره بحوله تعالى في الخاتمة الآتية.

-9- خلاصة و خاتمة

شرع اللّه للإنسان الإسلام نظاما مناسبا لفطرته، و هداه بواسطة أنبيائه (ع) و كان كلّما توفّي نبيّ و غيّرت أمّته شريعته، جدّد اللّه دينه بإرسال نبيّ جديد. و اقتضت حكمته ختم الشّرائع بشريعة خاتمهم، فحفظ أصول الإسلام بحفظ القرآن من الزّيادة و النقصان أبد الدهر، و جعل بيان الأحكام و شرحها في سنّة رسوله (ص) و لم يحفظها مثل القرآن من الزيادة و النّقصان، و لم يعصم رواتها عن السّهو و النسيان، و لم يعصم نسّاخ كتب الحديث من الخطأ و الزلل. و مضى على رواية سنّة الرسول (ص) أربعة عشر قرنا و تداول المسلمون من روايات سنّة الرسول (ص) سيرة و حديثا ما تعارض بعضه مع بعض الشيء الكثير، مع وجود المجمل و المفصّل و العامّ و الخاصّ فيها، و العوامل الخارجية المؤثرة في رواية الحديث، و الّتي أشرنا إليها سابقا، فاختلفت اجتهادات المجتهدين في ترجيح بعضها على بعض، مضافا إلى اجتهاداتهم الخاصّة في مختلف معارف الإسلام و أحكامه. فتعصّب كلّ لآرائه، فتكوّنت لكلّ فرقة رؤية خاصّة للإسلام أوّلت بموجبها آيات متشابهات في كتاب اللّه

الكريم، و حملت عليها آيات محكمات أخرى.

و هكذا انقسم المسلمون إلى فرق و مذاهب، و مضت عليهم قرون طويلة كفّر خلالها المسلمون بعضهم بعضا، و قتلت كلّ فرقة من خالفها في الرأي أحيانا، و هدّمت ديارهم!فكيف يمكن توحيد كلمة المسلمين مع وجود هذه المفارقات، و وجود مسائل الخلاف بينهم ممّا أوردنا أمثلة منها في ما سبق؟لا، لن يتمّ التقارب بين المسلمين هكذا، و مع بقائهم على تقليد اجتهادات السّلف، فلا بدّ للمسلمين من أن تبدي كلّ طائفة منهم ما لديها من رؤى للإسلام و تأويل للقرآن و حديث مرويّ و اجتهادات للسّلف نشأ منها الخلاف، على شرط أن يتمّ ذلك بأسلوب الدعوة إلى الحقّ و البحث العلميّ الرصين، دون الرّكون إلى السباب و الشتائم و الافتراء انتصارا لرأيها و طائفتها -أعاذنا اللّه من ذلك-ثمّ الاستماع بتجرّد إلى ما لدى الطّوائف الأخرى كذلك، و الحقيقة بنت البحث.

و السّبيل الصّحيح للوصول إلى ذلك، أن يبادر علماء المسلمين إلى تلك الدراسات بتجرّد علميّ بحت، ثمّ تعرض نتائج تلك الدراسات على الأندية العلميّة الإسلاميّة الكبرى، مثل الجامع الأزهر الشريف في القاهرة، و الجامعة الإسلاميّة في المدينة المنوّرة، و رابطة العالم الإسلامي في مكّة المكرمة، و الجوامع الإسلاميّة الكبرى في النجف الأشرف و قم و خراسان و القيروان و الزيتونة، لبحثها و تمحيصها. ثمّ لتنشر بعد ذلك حكومات البلاد الإسلاميّة ما تتمخّض عنه دراسات تلك الجامعات بين المسلمين كافّة ليتسنّى لجميع المسلمين من أراد منهم أن يفهم رأي غيره تفهما واعيا لا لبس فيه و لا غموض و لا نبز، و له بعد ذلك أن يتقبّل رأي غيره بقبول حسن، أو يعذر أخاه المسلم في ما اتّخذ له من رأي. و هكذا يتيسّر للمسلمين أن يتفهّم بعضهم بعضا

و يتقاربوا و يوحّدوا جهودهم في ما يصلح لهم [1] .

و من الضروريّ في هذا السبيل أن يبدأ بالبحث عن مصادر الشّريعة الإسلاميّة و كيفيّة أخذ المسلمين منها و سبل الوصول إلى السنّة النبويّة.

و للوصول إلى هذا الهدف الجليل قمت مستعينا باللّه تعالى بتأليف هذا الكتاب وفق المنهج التالي.

منهج البحث في الكتاب:

أوردنا في ما سبق أمثلة من مسائل الخلاف و منشأ الاختلاف و دوافعهما و بقي لنا دراسة جذور الخلاف و الاختلاف. و سندرسها في أبواب القسم الأوّل من هذا الكتاب ليدرسها المصلحون الغيارى على الإسلام و المسلمين و ينسّقوا جهودهم في ضوء معرفتها لتقريب أبناء الأمّة الإسلاميّة و توحيد

(1) لقد شرحت ضرورة القيام بدراسات مقارنة لسنّة الرسول (ص) بتجرّد علميّ بحت لعلماء المسلمين و كتّابهم و مفكّريهم بمصر و الحجاز و الشام و لبنان و الهند و باكستان و العراق و غيرها، سواء في الجامعات الإسلامية و الأندية العلميّة بها أو في اجتماعي بالعلماء على انفراد، و استعنت اللّه و قمت منذ نيف و خمسين سنة بهذه الدراسات. و لما كانت أمّ المؤمنين عائشة أكثر من تحدّثت عن سيرة الرسول الاكرم (ص) بين أمّهات المؤمنين و أهل البيت و جميع الصّحابة، و كان أكثر الباحثين مسلمين و غير مسلمين من المستشرقين و تلاميذهم يتعرّفون على سيرة الرسول (ص) من خلال الأحاديث المرويّة عنها، و لن تتيسّر دراسة سيرة الرسول دون الدراسة العلمية لمجموعة الأحاديث المرويّة عنها بتجرّد علميّ بحت، لهذا اضطررت إلى دراسة أحاديثها دراسة مقارنة، و طبعت الجزء الأول منها، و لمّا يطبع الجزء الثاني منها. و رأيت خلال دراساتي من الاختلاف في أخبار السيرة و أخبار العصر الإسلامي الأول ما أكرهني على نشر بعض دراساتي باسم (خمسون و مائة صحابى مختلق) و قصدي من هذه التسمية أن أنبّه العلماء إلى ما في أخبار العصر الإسلامي الأوّل من عظيم الاختلاق، و طبع منها جزءان ترجم فيهما ثلاثة و تسعون صحابيّا مختلقا و أكثر من سبعين راويا للحديث مختلقين-أيضا-أسندت إليهم روايات في الفتوح و الردة و غير ذلك مختلقة جميعها. و كتبت مقدّمة لهذه الدراسة مجلّدي عبد اللّه بن سبأ و نشرا، و بقي نشر المجلد الثالث من (خمسون و مائة صحابي مختلق) و الثالث من عبد اللّه بن سبأ، و إلى اللّه أشكو ما لا قيت من الإرجاف في هذا السبيل.

كلمتهم ضدّ أعداء الإسلام إن شاء اللّه تعالى.

و نقول في هذا الصدد: لمّا كان جميع طوائف المسلمين ينتهون إلى مدرستين [2] : مدرسة الإمامة و مدرسة الخلافة، بحثت في الكتاب:

أولا- عن رأي المدرستين في الصّحابة و عدالتهم، لأنّهم من سبل الوصول إلى سنّة الرسول (ص) . و ترى مدرسة الخلافة أنّهم جميعا عدول لا يتطرّق الشّكّ إلى عدالة أيّ واحد منهم، و يصحّ أخذ الحديث من جميعهم. و ترى المدرسة الأخرى أنّ في الصحابة البرّ التّقي الّذي يؤخذ منه الحديث، و فيهم من وصمه اللّه في كتابه بالنفاق و قال: **وَ مِنْ أَهْلِ اَلْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى اَلنِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ** التوبة/101.

هكذا درست أدلّة الطّرفين في هذا الباب بتجرّد علميّ، ثمّ بحثت عن رأي المدرستين في الإمامة و الخلافة و أدلّتهما في ما ارتأتا، لأنّ الخلفاء الأربعة الأوائل لدى إحداهما من سبل الوصول إلى الشّريعة الإسلامية و تروي في حقّهم عن الرسول (ص) أنّه قال: «خذوا بسنّتي و سنّة الخلفاء الراشدين من بعدي و عضّوا عليها بالنواجذ» ، ثمّ إنّها تتّخذ من اجتهاداتهم مصدرا للشّريعة الإسلاميّة [3] .

و كذلك الأئمة الاثنا عشر لدى مدرسة أهل البيت (ع) فإنّهم يرونهم من سبل الوصول إلى الشريعة الإسلاميّة و يأخذون منهم كلّ ما يروون عن الرّسول (ص) من أحكام بلا ترديد. فلا بدّ مع هذا من تمحيص أدلّة الطرفين في هذا السبيل.

ثانيا- درست بحوث المدرستين في مصادر الشّريعة الإسلاميّة بكلّ أمانة

---

(2) سيأتي بيانه في بداية البحوث، إن شاء اللّه تعالى.

(3) يأتي بحث نقد الحديث و دراسة مواقفهم من اجتهادات مجتهدي مدرسة الخلفاء في الجزء الثاني في باب: بحوث المدرستين حول مصادر الشريعة الإسلامية، إن شاء اللّه تعالى.

علميّة، و ختمت البحوث بذكر بعض أنواع نشاط المدرستين الثقافيّ و السياسيّ و الاجتماعيّ و آثارها في المجتمع الإسلامي.

ثالثا- أوردت في الأخير بعض ما افتري به على مدرسة أهل البيت (ع) و حاولت القيام بتمحيصه.

و أسأل اللّه أن يوفقني للبحث عن روايات المدرستين حول القرآن الكريم بمنّه تعالى.

و ها هي البحوث أعرضها على الملأ الإسلاميّ الكريم راجيا أن ينظروا فيها بتجرّد علميّ، و ينبّهوني على أخطائي في سبيل نشر المعرفة الإسلامية و تيسير التقارب و التّفاهم بين المسلمين، إن شاء اللّه تعالى.

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اَللَّهِ عَلىَ بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنِ اِتَّبَعَنِي وَ سُبْحَانَ اَللَّهِ وَ مَا أَنَا مِنَ اَلْمُشْرِكِينَ . يوسف/108. ـ

القسم الأوّل

بحوث المدرستين حول مصادر الشريعة الإسلامية

توطئة

في تاريخ الفكر الإسلاميّ نجد انقساما بيّنا بعد وفاة النبيّ (ص) بين مدرستين متعارضتين، مدرسة السّلطة الحاكمة بعد الرسول حتى آخر الخلفاء العثمانيين، و مدرسة أئمة أهل البيت (ع) حتّى الإمام الثاني عشر [1] . و لم يزل الخلاف قائما بين خرّيجي المدرستين و أتباعهما من المسلمين، و لا يزال كذلك حتّى عصرنا الحاضر، و إلى ما شاء اللّه.

و في ما يلي من هذا البحث نسمّي المدرسة الأولى بمدرسة الخلفاء و الأخرى بمدرسة أهل البيت. و نبدأ بذكر منشأ الخلاف بينهما، ثمّ نورد أمثلة من وجوه الخلاف، إن شاء اللّه تعالى.

منشأ الخلاف:

تتّفق المدرستان في القرآن الكريم، و تلتزمان بما أحلّه و حرّمه و فرضه

(1) إنّما حدّدنا مدرسة السلطة الحاكمة بآخر الخلفاء العثمانيّين، و مدرسة أهل البيت بالإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت، لأنّ مدرسة الخلفاء تلتزم بشرعية حكومة الخلفاء بعد النبيّ و تسمّيهم بخلفاء النبيّ، و تلتزم مدرسة أهل البيت بأحقيّة الأئمة الاثني عشر في الحكم و تسمّيهم أوصياء النبي. و لهذا سمّينا الأولى بمدرسة الخلفاء. و الثانية بمدرسة أهل البيت.

و ندب إليه، و تختلفان في تأويله و خاصّة متشابه آياته أشدّ الاختلاف. ثمّ تختلفان في الأمور الثلاثة التالية:

أ-في الصحابة. ب-في الإمامة و الخلافة ، و هما من سبل الوصول إلى مصادر الشّريعة الإسلاميّة.

ج-في مصادر الشّريعة الإسلامية بعد القرآن و سندرس بحوث المدرستين في كلّ منها بعد دراسة المصطلحات الواردة في بابه في أوّل الباب. و نبدأ هنا بدراسة المصطلحات المشتركة في جميع أبواب الكتاب أوّلا، ثمّ بدراسة كيفيّة تدوين معاجم اللّغة العربيّة ثانيا.

اللّغة العربيّة و المصطلحات الإسلاميّة

أوّلا-تعريف المصطلحات و هي:

أ-لغة العرب.

ب-المصطلح الشرعيّ أو المصطلح الإسلامي.

ج-مصطلح المتشرّعة أو مصطلح المسلمين.

د-الحقيقة و المجاز.

و نسمّي الأوّل أحيانا بـ (تسمية العرب) ، و الثاني بـ (تسمية الشارع) و الثالث بـ (تسمية المسلمين) و نقول:

أ-لغة العرب

إنّما نتحدّث عن لغة العرب، لأنّ القرآن نزل بلغتهم، فنقول:

إنّ جلّ الألفاظ العربيّة الّتي نستعملها اليوم، كانت شائعة في معانيها قبل الإسلام و بعد الإسلام حتّى اليوم، مثل: الأكل و النوم و اللّيل و النهار.

و من تكلم الألفاظ ما ورد في لغة العرب في معان متعدّدة، مثل لفظ:

(غنم) الّذي كان في البدء بمعنى كسب الغنم، ثمّ استعمل أيضا في لغة العرب بمعنى الفوز بالشيء بلا مشقّة، ثمّ استعمل في الإسلام في الفوز

بالشيء مطلقا، سواء أ كان الفوز بمشقّة أم دون مشقّة.

و قد يرد لفظ عند قبيلة بمعنى، و عند أخرى بمعنى آخر، مثل:

(الأثلب) فإنّه في لغة أهل الحجاز: الحجر، و في لغة تميم: التراب [1]
.

و في عصرنا يستعمل لفظ: (المبسوط) و يراد به عند العراقيين:

المضروب، و لدى الشاميّين و اللّبنانيّين: المسرور، و في مثل هذه الحالة يجب أن نقول مثلا: (الأثلب) في لغة تميم بمعنى كذا، و في لغة الحجازيين بمعنى كذا، و كذلك الأمر في (المبسوط) .

ب-المصطلح الشرعي أو «المصطلح الإسلامي»

عند ما بعث اللّه خاتم أنبيائه (ص) استعمل بعض الألفاظ العربيّة في غير معانيها الشّائعة لدى العرب، مثل: (الصلاة) الّتي كانت تستعمل في مطلق (الدعاء) و استعملها رسول اللّه (ص) في عبادة خاصّة لها قراءات خاصّة مقارنة بأفعال خاصّة من قيام و ركوع و سجود، ممّا لم تكن معروفة لدى العرب. و هذا ما نسمّيه بـ (المصطلح الشرعي أو الإسلامي) سواء في ذلك أ غيّر المعنى اللّغوي للّفظ مثل (الصلاة) أم جاء الشّارع الإسلاميّ بلفظ جديد في معنى جديد، مثل: (الرحمن) صفة للّه تعالى.

و يعرف (المصطلح الشرعي) بورود اللّفظ في معناه في القرآن الكريم أو الحديث النبويّ الشريف، و بدون ذلك لا يوجد المصطلح الشرعي.

إذا فالمصطلح الشرعيّ: ما استعمله الشارع في معنى خاصّ و بلّغ الرسول (ص) ذلك.

---

(1) تهذيب اللغة للأزهري، ط. القاهرة، سنة 1384 هـ، 15/91.

ج-مصطلح المتشرّعة أو «تسمية المسلمين»

من الألفاظ ما هي شائعة في معان خاصّة بها لدى المسلمين عامّة مثل:

(الاجتهاد) و (المجتهد) الشائعين لدى عامّة المسلمين في الفقه و الفقيه، و كان اللّفظان في لغة العرب بمعنى بذل الجهد في طلب الأمر [2] ، و باذل الجهد، و استعملا بنفس المعنى اللّغوي في حديث الرسول (ص) كما روي عن رسول اللّه (ص) أنه قال:

«فضل العالم على المجتهد مائة درجة» ، أي على المجتهد في العبادة [3] .

و في ما روي عن سيرته (ص) و قيل:

كان رسول اللّه يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره [4] .

و لم يرد (الاجتهاد) و (المجتهد) بمعنى: الفقه و الفقيه، في القرآن الكريم و لا الحديث النبويّ الشريف، و نسمّي هذا النوع من التسمية بـ (عرف المتشرّعة) و (تسمية المسلمين) .

و من هذا النوع من التسمية ما لا يكون شائعا لدى عامّة المسلمين، بل يكون شائعا لدى بعضهم، مثل كلمة: (صوم زكريّا) المستعمل لدى بعض المسلمين في الصّوم مع الالتزام بالصّمت و الامتناع عن التكلّم. و هذا النوع من المصطلح ينبغي أن نسمّيه باسم البلد الشائع فيه، فنقول: هذا اصطلاح المسلمين من أهل بغداد، أو اصطلاح المسلمين في القاهرة مثلا، و لا يصحّ أن نسمّيه بـ (اصطلاح المسلمين) أو (عرف المتشرّعة) أو (تسمية المسلمين) مطلقا

---

(2) مادة: (جهد) من نهاية اللغة لابن الاثير.
(3) مقدّمة سنن الدارمي، باب فضل العلم و العالم، ح 32، 1/100.
(4) صحيح مسلم، كتاب الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان، ح 1175.

و بدون تقييد.

و كذلك الأمر بالنسبة إلى التسمية الشائعة لدى أهل مذهب من المذاهب الإسلامية أو لدى فرقة تنتمي إلى الإسلام.

مثل: (الشاري) و (المشرك) لدى الخوارج؛ فـ (الشاري) عندهم بمثابة المجاهد عند كافّة المسلمين، و (المشرك) عندهم: جميع المسلمين و كلّ من لا ينتمي إلى الخوارج.

و مثل (الرافضي) الّذي ينبز به بعض أتباع مدرسة الخلفاء بعض أتباع مدرسة أهل البيت (ع) .

و (الناصبيّ) عند أتباع مدرسة أهل البيت (ع) الّذي يسمّون به: كل من يبغض الأئمة من أهل البيت (ع) .

و في مثل هذه الحالة، نسمّي الأول بـ (اصطلاح الخوارج) و الثاني بـ (اصطلاح مدرسة الخلفاء) و الثالث بـ (اصطلاح مدرسة أهل البيت) .

و بناء على ما ذكرنا، فإذا ورد لفظ (الناصبيّ) لدى أتباع مدرسة الخلفاء لا ينبغي أن نفهم منه أعداء أهل البيت (ع) . و كذلك إذا ورد لفظ (الشاري) عند غير الخوارج لا نفهم منه ما اصطلح عليه الخوارج.

د-الحقيقة و المجاز

إذا شاع استعمال اللّفظ في معناه، بحيث لم يتبادر إلى ذهن السّامع عند استماع الكلمة غير ذلك المعنى، مثل لفظ: (الأسد) الّذي يفهم منه: الحيوان المفترس، لا غيره. و مثل لفظ: (الصلاة) الّتي لا يفهم منها لدى المسلمين غير: القيام بالأعمال الخاصّة المقرونة بأذكار خاصّة.

في مثل هذه الحالة، يوصف (الأسد) بأنّه حقيقة في الحيوان المفترس، و (الصلاة) بأنّها حقيقة في الأعمال المخصوصة، و يسمّى الأول بـ (الحقيقة

اللغوية) و الثاني بـ (الحقيقة الشرعيّة) .

و قد يستعمل لفظ (الأسد) و يقصد به: الرجل الشجاع، و يقال:

رأيت أسدا يتكلّم في المسجد. و هذا الاستعمال يسمّى استعمالا مجازيا و يقال: استعمل (الأسد) مجازا في الرجل الشّجاع. و لا بدّ عند ذلك من وجود قرينة في الكلام أو في المقام، تدلّ على أنّه لم يقصد من (الأسد) المعنى الحقيقي، مثل قولك هنا: (يتكلّم في المسجد) فإنّ الأسد لا يتكلّم، و هذه قرينة على أنّ القائل لم يقصد الحيوان المفترس، و إنّما قصد رجلا شجاعا.

ثانيا-كيفيّة تأليف مجاميع اللّغة العربيّة

عند ما قام علماء اللّغة العربيّة بتدوين اللّغة العربيّة في القرنين الثاني و الثالث الهجريّين، سجّلوا أمام كلّ لفظ ما وجدوا له من معنى، منذ العصر الجاهليّ إلى زمانهم، سواء أ كان ذلك المعنى شائعا عند أهل اللغة أم في الشرع الإسلامي، أو لدى المسلمين، غير أنّ فقهاء المسلمين بذلوا جهدا مشكورا مدى القرون في تحديد المصطلحات الإسلاميّة الفقهيّة و تعريفها، مثل مصطلح الصلاة و الصّوم و الحجّ و غيرها، فأصبحت المصطلحات الإسلامية الفقهية معروفة لدى جميع المسلمين. و لمّا لم يبذل نظير ذلك الجهد في تعريف المصطلحات الإسلامية غير الفقهية، أصبح بعض المصطلحات غير معروف لدى المسلمين، أ هي من نوع الاصطلاح الشرعيّ؟أم من نوع تسمية المسلمين و اصطلاح المتشرّعة. و أدّى ذلك إلى اللّبس و الغموض في إدراك المفاهيم الإسلاميّة، و أحيانا في معرفة بعض الأحكام الشرعية، نظير ما وقع في لفظي الصحابيّ، و الصحابة، كما سندرسهما في ما يأتي.

البحث الأول بحوث المدرستين حول الصحبة و الصحابة

الفصل الأوّل تعريف الصحابي لدى المدرستين

تعريف الصحابي في مدرسة الخلفاء تعريف الصحابي بمدرسة أهل البيت (ع) ضابطتهم لمعرفة الصحابي مناقشة ضابطة معرفة الصحابي

تعريف الصحابيّ في مدرسة الخلفاء

قال ابن حجر في مقدّمة الإصابة، الفصل الأول في تعريف الصحابيّ:

الصحابيّ من لقي النبي (ص) مؤمنا به، و مات على الإسلام.

فيدخل في من لقيه من طالت مجالسته له أو قصرت، و من روى عنه أو لم يرو، و من غزا معه أو لم يغز، و من رآه رؤية و لو لم يجالسه، و من لم يره لعارض كالعمى [1] .

و ذكر في (ضابط يستفاد من معرفته صحبة جمع كثير) و قال: (إنّهم كانوا في الفتوح لا يؤمّرون إلاّ الصحابة) .

(و انّه لم يبق بمكة و لا الطّائف أحد في سنة عشر إلاّ أسلم و شهد مع النبي حجّة الوداع) و (أنّه لم يبق في الأوس و الخزرج أحد في آخر عهد النبي (ص) إلاّ دخل في الإسلام) و (ما مات النبيّ (ص) و أحد منهم يظهر

(1) الإصابة 1/10.

و هذا القول بمدرسة الخلفاء هو مصدر الشهيد الثاني حين قال في كتابه الدراية؛ الباب الرابع في بعض المصطلحات في أسماء الرجال و طبقاتهم: (الصحابيّ) من لقي النبيّ مؤمنا به و مات على الإسلام.

الكفر) [2] .

و إذا راجع باحث أجزاء كتابنا (خمسون و مائة صحابيّ مختلق) يرى مدى تسامحهم في ذلك و مبلغ ضرره على الحديث.

تعريف الصّحابيّ بمدرسة أهل البيت (ع)

إن مدرسة أهل البيت ترى أنّ تعريف الصحابي: هو ما ورد في قواميس اللغة العربية كالآتي:

الصاحب و جمعه: صحب، و أصحاب، و صحاب، و صحابة [3]

و (الصاحب: المعاشر [4] و الملازم [5]) ، (و لا يقال إلاّ لمن كثرت ملازمته) [6] ، (و انّ المصاحبة تقتضي طول لبثه) [7] .

و بما أنّ الصّحبة تكون بين اثنين، يتّضح لنا أنّه لا بدّ أن يضاف لفظ (الصاحب) و جمعه (الصحب و...) إلى اسم ما في الكلام، و كذلك ورد في القرآن في قوله تعالى: **يَا صَاحِبَيِ اَلسِّجْنِ** و **أَصْحَابُ مُوسىَ** ، و كان يقال في عصر الرسول (ص) : (صاحب رسول اللّه) و (أصحاب رسول اللّه) مضافا إلى رسول اللّه (ص) كما كان يقال: (أصحاب بيعة الشّجرة) و (أصحاب الصفّة) مضافا إلى غيره، و لم يكن لفظ الصاحب و الأصحاب يوم ذاك أسماء لأصحاب الرسول (ص) و لكنّ المسلمين من أصحاب مدرسة الخلافة تدرّجوا بعد ذلك في تسمية أصحاب رسول اللّه (ص) بالصحابيّ و الأصحاب، و على هذا فإنّ هذه التسمية من نوع (تسمية المسلمين) و (مصطلح المتشرّعة) .

---

(2) المصدر السابق ص 16 و قبله ص 13.
(3) راجع لسان العرب، مادة: (صحب) .
(4) راجع لسان العرب، مادة: (صحب) .
(5) مفردات الراغب، مادة: (صحب) .
(6) مفردات الراغب، مادة: (صحب) .
(7) مفردات الراغب، مادة: (صحب) .

كان هذا رأي المدرستين في تعريف الصحابي.

ضابطتهم لمعرفة الصحابيّ

ذكر مترجمو الصحابة بمدرسة الخلفاء ضابطة لمعرفة الصحابي، كما نقلها ابن حجر في الإصابة و قال:

و ممّا جاء عن الأئمة من الأقوال المجملة في الصفة الّتي يعرف بها كون الرجل صحابيّا و إن لم يرد التنصيص على ذلك، ما أورده ابن أبي شيبة في مصنّفه من طريق لا بأس به: أنّهم كانوا في الفتوح لا يؤمّرون إلاّ الصحابة [8] .

و الرواية الّتي جاءت من طريق لا بأس به بهذا الصدد هي الّتي رواها الطبريّ و ابن عساكر بسندهما، عن سيف، عن أبي عثمان، عن خالد و عبادة، قال فيها:

و كانت الرؤساء تكون من الصحابة حتى لا يجدوا من يحتمل ذلك [9] .

و في رواية أخرى عند الطبري عن سيف قال:

إنّ الخليفة عمر كان لا يعدل أن يؤمّر الصحابة إذا وجد من يجزي عنه في حربه. فإن لم يجد ففي التّابعين بإحسان، و لا يطمع من انبعث في الردّة في الرئاسة... [10] .

مناقشة ضابطة معرفة الصّحابي

إنّ مصدر الروايتين هو سيف المتّهم بالوضع و الزندقة [11] .

و سيف يروي الضابطة عن أبي عثمان، و أبو عثمان الّذي يروي عن

(8) الإصابة 1/13.
(9) الطبري ط. أوربا، 1/2151.
(10) الطبري ط: أوربا، 1/2457-2458.
(11) راجع ترجمة سيف في أول الجزء الأول من كتاب عبد اللّه بن سبأ.

خالد و عبادة في روايات سيف، تخيّله سيف: يزيد بن أسيد الغسّاني، و هذا الاسم من مختلقات سيف من الرواة [12] .

و مهما تكن حال الرواة الّذين رووا أمثال هذه الروايات، و كائنين من كانوا، فإنّ الواقع التاريخيّ يناقض ما ذكروا؛ فقد روى صاحب الأغاني و قال:

أسلم امرؤ القيس على يد عمر و ولاّه قبل أن يصلي للّه ركعة واحدة [13] .

و تفصيل الخبر في رواية بعدها عن عوف بن خارجة المرّي قال:

و اللّه إنّي لعند عمر بن الخطاب (رض) في خلافته، إذ أقبل رجل أفحج [14] أجلح أمعر يتخطّى رقاب الناس حتى قام بين يدي عمر، فحيّاه بتحيّة الخلافة.

فقال له عمر: فمن أنت؟ قال: أنا امرؤ نصرانيّ، أنا امرؤ القيس بن عدي الكلبي.

فعرفه عمر، فقال له: فما تريد؟ قال: الإسلام.

فعرضه عليه عمر، فقبله. ثمّ دعا له برمح فعقد له على من أسلم بالشّام من قضاعة [15] . فأدبر الشّيخ و اللّواء يهتزّ على رأسه-الحديث [16] .

---

(12) راجع مخطوطة (رواة مختلقون) للمؤلّف و كتاب عبد اللّه بن سبأ ط. بيروت سنة 1403 هـ 1/117.
(13) الأغاني، ط. ساسي، 14/158.
(14) الأفحج: من تدانت صدور قدميه و تباعد عقباه. و الأجلح: الّذي انحسر شعره عن جانبي رأسه. و الأمعر: قليل الشعر.
(15) قضاعة: قبائل كبيرة، منهم قبائل حيدان و بهراء و بلى و جهينة، ترجمتهم في جمهرة أنساب ابن حزم ص 440-460. و كانت ديارهم في الشحر ثمّ في نجران ثمّ في الشّام، فكان لهم ملك ما بين الشام و الحجاز إلى العراق، راجع مادة قضاعة، معجم قبائل العرب 3/957.
(16) الأغاني، ط. ساسي 14/157، و أوجزه ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ص 284.

و يخالفه-أيضا-ما في قصّة تأمير علقمة بن علاثة الكلبي بعد ارتداده، و قصّته كما في الأغاني و الإصابة [17] بترجمته ما يلي:

أسلم علقمة على عهد رسول اللّه و أدرك صحبته. ثمّ ارتدّ على عهد أبي بكر. فبعث أبو بكر إليه خالدا ففرّ منه.

قالوا: ثمّ رجع فأسلم.

و في الإصابة:

شرب الخمر على عهد عمر، فحدّه، فارتدّ و لحق بالروم. فأكرمه ملك الروم، قال له: أنت ابن عمّ عامر بن الطفيل. فغضب و قال: لا أراني أعرف إلاّ بعامر [18] . فرجع و أسلم.

و في الأغاني و الإصابة-و اللفظ للأوّل-:

لمّا قدم علقمة بن علاثة المدينة و كان قد ارتدّ عن الإسلام، و كان لخالد بن الوليد صديقا، فلقيه عمر بن الخطاب (رض) في المسجد في جوف اللّيل، و كان عمر (رض) يشبه بخالد، فسلّم عليه و ظنّ أنه خالد.

فقال له: عزلك؟ قال: كان ذلك.

(17) ترجمته في الإصابة 2/496-498، و الأغاني، ط. ساسي 15/56، و قصة تنافر علقمة و عامر في الأغاني 15/50-55، و في جمهرة ابن حزم ص 284.
(18) وقعت منافرة بين علقمة و عامر ذكرها الأخباريون، قال في الأغاني، ط. ساسي 15/50:

انّ علقمة كان قاعدا ذات يوم يبول، فبصر به عامر، فقال: لم أر كاليوم عورة رجل أقبح....

فقال علقمة: أما و اللّه ما وثبت على جاراتها و لا تنازل كناتها، يعرض بعامر....

فقال عامر: و اللّه لأنا أكرم منك حسبا و أثبت منك نسبا....

فقال علقمة: لأنا خير منك ليلا و نهارا.

فقال عامر: لأنا أحبّ إلى نسائك-إلى آخر القصة، في الأغاني، و ترجمة علقمة في الإصابة.

قال المؤلف:

و لذلك أنف علقمة من أن يكرم لأنه ابن عمّ عامر و يشتهر ذلك عنه.

قال: و اللّه ما هو إلا نفاسة عليك و حسدا لك.

فقال له عمر: فما عندك معونة على ذلك؟ قال: معاذ اللّه، إنّ لعمر علينا سمعا و طاعة و ما نخرج إلى خلافه.

فلمّا أصبح عمر (رض) أذن للنّاس، فدخل خالد و علقمة. فجلس علقمة إلى جنب خالد، فالتفت عمر إلى علقمة فقال له:

إيه يا علقمة، أنت القائل لخالد ما قلت؟ فالتفت علقمة إلى خالد، فقال:

يا أبا سليمان أ فعلتها؟ قال: ويحك!و اللّه ما لقيتك قبل ما ترى، و إنّي أراك لقيت الرجل.

قال: أراه و اللّه.

ثم التفت إلى عمر (رض) فقال:

يا أمير المؤمنين!ما سمعت إلاّ خيرا.

قال: أجل، فهل لك أن أوّليك حوران [19] ؟ قال: نعم.

فولاّه إياها فمات بها، فقال الحطيئة يرثيه-الحديث.

و زاد في الإصابة:

فقال عمر: لأن يكون من ورائي على مثل رأيك أحبّ إليّ من كذا و كذا.

كان ما نقلناه هو الواقع التاريخيّ غير أن علماء مدرسة الخلفاء استندوا إلى ما رووا و اكتشفوا ممّا رووا ضابطة لمعرفة صحابة رسول اللّه (ص) و أدخلوا

---

(19) حوران: كورة واسعة من أعمال دمشق ذات قرى كثيرة و مزارع. معجم البلدان 2/358.

في عداد الصّحابة مختلقات سيف بن عمر المتّهم بالزندقة ممّا درسناه في كتابنا (خمسون و مائة صحابيّ مختلق) .

بعد دراسة رأي المدرستين في تعريف الصحابيّ، ندرس في ما يأتي أمر عدالة الصّحابة لدى المدرستين.

الفصل الثانى عدالة الصحابة لدى المدرستين

ضابطة لمعرفة المؤمن و المنافق

رأي مدرسة الخلفاء في عدالة الصّحابة

ترى مدرسة الخلفاء أنّ الصّحابة كلّهم عدول، و ترجع إلى جميعهم في أخذ معالم دينها.

قال إمام أهل الجرح و التعديل الحافظ أبو حاتم الرازي [1] في تقدمة كتابه:

(فأما أصحاب رسول اللّه (ص) فهم الّذين شهدوا الوحي و التّنزيل، و عرفوا التّفسير و التّأويل، و هم الّذين اختارهم اللّه عزّ و جلّ لصحبة نبيّه (ص) و نصرته و إقامة دينه و إظهار حقّه، فرضيهم له صحابة، و جعلهم لنا أعلاما و قدوة، فحفظوا عنه (ص) ما بلّغهم عن اللّه عزّ و جلّ، و ما سنّ و شرع و حكم و قضى و ندب و أمر و نهى و حظر و أدّب، و وعوه و أتقنوه، ففقهوا في الدّين، و علموا أمر اللّه و نهيه و مراده، بمعاينة رسول اللّه (ص) و مشاهدتهم منه تفسير الكتاب و تأويله، و تلقّفهم منه و استنباطهم عنه؛ فشرّفهم اللّه عزّ و جلّ بما منّ عليهم و أكرمهم به من وضعه إيّاهم موضع

---

(1) هو أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة 327 هـ، و كتابه هذا (تقدمة المعرفة لكتاب الجرح و التعديل) ط. حيدرآباد سنة 1371 هـ، نقلنا ما أوردناه من ص 7-9 منه.

القدوة، فنفى عنهم الشكّ و الكذب و الغلط و الريبة و الفخر و اللّمز، و سمّاهم عدول الأمّة، فقال عزّ ذكره في محكم كتابه: **وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى اَلنَّاسِ** البقرة/143. ففسّر النبيّ (ص) عن اللّه عزّ ذكره قوله: **وَسَطاً** قال: عدلا. فكانوا عدول الأمّة، و أئمة الهدى، و حجج الدّين، و نقلة الكتاب و السنّة.

و ندب اللّه عزّ و جلّ إلى التمسّك بهديهم و الجري على منهاجهم و السلوك لسبيلهم و الاقتداء بهم، فقال: **وَ مَنْ يُشَاقِقِ اَلرَّسُولَ... وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ اَلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى...** [2] الآية، النساء/115.

و وجدنا النبيّ (ص) قد حضّ على التبليغ عنه في أخبار كثيرة و وجدناه يخاطب أصحابه فيها، منها أن دعا لهم فقال: «نضّر اللّه امرأ سمع مقالتي فحفظها و وعاها حتّى يبلغها غيره» . و قال (ص) في خطبته: «فليبلّغ الشاهد منكم الغائب» و قال: «بلّغوا عنّي و لو آية، و حدّثوا عني و لا حرج» .

ثمّ تفرّقت الصّحابة-رضي اللّه عنهم-في النواحي و الأمصار و الثغور، و في فتوح البلدان و المغازي و الإمارة و القضاء و الأحكام، فبثّ كلّ واحد منهم في ناحيته و البلد الّذي هو به ما وعاه و حفظه عن رسول اللّه (ص) [3] و أفتوا في ما سئلوا عنه ممّا حضرهم من جواب رسول اللّه (ص) عن نظائرها من المسائل، و جرّدوا أنفسهم مع تقدمة حسن النيّة و القربة إلى اللّه تقدّس اسمه لتعليم الناس الفرائض و الأحكام و السنن الحلال و الحرام، حتّى قبضهم اللّه عزّ و جلّ. رضوان اللّه و مغفرته و رحمته عليهم أجمعين.

---

(2) ترى مدرسة أهل البيت أنّ المقصود من كل ذلك: المؤمنون منهم، كما نصّت الآية عليه، و سيأتي مزيد بيانه إن شاء اللّه تعالى.

(3) سترى في ما يأتي إن شاء اللّه أنّ مدرسة الخلافة منعت نشر حديث الرسول و خاصة كتابته إلى رأس المائة من الهجرة!

و قال ابن عبد البرّ في مقدمة كتابه: الاستيعاب [4] :

(ثبتت عدالة جميعهم) . ثمّ أخذ بإيراد آيات و أحاديث وردت في حقّ المؤمنين منهم نظير ما أوردناه من الرازي.

و قال ابن الاثير في مقدمته لكتاب أسد الغابة [5] :

(... إنّ السنن الّتي عليها مدار تفصيل الأحكام و معرفة الحلال و الحرام إلى غير ذلك من أمور الدّين، إنّما ثبتت بعد معرفة رجال أسانيدها و رواتها، و أوّلهم و المقدّم عليهم أصحاب رسول اللّه (ص) فإذا جهلهم الإنسان كان بغيرهم أشدّ جهلا و أعظم إنكارا، فينبغي أن يعرفوا بأنسابهم و أحوالهم...

و الصّحابة يشاركون سائر الرواة في جميع ذلك إلاّ في الجرح و التعديل، فإنّهم كلّهم عدول لا يتطرّق إليهم الجرح...) .

و قال الحافظ ابن حجر في الفصل الثالث، في بيان حال الصّحابة من العدالة، من مقدمة الإصابة [6] :

(اتّفق أهل السنّة على أنّ الجميع عدول، و لم يخالف في ذلك إلاّ شذوذ من المبتدعة...) .

و روى عن أبي زرعة أنّه قال:

(إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول اللّه (ص) فاعلم أنّه

---

(4) الاستيعاب فى أسماء الاصحاب للحافظ المحدث أبي عمر يوسف بن عبد اللّه بن محمد بن عبد البرّ النمري القرطبى المالكي (368-463 هـ) .

(5) أسد الغابة في معرفة الصحابة لأبي الحسن عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الجزريّ المعروف بابن الأثير (ت: 630 هـ) ، 1/3.

(6) الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني الشافعي المعروف بابن حجر (773-852 هـ) و قد رجعنا إلى ط. المكتبة التجارية سنة 1358 هـ بمصر، 1/17-22.

زنديق، و ذلك أنّ الرسول حقّ، و القرآن حقّ، و ما جاء به حقّ، و إنّما أدّى ذلك إلينا كلّه الصّحابة، و هؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب و السنّة، و الجرح بهم أولى و هم زنادقة) [7] .

كان هذا رأي مدرسة الخلفاء في عدالة الصّحابة، و في ما يلي رأي مدرسة أهل البيت (ع) في ذلك.

رأي مدرسة أهل البيت (ع) في عدالة الصّحابة

ترى مدرسة أهل البيت تبعا للقرآن الكريم: أنّ في الصّحابة مؤمنين أثنى عليهم اللّه في القرآن الكريم و قال في بيعة الشجرة مثلا: **لَقَدْ رَضِيَ اَللّٰهُ عَنِ اَلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ اَلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ اَلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَ أَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً** الفتح/18. فقد خصّ اللّه الثّناء بالمؤمنين ممّن حضروا بيعة الشجرة و لم يشمل المنافقين الّذين حضروها مثل عبد اللّه بن أبيّ و أوس بن خولي [8] .

و كذلك تبعا للقرآن ترى فيهم منافقين ذمّهم اللّه في آيات كثيرة مثل قوله تعالى:

وَ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ اَلْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَ مِنْ أَهْلِ اَلْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى اَلنِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ التوبة/101.

---

(7) الإصابة 1/18. و أبو زرعة: هو عبيد اللّه بن عبد الكريم بن يزيد. قال ابن حجر في تقريب التهذيب 2/536 الترجمة 1479: إمام حافظ ثقة مشهور من الطبقة الحادية عشرة من الرواة. مات سنة أربع و ستّين و مأتين، و روى عنه من أصحاب الصحاح مسلم و الترمذي و النسائي و ابن ماجة.

أقول: لست أدري ما ذا يقول الإمام أبو زرعة في حقّ المنافقين من أصحاب رسول اللّه (ص) .

(8) راجع خبر بيعة الشجرة بيعة الرضوان في مغازي الواقدي ص 604. و إمتاع الاسماع للمقريزي ص 291.

و فيهم من أخبر اللّه عنهم بالإفك، أي من رموا فراش رسول اللّه (ص) بالإفك [9] -نعوذ باللّه من هذا القول-و فيهم من أخبر اللّه عنهم بقوله: **وَ إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً اِنْفَضُّوا إِلَيْهَا وَ تَرَكُوكَ قَائِماً** الجمعة/11. و كان ذلك عند ما كان رسول اللّه قائماً في مسجده يخطب خطبة الجمعة.

و فيهم من قصد اغتيال رسول اللّه في عقبة هرشى عند رجوعه من غزوة تبوك [10] ، أو من حجّة الوداع [11] .

و إنّ التشرف بصحبة النبيّ (ص) ليس أكثر امتيازا من التشرف بالزواج بالنبيّ (ص) ، فإن مصاحبتهن له كانت من أعلى درجات الصحبة، و قد قال اللّه تعالى في شأنهن:

يَا نِسَاءَ اَلنَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا اَلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اَللَّهِ يَسِيراً `وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ تَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَ أَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً `يَا نِسَاءَ اَلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ اَلنِّسَاءِ... الأحزاب/30-32.

و قال في اثنتين منهنّ:

إِنْ تَتُوبَا إِلَى اَللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَ إِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اَللَّهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ اَلْمُؤْمِنِينَ وَ اَلْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ -إلى قوله تعالى: -

---

(9) إشارة إلى قصة الإفك التي نزلت في شأنها الآيات 11-17 من سورة النور في براءة أمّ المؤمنين عائشة عمّا رميت به كما روتها هي، أو في براءة مارية عما رميت به على قول غيرها، كما في الجزء الثاني من أحاديث أمّ المؤمنين عائشة.

(10) مسند أحمد 5/390 و 453. و راجع صحيح مسلم 8/122-123، باب صفات المنافقين. و مجمع الزوائد 1/110 و 6/195. و مغازي الواقدي 3/1042. و إمتاع الأسماع للمقريزي ص 477، و في تفسير، **وَ هَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا** الآية 74 من سورة التوبة بتفسير الدر المنثور للسيوطي 3/258-259.

(11) ورد في أحاديث الشيعة أنّ ذلك كان عند مرجعه من حجّة الوداع و بمناسبة واقعة غدير خم بأرض الجحفة. راجع البحار، ط. المكتبة الإسلامية بطهران سنة 1392 هـ، 28/97

ضَرَبَ اَللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَتَ نُوحٍ وَ اِمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اَللَّهِ شَيْئاً وَ قِيلَ اُدْخُلاَ اَلنَّارَ مَعَ اَلدَّاخِلِينَ `وَ ضَرَبَ اَللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ اِبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي اَلْجَنَّةِ... وَ مَرْيَمَ اِبْنَتَ عِمْرَانَ...) التحريم من أوّل السورة إلى آخرها.

و منهم من أخبر عنهم الرسول (ص) في قوله عن يوم القيامة:

«و إنّه يجاء برجال من أمّتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا ربّ أصيحابي. فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح: **وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ اَلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ** المائدة/117. فيقال: إنَّ هؤلاء لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم» (12)

و في رواية:

«ليردنّ عليّ ناس من أصحابي الحوض حتّى عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي. فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك» (13) .

و في صحيح مسلم:

ليردنّ عليّ الحوض رجال ممّن صاحبني حتّى إذا رأيتهم و رفعوا إليّ اختلجوا دوني، فلأقولنّ: أي ربّ أصيحابي. فليقالنّ لي: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (14) .

---

(12) صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة، باب و كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلمّا توفيتني، و كتاب الأنبياء، باب و اتّخذ اللّه إبراهيم خليلا. و الترمذي، أبواب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الحشر، و تفسير سورة طه.

(13) البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض، 4/95، و راجع كتاب الفتن، باب ما جاء في قول اللّه تعالى: **وَ اِتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ...** الأنفال/25. منه. و ابن ماجة، كتاب المناسك، باب الخطبة يوم النحر، ح 5830. و راجع مسند أحمد 1/453 و 3/28 و 5/48.

(14) صحيح مسلم كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا، 4/1800 ح 40.

ضابطة لمعرفة المؤمن و المنافق

لمّا كان في الصحابة منافقون لا يعلمهم إلاّ اللّه، و قد أخبر نبيّه بأنّ عليّا لا يحبّه إلاّ مؤمن و لا يبغضه إلاّ منافق، كما رواه الإمام عليّ (ع) [15]

و أمّ المؤمنين أمّ سلمة [16] و عبد اللّه بن عباس [17] ، و أبو ذرّ الغفاري [18] ،

---

(15) الإمام علي ابن عمّ الرسول أبي طالب بن عبد المطّلب: ولد في جوف الكعبة، كما رواه الحاكم في المستدرك 3/483، و المالكي في الفصول المهمة. و ابن المغازلي الشافعي (ت:

483 هـ) في المناقب، ح 3 ص 7. و الشبلنجي في نور الأبصار ص 96. و كانت ولادته في 13 رجب سنة ثلاثين من عام الفيل. و بايعه المهاجرون و الأنصار سنة 35 هـ. و ضربه ابن ملجم المرادي ليلة التاسعة عشرة من شهر رمضان سنة 40 للهجرة في محراب مسجد الكوفة، و توفّي في يوم 21 منه. روى عنه أصحاب الصحاح 536 حديثا. راجع ترجمته في الاستيعاب و أسد الغابة و الإصابة و ص 276 من جوامع السيرة.

و روايته في المنافقين في صحيح مسلم 1/61، باب الدليل على أنّ حبّ الأنصار و عليّ من الإيمان و بغضهم من علامات النفاق. و صحيح الترمذي 13/177، باب مناقب عليّ. و سنن ابن ماجة الباب الحادي عشر من مقدمته. و سنن النسائي 2/271، باب علامة المؤمن و باب علامة المنافق كتاب الإيمان و شرائعه و خصائص النسائي ص 38. و مسند أحمد 1/84 و 95 و 128. و تاريخ بغداد 2/255 و 8/417، و 16/426. و حلية الأولياء لأبي نعيم 4/185 و قال: حديث صحيح متّفق عليه. و تاريخ الإسلام للذهبي 2/198. و تاريخ ابن كثير 7/354، و بترجمته في كلّ من الاستيعاب 2/461 و أسد الغابة 4/292. و كنز العمّال 15/105. و الرياض النضرة 2/284. و المناقب لابن المغازلي، ح 225، ص 190.

(16) أمّ سلمة هند ابنة أبي أميّة بن المغيرة القرشي المخزومي: كانت قبل رسول اللّه (ص) عند أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، أسلما قديما و هاجرا إلى الحبشة ثمّ إلى المدينة. و لمّا جرح أبو سلمة بأحد و توفّي سنة ثلاث من الهجرة، تزوّجها رسول اللّه و كانت مصبية، و توفّيت بعد قتل الحسين سنة إحدى و ستين. روى عنها أصحاب الصحاح 378 حديثا. راجع ترجمتها و ترجمة زوجها بأسد الغابة، و جوامع السيرة، ص 276، و تقريب التهذيب، 2/617.

و حديثها في شأن المنافقين في سنن الترمذي 13/168. و مسند أحمد 6/292. و الاستيعاب 2/460، بطرق متعددة. و تاريخ ابن كثير 7/354. و كنز العمّال ط. الأولى 6/158.

(17) عبد اللّه ابن عمّ النبيّ العباس بن عبد المطّلب، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، و توفّي سنة ثمان و ستّين بالطائف، و روى عنه أصحاب الصحاح 1660 حديثا. ترجمته بأسد الغابة -الإصابة و جوامع السيرة ص 276.

(18) أبو ذرّ جندب أو بريد بن جنادة أو عبد اللّه أو السكن أو غير ذلك: تقدم إسلامه و تأخّرت

و أنس بن مالك [19] ، و عمران بن حصين [20] . و كان ذلك شائعا و مشهورا في عصر رسول اللّه (ص) :

قال أبو ذرّ: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ بتكذيبهم اللّه و رسوله و التخلّف عن الصّلوات و البغض لعليّ بن أبي طالب [21] .

و قال أبو سعيد الخدري: إنّا كنّا لنعرف المنافقين-نحن معاشر الأنصار-ببغضهم عليّ بن أبي طالب [22] .

و قال عبد اللّه بن عبّاس: إنّا كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول اللّه (ص) ببغضهم عليّ بن أبي طالب [23] .

قهجرته، فشهد ما بعد بدر من غزوات رسول اللّه. توفّي منفيّا بالربذة سنة اثنتين و ثلاثين من الهجرة. روى عنه أصحاب الصحاح 281 حديثا. ترجمته في التقريب 2/420. و جوامع السيرة ص 277. و الجزء الثاني من عبد اللّه بن سبأ.

(19) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي: روى هو أنه خدم النبيّ عشر سنين، كان يخلق ذراعيه بخلوق للمعة بياض كانت به، و كان ذلك من دعاء الإمام عليّ عليه لكتمانه الشهادة بحديث الغدير أن يضربه اللّه ببيضاء لا تواريها العمامة، أشار إليه في الأعلاق النفيسة ص 122، و تفصيله بشرح نهج البلاغة 4/388، و توفي في البصرة بعد التسعين. روى عنه أصحاب الصحاح 2286 حديثا. ترجمته بأسد الغابة. و التقريب. و جوامع السيرة ص 276. و روايته في شأن المنافقين بكنز العمال ط. الأولى 7/140.

(20) أبو نجيد عمران بن حصين الخزاعي الكعبي: أسلم عام خيبر، و صحب الرسول و قضى بالكوفة، و توفّي بالبصرة سنة 52. روى عنه أصحاب الصّحاح 180 حديثا. و روايته بشأن المنافقين بكنز العمّال، ط. الأولى 7/140. ترجمته في التقريب 2/72. و جوامع السيرة ص 277.

(21) مستدرك الصحيحين 3/129. و كنز العمال 15/91

(22) أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الخزرجي الخدري: شهد الخندق و ما بعدها. مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس و ستّين و قيل: سنة أربع و سبعين. و روى عنه أصحاب الصحاح 1170 حديثا. ترجمته بأسد الغابة 2/289، و التقريب 1/289. و جوامع السيرة ص 276. و حديثه في شأن المنافقين في صحيح الترمذي 13/167. و حلية أبي نعيم 6/284.

(23) في تاريخ بغداد 3/153، قال: كانوا عند ابن مسعود فتلا ابن عباس: **يُعْجِبُ اَلزُّرّٰاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ اَلْكُفّٰارَ** الفتح/29. قال: على بن أبي طالب. ثمّ قال: إنّا كنّا نعرف-الحديث.

و قال جابر بن عبد اللّه الأنصاريّ: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغض عليّ بن أبي طالب [24] .

لهذا كلّه و لقول رسول اللّه (ص) في حقّ الإمام عليّ (ع) :

«اللهمّ وال من والاه و عاد من عاداه» [25] .

فهم يحتاطون في أخذ معالم دينهم من صحابيّ عادى عليّا و لم يواله، حذرا من أن يكون الصحابيّ من المنافقين الّذين لا يعلمهم إلاّ اللّه.

---

(24) جابر بن عبد اللّه بن عمرو الأنصاري السلمي: صحابيّ ابن صحابيّ، شهد بيعة العقبة مع أبيه، و شهد 17 غزوة مع النبيّ و صفّين مع الإمام عليّ، و مات بالمدينة بعد السبعين.

روى عنه أصحاب الصحاح 1540 حديثا. ترجمته بأسد الغابة 1/256-257. و التقريب 1/122. و جوامع السيرة ص 276. و روايته في شأن المنافقين في الاستيعاب 2/464.

و الرياض النضرة 2/284. و في تاريخ الذهبي 2/198 و لفظه: (ما كنّا نعرف منافقي هذه الأمّة) . و في مجمع الزوائد 9/133 و لفظه: (ما كنّا نعرف منافقينا معشر الأنصار...) .

(25) سنن الترمذي 13/165 باب مناقب علي. و سنن ابن ماجة باب فضل عليّ، الحديث المرقم 116. و خصائص النسائي ص 4 و 30. و مسند أحمد 1/84 و 88 و 118 و 119 و 152 و 330 و 4/281 و 368 و 370 و 372 و 5/307 و 347 و 350 و 358 و 361 و 366 و 419 و 568. و مستدرك الصحيحين 2/129 و 3/9. و الرياض النضرة 2/222-225.

و تاريخ بغداد 7/377 و 8/290 و 12/343. و مصادر أخرى كثيرة.

الفصل الثالث خلاصة بحث الصحابة لدى المدرستين

الصحابي و عدالته في مدرسة الخلفاء الصحابي في مدرسة أهل البيت (ع)

الصّحابيّ و عدالته في مدرسة الخلافة

ترى مدرسة الخلفاء أنّ الصحابيّ من لقي النبيّ (ص) مؤمنا به، و لو ساعة من نهار، و مات على الإسلام.

و أنّه لم يبق بمكّة و الطائف أحد سنة عشر إلاّ أسلم و شهد مع النبي (ص) حجّة الوداع.

و أنّه لم يبق في الأوس و الخزرج أحد في آخر عهد النبيّ (ص) إلاّ دخل في الإسلام.

و أنّهم (كانوا في الفتوح لا يؤمّرون إلاّ الصحابة) و بهذه القاعدة عدّوا جمعا في عداد الصّحابة ممّن برهنّا في كتابنا (خمسون و مائة صحابيّ مختلق) أنّهم مختلقون و لم يكن لهم وجود في التاريخ.

و ترى أنّ جميع الصّحابة عدول لا يتطرق إليهم الجرح، و من انتقص أحدا منهم فهو من الزنادقة، ثمّ يلتزمون بصحّة كلّ ما رواه من سمّي في اصطلاحهم بالصحابيّ، و يأخذون من جميعهم معالم دينهم.

الصحابيّ في مدرسة أهل البيت (ع)

ترى مدرسة أهل البيت (ع) أن لفظ الصحابيّ ليس مصطلحا شرعيّا، و إنّما شأنه شأن سائر مفردات اللّغة العربية، و (الصاحب) في لغة العرب بمعنى الملازم و المعاشر و لا يقال إلاّ لمن كثرت ملازمته، و الصّحبة نسبة بين اثنين، و لذلك لا يستعمل الصاحب و جمعه الأصحاب و الصحابة في الكلام إلاّ مضافا، كما ورد في القرآن الكريم **يَا صَاحِبَيِ اَلسِّجْنِ** و **أَصْحَابُ مُوسىَ** . و كذلك كان يستعمل في عصر الرسول (ص) و يقال: صاحب رسول اللّه، و أصحاب رسول اللّه، مضافا إلى رسول اللّه (ص) أو مضافا إلى غيره، مثل قولهم (أصحاب الصّفّة) لمن كانوا يسكنون صفّة مسجد الرسول (ص) ثمّ استعمل الصحابيّ بعد رسول اللّه (ص) بلا مضاف إليه و قصد به أصحاب رسول اللّه (ص) و صار اسما لهم، و على هذا فإنّ (الصحابي) و (الصحابة) من اصطلاح المتشرّعة و تسمية المسلمين و ليس اصطلاحا شرعيّا.

أمّا عدالتهم؛ فإنّ مدرسة أهل البيت ترى، تبعا للقرآن الكريم، أنّ في الصّحابة منافقين مردوا على النفاق، و رموا فراش رسول اللّه (ص) بالإفك، و حاولوا اغتيال رسول اللّه (ص) و أخبر عنهم الرسول أنّهم يوم القيامة يختلجون دون رسول اللّه (ص) فينادي: أصيحابي أصيحابي، فيقال له:

إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم.

و أنّ منهم مؤمنين أثنى اللّه عليهم و الرسول (ص) في أحاديثه، و أنّهم المقصودون في ما ورد من الثناء في القرآن و الحديث، و قد عيّن النبيّ (ص) العلامة الفارقة بين المؤمن و المنافق: حبّ الإمام عليّ و بغضه، و من ثمّ فإنّهم

ينظرون في حال الراوي فإن كان ممّن قاتل الإمام عليّا أو الأئمة من أهل البيت (ع) و عاداهم فإنّهم لا يلتزمون بأخذ ما يروي أمثال هؤلاء، صحابيا كان أو غير صحابيّ.

كان هذا رأي المدرستين في تعريف الصّحابي و عدالته. و في ما يأتي بحوثهما في الإمامة و الخلافة.

البحث الثاني بحوث المدرستين في الامامة

الواقع التاريخي لقيام الخلافة في صدر الاسلام.

بحوث مدرسة الخلفاء في الإمامة.

بحوث مدرسة أهل البيت (ع) في الإمامة.

خلاصة بحث الإمامة لدى المدرستين.

الفصل الأول الواقع التاريخي لقيام الخلافة في صدر الإسلام

ينبغي لنا قبل الشّروع في دراسة رأي المدرستين في الإمامة و الخلافة، أن ندرس الواقع التاريخيّ لإقامة الخلافة في صدر الإسلام، فنقول:

بدئ الخلاف في أمر الحكم في الإسلام يوم وفاة رسول اللّه (ص) . فقد كان رسول اللّه (ص) عقد لواء بيده لمولاه و ابن مولاه أسامة بن زيد لحرب الرّوم، و أمّره على جيش لم يبق أحد من وجوه المهاجرين الأولين و الأنصار إلا انتدب فيه، فيهم أبو بكر، و عمر بن الخطاب، و أبو عبيدة، و سعد بن أبي وقّاص، و سعيد بن زيد.... فعسكر بالجرف-موضع على ثلاثة أميال من المدينة-فتكلّم قوم و قالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأوّلين! فغضب رسول اللّه (ص) غضبا شديدا، و خرج معصبا، عليه قطيفة، فصعد المنبر و قال:

«ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة؟و لقد طعنتم في إمارة أبيه قبله. و أيم اللّه إن كان للإمارة خليقا، و إنّ ابنه من بعده لخليق للإمارة» .

ثمّ نزل. و جاءه الّذين يخرجون مع أسامة يودّعونه و يمضون إلى المعسكر.

و ثقل رسول اللّه (ص) ، و جعل يقول:

«أنفذوا بعث أسامة» .

فلمّا كان يوم الأحد اشتدّ برسول اللّه (ص) وجعه.

و في يوم الاثنين أمر أسامة الجيش بالرحيل، فجاءهم الخبر أنّ رسول اللّه (ص) يموت. فأقبل أسامة و عمر و أبو عبيدة إلى المدينة [1] .

أمر كتابة وصية رسول اللّه (ص)

روى ابن عبّاس و قال:

لمّا حضر النبيّ (ص) و في البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال:

«هلمّ أكتب لكم كتابا لن تضلّوا بعده» .

قال عمر: إنّ النبيّ غلبه الوجع و عندكم كتاب اللّه، فحسبنا كتاب اللّه. و اختلف أهل البيت، فمنهم من يقول ما قال عمر. فلمّا أكثروا اللّغط و الاختلاف قال:

«قوموا عنّي، لا ينبغي عندي التّنازع» [2] .

و في رواية:

بكى ابن عباس حتى خضب دمعه الحصباء فقال: اشتدّ برسول اللّه (ص) وجعه، فقال:

«آتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلّوا بعده أبدا» . فتنازعوا و لا ينبغي عند نبيّ التنازع فقالوا: هجر رسول اللّه (ص) ... [3] .

---

(1) أوردتها ملخّصة من طبقات ابن سعد ط. بيروت، 2/190-192. و راجع بقية مصادره في باب بعث أسامة من عبد اللّه بن سبأ، الجزء الأوّل.

(2) البخاري، كتاب العلم، باب كتابة العلم، 1/22-23.

(3) البخاري، باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد، 2/120. و كتاب الجزية، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب. و في صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ترك الوصية. و راجع سائر مصادر الخبر و نصوصه في أوّل خبر السقيفة في حديث غير سيف من كتاب عبد اللّه بن سبأ ط. الخامسة، بيروت، سنة 1403 هـ، 1/98-102.

و في رواية:

فكان ابن عبّاس يقول: إن الرزيّة كلّ الرزيّة ما حال بين رسول اللّه (ص) و بين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم و لغطهم [4] .

موقف الخليفة عمر في وفاة الرسول (ص)

توفّي رسول اللّه (ص) نصف النّهار يوم الاثنين و أبو بكر غائب بالسّنح، و عمر حاضر، فاستأذن عمر و دخل عليه مع المغيرة بن شعبة، و كشف الثوب عن وجهه، و قال عمر:

وا غشياه، ما أشدّ غشي رسول اللّه (ص) .

فقال المغيرة: مات و اللّه رسول اللّه (ص) .

فقال عمر: كذبت، ما مات رسول اللّه (ص) ، و لكنّك رجل تحوسك فتنة، و لن يموت رسول اللّه حتى يفني المنافقين [5] .

أخذ عمر يقول: إنّ رجالا من المنافقين يزعمون أنّ رسول اللّه توفّي، إنّ رسول اللّه ما مات، و لكنّه ذهب إلى ربّه، كما ذهب موسى عن قومه، و غاب أربعين ليلة. و اللّه ليرجعنّ رسول اللّه فليقطعنّ أيدي رجال و أرجل من يزعمون أنّه مات [6] .

من قال إنّه مات، علوت رأسه بسيفي، و إنّما ارتفع إلى السماء [7] .

---

(4) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب و السنة، باب كراهية الخلاف، و باب قول المريض: قوموا عنّي، من كتاب المرضى. و في باب مرض النبي من كتاب المغازي، و بآخر باب ترك الوصية من كتاب الوصية من صحيح مسلم. و سائر مصادره في كتاب عبد اللّه بن سبأ 1/101.
(5) مسند أحمد 6/219. و سائر مصادره في عبد اللّه بن سبأ 1/102-103.
(6) تاريخ الطبري ط. أوربا، 1/1818.
(7) تاريخ أبي الفداء 1/164.

فتلي عليه في المسجد:

وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ اَلرُّسُلُ أَ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ اِنْقَلَبْتُمْ عَلىَ أَعْقَابِكُمْ [8] .

و قال العبّاس بن عبد المطلب: إنّ رسول اللّه قد مات و إنّي رأيت في وجهه ما لم أزل أعرفه في وجوه بني عبد المطّلب عند الموت، و قال: هل عند أحدكم عهد من رسول اللّه (ص) في وفاته فليحدّثنا؟قالوا: لا. فقال:

اشهدوا أيّها الناس أنّ أحدا لا يشهد على رسول اللّه بعهد عهد إليه في وفاته... [9] .

فما زال عمر يتكلّم حتّى ازبدّ شدقاه [10] ، حتّى جاء الخليفة أبو بكر من السنح و تلا: **وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ اَلرُّسُلُ** -الآية.

فقال عمر: هذا في كتاب اللّه؟قال: نعم. فسكت عمر [11] .

السّقيفة و بيعة أبي بكر

اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، و تبعهم جماعة من المهاجرين،

(8) رواه ابن سعد في طبقاته 2/ق 2/57، و في كنز العمّال 4/53 ح 1092. و ابن كثير في 5/243 من تاريخه. و رواه الأميني في غديره عن شرح المواهب للزرقاني 8/281. و راجع ابن ماجة ح 627. و الآية: 144 من سورة آل عمران.
(9) رواه ابن سعد في طبقاته 2/ق 2/57. و ابن كثير في تاريخه 5/243. و في السيرة الحلبية 3/390-391. و كنز العمال 4/53، ح 1092. و التمهيد للباقلاني ص 192-193.
(10) أنساب الأشراف 1/567، و ابن سعد 2/ق 2/53. و كنز العمّال 4/53. و تاريخ الخميس 2/185. و السيرة الحلبية 3/392.
(11) الطبقات لابن سعد 2/ق 2/54. و الطبري 1/1817-1818. و ابن كثير 5/243. و السيرة الحلبية 3/392. و ابن ماجة، ح 1627. و إنّ هذه الآية الّتي قرأها على عمر هي التي كان ابن أمّ مكتوم قد قرأها عليه قبل ذلك. و كان التشكيك في موت الرسول يوم وفاته من خصائص الخليفة عمر بن الخطاب، فإنّ أصحاب السير و المؤرّخين لم يذكروا هذا التشكيك عن غيره.

و لم يبق حول رسول اللّه إلاّ أقاربه، و هم تولّوا غسله و تكفينه و هم: عليّ، و العبّاس، و ابناه الفضل و قثم، و أسامة بن زيد، و صالح مولى رسول اللّه، و أوس بن خولي الأنصاري [12] .

السقيفة برواية الخليفة عمر

قال: إنّه كان من خبرنا حين توفّى اللّه نبيّه، أنّ الأنصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، و خالف عنّا عليّ و الزبير و من معهما، فقلت لأبي بكر:

انطلق بنا إلى إخواننا الأنصار. فانطلقنا حتّى أتيناهم، فإذا رجل مزمّل، فقالوا: هذا سعد بن عبادة يوعك، فلمّا جلسنا قليلا، تشهّد خطيبهم فأثنى على اللّه، ثمّ قال: أمّا بعد، فنحن أنصار اللّه و كتيبة الإسلام، و أنتم معشر المهاجرين رهط.... فأردت أن أتكلّم، فقال أبو بكر: على رسلك. فتكلّم هو، و اللّه ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلاّ قال في بديهته مثلها أو أفضل؛ قال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، و لن يعرف هذا الأمر إلاّ لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسبا و دارا، و قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيّهما شئتم. فأخذ بيدي و بيد أبي عبيدة، فلم أكره ممّا قال غيرها، فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكّك و عذيقها المرجب، منّا أمير و منكم أمير يا معشر قريش. فكثر اللّغط و ارتفعت الأصوات، حتّى فرقت من الاختلاف فقلت: أبسط يدك يا أبا بكر. فبسط يده فبايعته و بايعه المهاجرون، ثمّ بايعته الأنصار و نزونا على سعد بن عبادة- إلى قوله-فمن بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو و لا الّذي بايعه، تغرة أن يقتلا [13] .

---

(12) راجع النصّ لابن سعد في الطبقات 2/ق 2/70. و في البدء و التاريخ قريب منه.

و كنز العمال 4/54 و 60، و هذه عبارته: (ولي دفنه و إجنانه أربعة من الناس) ثم ذكر ما أوردناه.

و العقد الفريد 3/61. و قريب منه نصّ الذهبي في تاريخه 1/321 و 324 و 326.

(13) صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزّنا، 4/120.

روى الطبري [14] في ذكر خبر السّقيفة و بيعة أبي بكر و قال:

اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة، و تركوا جنازة الرّسول يغسله أهله، فقالوا: نولّي هذا الأمر بعد محمّد، سعد بن عبادة. و أخرجوا سعدا إليهم و هو مريض...

فحمد الله و أثنى عليه، و ذكر سابقة الأنصار في الدين و فضيلتهم في الإسلام، و إعزازهم للنبي و أصحابه و جهادهم لأعدائه، حتّى استقامت العرب، و توفّي الرسول و هو عنهم راض، و قال: استبدّوا بهذا الأمر دون النّاس. فأجابوه بأجمعهم أن قد وفّقت في الرأي، و أصبت في القول، و لن نعدو ما رأيت، نولّيك هذا الأمر. ثمّ إنهم ترادّوا الكلام بينهم، فقالوا: فإن أبت مهاجرة قريش فقالوا: نحن المهاجرون و صحابة رسول اللّه الأوّلون، و نحن عشيرته و أولياؤه، فعلام تنازعوننا هذا الأمر بعده؟فقالت طائفة منهم:

فإنّا نقول إذا: منّا أمير و منكم أمير. فقال سعد بن عبادة: هذا أوّل الوهن [15] .

سمع أبو بكر و عمر بذلك، فأسرعا إلى السّقيفة مع أبي عبيدة بن الجرّاح و انحاز معهم أسيد بن حضير [16] و عويم بن ساعدة [17] و عاصم بن

---

(14) نقلنا هذا الخبر ملخصا من تاريخ الطبري في ذكره حوادث بعد وفاة الرسول، و ما كان من غير الطبري أشرنا إليه في الهامش. و قد أوردنا تفصيل الخبر في كتاب عبد اللّه بن سبأ الجزء 1.
(15) الطبري في ذكره لحوادث سنة 11 هـ، 2/456، و ط. أوربا 1/1838، عن عبد اللّه بن عبد الرّحمن بن أبي عمرة الأنصاري. و ابن الاثير 2/125. و تاريخ الخلفاء لابن قتيبة 1/5، قريب منه. و أبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة في الجزء الثاني من شرح ابن أبي الحديد في خطبة (و من كلام له في معنى الأنصار) .
(16) ورد اسمه في سيرة ابن هشام 4/335، و أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي، شهد العقبة الثانية و كان ممّن ثبت في أحد، و شهد جميع مشاهد النبيّ، و كان أبو بكر لا يقدم أحدا من الأنصار عليه. توفي سنة 20 أو 21 هـ فحمل عمر نعشه بنفسه. روى عنه أصحاب الصحاح 18 حديثا. ترجمته في الاستيعاب 1/31-33. و الإصابة 1/64. و جوامع السيرة ص 283.
(17) عويم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن مالك بن عوف بن

عديّ [18] من بني العجلان [19] .

تكلّم أبو بكر-بعد أن منع عمر عن الكلام-فحمد الله و أثنى عليه، ثمّ ذكر سابقة المهاجرين في التصديق بالرّسول دون جميع العرب، و قال:

(فهم أول من عبد اللّه في الأرض و آمن بالرسول، و هم أولياؤه و عشيرته و أحقّ الناس بهذا الأمر من بعده، و لا ينازعهم ذلك إلا ظالم) . ثمّ ذكر فضيلة الأنصار، و قال: (فليس بعد المهاجرين الأوّلين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء، و أنتم الوزراء) .

فقام الحباب بن المنذر [20] و قال: يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم فإن الناس في فيئكم و في ظلّكم، و لن يجترئ مجترئ على خلافكم، و لا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم، و ينتقض عليكم أمركم. فإن أبى هؤلاء إلاّ ما سمعتم، فمنّا أمير و منهم أمير.

فقال عمر: هيهات!لا يجتمع اثنان في قرن... و اللّه لا ترضى العرب أن يؤمّروكم و نبيّها من غيركم، و لكنّ العرب لا تمتنع أن تولّي أمرها من كانت النبوة فيهم، و ولي أمورهم منهم. و لنا بذلك على من أبى الحجّة

قعمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي: شهد العقبة و بدرا و ما بعدها، و توفي في خلافة عمر و بترجمته في النبلاء: أنّه كان أخا الخليفة عمر. و قال عمر على قبره: «لا يستطيع أحد من أهل الأرض أن يقول: أنا خير من صاحب هذا القبر» . الاستيعاب 3/170 و الإصابة 3/45 و أسد الغابة 4/158.

(18) عاصم بن عدي بن الجدّ بن العجلان بن حارثة بن ضبيعة بن حرام البلويّ العجلاني، حليف الأنصار و كان سيد بني عجلان. شهد أحدا و ما بعدها. توفي سنة 45 هجرية.

الاستيعاب 3/133. و الإصابة 2/237. و أسد الغابة 3/75.

(19) سيرة ابن هشام 4/339.

(20) الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري، شهد بدرا و ما بعدها، و توفّي في خلافة عمر. الاستيعاب بهامش الإصابة 1/353.

و الإصابة 1/302. و أسد الغابة 1/364. و نسبه في جمهرة ابن حزم ص 359.

الظاهرة و السلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمّد و إمارته، و نحن أولياؤه و عشيرته [21] إلاّ مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورّط في هلكة.

فقام الحباب بن المنذر و قال: يا معشر الأنصار، املكوا على ايديكم و لا تسمعوا مقالة هذا و أصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموهم، فأجلوهم عن هذه البلاد، و تولّوا عليهم هذه الأمور، فأنتم و اللّه أحقّ بهذا الأمر منهم، فإنّه بأسيافكم دان لهذا الدين من لم يكن يدين به. أنا جذيلها المحكك [22] و عذيقها المرجّب [23] . أما و اللّه لو شئتم لنعيدنها جذعة [24] .

قال عمر: إذا يقتلك اللّه.

قال: بل إيّاك يقتل.

فقال أبو عبيدة: يا معشر الأنصار، إنّكم كنتم أوّل من نصر و آزر، فلا تكونوا أوّل من بدّل و غيّر.

فقام بشير بن سعد الخزرجيّ أبو النعمان بن بشير فقال: يا معشر الأنصار، إنّا و اللّه لئن كنّا أولي فضيلة في جهاد المشركين، و سابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلا رضا ربّنا و طاعة نبيّنا و الكدح لأنفسنا؛ فما ينبغي لنا أن نستطيل على النّاس بذلك، و لا نبتغي به من الدنيا عرضا، فإنّ اللّه وليّ النعمة

---

(21) لمّا سمع عليّ بن أبي طالب هذا الاحتجاج من المهاجرين قال: احتجّوا بالشجرة و أضاعوا الثمرة. النهج و شرحه لابن أبي الحديد، ط. الأولى، 2/2.

(22) جذيلها، تصغير الجذل: أصل الشجرة. و المحك: عود ينصب في مبارك الإبل لتتمرس به الإبل الجربى، أي قد جربتني الأمور ولي رأي و علم يشتفى بهما كما تشتفي هذه الإبل الجربى بالجذل و صغره على جهة المدح.

(23) عذيق: تصغير العذق، و هي: النخلة. و المرجب. ما جعل له رجبة، و هي: دعامة تبتنى من الحجارة حول النخلة الكريمة إذا طالت و تخوفوا عليها أن تنقعر في الرياح العواصف.

(24) أعدت الأمر جذعا، أي جديدا كما بدأ، و إذا أطفئت حرب بين قوم فقال بعضهم: إن شئتم أعدناها جذعة، أي: أول ما يبتدأ فيها.

علينا بذلك، ألا إنّ محمّدا (ص) من قريش، و قومه أحقّ به و أولى، و أيم اللّه لا يراني اللّه أنازعهم هذا الأمر أبدا. فاتّقوا اللّه، و لا تخالفوهم، و لا تنازعوهم.

فقال أبو بكر: هذا عمر، و هذا أبو عبيدة، فأيّهما شئتم فبايعوا. فقالا:

و اللّه لا نتولّى هذا الأمر عليك-الخ [25] .

«و قام عبد الرّحمن بن عوف، و تكلّم فقال: يا معشر الأنصار إنّكم و إن كنتم على فضل، فليس فيكم مثل أبي بكر و عمر و عليّ. و قام المنذر ابن الأرقم فقال: ما ندفع فضل من ذكرت، و إنّ فيهم لرجلا لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد-يعني عليّ بن أبي طالب- [26] .

(فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلاّ عليّا) [27] .

(قال عمر: فكثر اللّغط و ارتفعت الأصوات حتّى تخوّفت الاختلاف فقلت: ابسط يدك لأبايعك [28] . فلمّا ذهبا ليبايعاه، سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحباب بن المنذر: يا بشير بن سعد عققت عقاق [29] ! أنفست على ابن عمّك الإمارة؟فقال: لا و اللّه، و لكنّي كرهت أن أنازع قوما حقّا جعله اللّه لهم. و لمّا رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد و ما تدعو إليه قريش و ما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة، قال بعضهم لبعض- و فيهم أسيد

---

(25) لم نسجّل هنا بقيّة الحوار و تعليقنا عليه طلبا للاختصار.
(26) رواه اليعقوبي بعد ذكر ما تقدم في تاريخه 2/103. و الموفقيات للزبير بن بكار ص 579.
(27) في رواية الطبري 3/208 (و ط. أوربا 1/1818) عن إبراهيم، و ابن الأثير 2/123:

«أن الأنصار قالت ذلك بعد أن بايع عمر أبا بكر» .

(28) عن سيرة ابن هشام 4/336. و جميع من روى حديث الفلتة. راجع بعده حديث الفلتة في ذكر رأي عمر في بيعة أبي بكر.
(29) الطبري ط. أوربا 1/1842. و في رواية ابن أبي الحديد: عقّك عقاق.

ابن حضير و كان أحد النقباء-: و اللّه لئن ولّيتها الخزرج عليكم مرّة، لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، و لا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا أبدا، فقوموا فبايعوا أبا بكر [30] .

فقاموا إليه فبايعوه، فانكسر على سعد بن عبادة و على الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم... فأقبل النّاس من كلّ جانب يبايعون أبا بكر، و كادوا يطئون سعد بن عبادة.

فقال أناس من أصحاب سعد: اتّقوا سعدا لا تطئوه.

فقال عمر: اقتلوه، قتله اللّه.

ثمّ قام على رأسه فقال: لقد هممت أن أطأك حتّى تندر عضوك. فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر فقال: و اللّه لو حصصت منه شعرة ما رجعت و في فيك واضحة.

فقال أبو بكر: مهلا يا عمر!الرفق هاهنا أبلغ.

فأعرض عنه عمر [31] .

و قال سعد: أما و اللّه لو أنّ بي قوّة ما، أقوى على النهوض لسمعت منّي في أقطارها و سككها زئيرا يجحرك و أصحابك. أما و اللّه إذا لألحقنّك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع. احملوني من هذا المكان. فحملوه فأدخلوه في داره [32] .

و روى أبو بكر الجوهري: أنّ عمر كان يومئذ-يعني يوم بويع أبو بكر-

---

(30) و في رواية أبي بكر في سقيفته: لمّا رأت الأوس أنّ رئيسا من رؤساء الخزرج قد بايع، قام أسيد بن حضير-و هو رئيس الأوس-فبايع حسدا لسعد و منافسة له أن يلي الأمر. راجع شرح النهج 2/2 في شرحه (و من كلام له في معنى الأنصار) .

(31) إن هذا الموقف يوضح بجلاء جماع سياسة الخليفتين من شدّة و لين.

(32) الطبري 3/455-459، و ط. أوربا 1/1843. (و تندر عضوك) كذا ورد و يعني تسقط أعضاؤك.

محتجزا يهرول بين يدي أبي بكر و يقول: ألا إنّ الناس قد بايعوا أبا بكر-الخ [33] .

بايع الناس أبا بكر و أتوا به المسجد يبايعونه فسمع العبّاس و عليّ التكبير في المسجد و لم يفرغوا من غسل رسول اللّه (ص) .

فقال عليّ: ما هذا؟ قال العباس: ما رئي مثل هذا قطّ!!أما قلت لك [34] ؟!

النذير

و جاء البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم و قال:

يا معشر بني هاشم!بويع أبو بكر.

فقال بعضهم لبعض: ما كان المسلمون يحدثون حدثا نغيب عنه و نحن أولى بمحمّد.

فقال العباس: فعلوها و ربّ الكعبة! و كان عامّة المهاجرين و جلّ الأنصار لا يشكّون أنّ عليّا هو صاحب الأمر بعد رسول اللّه (ص) [35] .

و كان المهاجرون و الأنصار لا يشكّون في عليّ.

روى الطبري: أنّ (أسلم) أقبلت بجماعتها حتى تضايق بهم السّكك فبايعوا أبا بكر فكان عمر يقول:

---

(33) في كتابه السقيفة، راجع ابن أبي الحديد 1/133. و في ص 74 منه بلفظ آخر.
(34) ابن عبد ربّه في العقد الفريد 4/258. و أبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة برواية ابن أبي الحديد عنه في 1/132، و يروي تفصيله في ص 74 منه. و الزبير بن بكار في الموفقيات ص 577-580 و 583 و 592. كما يروي عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج 2/2-16، في شرحه: (و من كلام له في معنى الأنصار) .
(35) الموفّقيات للزبير بن بكار، ص 580.

(ما هو إلا أن رأيت أسلم فأيقنت بالنصر) [36] .

فلمّا بويع أبو بكر أقبلت الجماعة الّتي بايعته تزفّه زفّا إلى مسجد رسول اللّه (ص) فصعد على المنبر-منبر رسول اللّه (ص) -فبايعه الناس حتّى أمسى، و شغلوا عن دفن رسول اللّه حتى كانت ليلة الثلاثاء [37] .

البيعة العامّة

و لما بويع أبو بكر في السّقيفة و كان في الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلّم قبل أبي بكر فحمد اللّه و أثنى عليه... ، و ذكر أنّ قوله بالأمس لم يكن من كتاب اللّه و لا عهدا من رسوله و لكنّه كان يرى أن الرسول سيدبّر أمرهم و يكون آخرهم. ثمّ قال:

و إنّ اللّه قد أبقى فيكم كتابه الّذي به هدى رسوله. فإن اعتصمتم به هداكم اللّه لما كان هداه له. و إنّ اللّه قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول اللّه (ص) ثاني اثنين إذ هما في الغار؛ فقوموا فبايعوه.

فبايع الناس أبا بكر بيعته العامّة بعد بيعة السّقيفة.

و في البخاري: (و كان طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، و كانت بيعة أبي بكر العامّة على المنبر) . قال أنس بن مالك:

(سمعت عمر يقول لأبي بكر يومئذ: اصعد المنبر. فلم يزل به حتّى صعد المنبر فبايعه الناس عامّة) .

ثم تكلّم أبو بكر، فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال:

(أمّا بعد، أيّها النّاس، فإنّي قد ولّت عليكم، و لست بخيركم، فإن

---

(36) الطبري 2/458، و ط. أوربا، 1/1843. و في رواية ابن الأثير 2/224: (و جاءت أسلم فبايعت) . و قال الزبير بن بكار في الموفّقيات برواية النهج 6/287. «فقوي بهم أبو بكر» و لم يعيّنا متى جاءت أسلم، و يقوى الظنّ أن يكون ذلك يوم الثلاثاء. و قال المفيد في كتابه «الجمل» :

إنّ القبيلة كانت قد جاءت لتمتار من المدينة، (الجمل ص 43) .

(37) الموفّقيات ص 578. و الرياض النضرة 1/164. و تاريخ الخميس 1/188.

أحسنت فأعينوني، و إن أسأت فقوّموني-إلى قوله: -أطيعوني ما أطعت اللّه و رسوله، فإذا عصيت اللّه و رسوله، فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم، يرحمكم اللّه) [38] .

بعد بيعة أبي بكر العامّة

(توفّي رسول اللّه يوم الاثنين حين زاغت الشّمس فشغل الناس عن دفنه) [39] .

شغل الناس عن رسول اللّه بقيّة يوم الاثنين حتّى عصر الثلاثاء:

أولا: بخطب السّقيفة.

ثم: ببيعة أبي بكر الأولى ثم ببيعته العامّة و خطبته و خطبة عمر حتّى صلّى بهم.

قالوا: (فلمّا بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول اللّه يوم الثلاثاء) [40] .

(ثمّ دخل الناس يصلّون عليه) [41] . (و صلّى على رسول اللّه بغير إمام. يدخل عليه المسلمون زمرا زمرا يصلّون عليه) [42] .

---

(38) ابن هشام، 4/340. و الطبري، 3/203 (و ط. أوربا 1/1829) . و عيون الأخبار لابن قتيبة 2/234. و الرياض النّضرة 1/167. و ابن كثير 5/248. و السّيوطي في تاريخ الخلفاء ص 47. و كنز العمال 3/129، ح 2253. و الحلبيّة 3/397. و ذكر البخاري في صحيحه ص 165 من ج 4 كتاب البيعة عن أنس، خطبة عمر باختلاف يسير.

و ممن ذكر خطبة أبي بكر فقط، أبو بكر الجوهري في كتابه: السقيفة، حسب رواية ابن أبي الحديد عنه، 1/134. و صفوة الصفوة 1/98.

(39) طبقات ابن سعد 2/ق 2/78، ط. ليدن.
(40) سيرة ابن هشام 4/343. و الطبري: 2/450 (و ط. أوربا 1/1830) . و ابن الأثير 2/126. و ابن كثير 5/248. و الحلبيّة 3/392 و 394. و هذا الأخير لم يعين اليوم الّذي انتهوا فيه من بيعة أبي بكر و أقبلوا على جهاز رسول اللّه.
(41) ابن هشام 4/343.
(42) طبقات ابن سعد 2/ق 2/70. و الكامل لابن الأثير ج 2 في ذكر حوادث سنة 11 هـ.

دفن رسول اللّه (ص) و من حضر دفنه

(ولي وضع رسول اللّه في قبره هؤلاء الرهط الّذين غسلوه: العبّاس، و عليّ و الفضل و صالح مولاه. و خلّى أصحاب رسول اللّه بين رسول اللّه و أهله، فولوا إجنانه) [43] .

(و دخل القبر عليّ، و الفضل و قثم ابنا العباس، و شقران مولاه -و يقال: أسامة بن زيد-و هم تولّوا غسله و تكفينه و أمره كلّه) [44] . (و إنّ أبا بكر و عمر لم يشهدا دفن النبيّ) [45] .

و قالت عائشة: (ما علمنا بدفن الرسول حتّى سمعنا صوت المساحي من جوف اللّيل، ليلة الأربعاء) [46] .

(و لم يله إلاّ أقاربه و لقد سمعت بنو غنم صريف المساحي حين حضر و إنّهم لفي بيوتهم) [47] .

و قال شيوخ الأنصار من بني غنم: (سمعنا صوت المساحي آخر الليل) [48] .

---

(43) النصّ لابن سعد في الطبقات 2/ق 2/70. و في البدء و التاريخ قريب منه، و كنز العمال 4/54 و 60 و هذه عبارته: (ولي دفنه و إجنانه أربعة من الناس) ثم ذكر ما أوردناه.
(44) العقد الفريد 3/61. و قريب منه نصّ الذهبي في تاريخه 1/321 و 324 و 326.
(45) كنز العمال 3/140.
(46) ابن هشام 4/344. و الطبري: 2/452 و 455 (و ط. أوربا 1/1833 و 1837) .

و ابن كثير 5/270. و ابن الأثير في أسد الغابة 1/34، في ترجمة الرسول. و قد ورد في روايات أخرى أنّ سماعهم صريف المساحي كان ليلة الثلاثاء كما في طبقات ابن سعد 2/ق 2/78.

و تاريخ الخميس 1/191. و الذهبي في تاريخه 1/327، و الأصحّ أن ذلك كان ليلة الأربعاء.

و في مسند أحمد 6/62: في آخر ليلة الأربعاء، و في ص 242 منه و ص 274: (ما علمنا أين يدفن حتّى سمعنا...) .

(47) طبقات ابن سعد 2/ق 2/78.
(48) طبقات ابن سعد 2/ق 2/78.

بعد دفن الرسول (ص)

اندحر سعد و مرشّحوه، و بقي عليّ و جماعته-بعد أن أصبحوا أقلّية-يتناحرون و حزب أبي بكر الظافر و كلّ يجتهد في جلب الأنصار لحوزته. قال الزبير بن بكار في الموفّقيات: لمّا بويع أبو بكر و استقرّ أمره، ندم قوم كثير من الأنصار على بيعته و لام بعضهم بعضا، و ذكروا عليّ بن أبي طالب و هتفوا باسمه [49] .

قال اليعقوبي [50] :

و تخلّف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين و الأنصار و مالوا مع عليّ بن أبي طالب، منهم العبّاس بن عبد المطّلب و الفضل بن العبّاس، و الزبير بن العوام، و خالد بن سعيد، و المقداد بن عمرو [51] ، و سلمان الفارسيّ، و أبو ذر الغفاري، و عمّار بن ياسر، و البراء بن عازب [52] ،

---

(49) الموفقيات ص 583.

(50) في تاريخه 2/124-125. و السّقيفة لأبي بكر الجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد 2/13، و التفصيل في 1/74 منه. و بلفظ قريب منه في الإمامة و السياسة 1/14.

(51) المقداد بن الأسود الكندي: هو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود البهراني. أصاب دما في قومه، فلحق بحضرموت، فحالف كندة، و تزوّج امرأة، فولدت له المقداد. فلمّا كبر المقداد، وقع بينه و بين أبي شمر بن حجر الكندي، فضرب رجله بالسيف، و هرب إلى مكّة فحالف الأسود بن عبد يغوث الزّهري فتبنّاه الأسود، فصار يقال له: المقداد بن الأسود الكندي. فلمّا نزلت: **اُدْعُوهُمْ لِآبٰائِهِمْ** الأحزاب/5. قيل له: المقداد بن عمرو.

و قال الرسول: «إن اللّه عز و جل أمرني بحبّ أربعة من أصحابي و أخبرني أنه يحبّهم. » فقيل: من هم؟فقال: «عليّ و المقداد و سلمان و أبو ذرّ» . توفّي سنة 33 هـ. الاستيعاب بهامش الاصابة 3/451. و الإصابة 3/433-434.

(52) أبو عمرو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن جشم بن مجدعة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي: كان ممّن استصغره الرسول يوم بدر و رده. و غزا مع الرسول 14 غزوة و شهد مع عليّ الجمل و صفين و النّهروان. سكن الكوفة و ابتنى بها دارا و توفّي بها في إمارة مصعب بن الزبير. الاستيعاب بهامش الاصابة 1/143-144. و الإصابة 1/146

و أبيّ بن كعب [53] ، فأرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطاب و أبي عبيدة بن الجراح، و المغيرة بن شعبة فقال: ما الرأي؟ قالوا [54] : الرأي أن تلقى العبّاس بن عبد المطّلب فتجعل له في هذا الأمر نصيبا يكون له و لعقبه من بعده فتقطعون به ناحية عليّ بن أبي طالب (و تكون لكما حجّة) [55] على عليّ إذا مال معكم.

فانطلق أبو بكر، و عمر، و أبو عبيدة بن الجراح، و المغيرة، حتّى دخلوا على العباس ليلا [56] ، فحمد اللّه أبو بكر و أثنى عليه ثمّ قال:

إنّ اللّه بعث محمّدا نبيّا و للمؤمنين وليّا. فمنّ عليهم بكونه بين أظهرهم حتّى اختار له ما عنده، فخلّى على الناس أمورهم [57] ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم مشفقين [58] . فاختاروني عليهم واليا و لأمورهم راعيا.

فوليت ذلك و ما أخاف بعون اللّه و تسديده و هنا، و لا حيرة، و لا جبنا، و ما توفيقي إلا باللّه عليه توكّلت و إليه أنيب. و ما انفكّ يبلغني عن طاعن بقول الخلاف على عامّة المسلمين يتّخذكم لجأ، فتكونوا حصنه المنيع، و خطبه البديع، فإمّا دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا عليه، و إمّا صرفتموهم عمّا مالوا إليه. و لقد جئناك و نحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيبا يكون لك

---

(53) أبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النّجار: و هو تيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر. شهد العقبة الثانية و بايع النبيّ فيها و شهد بدرا و ما بعدها، و كان من كتّاب النبيّ. مات في آخر خلافة عمر أو صدر خلافة عثمان. الاستيعاب 1/27-30. و الإصابة 1/31-32.
(54) في نصّ الجوهري أنّ قائل هذا الرأي هو المغيرة بن شعبة، و هذا هو الأقرب إلى الصواب.
(55) هذه الزيادة في نسخة الإمامة و السياسة 1/14.
(56) في رواية ابن أبي الحديد أن ذلك كان في الليلة الثانية بعد وفاة النبيّ.
(57) إن ضمير (هم) موجود في رواية ابن أبي الحديد.
(58) في نسخة الإمامة و السياسة و ابن أبي الحديد 1/74: (متفقين) و هو الأشبه بالصواب.

و يكون لمن بعدك من عقبك، إذ كنت عمّ رسول اللّه، و إن كان الناس قد رأوا مكانك و مكان صاحبك (فعدلوا الأمر عنكم) [59] على رسلكم بني هاشم فإنّ رسول اللّه منّا و منكم.

فقال عمر بن الخطاب: و أخرى إنّا لم نأتكم لحاجة إليكم، و لكن كرها أن يكون الطعن في ما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم و بهم، فانظروا لأنفسكم! فحمد العبّاس اللّه و أثنى عليه و قال: إنّ اللّه بعث محمّدا كما و صفت نبيّا، و للمؤمنين وليّا، فمنّ على أمّته به، حتّى قبضه اللّه إليه و اختار له ما عنده، فخلّى على المسلمين أمورهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين الحقّ لا مائلين بزيغ الهوى. فإن كنت برسول اللّه طلبت، فحقّنا أخذت، و إن كنت بالمؤمنين أخذت فنحن منهم. فما تقدّمنا في أمرك فرطا، و لا حللنا وسطا، و لا برحنا سخطا، و إن كان هذا الأمر وجب لك بالمؤمنين، فما وجب إذ كنّا كارهين. ما أبعد قولك من أنّهم طعنوا عليك من قولك أنّهم اختاروك و مالوا إليك؛ و ما أبعد تسميتك خليفة رسول اللّه من قولك خلّى على الناس أمورهم ليختاروا فاختاروك. فأمّا ما قلت: إنك تجعله لي، فإن كان حقّا للمؤمنين فليس لك أن تحكم [60] فيه، و إن كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض و على رسلك، فإنّ رسول اللّه من شجرة نحن أغصانها و أنتم جيرانها.

فخرجوا من عنده.

التّحصن بدار فاطمة (ع)

قال عمر بن الخطّاب: (و إنّه كان من خبرنا حين توفّى اللّه نبيّه أنّ عليّا

---

(59) الزيادة في نسخة ابن أبي الحديد و الإمامة و السياسة.

(60) في نسخة الجوهري و الإمامة و السياسة: فإن يكن حقّا لك فلا حاجة لنا فيه.

و الزبير و من معهما تخلّفوا عنّا في بيت فاطمة)

61

.

و ذكر المؤرّخون في عداد من تخلّف عن بيعة أبي بكر و تحصّن بدار فاطمة مع عليّ و الزبير كلاّ من:

1) العبّاس بن عبد المطّلب.

2) عتبة بن أبي لهب.

3) سلمان الفارسي.

4) أبو ذرّ الغفاري.

5) عمّار بن ياسر.

6) المقداد بن الأسود.

7) البراء بن عازب.

8) أبيّ بن كعب.

9) سعد بن أبي وقّاص

62

.

10) طلحة بن عبيد اللّه.

و جماعة من بني هاشم و جمع من المهاجرين و الأنصار

63

.

و قد تواتر حديث تخلّف عليّ و من معه عن بيعة أبي بكر و تحصّنهم بدار فاطمة في كتب السير، و التواريخ، و الصّحاح و المسانيد، و الأدب، و الكلام، و التراجم، غير أنهم لمّا كرهوا ما جرى بين المتحصّنين و الحزب الظافر لم يفصحوا ببيان حوادثها إلاّ ما ورد ذكره عفوا. و من ذلك ما رواه

(61) مسند أحمد 1/55، و الطبري 2/466 (ط. أوربا 1/1822) . و ابن الأثير 2/124.

و ابن كثير 5/246. و صفوة الصفوة 1/97، و ابن أبي الحديد 1/123، و تاريخ السيوطي في مبايعة أبي بكر ص 45، و ابن هشام 4/338، و تيسير الوصول 2/41.

(62) أبو إسحاق سعد بن أبي وقّاص، و اسم أبي وقّاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي، و كان سابع سبعة سبقوا إلى الإسلام. شهد بدرا و ما بعدها، و هو أول من رمى بسهم في الإسلام، و كان رأس من فتح العراق و كوّف الكوفة، و وليها لعمر و عيّنه في الستّة أصحاب الشورى، و اعتزل الناس بعد مقتل عثمان. و مات بمسكنه في العقيق في خلافة معاوية، و حمل إلى المدينة و دفن بالبقيع. الاستيعاب 2/18-25. و الإصابة 2/30-32.

(63) صرّحت المصادر الآتية بالإضافة إلى المصادر المذكورة آنفا أنّ هؤلاء كانوا قد تخلّفوا عن بيعة أبي بكر و اجتمعوا بدار فاطمة. و من هذه المصادر ما ذكرت اسم بعضهم و أنّهم اجتمعوا ليبايعوا عليّا. الرياض النضرة 1/167. و تاريخ الخميس 1/188. و ابن عبد ربّه 3/64.

و تاريخ أبي الفداء 1/156. و ابن شحنة بهامش الكامل 112. و الجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد 1/130-134. و الحلبية 3/394 و 397.

البلاذري و قال: بعث أبو بكر عمر بن الخطّاب إلى عليّ-رضي اللّه عنهم- حين قعد عن بيعته و قال: ائتني به بأعنف العنف. فلمّا أتاه جرى بينهما كلام، فقال: احلب حلبا لك شطره؛ و اللّه ما حرصك على إمارته اليوم إلاّ ليؤثرك غدا-الحديث

64

.

قال أبو بكر في مرض موته: (أما إنّي لا آسي على شيء من الدّنيا إلاّ على ثلاث فعلتهن، وددت أنّي تركتهن-إلى قوله-: فأمّا الثلاث الّتي فعلتها فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء، و إن كانوا قد أغلقوه على الحرب)

65

.

و في اليعقوبي: (و ليتني لم أفتّش بيت فاطمة بنت رسول اللّه و أدخله الرجال و لو كان أغلق على حرب)

66

.

و قد عدّ المؤرّخون في الرجال الّذين أدخلوا بيت فاطمة بنت رسول اللّه كلاّ من:

1) عمر بن الخطاب.

2) خالد بن الوليد

67

.

(64) أنساب الأشراف 1/587.
(65) الطبري 2/619 (و ط. أوربا 1/2140) عند ذكره وفاة أبي بكر. و مروج الذّهب 1/414، و ابن عبد ربّه 3/69 عند ذكره استخلاف أبي بكر لعمر. و الكنز 3/135. و منتخب الكنز 2/171. و الإمامة و السياسة 1/18، و الكامل للمبرّد حسب رواية ابن أبي الحديد 1/130-131. و قد ذكر أبو عبيد في الأموال ص 131 قول أبي بكر هكذا: (أما الثلاث الّتي فعلتها فوددت أني لم أكن فعلت كذا و كذا-لخلّة ذكرها-قال أبو عبيد: لا أريد ذكرها) . انتهى.

و أبو بكر الجوهري برواية النهج 9/130. و لسان الميزان 4/189. و راجع ترجمة أبي بكر في ابن عساكر و مرآة الزّمان لسبط ابن الجوزي. و تاريخ الذّهبي 1/388.

(66) تاريخ اليعقوبي 2/115.

(67) أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد اللّه بن عمر بن مخزوم القرشي، و أمّه: لبابة بنت الحارث بن الحزن الهلالية أخت ميمونة زوجة النبيّ، و كانت إليه أعنّة الخيل في الجاهلية.

هاجر بعد الحديبية و شهد فتح مكّة، و أمّره أبو بكر على الجيوش، و كان يقال له: سيف اللّه، و توفي بحمص أو بالمدينة. سنة 21 أو 22 هـ. الاستيعاب 1/405-408.

3) عبد الرحمن بن عوف.

4) ثابت بن قيس بن شمّاس

68

.

5) زياد بن لبيد

69

.

6) محمّد بن مسلمة

70

.

7) زيد بن ثابت

71

.

8) سلمة بن سلامة بن وقش

72

.

9) سلمة بن أسلم

73

.

10) أسيد بن حضير

74

.

و قد ذكروا في كيفيّة كشف بيت فاطمة و ما جرى للمتحصّنين و هؤلاء الرجال و قالوا:

إنه (غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر منهم عليّ بن أبي

---

(68) ثابت بن قيس بن شمّاس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري: شهد أحدا و ما بعدها، و قتل مع خالد في اليمامة. الاستيعاب 1/193.

و الإصابة 1/197.

(69) زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عديّ بن أميّة بن بياضة الأنصاري من بني بياضة بن عامر بن زريق، مهاجري أنصاري: خرج إلى رسول اللّه بمكّة و أقام معه حتى هاجر معه إلى المدينة. شهد العقبة و بدرا و ما بعدها. مات في أوّل خلافة معاوية. الاستيعاب 1/545، و الإصابة 1/540. في نسبه بجمهرة ابن حزم ص 356 سقط (بياضة) .

(70) محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عديّ بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس: شهد بدرا و ما بعدها، و كان ممن لم يبايع عليّ بن أبي طالب و لم يشهد معه حروبه، و توفي سنة 43 أو 46 أو 47 هـ. الاستيعاب 3/315. و الإصابة 3/363-364. و نسبه في جمهرة ابن حزم ص 341.

(71) راجع أنساب الأشراف 1/585.

(72) أبو عوف سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري، و أمّه:

سلمى بنت سلمة بن خالد بن عدي الأنصارية. شهد العقبة الأولى و الآخرة، ثمّ شهد بدرا و ما بعدها. توفي بالمدينة سنة 45 هـ. الاستيعاب 2/84. و الإصابة 2/63.

(73) أبو سعيد، سلمة بن أسلم بن حريش بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن عدي بن مالك بن الأوس الأنصاري. شهد بدرا و ما بعدها، و قتل يوم جسر أبى عبيد سنة 14 هـ. الاستيعاب، الترجمة رقم 2455، 2/83، و الاصابة 2/61.

(74) الطبري 2/443 و 444، و أبو بكر الجوهري حسب رواية ابن ابي الحديد 1/130-134، و 2/819 و أسيد بن حضير، مرّت ترجمته في الهامش رقم (16) من هذا البحث.

طالب و الزبير، فدخلا بيت فاطمة و معهما السّلاح)

75

، (فبلغ أبا بكر و عمر أنّ جماعة من المهاجرين و الأنصار قد اجتمعوا مع عليّ بن أبى طالب في منزل فاطمة بنت رسول اللّه)

76

، (و انهم اجتمعوا على أن يبايعوا عليّا)

77

.

فبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطّاب ليخرجهم من بيت فاطمة، و قال له: إن أبوا فقاتلهم.

فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيتهم فاطمة فقالت: يا ابن الخطّاب أ جئت لتحرق دارنا!؟قال: نعم، أو تدخلوا في ما دخلت فيه الأمّة!)

78

.

و في أنساب الأشراف:

فتلقّته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: يا ابن الخطّاب أتراك محرقا عليّ بابي!؟قال: نعم...

79

.

و إلى هذا أشار عروة بن الزبير حين كان يعتذر عن أخيه عبد اللّه بن الزبير فيما جرى له مع (بني هاشم و حصره إيّاهم في الشعب و جمعه الحطب لإحراقهم... ليدخلوا في طاعته كما أرهب بنو هاشم و جمع لهم الحطب لتحريقهم إذ هم أبوا البيعة في ما سلف)

80

يعني ما سلف لبني هاشم من قضيّة

(75) الرياض النضرة 1/218 ط. مصر الثانية سنة 1372، و أبو بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد 1/132، و 6/293، و تاريخ الخميس 2/169 ط. مؤسسة شعبان-بيروت (ب. ت) .
(76) اليعقوبي 2/126.
(77) ابن أبي الحديد 1/134، و ابن شحنة بهامش الكامل 11/113 بلفظ: «و مالوا مع على بن أبى طالب» .
(78) ابن عبد ربّه، 3/64، و أبو الفداء، 1/156.
(79) أنساب الأشراف 1/586. و راجع كنز العمال 3/140. و الرياض النضرة، 1/167، و أبو بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد، 1/132، و ج 6 في الصفحة الثانية منه، و الخميس 1/178، و أبو بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد 1/134، و تاريخ ابن شحنة ص 113 بهامش الكامل 11/113.
(80) مروج الذهب 2/100. و أورده ابن أبي الحديد 20/481 ط. إيران، عند شرحه قول

الحطب و النّار عند امتناعهم عن بيعة أبي بكر.

و في هذا يقول شاعر النيل حافظ إبراهيم:

و قولة لعلي قالها عمر # أكرم بسامعها أعظم بملقيها

حرّقت دارك لا أبقي عليك بها # إن لم تبايع و بنت المصطفى فيها

ما كان غير أبي حفص يفوه بها # أمام فارس عدنان و حاميها

81

و قال اليعقوبي:

فأتوا في جماعة حتّى هجموا على الدار-إلى قوله-: و كسر سيفه-أي سيف عليّ-و دخلوا الدار

82

.

و قال الطبري:

أتى عمر بن الخطاب منزل عليّ و فيه طلحة و الزبير و رجال من المهاجرين فخرج عليه الزبير مصلتا بالسيف، فعثر فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه

83

.

و قال أبو بكر الجوهري و عليّ يقول: «أنا عبد اللّه و أخو رسول اللّه» حتّى انتهوا به إلى أبي بكر، فقيل له: بايع، فقال: أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم، و أنتم أولى بالبيعة لي. أخذتم هذا الأمر من الأنصار، و احتججتم عليهم بالقرابة من رسول اللّه، فأعطوكم المقادة و سلّموا إليكم الإمارة، و أنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، فأنصفونا إن كنتم تخافون اللّه من

فعلي (ع) : «الزبير منّا حتّى نشأ ابنه» .

(81) ديوان حافظ إبراهيم ط. المصرية.

(82) اليعقوبي 2/126.

(83) الطبري 2/443 و 444 و 446 (و ط. أوربا 1/1818 و 1820 و 1822) و قد أورده العقّاد في عبقريّة عمر ص 173. و ذكر كسر سيف الزبير المحبّ الطبري في الرياض النضرة 1/167. و الخميس 1/188. و ابن أبي الحديد 1/122 و 132 و 134 و 58، و 2/2-5.

و كنز العمال 3/128.

أنفسكم، و اعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم، و إلا فبوءوا بالظلم و أنتم تعلمون. فقال عمر: إنّك لست متروكا حتى تبايع. فقال له علي: احلب يا عمر حلبا لك شطره؛ اشدد له اليوم أمره ليردّ عليك غدا.

لا و اللّه، لا أقبل قولك و لا أتابعه، فقال له أبو بكر: فإن لم تبايعني لم أكرهك.

فقال له أبو عبيدة: يا أبا الحسن إنّك حدث السّن و هؤلاء مشيخة قريش قومك، ليس لك مثل تجربتهم و معرفتهم بالأمور، و لا أرى أبا بكر إلاّ أقوى على هذا الأمر منك و أشدّ احتمالا له و اضطلاعا به، فسلّم له هذا الأمر و ارض به؛ فإنّك إن تعش و يطل عمرك فأنت لهذا الأمر لخليق و عليه حقيق في فضلك و قرابتك و سابقتك و جهادك.

فقال عليّ: يا معشر المهاجرين، اللّه اللّه، لا تخرجوا سلطان محمّد عن داره و بيته إلى بيوتكم و دوركم، و لا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس و حقّه. فو اللّه يا معشر المهاجرين، لنحن أهل البيت أحقّ بهذا الأمر منكم أ ما كان منّا القارئ لكتاب اللّه، الفقيه لدين اللّه، العالم بالسنّة، المضطلع بأمر الرعية؟و اللّه إنّه لفينا، فلا تتّبعوا الهوى فتزدادوا من الحقّ بعدا.

فقال بشير بن سعد: لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا عليّ قبل بيعتهم لأبي بكر ما اختلف عليك اثنان، و لكنّهم قد بايعوا. و انصرف عليّ إلى منزله و لم يبايع. رواه أبو بكر الجوهري كما في شرح النهج 2/2-5. و روى أبو بكر الجوهري أيضا و قال:

و رأت فاطمة ما صنع بهما-أي بعليّ و الزبير-فقامت على باب الحجرة و قالت: يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول اللّه، و اللّه

لا أكلّم عمر حتى ألقى اللّه

84

و في رواية أخرى:

و خرجت فاطمة تبكي و تصيح فنهنهت من الناس

85

.

و قال اليعقوبي:

فخرجت فاطمة، فقالت: و اللّه لتخرجنّ أو لأكشفنّ شعري و لأعجّنّ إلى اللّه. فخرجوا و خرج من كان في الدار

86

.

و قال المسعودي:

لمّا بويع أبو بكر في السّقيفة و جدّدت له البيعة يوم الثلاثاء، خرج عليّ فقال: أفسدت علينا أمورنا و لم تستشر و لم ترع لنا حقّا! فقال أبو بكر: بلى و لكنّي خشيت الفتنة

87

.

و قال اليعقوبي:

و اجتمع جماعة إلى عليّ بن أبي طالب يدعونه إلى البيعة، فقال لهم: اغدوا عليّ محلّقين الرءوس. فلم يغد إلاّ ثلاثة نفر

88

.

ثمّ إنّ عليّا حمل فاطمة على حمار، و سار بها ليلا إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة، و تسألهم فاطمة الانتصار له؛ فكانوا يقولون:

يا بنت رسول اللّه، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، و لو كان ابن عمّك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به. فقال عليّ:

أ فكنت أترك رسول اللّه (ص) ميتا في بيته لم أجهّزه و أخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه!؟فقالت فاطمة:

---

(84) برواية ابن أبي الحديد 1/134، و 2/2-5.
(85) السقيفة لأبي بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد 1/134.
(86) تاريخ اليعقوبي 2/126.
(87) مروج الذهب 1/414. و الإمامة و السياسة 1/12-14 مع اختلاف.
(88) تاريخ اليعقوبي 2/126، و في شرح النهج 2/4.

ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغي له، و لقد صنعوا ما اللّه حسيبهم عليه

89

و لقد أشار معاوية إلى هذا و إلى ما نقلناه عن اليعقوبي قبله في كتابه إلى عليّ:

و أعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلا على حمار و يداك في يدي ابنيك الحسن و الحسين يوم بويع أبو بكر الصدّيق، فلم تدع أحدا من أهل بدر و السّوابق إلاّ دعوتهم إلى نفسك، و مشيت إليهم بامرأتك، و أدللت إليهم بابنيك، و استنصرتهم على صاحب رسول اللّه، فلم يجبك منهم إلاّ أربعة أو خمسة، و لعمري لو كنت محقّا لأجابوك، و لكنّك ادّعيت باطلا، و قلت ما لا يعرف، و رمت ما لا يدرك. و مهما نسيت فلا أنسى قولك لأبي سفيان لمّا حرّكك و هيّجك: لو وجدت أربعين ذوي عزم منهم لناهضت القوم

90

.

و روى معمّر عن الزّهري عن أمّ المؤمنين عائشة في حديثها عما جرى بين فاطمة و أبي بكر حول ميراث النبيّ (ص) قالت:

فهجرته فاطمة، فلم تكلّمه حتّى توفّيت و عاشت بعد النبيّ (ص) ستّة أشهر. فلمّا توفيت دفنها زوجها، و لم يؤذن بها أبا بكر و صلّى عليها.

و كان لعليّ من الناس وجه حياة فاطمة، فلمّا توفّيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن عليّ. و مكثت فاطمة ستّة أشهر بعد رسول اللّه (ص) ثمّ توفّيت. قال معمّر:

فقال رجل للزّهري: أ فلم يبايعه عليّ ستّة أشهر؟

(89) أبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة برواية ابن أبي الحديد 5/6-28، ط. المصرية و ابن قتيبة 1/12.

(90) ابن أبي الحديد 2/67. و صفّين لنصر بن مزاحم ص 182.

قال: لا

91

، و لا أحد من بني هاشم حتّى بايعه عليّ. فلمّا رأى علي انصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر-الحديث

92

.

و قال البلاذري:

لمّا ارتدّت العرب، مشى عثمان إلى عليّ فقال: يا ابن عمّ، انّه لا يخرج أحد إلى قتال هذا العدوّ، و أنت لم تبايع. فلم يزل به حتّى مشى إلى أبي بكر فبايعه. فسر المسلمون، و جدّ الناس في القتال و قطعت البعوث

93

.

ضرع عليّ إلى مصالحة أبي بكر بعد وفاة فاطمة و انصراف وجوه الناس عنه، غير أنّه بقي يشكو ممّا جرى عليه بعد وفاة النبيّ حتّى في أيّام خلافته. و ذكر شكواه في خطبته المشهورة بالشّقشقيّة الّتي سنوردها في آخر هذا الباب.

(91) في تيسير الوصول 2/46: (قال: لا و اللّه و لا أحد من بني هاشم) .
(92) قد أوردت هذا الحديث مختصرا من كلّ من الطبري 2/448 (و ط. أوربا 1/1825) .

و صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، 3/38. و صحيح مسلم 1/72، و 5/153، باب قول رسول اللّه: «نحن لا نورث؛ ما تركناه صدقة» ، و ابن كثير 5/285-286، و ابن عبد ربّه 3/64. و قد أورده ابن الأثير 2/126 مختصرا. و الكنجي في كفاية الطالب ص 225-226. و ابن أبي الحديد 1/122. و المسعودي 2/414 من مروج الذهب. و في التنبيه و الإشراف له ص 250: (و لم يبايع علي حتى توفيت فاطمة) . و الصواعق 1/12. و تاريخ الخميس 1/193. و في الإمامة و السياسة 1/14: أن بيعة علي كانت بعد وفاة فاطمة و أنها قد بقيت بعد أبيها 75 يوما. و في الاستيعاب 2/244: أن عليّا لم يبايعه إلاّ بعد موت فاطمة. و أبو الفداء 1/156. و البدء و التاريخ 5/66. و أنساب الأشراف 1/586. و في أسد الغابة 3/222 بترجمة أبي بكر: (كانت بيعتهم بعد ستّة أشهر على الأصحّ) . و قال اليعقوبي 2/126 (لم يبايع علي إلاّ بعد ستة أشهر) و في الغدير

3/102 عن الفصل لابن حزم ص 96-97 «وجدنا عليّا رضي اللّه عنه تأخر عن البيعة ستة أشهر» .

(93) انساب الاشراف 1/587.

من تخلّف عن بيعة الخليفة أبي بكر

أ-فروة بن عمرو

قال الزبير بن بكّار في الموفّقيات: (كان فروة بن عمرو ممّن تخلّف عن بيعة أبي بكر، و كان ممّن جاهد مع رسول اللّه (ص) و قاد فرسين في سبيل اللّه. و كان يتصدّق من نخله بألف وسق في كلّ عام، و كان سيّدا.

و هو من أصحاب عليّ، و ممّن شهد معه يوم الجمل.

و ذكر الزبير بن بكّار بعد ذلك عتاب فروة لبعض الأنصار الّذين ساعدوا أبا بكر في بيعته

94

.

ب-خالد بن سعيد الأموي

كان عاملا لرسول اللّه على صنعاء اليمن (فلمّا مات رسول اللّه رجع هو و أخواه أبان و عمر عن عمالتهم، فقال أبو بكر: ما لكم رجعتم عن عمالتكم؟ ما أحد أحقّ بالعمل من عمّال رسول اللّه (ص) ، ارجعوا إلى أعمالكم.

فقالوا: نحن بنو أحيحة، لا نعمل لأحد بعد رسول اللّه)

95

.

و تأخّر خالد و أخوه أبان عن بيعة أبي بكر، فقال لبني هاشم: إنّكم

(94) الموفقيات ص 590.

و فروة بن عمر و الأنصاري البياضي: شهد العقبة و بدرا و ما بعد هما مع رسول اللّه (ص) . أسد الغابة 4/178.

(95) خالد بن سعيد بن العاص بن أميّة بن عبد شمس: أسلم قديما فكان ثالثا أو رابعا و قيل كان خامسا، و قال ابن قتيبة في المعارف ص 128: (أسلم قبل إسلام أبي بكر) . و ابن أبي الحديد 2/13. و كان ممّن هاجر إلى الحبشة و استعمله رسول اللّه مع أخويه على صدقات مذحج و استعمله على صنعاء اليمن. ثمّ رجعوا بعد وفاة النبي ثمّ مضوا جميعا إلى الشام فقتلوا هناك، و استشهد خالد بأجنادين يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة 13 هـ. الاستيعاب 1/398-400. و الإصابة 1/406. و أسد الغابة 2/82. و راجع ابن أبي الحديد 6/13 و 16.

لطوال الشجر طيّبو الثمر نحن تبع لكم

96

.

و (تربّص ببيعته شهرين يقول: قد أمّرني رسول اللّه (ص) ثمّ لم يعزلني حتّى قبضه اللّه، و قد لقي عليّ بن أبي طالب و عثمان بن عفّان، فقال: يا بني عبد مناف، لقد طبتم نفسا عن أمركم يليه غيركم، فأمّا أبو بكر فلم يحفلها عليه، و أما عمر فاضطغنها عليه)

97

.

(و أتى عليّا فقال: هلمّ أبايعك، فو اللّه ما في الناس أحد أولى بمقام محمّد منك)

98

، (فلمّا بايع بنو هاشم أبا بكر بايعه خالد)

99

.

(ثمّ بعث أبو بكر الجنود إلى الشّام و كان أول من استعمل على ربع منها خالد بن سعيد، فأخذ عمر يقول: أ تؤمّره و قد صنع ما صنع و قال ما قال!؟فلم يزل بأبي بكر حتّى عزله، و أمر يزيد بن أبي سفيان)

100

.

ج-سعد بن عبادة

101

.

ذكروا (إنّ سعدا ترك أيّاما ثم بعث إليه أن أقبل فبايع، فقد بايع الناس

(96) أسد الغابة 2/82، و ابن أبي الحديد 2/135، ط. المصرية الأولى.

(97) الطبري 2/586 (ط. أوربا 1/2079) . و تهذيب تاريخ ابن عساكر 5/51. و في أنساب الأشراف 1/588 ذكر أنّ خالد بن سعيد تأخر عن البيعة.
(98) اليعقوبي 2/126.
(99) أسد الغابة 2/82. و راجع تفصيل ذلك في ابن أبي الحديد 1/135 نقلا عن سقيفة أبي بكر الجوهري.
(100) الطبري 2/586 (و ط. أوربا 1/2079) . و تهذيب تاريخ ابن عساكر 5/51.

و في أنساب الأشراف 1/588 ذكر أن خالد بن سعيد تأخر عن البيعة.

(101) سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري: شهد العقبة و مغازي رسول اللّه عدا بدر، فإنه اختلف في أنّه هل شهدها أم لم يشهدها. كان جوادا سخيّا، و كانت راية الأنصار بيده يوم الفتح، و لمّا نادى: (اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة) نزع رسول اللّه اللواء منه و أعطاه لابنه قيس. و لم يبايع أبا بكر حتّى قتل بسهمين في الشام سنة 15 هـ و دفن بحوارين، نسبه في جمهرة ابن حزم ص 65. و خبره في الاستيعاب 2/23-37. و الإصابة 2/27-28.

و بايع قومك، فقال: أما و اللّه حتّى أرميكم بما في كنانتي من نبل و أخضب سنان رمحي، و أضربكم بسيفي ما ملكته يدي، و أقاتلكم بأهل بيتي و من أطاعني من قومي فلا أفعل. و أيم اللّه لو أنّ الجنّ اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربّي و أعلم ما حسابي)

102

.

فلمّا أتي أبو بكر بذلك، قال عمر: لا تدعه حتّى يبايع.

فقال له بشير بن سعد: إنّه قد لجّ و أبى، و ليس بمبايعكم حتّى يقتل، و ليس بمقتول حتّى يقتل معه ولده و أهل بيته و طائفة من عشيرته، فاتركوه فليس تركه بضارّكم، إنّما هو رجل واحد.

فتركوه و قبلوا مشورة بشير بن سعد، و استنصحوه لما بدا لهم منه، فكان سعد لا يصلّي بصلاتهم و لا يجتمع معهم و لا يحجّ و لا يفيض معهم بإفاضتهم-الخ. (فلم يزل كذلك حتّى توفي أبو بكر و ولي عمر)

103

.

و لمّا ولي عمر الخلافة لقيه في بعض طرق المدينة.

فقال له: إيه يا سعد!؟ فقال له: إيه يا عمر!؟ فقال له عمر: أنت صاحب المقالة؟ قال سعد: نعم، أنا ذلك، و قد أفضى إليك هذا الأمر، كان و اللّه صاحبك أحبّ إلينا منك و قد أصبحت و اللّه كارها لجوارك.

فقال عمر: من كره جوار جار تحوّل عنه.

فقال سعد: ما أنا غير مستسرّ بذلك، و أنا متحوّل إلى جوار من هو

(102) الطبري 3/459. و ابن الأثير 2/126. أورد الرواية إلى: فاتركوه. و كنز العمال 3/134، ح 2296. و الإمامة و السياسة 1/10، و السيرة الحلبية 4/397، بعده: (لا يسلّم على من لقي منهم) . و الطبري ط. أوربا 1/1844.
(103) الرياض النضرة 1/168، مضافا إلى سائر المصادر.

خير منك.

فلم يلبث إلاّ قليلا حتّى خرج إلى الشّام في أوّل خلافة عمر-إلخ)

104

.

و في رواية البلاذري: أنّ سعد بن عبادة لم يبايع أبا بكر و خرج إلى الشام فبعث عمر رجلا و قال: ادعه إلى البيعة و احتل له، فإن أبى فاستعن اللّه عليه. فقدم الرجل الشّام فوجد سعدا في حائط بحوارين

105

فدعاه إلى البيعة.

فقال: لا أبايع قرشيا أبدا.

قال: فإني أقاتلك.

قال: و إن قاتلتني.

قال: أ فخارج أنت ممّا دخلت فيه الأمّة؟ قال: أمّا من البيعة فإنّي خارج. فرماه بسهم فقتله

106

.

و في تبصرة العوام: أنّهم أرسلوا محمّد بن مسلمة الأنصاريّ فرماه بسهم.

و قيل: إن خالدا كان في الشّام يوم ذاك، فأعانه على ذلك

107

.

قال المسعودي: (و خرج سعد بن عبادة و لم يبايع، فصار إلى الشام فقتل هناك سنة 15 هـ)

108

.

و في رواية ابن عبد ربّه: (رمي سعد بن عبادة بسهم فوجد دفينا في جسده فمات، فبكته الجنّ فقالت:

---

(104) طبقات ابن سعد 3/ق 2/145. و ابن عساكر 6/90 بترجمة سعد من تهذيبه، و كنز العمال 3/134، برقم 2296. و الحلبية 3/397.
(105) من قرى حلب معروفة. معجم البلدان.
(106) أنساب الأشراف 1/589. و العقد الفريد 3/64-65 باختلاف يسير.
(107) تبصرة العوام ط. المجلس بطهران ص 32.
(108) مروج الذهب 2/301 و 304.

109

و روى ابن سعد: (أنه جلس يبول في نفق فاقتتل فمات من ساعته و وجدوه قد اخضرّ جلده)

110

.

و في أسد الغابة

111

: (لم يبايع سعد أبا بكر و لا عمر، و سار إلى الشّام فأقام بحوران إلى أن مات سنة 15 هـ، و لم يختلفوا أنّه وجد ميتا على مغتسله و قد اخضرّ جسده و لم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلا يقول من بئر و لا يرون أحدا...) إلخ.

هكذا انتهت حياة سعد بن عبادة. و لمّا كان قتل سعد بن عبادة من الحوادث الّتي كره المؤرخون وقوعها، أغفل جمع منهم ذكرها

112

و أهمل قسم منهم بيان كيفيتها و نسبوها إلى الجنّ

113

، غير أنّهم لم يكشفوا عن منشأ العداء بين الجنّ و سعد بن عبادة، و لما ذا فوّقت سهمها إلى فؤاد سعد دون سائر الصحابة، فلو أنّهم أكملوا الأسطورة و قالوا: إن صلحاء الجنّ كرهت امتناع سعد عن البيعة فرمته بسهمين فما أخطا فؤاده لكانت أسطورتهم تامّة.

من روى أن سعدا لم يبايع:

(1) ابن سعد في الطّبقات. (2) ابن جرير في تاريخه. (3) البلاذري في ج 1 من أنسابه. (4) ابن عبد البرّ في الاستيعاب. (5) ابن عبد ربّه في العقد الفريد. (6) ابن قتيبة في الإمامة و السّياسة 1/9. (7) المسعودي في

(109) العقد الفريد 4/259-260.
(110) الطبقات 3/ق 2/145. و أبو حنيفة الدينوري في المعارف ص 113.

(111) في ترجمة سعد. و الاستيعاب 2/37.
(112) كابن جرير و ابن كثير و ابن الأثير في تواريخهم.
(113) كمحبّ الدين الطبري في الرياض النضرة. و ابن عبد البرّ في الاستيعاب.

مروج الذّهب. (8) ابن حجر العسقلاني في الإصابة 2/28. (9) محبّ الدين الطّبري في الرّياض النضرة 1/168. (10) ابن الأثير في أسد الغابة 3/222. (11) تاريخ الخميس. (12) عليّ بن برهان الدين في السيرة الحلبيّة 3/396، 397. (13) أبو بكر الجوهري، برواية ابن أبي الحديد عنه.

كان ما ذكرناه خلاصة من خبر استخلاف أبي بكر و بيعته، أوردناه ملخّصا من كتاب عبد اللّه بن سبأ الجزء الأول.

و في ما يلي خبر استخلاف عمر و بيعته.

استخلاف عمر و بيعته

دعا أبو بكر عثمان خاليا

114

فقال:

اكتب: بسم اللّه الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، أمّا بعد.

قال: ثم أغمي عليه فذهب عنه، فكتب عثمان:

أما بعد فإنّي استخلفت عليكم عمر بن الخطّاب و لم آلكم خيرا. ثمّ أفاق أبو بكر فقال: اقرأ عليّ. فقرأ عليه، فكبّر أبو بكر و قال: أراك خفت أن يختلف الناس إن افتلتت نفسي في غشيتي؟قال: نعم. قال: جزاك اللّه خيرا عن الإسلام و أهله. و أقرّها أبو بكر (رض) من هذا الموضع.

و ذكر قبل ذلك عن عمر أنّه كان جالسا و النّاس معه و بيده جريدة و معه شديد مولى لأبي بكر معه الصحيفة الّتي فيها استخلاف عمر، و عمر يقول: (أيّها الناس اسمعوا و أطيعوا قول خليفة رسول اللّه إنّه يقول إنّي لم

(114) دعاه خاليا: انفرد به في خلوة.

الكم نصحا)

115

.

كم من الفرق بين موقف أبي حفص هذا و موقفه من كتابة وصيّة الرسول (ص) !؟

الشّورى و بيعة عثمان

قال ابن عبد ربّه في العقد الفريد:

لمّا طعن الخليفة عمر قيل له: لو استخلفت. فقال:

لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيّا لاستخلفته، فإن سألني ربّي قلت:

نبيّك يقول: إنّه أمين هذه الأمّة. و لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّا لأستخلفتّه، فإن سألني ربّي قلت: سمعت نبيّك يقول: إنّ سالم ليحبّ اللّه حبّا لو لم يخف اللّه ما عصاه

116

.

و إنّهم قالوا له: يا أمير المؤمنين، لو عهدت. فقال: لقد كنت أجمعت بعد مقالتي لكم أن أوّلي رجلا أمركم أرجو أن يحملكم على الحقّ -و أشار إلى عليّ-ثمّ رأيت أن لا أتحمّلها حيّا و ميّتا... الخ.

و روى البلاذري في أنساب الأشراف

117

قال عمر: ادعوا لي عليّا و عثمان و طلحة و الزبير و عبد الرّحمن بن عوف و سعد بن أبي وقّاص. فلم يكلّم أحدا منهم غير عليّ و عثمان، فقال: يا عليّ، لعلّ هؤلاء سيعرفون لك قرابتك من النّبيّ (ص) و صهرك و ما أنالك اللّه من الفقه و العلم، فإن و ليت هذا الأمر فاتّق اللّه فيه. ثمّ دعا عثمان و قال: يا عثمان، لعلّ هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول اللّه و سنّك، فإن وليت هذا الأمر فاتّق اللّه

(115) تاريخ الطبري ط. أوربا 1/2138.
(116) العقد الفريد 4/274، أوردناه ملخصا.
(117) أنساب الأشراف 5/16.

و لا تحمل آل أبي معيط على رقاب النّاس. ثمّ قال: ادعوا لي صهيبا.

فدعي، فقال: صلّ بالناس ثلاثا، و ليخل هؤلاء النفر في بيت، فإذا اجتمعوا على رجل منهم، فمن خالفهم فاضربوا رأسه. فلمّا خرجوا من عند عمر قال: إن ولّوها الأجلح سلك بهم الطريق

118

.

و في الرّياض النّضرة ط 2 بمصر 1373 هـ، 2/95.

(للّه درّهم إن ولّوها الأصيلع كيف يحملهم على الحقّ و إن كان السيف على عنقه. قال محمّد بن كعب: فقلت: أتعلم ذلك منه و لا تولّيه؟فقال:

إن تركتهم فقد تركهم من هو خير منّي) .

روى البلاذري في أنساب الأشراف 5/17 عن الواقدي بسنده، قال:

(ذكر عمر من يستخلف فقيل: أين أنت عن عثمان؟قال: لو فعلت لحمل بني أبي معيط على رقاب الناس. قيل: الزّبير؟قال: مؤمن الرضى، كافر الغضب. قيل: طلحة؟قال: أنفه في السّماء و استه في الماء. قيل:

سعد؟قال: صاحب مقنب

119

، قرية له كثير. قيل: عبد الرّحمن؟قال:

بحسبه أن يجري على أهل بيته) .

و روى البلاذري في ج 5/18 من أنساب الأشراف: أنّ عمر بن الخطّاب أمر صهيبا مولى عبد اللّه بن جدعان حين طعن أن يجمع إليه وجوه المهاجرين و الأنصار. فلمّا دخلوا عليه قال: إنّي جعلت أمركم شورى إلى ستّة نفر من المهاجرين الأوّلين الّذين قبض رسول اللّه (ص) و هو عنهم راض ليختاروا أحدهم لإمامتكم-و سمّاهم، ثمّ قال لأبي طلحة زيد بن سهل

(118) و قريب منه ما في طبقات ابن سعد ج 3 ق 1 ص 247. و راجع ترجمة عمر من الاستيعاب و منتخب الكنز ج 4 ص 429.

(119) المقنب: جماعة من الخيل تجتمع للغارة.

الخزرجي: اختر خمسين رجلا من الأنصار يكونوا معك، فإذا توفّيت فاستحثّ هؤلاء النفر حتّى يختاروا لأنفسهم و للأمّة أحدهم و لا يتأخّروا عن أمرهم فوق ثلاث. و أمر صهيبا أن يصلّي بالناس إلى أن يتّفقوا على إمام.

و كان طلحة بن عبيد اللّه غائبا في ماله بالسراة

120

، فقال عمر: إن قدم طلحة في الثلاثة الأيام، و إلاّ فلا تنتظروه بعدها و أبرموا الأمر و اصرموه، و بايعوا من تتّفقون عليه، فمن خالف عليكم فاضربوا عنقه. قال: فبعثوا إلى طلحة رسولا يستحثّونه و يستعجلونه بالقدوم، فلم يرد المدينة إلاّ بعد وفاة عمر و البيعة لعثمان. فجلس في بيته و قال: أعلى مثلي يفتات!فأتاه عثمان، فقال له طلحة: إن رددت أ تردّه؟ قال: نعم. قال: فانّي أمضيته. فبايعه.

و قريب منه ما في العقد الفريد 3/73.

و روى في ص 20 منه، قال:

فقال عبد اللّه بن سعد بن أبي سرح: ما زلت خائفا لأن ينتقض هذا الأمر حتّى كان من طلحة ما كان، فوصلته رحم و لم يزل عثمان مكرما لطلحة حتّى حصر فكان أشدّ الناس عليه.

و روى البلاذري في 5/18 من كتابه أنساب الأشراف بسند ابن سعد قال:

(قال عمر: ليتبع الأقل الأكثر، فمن خالفكم فاضربوا عنقه) .

و روى في ص 19 منه: عن أبي مخنف أنّه قال:

(أمر عمر أصحاب الشورى أن يتشاوروا في أمرهم ثلاثا، فإن اجتمع اثنان على رجل و اثنان على رجل، رجعوا في الشورى، فإن اجتمع أربعة على واحد و أباه واحد، كانوا مع الأربعة، و إن كانوا ثلاثة و ثلاثة كانوا مع الثلاثة

(120) السراة: الجبل الذي فيه طرف الطائف و يقال لأماكن أخرى. معجم البلدان.

الّذين فيهم ابن عوف إذ كان الثقة في دينه و رأيه، المأمون للاختيار على المسلمين) . و قريب منه ما في العقد الفريد 3/74.

و روى أيضا عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أنّ عمر قال: (إن اجتمع رأي ثلاثة و ثلاثة فاتّبعوا صنف عبد الرّحمن بن عوف و اسمعوا و أطيعوا) و أخرجه ابن سعد في الطبقات 3/ق 1/43.

و في تاريخ اليعقوبي 2/160: و روى البلاذري في أنساب الأشراف 5/15 أنّ عمر قال:

(إنّ رجالا يقولون إنّ بيعة أبي بكر فلتة وقى اللّه شرها، و إنّ بيعة عمر كانت عن غير مشورة و الأمر بعدي شورى، فإذا اجتمع رأي أربعة فليتّبع الاثنان الأربعة، و إذا اجتمع رأي ثلاثة و ثلاثة فاتّبعوا رأي عبد الرّحمن بن عوف فاسمعوا و أطيعوا و إن صفّق عبد الرّحمن بإحدى يديه على الأخرى فاتّبعوه) .

و روى المتّقي في كنز العمال 3/160، عن محمّد بن جبير عن أبيه، أنّ عمر قال:

(إن ضرب عبد الرّحمن بن عوف إحدى يديه على الأخرى فبايعوه) .

و عن أسلم أنّ عمر بن الخطاب قال:

(بايعوا لمن بايع له عبد الرّحمن بن عوف، فمن أبى فاضربوا عنقه) .

و من كلّ هذا يظهر أنّ الخليفة كان قد جعل أمر الترشيح بيد عبد الرّحمن بن عوف، و بيّت معه أن يشترط في البيعة العمل بسيرة الشيخين، و هم يعلمون أنّ الإمام عليّا يأبى أن يجعل العمل بسيرة الشيخين في عداد العمل بكتاب اللّه و سنّة رسوله (ص) و أنّ عثمان يوافق على ذلك، فيبايع عثمان بالخلافة، و يخالفهم الإمام علي فيعرض على السيف.

و الدليل على ما قلنا بالإضافة إلى ما سبق، ما رواه ابن سعد في طبقاته

عن سعيد بن العاص ما خلاصته: أنّ سعيد بن العاص أتى الخليفة عمر يستزيده في الأرض ليوسّع داره، فوعده الخليفة بعد صلاة الغداة و ذهب معه حينئذ إلى داره. قال سعيد:

(فزادني و خطّ لي برجليه فقلت: يا أمير المؤمنين زدني فإنّه نبتت لي نابتة من ولد و أهل. فقال: حسبك و اختبئ عندك، إنّه سيلي الأمر من بعدي من يصل رحمك و يقضي حاجتك. قال: فمكثت خلافة عمر بن الخطاب حتّى استخلف عثمان و أخذها عن شورى و رضى فوصلني و أحسن و قضى حاجتي و أشركني في أمانته)

121

.

إذا فالخليفة عمر قد أنبأ سعيد بن العاص أنّه سيلي بعده ذو رحم سعيد و هو عثمان و طلب منه أن يخبئ الأمر عنده؛ و يتّضح من هذه المحاورة أنّ أمر تولية عثمان الخلافة كان قد بتّ فيه في حياة الخليفة عمر، و تعيين الستّة في الشّورى كان من أجل تمرير هذا الأمر بصورة مرضية لدى الجميع.

أمّا تعريض الإمام علي للقتل فممّا يدلّ عليه بالإضافة إلى ما مرّ ما رواه ابن سعد أيضا بترجمة سعيد بن العاص: أنّ عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص: (ما لي أراك معرضا كأنّك ترى أنّي قتلت أباك؟ما أنا قتلته و لكنّه قتله علي بن أبي طالب)

122

و كان قد قتله ببدر.

أ ليس في هذا القول تحريش على الإمام عليّ و إثارة للضغائن عليه.

الإمام علي (ع) يعلم بأنّ الخلافة زويت عنه

كان الإمام عليّ يعلم بأنّ الخلافة زويت عنه و إنّما اشترك معهم في

---

(121) بترجمة سعيد بن العاص من الطّبقات، ط. أوربا 5/20-22.

(122) سعيد بن العاص بن سعيد بن أحيحة بن أميّة: توفي رسول اللّه (ص) و هو ابن تسع سنين أو نحوه طبقات ابن سعد 5/20-22.

الشّورى كي لا يقال: هو الّذي زهد في الخلافة. و يدلّ على أنّه كان يعلم ما بيّت له، الحديث الآتي:

روى البلاذري في 5/19 من كتابه أنساب الأشراف:

إنّ عليّا شكا إلى عمّه العبّاس ما سمع من قول عمر: كونوا مع الّذين فيهم عبد الرّحمن بن عوف، و قال: و اللّه لقد ذهب الأمر منّا. فقال العبّاس: و كيف قلت ذلك يا ابن أخي؟فقال: إنّ سعدا لا يخالف ابن عمّه عبد الرّحمن و عبد الرّحمن نظير عثمان و صهره فأحدهما لا يخالف صاحبه لا محالة، و إن كان الزبير و طلحة معي فلن أنتفع بذلك إذ كان ابن عوف في الثلاثة الآخرين. و قال ابن الكلبي: عبد الرّحمن بن عوف زوج أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط و أمّها أروى بنت كريز و أروى أمّ عثمان فلذلك قال صهره. و قريب منه ما في العقد الفريد 3/74.

و روى في ص 21 منه عن أبي مخنف قال:

لما دفن عمر أمسك أصحاب الشورى و أبو طلحة يؤمّهم فلم يحدثوا شيئا، فلمّا أصبحوا جعل أبو طلحة يحوشهم للمناظرة في دار المال، و كان دفن عمر يوم الأحد و هو الرابع من يوم طعن، و صلّى عليه صهيب بن سنان. قال:

فلمّا رأى عبد الرّحمن تناجي القوم و تناظرهم و أنّ كلّ واحد منهم يدفع صاحبه عنها، قال لهم: يا هؤلاء أنا أخرج نفسي و سعدا على أن أختار يا معشر الأربعة أحدكم، فقد طال التناجي و تطلّع الناس إلى معرفة خليفتهم و إمامهم، و احتاج من أقام الانتظار ذلك من أهل البلدان الرجوع إلى أوطانهم، فأجابوا إلى ما عرض عليهم إلاّ عليّا فإنّه قال: أنظر.

و أتاهم أبو طلحة فأخبره عبد الرّحمن بما عرض و بإجابة القوم إيّاه إلاّ عليّا فأقبل أبو طلحة على عليّ، فقال: يا أبا الحسن إنّ أبا محمّد ثقة لك و للمسلمين، فما بالك تخالف و قد عدل الأمر عن نفسه، فلن يتحمّل المأثم

لغيره؟فأحلف عليّ عبد الرّحمن بن عوف أن لا يميل إلى هوى و أن يؤثر الحقّ و أن يجتهد للأمّة، و أن لا يحابي ذا قرابة، فحلف له، فقال: اختر مسدّدا.

و كان ذلك في دار المال و يقال في دار المسور بن مخرمة.

ثم إنّ عبد الرّحمن أحلف رجلا رجلا منهم بالأيمان المغلظة، و أخذ عليهم المواثيق و العهود أنّهم لا يخالفونه إن بايع منهم رجلا و أن يكونوا معه على من يناويه، فحلفوا على ذلك، ثمّ أخذ بيد عليّ فقال له: عليك عهد اللّه و ميثاقه إن بايعتك أن لا تحمل بني عبد المطّلب على رقاب الناس، و لتسيرنّ بسيرة رسول اللّه (ص) لا تحول عنها و لا تقصر في شيء منها، فقال عليّ:

لا أحمل عهد اللّه و ميثاقه على ما لا أدركه و لا يدركه أحد. من ذا يطيق سيرة رسول اللّه (ص) و لكنّي أسير من سيرته بما يبلغه الاجتهاد منّي، و بما يمكنني و بقدر علمي. فأرسل عبد الرّحمن يده. ثمّ أحلف عثمان و أخذ عليه العهود و المواثيق أن لا يحمل بني أميّة على رقاب الناس و على أن يسير بسيرة رسول اللّه (ص) و أبي بكر و عمر و لا يخالف شيئا من ذلك، فحلف له. فقال عليّ: قد أعطاك أبو عبد اللّه الرّضا فشأنك فبايعه. ثمّ إنّ عبد الرّحمن عاد إلى عليّ فأخذ بيده و عرض عليه أن يحلف بمثل تلك اليمين أن لا يخالف سيرة رسول اللّه و أبي بكر و عمر، فقال عليّ: عليّ الاجتهاد، و عثمان يقول: نعم، عليّ عهد اللّه و ميثاقه و أشدّ ما أخذ على أنبيائه أن لا اخالف سيرة رسول اللّه (ص) و أبي بكر و عمر في شيء و لا أقصر عنها. فبايعه عبد الرّحمن و صافحه و بايعه أصحاب الشورى، و كان عليّ قائما، فقعد، فقال له عبد الرحمن: بايع و إلاّ ضربت عنقك. و لم يكن مع أحد يومئذ سيف، فيقال: إنّ عليّا خرج مغضبا فلحقه أصحاب الشورى، فقالوا: بايع و إلاّ جاهدناك، فأقبل معهم يمشي حتّى بايع عثمان) ا هـ.

في هذا الخبر حذف من أوّل قول عبد الرحمن (و سيرة الشيخين) و نقل

أوّل كلام الإمام عليّ بتصرّف و حذف آخره؛ و تمام الخبر في الرواية الآتية:

في تاريخ اليعقوبي 1/162: أنّ عبد الرحمن خلا بعليّ بن أبي طالب، فقال: لنا اللّه عليك، إن وليت هذا الأمر، أن تسير فينا بكتاب اللّه و سنّة نبيّه و سيرة أبي بكر و عمر. فقال: أسير فيكم بكتاب اللّه و سنّة نبيّه ما استطعت. فخلا بعثمان فقال له: لنا اللّه عليك، إن وليت هذا الأمر، أن تسير فينا بكتاب اللّه و سنّة نبيّه و سيرة أبي بكر و عمر. فقال: لكم أن أسير فيكم بكتاب اللّه و سنّة نبيّه و سيرة أبي بكر و عمر. ثمّ خلا بعليّ فقال له مثل مقالته الأولى، فأجابه مثل الجواب الأول؛ ثمّ خلا بعثمان فقال له مثل المقالة الأولى، فأجابه مثل ما كان أجابه، ثمّ خلا بعليّ فقال له مثل المقالة الأولى، فقال: إنّ كتاب اللّه و سنة نبيّه لا يحتاج معهما إلى إجّيرى[123] أحد، أنت مجتهد أن تزوي هذا الأمر عنّي. فخلا بعثمان فأعاد عليه القول، فأجابه بذلك الجواب، و صفق على يده.

و في ذكر حوادث سنة 23 من تاريخ الطبري 3/297، و كذلك ابن الأثير 3/37، قال الإمام عليّ لعبد الرحمن لمّا بايع عثمان في اليوم الثالث:

«حبوته حبوة دهر، ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل و اللّه المستعان على ما تصفون. و اللّه ما ولّيت عثمان إلا ليردّ الأمر إليك، و اللّه كلّ يوم في شأن» . و كذلك ورد في العقد الفريد 3/76، في العسجدة الثانية في الخلفاء و تواريخهم برقم: 5.

بيعة الإمام علي (ع)

قتل عثمان و عاد إلى المسلمين أمرهم و انحلّوا من كل بيعة سابقة

(123) الإجّيرى بالكسر و التشديد: العادة و الطريقة.

توثقهم، فتهافتوا على ابن أبي طالب يطلبون يده للبيعة؛ قال الطبري[124] :

فأتاه أصحاب رسول اللّه (ص) فقالوا:

إنّ هذا الرجل قد قتل و لا بدّ للناس من إمام و لا نجد اليوم أحقّ بهذا الأمر منك، لا أقدم سابقة، و لا أقرب من رسول اللّه (ص) .

فقال: لا تفعلوا فإنّي أكون وزيرا خير من أن أكون أميرا.

فقالوا: لا، و اللّه ما نحن بفاعلين حتّى نبايعك.

قال: ففي المسجد، فإنّ بيعتي لا تكون خفيا، و لا تكون إلاّ عن رضى المسلمين....

و روى بسند آخر و قال:

اجتمع المهاجرون و الأنصار فيهم طلحة و الزبير فأتوا عليّا فقالوا:

يا أبا الحسن، هلمّ نبايعك.

فقال: لا حاجة لي في أمركم. أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به، فاختاروا.

فقالوا: و اللّه ما نختار غيرك.

قال: فاختلفوا إليه بعد ما قتل عثمان (رض) مرارا ثمّ أتوه في آخر ذلك، فقالوا له:

إنّه لا يصلح الناس إلاّ بإمرة و قد طال الأمر.

فقال لهم: إنّكم قد اختلفتم إليّ و أتيتم و إنّي قائل لكم قولا إن قبلتموه قبلت أمركم و إلاّ فلا حاجة لي فيه.

قالوا: ما قلت قبلناه إن شاء اللّه. فجاء فصعد المنبر فاجتمع الناس

(124) الطبري 5/152-153، و ط. أوربا 1/3066. و راجع الكنز 3/161 ح 2471 فإنّه يروي تفصيل بيعة عليّ و مجيء طلحة و الزبير إليه و امتناعه عن البيعة.... و كذلك حكاه ابن أعثم بالتفصيل في ص 160-161 من تأريخه.

إليه.

فقال: إنّي قد كنت كارها لأمركم فأبيتم إلاّ أن أكون عليكم. ألا و إنّه ليس لي أمر دونكم، ألا إنّ مفاتيح مالكم معي. ألا و إنّه ليس لي أن آخذ منه درهما دونكم. رضيتم؟ قالوا: نعم.

قال: اللّهمّ اشهد عليهم. ثمّ بايعهم على ذلك.

و روى البلاذري

125

و قال:

و خرج عليّ فأتى منزله، و جاء الناس كلّهم يهرعون إلى عليّ، أصحاب النبيّ و غيرهم، و هم يقولون: (إنّ أمير المؤمنين عليّ) حتّى دخلوا داره، فقالوا له: نبايعك، فمدّ يدك فإنّه لا بدّ من أمير. فقال عليّ: ليس ذلك إليكم إنّما ذلك إلى أهل بدر، فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة. فلم يبق أحد من أهل بدر إلاّ أتى عليّا، فقالوا: ما نرى أحدا أحقّ بهذا الأمر منك....

فلمّا رأى عليّ ذلك صعد المنبر، و كان أوّل من صعد إليه فبايعه طلحة بيده، و كانت إصبع طلحة شلاّء فتطيّر منها عليّ و قال: ما أخلقه أن ينكث.

روى الطبري

126

: (أنّ حبيب بن ذؤيب نظر إلى طلحة حين بايع فقال:

أوّل من بدأ بالبيعة يد شلاّء لا يتمّ هذا الأمر...) انتهى.

بعد دراسة الواقع التاريخي في إقامة الحكم في صدر الإسلام، ندرس في ما يأتي رأي المدرستين في الخلافة و الإمامة و نبدأ بذكر آراء مدرسة الخلافة.

(125) الأنساب 5/70. و قد روى الحاكم في المستدرك 3/114 تشاؤم علي من بيعة طلحة.
(126) الطبري 5/153 و ط. اوربا 1/3068.

الفصل الثاني بحوث مدرسة الخلفاء في الإمامة

رأي مدرسة الخلافة و ما استدلوا به آراء أتباع مدرسة الخلفاء وجوب طاعة الإمام و إن خالف الرسول (ص) استدلال أتباع مدرسة الخلافة في القرون الأخيرة مصطلحات بحث الإمامة و الخلافة دراسة آراء مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة الأول: مناقشة الاستدلال بالشورى الاستدلال بالشورى بكتاب اللّه و سنة رسوله (ص) الثاني: مناقشة الاستدلال بالبيعة الثالث: مناقشة الاستدلال بعمل الصحابة مناقشة الاستدلال بالشورى و البيعة و عمل الأصحاب الرابع: مناقشة الاستدلال بأن الخلافة تقام بالقهر و الغلبة إطاعة الإمام الجائر المخالف لسنّة الرسول (ص) خلاصة البحث

رأي مدرسة الخلافة و ما استدلّوا به

أولا- قال الخليفة أبو بكر [1] :

لن يعرف هذا الأمر إلاّ لهذا الحيّ من قريش هم أوسط العرب نسبا و دارا و قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين: (عمر و أبي عبيدة) فبايعوا أيّهما شئتم [2] .

ثانيا- قال الخليفة عمر بن الخطاب [3] :

فلا يغترّنّ امرؤ أن يقول إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة و تمّت، ألا

---

(1) أبو بكر، عبد اللّه بن أبي قحافة، عثمان بن عامر القرشي التيمي، و أمّه: أمّ الخير سلمى أو ليلى بنت صخر التيمي. ولد بعد الفيل بسنتين أو ثلاث. صاحب الرسول (ص) في هجرته إلى المدينة و سكن (سنح) خارج المدينة و كان يحلب للحيّ أغنامهم حتّى ولي الخلافة. انتقل إلى المدينة بعد ستّة أشهر من ذلك، و توفّي سنة ثلاث عشرة. و روى عنه أصحاب الصحاح 142 حديثا. راجع ترجمته بأسد الغابة و في تاريخ ابن الأثير 2/163 في ذكر بعض أخباره. و جوامع السيرة ص: 278.

(2) البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى 4/120.

(3) أبو حفص، عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، و أمّه: حنتمة بنت هاشم أو هشام بن المغيرة المخزومي. أسلم بعد نيف و خمسين بمكّة و شهد بدرا و ما بعدها. استخلفه أبو بكر في مرض موته، و توفي من طعنة أبي لؤلؤة إياه، و دفن هلال محرم سنة 24 هـ إلى جنب

و إنّها قد كانت كذلك، و لكنّ اللّه وقى شرّها، و ليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر، من بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو و لا الّذي بايعه تغرّة أن يقتلا (4) .

آراء أتباع مدرسة الخلفاء:

قال أقضى القضاة الماوردي (ت: 450 هـ) في الأحكام السلطانية (5)

و الإمام علامة الزمان القاضي أبو يعلى (ت: 458 هـ) في الأحكام السلطانية (6) ، كلاهما، قالا في كتابيهما:

الإمامة تنعقد من وجهين: أحدهما باختيار أهل الحلّ و العقد، و الثاني بعهد الإمام من قبل.

فأمّا انعقادها باختيار أهل الحلّ و العقد، فقد اختلف العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة منهم على مذاهب شتّى، فقالت طائفة:

قأبي بكر. روى عنه أصحاب الصحاح 537 حديثا. ترجمته في الاستيعاب و أسد الغابة و جوامع السيرة ص: 276.

(4) البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى 4/120. و (التّغرّة) : مصدر غررته: إذا ألقيته في الغرر و هي من التغرير، كالتعلة من التعليل، و المقصود أن الّذي يبايع آخر دون مشورة من المسلمين، فإنّهما قد غررا بالمسلمين و جزاء المبايع و المبايع له أن يقتلا. (راجع معاجم اللغة) .

(5) الأحكام السلطانية لأبي الحسن عليّ بن محمد البصريّ البغدادي، ط. الثانية سنة 1356 هـ، ص 7-11. و الماوردي نسبة إلى (بيع ماء الورد) كان من وجوه فقهاء الشافعية، له مصنّفات كثيرة.

(6) الأحكام السلطانية للشيخ أبي يعلى محمد بن الحسن الفراء الحنبلي ط. الأولى بمصر سنة 1356 هـ، ص: 7-11.

و إنما اعتمدنا عليهما أكثر من غيرهما من كتب مدرسة الخلفاء، لأنّ هذا النوع من الكتب مثل كتاب الخراج لأبي يوسف، إنّما ألّف لتدوين الأحكام الّتي تخصّ شئون الحكم على رأي مدرسة الخلفاء و من أجل العمل به، خلافا للكتب الّتي دوّنت في مقام المناظرة و ليس للعمل بها. و كلّ ما نورده في ما يلي من كلا الكتابين و ما انفرد به أحدهما ذكرنا ذلك في الهامش.

لا تنعقد إلاّ بجمهور أهل العقد و الحلّ من كلّ بلد ليكون الرضا به عامّا و التسليم لإمامته إجماعا، و هذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر (رض) على الخلافة باختيار من حضرها و لم ينتظر ببيعته قدوم غائب عنها.

و قالت طائفة أخرى: أقل من تنعقد به منهم الإمامة خمسة يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة استدلالا بأمرين: أحدهما، أنّ بيعة أبي بكر (رض) انعقدت بخمسة اجتمعوا عليها ثمّ تابعهم الناس فيها، و هم عمر بن الخطاب، و أبو عبيدة بن الجراح [7] ، و أسيد بن حضير، و بشير بن سعد، و سالم مولى أبي حذيفة (رض) . و الثاني، أنّ عمر (رض) جعل الشورى في ستّة ليعقد لأحدهم برضا الخمسة. و هذا قول أكثر الفقهاء و المتكلّمين من أهل البصرة.

و قال آخرون من علماء الكوفة: تنعقد بثلاثة يتولاّها أحدهم برضا الاثنين ليكونوا حاكما و شاهدين كما يصحّ عقد النكاح بوليّ و شاهدين.

---

(7) أبو عبيدة، عامر بن عبد اللّه بن الجراح: كان حفّارا للقبور بمكّة شهد بدرا و ما بعدها و مات بطاعون عمواس-كورة قرب بيت المقدس-سنة 18 هـ. روى عنه أصحاب الصحاح 14 حديثا. ترجمته بأسد الغابة و جوامع السيرة ص: 284، و طبقات ابن سعد، ط. أوربا 2/2/74.

و أسيد بن حضير: مرّت ترجمته في ص 152، الهامش رقم (16) .

و بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي: يقال أول من بايع أبا بكر، و كان حاسدا لسعد بن عبادة، و قتل يوم عين التمر مع خالد. أخرج حديثه النسائي في سننه. راجع عبد اللّه بن سبأ 1/96. و التقريب 1/103.

و أسد الغابة.

و أبو عبد اللّه، سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة الأموي: كان من اصطخر فارس أعتقته ثبيتة الأنصارية زوج أبي حذيفة فتبناه أبو حذيفة و لذلك عدّ من المهاجرين هاجر إلى المدينة قبل رسول اللّه و كان يؤم المهاجرين فيها و فيهم عمر بن الخطاب لأنه كان أقرأهم للقرآن، آخى الرسول بينه و بين معاذ من الأنصار. قتل يوم اليمامة. ترجمته بأسد الغابة و الإصابة.

و قالت طائفة اخرى: (تنعقد بواحد، لأنّ العبّاس [8] قال لعليّ رضوان اللّه عليهما: امدد يدك أبايعك، فيقول الناس عمّ رسول اللّه (ص) بايع ابن عمّه، فلا يختلف عليك اثنان، و لأنّه حكم و حكم واحد نافذ) [9] .

(و أمّا انعقاد الإمامة بعهد من قبله، فهو ممّا انعقد الإجماع على جوازه و وقع الاتّفاق على صحّته لأمرين عمل المسلمون بهما و لم يتناكروهما، أحدهما:

أنّ أبا بكر (رض) عهد بها إلى عمر (رض) فأثبت المسلمون إمامته بعهده) .

و الثاني أنّ عمر (رض) عهد بها إلى أهل الشورى... إلى قوله: لأنّ بيعة عمر (رض) لم تتوقف على رضا الصحابة، و لأن الإمام أحقّ بها) [10] .

و نقل اختلاف العلماء في لزوم معرفة الإمام و أنّ بعضهم قال:

(واجب على الناس كلّهم معرفة الإمام بعينه و اسمه، كما عليهم معرفة اللّه و معرفة رسوله) .

ثمّ قال:

(و الّذي عليه جمهور الناس، أنّ معرفة الإمام تلزم الكافّة بالجملة دون التفصيل) [11] .

و أضاف قاضي القضاة أبو يعلى الفرّاء الحنبلي في الأحكام السلطانية [12] .

---

(8) أبو الفضل، العبّاس بن عبد المطّلب، و أمّه: نتيلة بنت خباب النمري. شهد مع رسول اللّه بيعة العقبة و أسر في بدر ففدى نفسه و ابني أخويه عقيلا و نوفلا، هاجر قبل فتح مكة و شهده.

استسقى به عمر بن الخطاب في عام الرمادة-عام الجدب و القحط- توفّي سنة 32 هـ. روى عنه أصحاب الصحاح 35 حديثا. ترجمته بأسد الغابة و جوامع السيرة ص: 281.

(9) الأحكام السلطانية للماوردي ص: 6-7.

(10) المصدر السابق ص: 10. و يظهر من أقوالهم بأنّهم يدينون بما وقع و أنّ الأمر الذي وقع هو الدين و لا يختلفون في ذلك و إنما الاختلاف في كيفية ما وقع.

(11) المصدر السابق ص: 15.

(12) الأحكام السلطانية ص: 7-11.

على تلكم الأقوال قول بعضهم:

(إنّها تثبت بالقهر و الغلبة، و لا تفتقر إلى العقد) .

(و من غلب عليهم بالسيف حتّى صار خليفة و سمّي أمير المؤمنين، فلا يحلّ لأحد يؤمن باللّه و اليوم الآخر أن يبيت و لا يراه إماما برّا كان أو فاجرا، فهو أمير المؤمنين) .

و قال في الإمام يخرج عليه من يطلب الملك فيكون مع هذا قوم و مع هذا قوم: (تكون الجمعة مع من غلب) و احتجّ بأنّ ابن عمر صلّى بأهل المدينة في زمن الحرّة و قال: (نحن مع من غلب) (13) .

و قال إمام الحرمين الجويني (ت: 478 هـ) في باب الاختيار و صفته و ذكر ما ينعقد به الإمامة من كتاب الإرشاد:

(اعلموا أنّه لا يشترط في عقد الإمامة الإجماع، بل تنعقد الإمامة و إن لم تجمع الأمّة على عقدها. و الدليل عليه أنّ الإمامة لمّا عقدت لأبي بكر ابتدر لإمضاء أحكام المسلمين، و لم يتأنّ لانتشار الأخبار إلى من نأى من الصّحابة في الأقطار، و لم ينكر عليه منكر، و لم يحمله على التريّث حامل. فإذا لم يشترط الإجماع في عقد الإمامة، لم يثبت عدد معدود، و لا حدّ محدود،

---

(13) المصدر السابق ص 7-8 في طبعة و في أخرى ص 20-23.

و ابن عمر، هو عبد اللّه بن عمر بن الخطاب، أمّه زينب بنت مظعون الجمحية. استصغره الرسول في أحد و شهد ما بعدها. روي عنه في الثناء على نفسه و أبيه روايات متعددة. أفتى ستّين سنة بعد رسول اللّه في الموسم. قالوا: كان جيّد الحديث، و لم يكن جيّد الفقه. لم يشهد شيئا من الحروب مع عليّ، ثمّ ندم من ذلك لمّا حضرته الوفاة، قال: (ما أجد في نفسي من الدنيا إلا أنّي لم أقاتل الفئة الباغية مع عليّ بن أبي طالب) . و كان سبب وفاته أنّ الحجّاج أمر رجلا فوضع زجّ رمح مسموم على قدمه في الزحام فمات سنة 73 هـ، و روى عنه أصحاب الصحاح 2630 حديثا.

ترجمته بأسد الغابة و سير النبلاء و جوامع السيرة ص 275.

فالوجه الحكم بأنّ الإمامة تنعقد بعقد واحد من أهل الحلّ و العقد) [14] .

و قال الإمام ابن العربي (ت: 543 هـ) :

(لا يلزم في عقد البيعة للإمام أن تكون من جميع الأنام، بل يكفي لعقد ذلك اثنان أو واحد) [15] .

و قال الشيخ الفقيه الإمام العلاّمة المحدّث القرطبي (ت: 671 هـ) في المسألة الثامنة في تفسير **إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً** البقرة/30، من تفسير سورة البقرة:

(فإن عقدها واحد من أهل الحلّ و العقد، فذلك ثابت، و يلزم الغير فعله، خلافا لبعض الناس حيث قال: لا تنعقد إلاّ بجماعة من أهل الحلّ و العقد. و دليلنا أنّ عمر (رض) عقد البيعة لأبي بكر و لم ينكر أحد من الصحابة ذلك، فوجب ألا يفتقر إلى عدد يعقدونه كسائر العقود) .

و قال الإمام أبو المعالي: (من انعقدت له الإمامة بعقد واحد فقد لزمت، و لا يجوز خلعه من غير حدث و تغير أمر، قال: و هذا مجمع عليه) .

و قال في المسألة الخامسة عشرة من تفسير الآية:

(إذا انعقدت الإمامة باتّفاق أهل الحلّ و العقد أو بواحد على ما تقدّم، وجب على النّاس كافّة مبايعته) [16] .

و قال أقضى القضاة عضد الدين الإيجي (ت: 756 هـ) في المواقف:

المقصد الثالث فيما تثبت به الإمامة، ما ملخّصه: أنّها تثبت بالنصّ من

---

(14) الإرشاد في الكلام لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد اللّه الجويني ط. القاهرة 1369 هـ، ص 424.

(15) الإمام أبو بكر محمد بن عبد اللّه الإشبيلي المشهور بابن العربي في شرحه سنن الترمذي 13/229.

(16) القرطبي، هو أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي في كتاب جامع أحكام القرآن، ط. مصر سنة 1387 هـ، 1/269، 272.

الرّسول، و من الإمام السابق بالإجماع، و تثبت ببيعة أهل الحل و العقد خلافا للشيعة. دليلنا ثبوت إمامة أبي بكر (رض) بالبيعة.

و قال:

إذا ثبت حصول الإمامة بالاختيار و البيعة، فاعلم أنّ ذلك لا يفتقر إلى الإجماع، إذ لم يقم عليه دليل من العقل أو السمع، بل الواحد و الاثنان من أهل الحلّ و العقد كاف، لعلمنا أنّ الصّحابة مع صلابتهم في الدين اكتفوا بذلك كعقد عمر لأبي بكر، و عقد عبد الرّحمن بن عوف لعثمان، و لم يشترطوا اجتماع من في المدينة فضلا عن إجماع الأمّة. هذا و لم ينكر عليهم أحد، و عليه انطوت الأعصار إلى وقتنا هذا [17] .

و وافق القاضي الإيجي شرّاح كتابه كتاب المواقف مثل السيد الشريف الجرجاني (ت: 816 هـ) [18] .

وجوب طاعة الإمام و إن خالف الرسول (ص)

روى مسلم في صحيحه عن حذيفة قال: قال رسول اللّه:

«يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي و لا يستنّون بسنّتي، و سيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشّياطين في جثمان إنس» قال:

قلت: كيف أصنع يا رسول اللّه إن أدركت ذلك؟قال:

«تسمع و تطيع للأمير و إن ضرب ظهرك و أخذ مالك فاسمع و أطع» .

و روى عن ابن عباس أنّ رسول اللّه قال:

«من رأى من إمامه شيئا يكرهه فليصبر، فإنّه من فارق الجماعة شبرا

---

(17) المواقف في علم الكلام، ط. مصر 1325 هـ، 8/351-353 تأليف القاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، توفّي بالسجن عام 756 هـ.
(18) السيد الشريف الجرجاني في شرحه على المواقف و الّذي طبع مع الكتاب بمصر.

فمات، مات ميتة جاهليّة» .

و في أخرى:

«ليس أحد خرج من السلطان شبرا فمات عليه إلاّ مات ميتة جاهلية» .

و روي عن عبد اللّه بن عمر بن الخطاب أنّه حين كان من أمر الحرّة ما كان زمن يزيد بن معاوية قال: سمعت رسول اللّه (ص) يقول:

«من خلع يدا من طاعة لقي اللّه يوم القيامة لا حجّة له، و من مات و ليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة» [19] .

و قال النووي في شرحه بباب لزوم طاعة الأمراء في غير معصية:

(و قال جماهير أهل السنّة من الفقهاء و المحدّثين و المتكلّمين: لا ينعزل بالفسق و الظلم و تعطيل الحقوق، و لا يخلع و لا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه و تخويفه للأحاديث الواردة في ذلك) . و قال قبله:

(و أمّا الخروج عليهم و قتالهم فحرام بإجماع المسلمين و إن كانوا فسقة ظالمين، و قد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، و أجمع أهل السنّة أنّه لا ينعزل السلطان بالفسق) [20] .

قال القاضي أبو بكر محمّد بن الطيّب الباقلاني (ت: 403 هـ) في كتاب التمهيد [21] في باب ذكر ما يوجب خلع الإمام و سقوط فرض طاعته

---

(19) صحيح مسلم 20/6-22 كتاب الإمارة باب الأمر بلزوم الجماعة.

و روى الحديث عن حذيفة، و هو ابن اليمان العبسي، كان أبوه قد أصاب دما في الجاهلية، فهرب الى المدينة، و تزوّج بها و حالف بني عبد الأشهل، و سمّي اليمان لمحالفته اليمانية و اسمه حسل. شهد حذيفة الخندق و ما بعدها، و ولي لعمر المدائن، و مات بها سنة ستّ و ثلاثين، أربعين ليلة بعد بيعة الإمام علي. روى عنه أصحاب الصّحاح 225 حديثا. ترجمته في الاستيعاب و أسد الغابة و الإصابة و بجوامع السيرة ص 277.

(20) . 12/229 في شرحه على صحيح مسلم، و راجع سنن البيهقي 8/158-159.

(21) ط. القاهرة 1366 هـ.

ما ملخّصه:

(قال الجمهور من أهل الإثبات و أصحاب الحديث: لا ينخلع الإمام بفسقه و ظلمه بغصب الأموال، و ضرب الأبشار، و تناول النفوس المحرّمة، و تضييع الحقوق، و تعطيل الحدود، و لا يجب الخروج عليه، بل يجب وعظه و تخويفه و ترك طاعته في شيء ممّا يدعو إليه من معاصي اللّه. و احتجّوا في ذلك بأخبار كثيرة متظافرة عن النبيّ (ص) و عن الصّحابة في وجوب طاعة الأئمّة و إن جاروا و استأثروا بالأموال، و أنّه قال (ع) : اسمعوا و أطيعوا و لو لعبد أجدع، و لو لعبد حبشيّ، و صلّوا وراء كلّ برّ و فاجر. و روي أنّه قال:

أطعهم و إن أكلوا مالك، و ضربوا ظهرك) .

استدلال أتباع مدرسة الخلافة في القرون الأخيرة

في القرون الأخيرة غالبا ما يستدلّ أتباع مدرسة الخلافة على صحّة قيام حكم الخلافة في الماضي على أنّه كان قائما على أساس الشّورى بين المسلمين للخليفة، و بعضهم يستنتج من ذلك أنّ الحكم الإسلاميّ أيضا يقام اليوم على أساس البيعة فمن بايعه المسلمون أصبح حاكما إسلاميّا يجب على جميع المسلمين بذل الطّاعة له.

كان ذلكم رأي مدرسة الخلفاء في كيفية إقامة الحكم الإسلامي و أدلّتهم على ما يرتئون، و قبل البدء بدراسة ما ارتأوا و ما استدلّوا عليه، ينبغي أن ندرس المصطلحات الّتي يدور عليها البحث في ما يأتي.

مصطلحات بحث الإمامة و الخلافة

يدور بحث الإمامة و الخلافة على المصطلحات السبعة التالية:

أ-الشورى ب-البيعة ج-الخليفة و خليفة اللّه في الأرض د-أمير المؤمنين هـ-الإمام و-الأمر و أولو الأمر ز-الوصيّ و الوصيّة و في ما يلي تعريف المصطلحات المذكورة آنفا:

أوّلا-الشورى

التشاور، و المشاورة، و المشورة في لغة العرب: استخراج الرأي بمراجعة البعض البعض الآخر.

و شاوره: استخرج ما عنده من رأي.

و أشار عليه بالرأي، يشير: إذا ما وجه الرأي.

وَ أَمْرُهُمْ شُورىَ بَيْنَهُمْ الشورى/38 من صار هذا الشيء شورى بين القوم إذا تشاوروا فيه [1] .

لم يتغيّر معنى مشتقّات هذه المادّة في استعمال القرآن الكريم، و الحديث الشريف، و لدى المسلمين عمّا كانت عليه في لغة العرب، و إنّما الكلام في مورد الشورى و المشاورة في الشرع الإسلاميّ و حكمها. كما سيأتي بيانه بعيد هذا ان شاء اللّه.

ثانيا-البيعة

أ-البيعة في لغة العرب:

البيعة في لغة العرب: الصفقة على إيجاب البيع [2] ، و صفق يده بالبيعة و البيع، و على يده صفقا: ضرب بيده على يده عند وجوب البيع، و تصافقوا:

تبايعوا [3] . كان هذا معنى البيعة لدى العرب.

أمّا العهد و الحلف: فقد كانت العرب تعقد الحلف و العهد بأساليب مختلفة، مثل ما فعل بنو عبد مناف حين أرادوا أن يقاتلوا بني عبد الدار على من يقوم بحجابة البيت و سقاية الحاجّ و غيرهما من أعمال السيادة بمكة.

فروى ابن إسحاق أنّ بني عبد مناف أخرجوا جفنة مملوءة طيبا فوضعوها في المسجد عند الكعبة، ثم غمسوا أيديهم فيها، و تعاقدوا و تعاهدوا هم و حلفاؤهم، ثمّ مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم و سمّوا (المطيبين) [4] .

و روى-أيضا-في أمر تجديد الكعبة: أنّ البنيان عند ما بلغ موضع

---

(1) راجع مادة: (شور) من: مفردات الراغب. و لسان العرب. و معجم ألفاظ القرآن الكريم.
(2) لسان العرب، مادة: (بيع) .
(3) لسان العرب، مادة: (صفق) .
(4) سيرة ابن هشام 1/141-143.

الركن اختصموا فيه، كلّ قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتّى تحاوروا و تحالفوا، و أعدّوا للقتال، فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما، ثمّ تعاقدوا هم و بنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت، و أدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة، فسمّوا (لعقة الدم) [5] .

ب-البيعة في الإسلام

كانت البيعة، أي: صفق اليد على اليد، في لغة العرب علامة على وجوب البيع، و أصبحت في الإسلام علامة على معاهدة المبايع المبايع له أن يبذل له الطاعة في ما تقرّر بينهما، و يقال: بايعه عليه مبايعة: عاهده عليه.

و ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى:

إِنَّ اَلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اَللَّهَ يَدُ اَللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلىَ نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفىَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اَللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً الفتح/10.

و نذكر من سنّة الرسول (ص) ثلاث مرّات أخذ الرسول (ص) فيها البيعة من المسلمين:

1-البيعة الأولى

إنّ أول بيعة جرت في الإسلام بيعة العقبة الأولى، أخبر عنها عبادة بن الصامت و قال:

(وافى موسم الحج من الأنصار اثنا عشر رجلا ممن أسلم منهم في المدينة، و قال عبادة:

بايعنا رسول اللّه (ص) بيعة النساء و ذلك قبل أن يفترض علينا الحرب، على أن لا نشرك باللّه شيئا، و لا نسرق، و لا نزني، و لا نقتل أولادنا،

---

(5) سيرة ابن هشام 1/213.

و لا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا و أرجلنا، و لا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنّة، و إن غشيتم من ذلك شيئا فأخذتم بحدّه في الدنيا فهو كفّارة له، و إن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى اللّه عزّ و جلّ؛ إن شاء عذّب، و إن شاء غفر [6] . و سمّيت هذه البيعة ببيعة العقبة الأولى) .

2-البيعة الثانية الكبرى بالعقبة

روى كعب بن مالك و قال:

خرجنا من المدينة للحجّ و تواعدنا مع رسول اللّه (ص) العقبة أواسط أيّام التشريق، و خرجنا بعد مضيّ ثلث الليل متسلّلين مستخفين حتّى اجتمعنا في الشّعب عند العقبة و نحن ثلاثة و سبعون رجلا و امرأتان، فجاء رسول اللّه (ص) و معه عمّه العبّاس، فتكلّم رسول اللّه (ص) فتلا القرآن و دعا إلى اللّه و رغب في الإسلام ثمّ قال:

«أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون نساءكم و أبناءكم» فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال: نعم و الّذي بعثك بالحقّ لنمنعنّك مما نمنع به أزرنا [7] ، فبايعنا يا رسول اللّه فنحن و اللّه أهل الحروب....

فقال أبو الهيثم بن التيّهان: يا رسول اللّه إنّ بيننا و بين الرجال حبالا، و إنّا قاطعوها (يعني اليهود) فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثمّ أظهرك اللّه أن ترجع إلى قومك و تدعنا؟فتبسّم رسول اللّه (ص) ثمّ قال: «بل الدم الدم و الهدم الهدم... » أي: ذمّتي ذمّتكم و حرمتي حرمتكم.

و قال رسول اللّه (ص) : «أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم» . فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا؛ تسعة من الخزرج و ثلاثة بن الأوس، قال رسول اللّه (ص) : «أنتم على قومكم بما فيكم كفلاء ككفالة

---

(6) سيرة ابن هشام 2/40-42.

(7) أزرنا: نساؤنا، و المرأة يكنّى عنها بالازار.

الحواريّين لعيسى بن مريم، و أنا كفيل على قومي» يعني: المسلمين. قالوا:

نعم.

و اختلفوا فيمن كان أوّل من ضرب على يده، أسعد بن زرارة أم أبو الهيثم بن التيّهان [8] .

3-بيعة الرضوان، او بيعة الشّجرة

في سنة سبع من الهجرة، استنفر رسول اللّه (ص) أصحابه للعمرة فخرج معه ألف و ثلاثمائة، أو ألف و ستّمائة، و معه سبعون بدنة، و قال: لست أحمل السّلاح، إنّما خرجت معتمرا. و أحرموا من ذي الحليفة، و ساروا حتّى دنوا من الحديبية على تسعة أميال من مكّة، فبلغ الخبر أهل مكّة فراعهم، و استنفروا من أطاعهم من القبائل حولهم و قدّموا مائتي فارس عليهم خالد بن الوليد أو عكرمة بن أبي جهل، فاستعدّ لهم رسول اللّه (ص) و قال: إن اللّه أمرني بالبيعة. فأقبل النّاس يبايعونه على ألاّ يفرّوا، و قيل: بايعهم على الموت، و أرسلت قريش وفدا للمفاوضة، فلمّا رأوا ذلك تهيّبوا و صالحوا رسول اللّه (ص) ... [9] .

هذه ثلاثة أنواع من البيعة على عهد الرسول (ص) و هي:

أ- البيعة على الإسلام.

ب- البيعة على إقامة الدولة الإسلامية.

ج- البيعة على القتال.

و البيعة الثالثة تجديد للبيعة الثانية، و ذلك لأنّ الرسول (ص) كان قد استنفرهم للعمرة. و بعد تبدّل الحالة من العمرة إلى القتال، كانت الحالة

____

(8) سيرة ابن هشام 2/47-56.
(9) إمتاع الأسماع للمقريزي ص 274-291.

الحادثة مخالفة للعمل الّذي استنفرهم له و خرجوا من أجله، فكأنّه كان مخالفا لما عاهدهم عليه، فلذلك احتاج إلى أخذ البيعة للقيام بالعمل الجديد، و فعل ذلك و أعطى ثمره في إرعاب أهل مكّة، و حصول النتيجة المطلوبة.

و نختم البحث بستّ روايات وردت في البيعة و طاعة الإمام: 1- روى ابن عمر قال: كنا نبايع رسول اللّه (ص) على السّمع و الطّاعة ثمّ يقول لنا: «فيما استطعت» [10] .

2- و في رواية، و قال عليّ: «ما استطعتم» [11] .

3- و في رواية، و قال جرير: قال: «قل: في ما استطعت» [12] .

4- و روى الهرماس بن زياد قال: مددت يدي إلى النبيّ (ص) و أنا غلام ليبايعني، فلم يبايعني [13] .

و عن ابن عمر قال: قال رسول اللّه (ص) :

«على المرء المسلم السمع و الطاعة فيما أحبّ و كره، إلاّ أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع و لا طاعة» [14] .

---

(10) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب البيعة، ح 5، و صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب البيعة على السمع و الطاعة في ما استطاع، ح 90، و سنن النسائي، كتاب البيعة، باب البيعة في ما يستطيع الإنسان.

(11) سنن النسائي، كتاب البيعة، باب البيعة في ما يستطيع الإنسان.

(12) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب البيعة، ح 5.

(13) البخاري كتاب الأحكام، باب بيعة الصغير. و سنن النسائي، كتاب البيعة، باب بيعة الغلام.

و الهرماس بن زياد، أبو حيدر البصري الباهلي: من قيس عيلان. مات باليمامة بعد المائة.

راجع ترجمته بأسد الغابة، و تقريب التهذيب.

(14) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع و الطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ح 3. و صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، ح 1839.

و سنن ابن ماجة، كتاب الجهاد، باب لا طاعة في معصية اللّه، ح 2863. و سنن النسائي، كتاب البيعة، باب جزاء من أمر بمعصية. و مسند أحمد 2/17 و 142.

5- و عن ابن مسعود قال:

قال (ص) : «سيلي أموركم بعدي رجال يطفئون السنّة و يعملون بالبدعة، و يؤخرون الصلاة عن مواقيتها» . فقلت: يا رسول اللّه!إن أدركتهم كيف أفعل؟قال: «تسألني يا ابن أمّ عبد كيف تفعل؟لا طاعة لمن عصى اللّه» (15) .

6- و عن عبادة بن الصامت في حديث طويل آخره:

«فلا طاعة لمن عصى اللّه تبارك و تعالى فلا تعتلوا بربكم» (16) .

و في رواية:

«لا تضلوا بربكم» (17) .

يتّضح لنا من دراسة البيعة في سنّة الرسول (ص) أنّ للبيعة ثلاثة أركان:

أ- المبايع.

ب- المبايع له.

ج- المعاهدة على الطّاعة للقيام بعمل ما.

و تقوم البيعة أولا على تفهّم ما يطلب الطاعة على القيام به، ثمّ تنعقد المعاهدة بضرب يد المبايع على يد المبايع له بالكيفيّة الواردة في السنّة، و البيعة على هذا مصطلح شرعيّ، غير أنّ شروط تحقّق البيعة المشروعة في الإسلام غير واضحة لكثير من المسلمين اليوم، فنقول:

تنعقد البيعة في الإسلام إذا توفرت فيها الشروط الثلاثة التالية:

---

(15) سنن ابن ماجة 2/956، ح 2865. و مسند أحمد 1/400 و في لفظ: ليس طاعة لمن عصى اللّه.

(16) مسند أحمد 5/325 عن عبادة بن الصامت و أنه روى الحديث في دار عثمان عند ما شكاه معاوية إلى عثمان فجلبه عثمان إلى المدينة، و مختصر الحديث برواية عبادة في ص 329 منه.

(17) تهذيب تاريخ ابن عساكر 7/215.

أ- أن يكون المبايع ممن تصحّ منه البيعة، و يبايع مختارا.

ب- أن يكون المبايع له ممّن تصحّ مبايعته.

ج- أن تكون البيعة لأمر يصحّ القيام به.

و على ما بيّنّا لا تصحّ البيعة من صبيّ أو مجنون، لأنّهما غير مكلّفين بالأحكام في الإسلام، و لا تنعقد بيعة المكره، لأنّ البيعة مثل البيع، فكما لا ينعقد البيع بأخذ المال من صاحبه قهرا و دفع الثمن له، كذلك البيعة لا تنعقد بأخذها بالجبر و في ظلّ السيف.

و كذلك لا تصحّ البيعة للمتجاهر بالمعصية، و لا تصحّ البيعة للقيام بمعصية اللّه. إذن فالبيعة مصطلح إسلاميّ، و لها أحكامها في الشرع الإسلاميّ.

الخلاصة:

البيعة في لغة العرب: الصفقة على إيجاب البيع. و في الإسلام أمارة على معاهدة المبايع المبايع له على أن يبذل له الطاعة في ما تقرر بينهما، و لا تنعقد إذا لم تتوفر شروطها: فإنها لا تصحّ من صبي أو مجنون، و لا تنعقد البيعة من مكره و لا تصحّ للمتجاهر بالمعصية و لا تصحّ للقيام بمعصية اللّه.

و قد بايع رسول اللّه (ص) على الإسلام أوّلا، و على إقامة الدولة الإسلامية ثانيا، كما بايع المسلمين على القتال، و أشار اللّه سبحانه و تعالى إلى الأخير في قوله تعالى:

إِنَّ اَلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اَللَّهَ يَدُ اَللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ الفتح/10.

ثالثا-الخليفة و خليفة اللّه في الأرض

أوّلا-الخليفة و الخلافة:

الخلافة في لغة العرب:

النيابة عن الغير [18] .

و الخليفة:

من يخلف غيره، و يقوم مقامه، و يسدّ مسدّه [19] .

و بهذا المعنى ورد في القرآن الكريم، في قوله تعالى:

أ-في سورة الاعراف:

وَ اُذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ... (69) .

وَ اُذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ... (74) .

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا اَلْكِتَابَ... (169) .

ب-في سورة مريم:

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا اَلصَّلاَةَ... (59) .

ج-في سورة الأنعام:

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ... (132) .

و كذلك ورد في غيرها و نظائرها من آيات كريمة.

و ورد في المعنى اللغوي-أيضا-في حديث الرسول (ص) في قوله:

---

(18) مفردات الراغب، مادة: (خلف) .

(19) نهاية اللغة، لابن الأثير، و لسان العرب، مادة (خلف) .

«اللهمّ ارحم خلفائي، اللهمّ ارحم خلفائي، اللهمّ ارحم خلفائي» .

قيل له: يا رسول اللّه (ص) من خلفاؤك؟ قال: «الذين يأتون من بعدي يروون حديثي و سنّتي» .

و استعمل-أيضا-في المعنى اللغوي في عصر الصحابة كالآتي:

أ-على عهد الخليفة الأول:

قال ابن الأثير في نهاية اللّغة:

و في حديث أبي بكر، جاءه أعرابيّ فقال له: أنت خليفة رسول اللّه؟ فقال: لا.

فقال: ما أنت؟ قال: أنا الخالفة من بعده.

قال ابن الأثير: الخالفة: الّذي لا غناء عنده و لا خير فيه، و إنّما قال ذلك تواضعا... [20] .

ب-على عهد الخليفة الثاني:

روى السيوطي (ت: 911 هـ) في تاريخه و قال: (فصل في نبذ من أخباره و قضاياه) أخرج العسكري في (الأوائل) و الطبراني في (الكبير) و الحاكم في (المستدرك) : «أنّ عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة:

لأيّ شيء كان يكتب: «من خليفة رسول اللّه (ص) » في عهد أبي بكر؟ثمّ كان عمر كتب أوّلا: «من خليفة أبي بكر» ، فمن أوّل من كتب: «من أمير

(20) و عن ابن الأثير نقل ذلك في لسان العرب.

المؤمنين» ؟فقال: حدّثتني الشفاء-و كانت من المهاجرات-أنّ أبا بكر كان يكتب: من خليفة رسول اللّه، و كان عمر يكتب: من خليفة خليفة رسول اللّه، حتى كتب عمر إلى عامل العراق أن يبعث إليه رجلين جلدين يسألهما عن العراق و أهله، فبعث إليه لبيد بن ربيعة و عديّ بن حاتم، فقدما المدينة، و دخلا المسجد، فوجدا عمرو بن العاص، فقالا: استأذن لنا على أمير المؤمنين:

فقال عمرو: أنتما و اللّه أصبتما اسمه. فدخل عليه عمرو، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال: ما بدا لك في هذا الاسم؟لتخرجنّ ممّا قلت.

فأخبره و قال: أنت الأمير و نحن المؤمنون، فجرى الكتاب بذلك من يومئذ» .

و روى عن النووي في تهذيبه، و قال:

قال عمر للناس: أنتم المؤمنون و أنا أميركم، فسمّي أمير المؤمنين، و كان قبل ذلك يقال له: خليفة خليفة رسول اللّه، فعدلوا عن تلك العبارة لطولها [21] .

ثانيا: خليفة اللّه في الأرض:

1-في المصطلح الإسلامي:

ورد «خليفة اللّه في الأرض» في المصطلح الإسلامي بمعنى من اصطفاه اللّه من البشر و جعله إماما للناس و حاكما.

و قد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى في سورة البقرة:

وَ إِذْ قٰالَ رَبُّكَ لِلْمَلاٰئِكَةِ إِنِّي جٰاعِلٌ فِي اَلْأَرْضِ خَلِيفَةً... (30) .

و فسر بعضهم الآية بأنّ اللّه تعالى جعل آدم (ع) خليفته في الأرض؛ و فسّرها آخرون بأنّ اللّه تعالى جعل نوع الإنسان خليفته في الأرض، و يؤيد

___

(21) تاريخ السيوطي، ط. مطبعة السعادة بمصر، 1371 هـ، ص 137-138. و الحاكم في

التفسير الأوّل قوله تعالى في سوره (ص) :

يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي اَلْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ اَلنَّاسِ... (26) .

فإنّه لو كان معنى الآية الأولى: إنّ اللّه جعل نوع الإنسان خليفته في الأرض فلا معنى عندئذ لتخصيص داود (ع) بجعله خليفة اللّه في الأرض من بين نوعه الإنساني الذي كان اللّه قد جعله خليفته في الأرض قبل داود (ع) و مع داود (ع) و بعده، ثمّ انّ فاء السببية [22] في قوله تعالى: **فَاحْكُمْ بَيْنَ اَلنَّاسِ بِالْحَقِّ** تدلّ على أن تخويل داود (ع) حقّ الحكم بين الناس كان بسبب جعله خليفة للّه في الأرض، أي انّه بسبب أنّ اللّه تعالى جعله خليفة في الأرض منحه حقّ الحكم بين الناس. إذا فإنّ منحه حقّ الحكم فرع على تعيينه خليفة للّه في الأرض. و بناء على ذلك ففي أيّ مورد وجدنا آية كريمة أخرى تدلّ على منح اللّه حقّ الحكم لأحد من أصفيائه علمنا أن ذلك الولي الصفي-هنا- خليفة للّه في الأرض كما في قوله تعالى في سورة المائدة:

إِنَّا أَنْزَلْنَا اَلتَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَ نُورٌ يَحْكُمُ بِهَا اَلنَّبِيُّونَ... (44) .

و كذلك في قوله تعالى مخاطبا لخاتم أنبيائه (ص) : 1- في سورة النساء:

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ اَلْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ اَلنَّاسِ... (105) .

2- في سورة المائدة:

وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ اَلْكِتَابَ بِالْحَقِّ... فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اَللَّهُ (48) .

في خبر داود وجدنا تخويله الحكم بين الناس فرعا على جعله خليفة في

قالمستدرك 3/81-82. و الأوائل للعسكري ص 103-104.

(22) راجع فاء السببية في مغني اللبيب عن كتب الأعاريب.

الأرض، و في الآيات الثلاث وجدنا تخويل الأنبياء حقّ الحكم فرعا على إنزال الكتاب إليهم، و من هذه المقارنة ندرك أن اللّه جعل حملة كتبه إلى الناس خلفاءه في الأرض، سواء كان ما يحملونه إلى الناس من الكتاب و الشريعة تلقّوه وحيا من اللّه مثل آدم و نوح و موسى و عيسى و محمد صلوات اللّه عليهم أجمعين؛ أو تلقوه من الموحى إليهم مثل داود و سليمان الوصيين على شريعة موسى بن عمران و حملة كتابه (التوراة) إلى الناس.

و قد استعمل خليفة اللّه بهذا المعنى في روايات أئمة أهل البيت (ع) [23].

جعل اللّه خلفاءه أئمة للناس:

و قد جعل اللّه تعالى خلفاءه في الأرض أئمة للناس و آتاهم الكتاب و النبوة، كما أخبر اللّه تعالى عن إبراهيم و لوط و إسحاق و يعقوب في سورة الأنبياء و قال:

... وَ كُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ*`وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ اَلْخَيْرَاتِ وَ إِقَامَ اَلصَّلاَةِ وَ إِيتَاءَ اَلزَّكَاةِ وَ كَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (72- 73) .

و قال جلّ ذكره في سورة الأنعام:

وَ تِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلىَ قَوْمِهِ وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَ نُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسىَ وَ هَارُونَ... * **وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيىَ وَ عِيسىَ وَ إِلْيَاسَ...** * **وَ إِسْمَاعِيلَ وَ اَلْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطاً وَ كلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى اَلْعَالَمِينَ** * **... وَ اِجْتَبَيْنَاهُمْ**

---

(23) راجع البحار (26/263) الحديث (47) نقلا عن كنز الفوائد للكراجكي، و الكافي (1/200) ، و من لا يحضره الفقيه (2/369 و 371) .

وَ هَدَيْنَاهُمْ إِلىَ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * **... أُولَئِكَ اَلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ اَلْكِتَابَ وَ اَلْحُكْمَ وَ اَلنُّبُوَّةَ** (83-89) .

إذا فإنّ من جعله اللّه خليفة في الأرض يحكم بين الناس، جعله-أيضا-إماما لهم يهديهم بكتاب اللّه و يبلغهم شريعته. و بناء على ذلك يكون أهم وظائف خلفاء اللّه التبليغ. كما ورد التصريح بذلك في قوله تعالى:

أ- في سورة النحل:

فَهَلْ عَلَى اَلرُّسُلِ إِلاَّ اَلْبَلاَغُ اَلْمُبِينُ (35) .

ب- في سورة النور (54) و سورة العنكبوت (18) :

وَ مَا عَلَى اَلرَّسُولِ إِلاَّ اَلْبَلاَغُ اَلْمُبِينُ .

ج- و أمثالهما في سور:

آل عمران (20) ، و المائدة (92، 99) ، و الرعد (40) ، و إبراهيم (52) ، و النحل (35) ، و الشورى (48) ، و الاحقاف (35) ، و التغابن (12) .

ثمّ إنه لا يبلّغ عن اللّه عزّ و جل إلاّ رسول يوحى إليه، أو وصيّ عيّنه اللّه لذلك. كما نجد مثالا له في خبر تبليغ الآيات العشر الأولى من سورة براءة كالآتي تفصيله.

أ- في مسند أحمد و غيره و اللفظ لمسند أحمد قال:

«عن علي قال:

لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي صلّى اللّه عليه و سلم دعا النبيّ صلّى اللّه عليه و سلم أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل مكّة، ثمّ دعاني النبيّ صلّى اللّه عليه و سلم فقال لي:

أدرك أبا بكر، فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكّة فاقرأه عليهم، فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه، و رجع أبو بكر إلى النبيّ صلّى اللّه عليه و سلم فقال: يا رسول اللّه!نزل فيّ شيء؟قال: لا. و لكن جبرئيل جاءني فقال: لن يؤدّي عنك إلاّ أنت أو رجل منك» [24] .

ب- في تفسير السيوطي عن أبي رافع قال:

بعث رسول اللّه (ص) أبا بكر (رض) ببراءة إلى الموسم، فأتى جبرئيل عليه السلام فقال: إنّه لن يؤديها عنك إلاّ أنت أو رجل منك، فبعث عليّا رضي اللّه عنه على أثره حتّى لحقه بين مكّة و المدينة فأخذها فقرأها على الناس في الموسم [25] .

ج- و في رواية أخرى عن سعد بن أبي وقاص قال:

«إنّ رسول اللّه (ص) بعث أبا بكر (رض) ببراءة إلى أهل مكّة، ثمّ بعث عليّا (رضي اللّه عنه) على أثره فأخذها منه. فكأنّ أبا بكر (رض) وجد في نفسه فقال النبيّ (ص) يا أبا بكر!إنّه لا يؤدّي عنّي إلاّ أنا أو رجل منّي» [26] .

في هذا الخبر أرسل الرسول (ص) صحابيّه أبا بكر لتبليغ عشر آيات من صدر البراءة إلى المشركين في حجّ العام التاسع للهجرة، فأتاه جبرئيل-أمين وحي اللّه-و قال له: إنّه لن يؤديها عنك إلاّ أنت أو رجل منك. أي إن تبليغ

---

(24) مسند أحمد (1/151) ، و تحقيق أحمد محمد شاكر (2/322) الحديث 1296، و في الدرّ المنثور للسيوطي (3/209) ، و فيه عن أنس بن مالك و سعد بن أبي وقاص، و جاء في لفظ سعد:

«... فكأنّ أبا بكر (رض) وجد في نفسه فقال النبي (ص) يا أبا بكر!إنّه لا يؤدّي عنّي إلاّ أنا أو رجل مني» .

(25) تفسير الدر المنثور للسيوطي 3/210.

(26) تفسير الدر المنثور للسيوطي 3/209.

عشر آيات من سورة البراءة للمخاطبين بها مباشرة وظيفة تبليغية خاصة بالرسول، و لن يؤدي هذه الوظيفة عن الرسول إلاّ هو أو رجل منه و هو عليّ بن أبي طالب وصيّه على شريعته. كما ستأتي الروايات في تعيين الوصيّ للرسول (ص) في بحث الوصيّة إن شاء اللّه تعالى، و من ثمّ ندرك أنّ التبليغ عن اللّه مباشرة وظيفة و ولاية للرسول و وصيّه.

يؤتي اللّه خلفاءه ما يعجز عنه البشر:

أحيانا تقتضي حكمة اللّه أن يأتي خليفته-الذي جعله إماما للناس و مبلغا لكتابه و شريعته-بآية تدلّ على صدقه في ما يبلّغ عن اللّه، و تسمى تلك الآية في العرف الإسلامي بالمعجزة؛ لعجز البشر عن الإتيان بمثلها.

كما أخبر اللّه تعالى عن بعض ما أتى به رسولاه موسى و عيسى (ع) و قال في خبر ما أتى به كليمه موسى عليه السلام:

أ-في سورة الاعراف:

فَأَلْقىَ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (107) .

وَ نَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (108) .

وَ أَوْحَيْنَا إِلىَ مُوسىَ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (117) .

وَ أَوْحَيْنَا إِلىَ مُوسىَ إِذِ اِسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اِضْرِبْ بِعَصَاكَ اَلْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اِثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ (160) .

ب-في سورة الشعراء:

فَأَلْقىَ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (32) .

فَأَلْقىَ مُوسىَ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (45) .

فَأَوْحَيْنَا إِلىَ مُوسىَ أَنِ اِضْرِبْ بِعَصَاكَ اَلْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ

كَالطَّوْدِ اَلْعَظِيمِ (63) .

و أخبر جل ذكره عما آتى رسوله عيسى بن مريم (ع) في سورة المائدة، فقال تعالى:

... إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ اَلْقُدُسِ تُكَلِّمُ اَلنَّاسَ فِي اَلْمَهْدِ وَ كَهْلاً وَ إِذْ عَلَّمْتُكَ اَلْكِتَابَ وَ اَلْحِكْمَةَ وَ اَلتَّوْرَاةَ وَ اَلْإِنْجِيلَ وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ اَلطِّينِ كَهَيْئَةِ اَلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَ تُبْرِئُ اَلْأَكْمَهَ وَ اَلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَ إِذْ تُخْرِجُ اَلْمَوْتىَ بِإِذْنِي... (110) .

و في سورة آل عمران حكى عن عيسى (ع) أنّه قال:

... وَ أُحْيِ اَلْمَوْتىَ بِإِذْنِ اَللَّهِ وَ أُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ... (49) .

و أخبر تعالى عن ما آتى داود و سليمان الوصيين على شريعته في سورة الأنبياء و قال عزّ اسمه:

وَ سَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ اَلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَ اَلطَّيْرَ... (79) .

وَ لِسُلَيْمَانَ اَلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ... * **وَ مِنَ اَلشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَ يَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ...** (81-82) .

و ليس من الضروري أن يؤتي اللّه جميع الأئمة جميع المعجزات كما لم يذكر سبحانه عن هود و لوط و شعيب أنّه آتاهم معجزات موسى و عيسى و داود و سليمان صلوات اللّه عليهم أجمعين، و كذلك لم يمكّن الناس بعض الرسل من أن يحكموا بينهم بالعدل، و كذلك لم يتسنّ للرسول موسى (ع) و لخاتم الرسل محمد (ص) أن يحكما بين الناس في أوّل أمرهما، بينما هم أئمة خلفاء منذ بدء تكليفهم بالتبليغ. إذا فإنّ الخلافة و الإمامة ملازمتان لتعيين اللّه صفيّا من أصفيائه لتبليغ كتابه و دينه، و ليستا ملازمتين للحكم بين الناس و إتيان

المعجزات. و بناء على ذلك فإنّ خليفة اللّه هو المبلغ عن اللّه.

كان ذلكم معنى خليفة اللّه في كتاب اللّه.

و ورد معنى خليفة الرسول (ص) في حديث الرسول (ص) كالآتي:

«اللّهم ارحم خلفائي، اللّهم ارحم خلفائي، اللّهم ارحم خلفائي» .

قيل له: يا رسول اللّه!من خلفاؤك. ؟ قال: «الذين يأتون من بعدي يروون حديثي و سنتي» [27] .

إذا فإن خليفة اللّه هو الذي عيّنه اللّه لتبليغ شريعته، و خليفة الرسول هو الذي يقوم بتبليغ حديث الرسول و سنته من تلقاء نفسه.

كذلك استعمل مصطلحا خليفة اللّه و خليفة الرسول في الكتاب و السنّة و استعملا في مصطلح المسلمين كالآتي بيانه:

2-الخليفة و خليفة اللّه في مصطلح المسلمين:

مرّ بنا في بحث معنى الخليفة اللغوي أنّ أبا بكر كان يسمّى بخليفة رسول اللّه (ص) و عمر بخليفة خليفة رسول اللّه (ص) ، و أنّه سمي بعد ذلك بأمير المؤمنين، و بقي ذلك متداولا إلى آخر الخلفاء العثمانيين، و إلى جانب ذلك سمّي الحاكم الإسلامي الأعلى بما يأتي:

أ-في العصر الأموي و العباسي:

تعارف أتباع مدرسة الخلفاء منذ العصر الأموي و إلى العصر العباسي على تسمية الحاكم الأعلى بخليفة اللّه.

فقد قال الحجاج في خطبة صلاة الجمعة:

---

(27) راجع مصادره في المجلد الثاني من هذا الكتاب (ط 3، ص 58-59) .

فاسمعوا و أطيعوا لخليفة اللّه و صفيّه عبد الملك بن مروان [28] .

و لمّا قيل في مجلس المهديّ العباسيّ: إنّ الخليفة الأموي الوليد كان زنديقا، قال المهدي:

خلافة اللّه عنده أجلّ من أن يجعلها في زنديق [29] .

و اشتهر ذلك على لسانهم في العصر الأموي و العصر العباسي، و ورد ذكره في شعر الشعراء، كما قال جرير في قصيدة أنشدها في الخليفة عمر بن عبد العزيز و قال:

خليفة اللّه ما ذا تأمرون بنا # لسنا إليكم و لا في دار منتظر

(30)

و إنّ عمر بن عبد العزيز مع اشتهاره بالتديّن لم ينكر ذلك من قول جرير.

و قال-أيضا-مروان بن أبي حفصة (ت: 182) في الخليفة أبي جعفر المنصور في قصيدته الّتي مدح بها معن بن زائدة الشيباني (ت: 151 هـ) حيث قال:

ما زلت يوم الهاشمية معلنا # بالسيف دون خليفة الرحمن

فمنعت حوزته و كنت وقاءه # من وقع كلّ مهنّد و سنان

(31)

ب-في العصر العثماني:

في عصر العثمانيّين استعمل لفظ الخليفة اسما لسلطان المسلمين

---

(28) سنن أبي داود 2/210، ح 4645 باب في الخلفاء

(29) تاريخ ابن الأثير 10/7-8.

(30) شرح شواهد المغني للسيوطي، ط. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1/197.

(31) الكنى و الألقاب للقمّي 1/252.

الأعظم [32] . بدون إضافة إلى (اللّه) أو (الرسول) .

ج-في عصرنا:

اشتهر في عصرنا أنّ المقصود في قوله تعالى للملائكة: **إِنِّي جَاعِلٌ فِي اَلْأَرْضِ خَلِيفَةً** أنّ اللّه تعالى جعل نوع الإنسان خليفته في الأرض [33] . و بناء عليه يكون معنى (خليفة اللّه في الأرض) نوع الإنسان، و معنى (استخلف) و (يستخلف) و غيرهما ممّا ورد من مادّة (خلف) استخلاف نوع الإنسان، و اشتهر-أيضا-أن المقصود في تسمية الحاكم الأعلى للمسلمين بالخليفة إلى آخر عصر الخلافة العثمانية أنّه خليفة رسول اللّه (ص) في الحكم على المسلمين. و عليه يكون معنى (الخليفة) خليفة رسول اللّه (ص) ، و يصفون الخلفاء الأربعة بعد رسول اللّه (ص) بالراشدين دون من جاء بعدهم إلى آخر العثمانيين، و اشتهرت هذه التسمية بين المسلمين حتّى اليوم.

3-انتقال مصطلح الخليفة من مدرسة الخلفاء إلى أتباع مدرسة أهل البيت (ع)

جرى بعد الرسول (ص) كل ذلك التبديل لمعنى (الخليفة) و (خليفة اللّه في الأرض) في مدرسة الخلفاء.

---

(32) راجع المعجم الوسيط، ماده. (خلف) .

(33) قال سيد قطب في تفسير قوله تعالى: **وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي اَلْأَرْضِ خَلِيفَةً** .

(و إذن فهى المشيئة العليا تريد أن تسلّم لهذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الأرض و تطلق فيها يده...

و إذن فهذه منزلة عظيمة، منزله هذا الإنسان في نظام هذا الوجود على هذه الارض الفسيحة) . تفسير في ظلال القرآن (1/65-66) و يرى مؤلف كتاب (خليفة) و سلطان و. و. پارتولد، ترجمة ايزدي. ط. طهران 1358، ص 16. أن هذا المعنى قد تسرّب إلى المجتمعات الإسلامية من أفكار أهل الكتاب.

راجع المستدرك في آخر الكتاب.

و في مدرسة أهل البيت (ع) ورد لفظ (خليفة الله في الأرض) في روايات أئمة أهل البيت (ع) بمعنى المصطلح الاسلامي كما أشرنا إليه.

و انتقل مصطلح (الخليفة) بمعنى: خليفة رسول اللّه (ص) من مدرسة الخلفاء إلى أتباع مدرسة أهل البيت (ع) منذ القرن الخامس الهجري و حتّى اليوم. و استندت مدرسة الخلفاء إلى عدم ورود (الخليفة) بالمعنى الذي استحدثوه بعد الرسول (ص) في حديث الرسول (ص) ، و قالوا: إنّ الرسول (ص) ترك أمّته هملا و لم يعين المرجع من بعده.

و في مقام الردّ عليهم استند أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام إلى ما ورد عن الرسول (ص) في تعيين الإمام علي وصيا من بعده و قالوا: إن الرسول (ص) عيّنه خليفة من بعده بالمعنى الذي استحدث للخليفة بعد الرسول (ص) و لم يترك أمّته هملا [34]

جرى كل ذلك من أتباع المدرستين غفلة منهم عن أن المصطلح الذي أحدثته مدرسة الخلفاء بعد الرسول (ص) لم يكن ليرد في حديث الرسول (ص) .

الخلاصة:

أ-خليفة الشخص في اللغة: من يقوم بعمله في غيابه، و قد ورد بالمعنى اللغوي في القرآن و حديث الرسول (ص) و محاورات الصحابة.

ب-خليفة اللّه في الأرض في المصطلح الإسلامي: من يعيّنه اللّه تعالى لتبليغ شريعته آخذا من الوحي أو من الرسول (ص) ، و للحكم بين الناس، و يؤتي بعضهم ما يعجز البشر عن الإتيان بمثله، و قد ورد بهذا المعنى في

(34) نجد بعض تلك الأدلة في كتاب (الألفين) للعلامة الحلي (ره) .

القرآن و روايات أئمة أهل البيت (ع) .

ج-خليفة الرسول في حديث الرسول (ص) : من يقوم بتبليغ حديثه و سنّته.

د-في مصطلح المسلمين سمّي أبو بكر بخليفة رسول اللّه (ص) ، و سمّي عمر بخليفة خليفة رسول اللّه، ثم سمّي عمر بأمير المؤمنين و بقيت هذه التسمية للحاكم الإسلامي الأعلى إلى آخر الخلفاء العثمانيين، و في العهدين الأموي و العباسي اضيف إلى ذلك تسميته بخليفة اللّه، و إلى جانب ذين الاسمين اشتهرت تسمية الحاكم الأعلى في العهد العثماني بـ (الخليفة) أي خليفة الرسول، و انتشرت هذه التسمية لدى المسلمين بعد العهد العثماني حتّى اليوم، و قيل لجميع من ولي الحكم بعد الرسول (ص) إلى العثمانيين بـ (الخليفة) أي خليفة الرسول (ص) ، و سمّي الخلفاء الأربعة بعد الرسول (ص) بـ (الخلفاء الراشدين) ، و انتقل مصطلح (الخليفة) إلى أتباع مدرسة أهل البيت و سمّوا من ولي الحكم بعد الرسول (ص) إلى العثمانيين بـ (الخليفة) ، و قد أدّت الغفلة عن هذا الأمر إلى التشويش على المسلمين فاشتهر لدى مدرسة الخلفاء أنّ الرسول (ص) ترك أمّته هملا و لم يعين المرجع من بعده لأن المصطلح الذي استحدثوه بعد الرسول (ص) لم يرد في حديث الرسول (ص) ، و استند أتباع مدرسة أهل البيت إلى ما ورد عن الرسول (ص) في تعيين الإمام عليّ وصيّا بعده، و قالوا: إن الرسول (ص) عيّنه خليفة للمسلمين بالمعنى الذي استحدثه المسلمون للخليفة بعد الرسول (ص) ، و اشتدّ الخلاف بين المسلمين في هذا الأمر.

و سيأتي البحث في ما فعله الرسول (ص) ، و ما قاله في هذا الصدد بما يكشف عن حقيقة الأمر، بعيد هذا إن شاء اللّه تعالى.

رابعا-أمير المؤمنين

ممّا أوردنا سابقا عرفنا أن لفظ أمير المؤمنين استعمل منذ عصر الخليفة عمر بن الخطاب و أريد به الحاكم الإسلاميّ الأعلى، و بقي متداولا كذلك إلى عصر العثمانيّين.

خامسا-الإمام

الإمام في اللّغة: الإنسان الّذي يؤتمّ به و يقتدى بقوله أو فعله محقّا كان أو مبطلا [35] ، كما ورد في قوله تعالى:

يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتَابَهُمْ وَ لاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً*`وَ مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمىَ فَهُوَ فِي اَلْآخِرَةِ أَعْمىَ وَ أَضَلُّ سَبِيلاً الإسراء/71-72.

و من الثّاني ما ورد ذكره في قوله تعالى:

فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ اَلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ التوبة/12.

و الإمام في الإسلام هو الهادي إلى سبيل اللّه بأمر من اللّه إنسانا كان كما ورد ذكره في قوله تعالى:

وَ إِذِ اِبْتَلىَ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي اَلظَّالِمِينَ البقرة/124.

و قوله تعالى: **وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا...** الأنبياء/73.

أو كان كتابا كما ورد ذكره في قوله تعالى:

وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسىَ إِمَاماً وَ رَحْمَةً هود/17.

---

(35) راجع مادة (أمّ) في معاجم اللغة.

و ندرك من فحوى الآيتين المذكورتين أعلاه أن شرط الإمام في الإسلام إن كان كتابا أن يكون منزلا من قبل اللّه على رسله لهداية النّاس كما كان شأن كتاب محمّد (ص) : القرآن الكريم، و من قبله كتاب موسى: التوراة، و كذلك شأن كتب سائر الأنبياء [36] .

و إن كان إنسانا أن يكون معيّنا من قبل اللّه لقوله تعالى:

إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً و **عَهْدِي** .

و أن يكون غير ظالم لنفسه و لا لغيره أي غير عاص للّه لقوله تعالى:

لاَ يَنَالُ عَهْدِي اَلظَّالِمِينَ .

و في ضوء ما سبق يصحّ القول بأنّ الإمام في الاصطلاح الإسلامي هو:
أ- الكتاب المنزل من قبل اللّه على رسله لهداية النّاس.

ب- الإنسان المعيّن من قبل اللّه لهداية الناس و شرطه أن يكون معصوما من الذنوب.

سادسا-الأمر و أولو الأمر

لمعرفة معنى (الأمر) و (أولي الأمر) و هل هما مصطلحان شرعيّان أم لا؟ نستعرض في ما يلي موارد استعمالهما في لغة العرب و عرف المسلمين و النصوص الإسلامية كتابا و سنة، فنقول:

أ-في لغة العرب

ورد في سيرة ابن هشام، و الطّبري، و غيرهما، أنّ رسول اللّه كان يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب، يدعوهم إلى الإسلام، و يخبرهم أنه نبيّ

---

(36) راجع مادة: (الكتاب) في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

مرسل من قبل اللّه، و يسألهم أن يصدّقوه و يمنعوه حتى يبيّن عن اللّه ما بعثه به.

قال: و إنّه أتى بني عامر بن صعصعة ذات مرّة فدعاهم إلى اللّه عزّ و جلّ، و عرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس [37] : و اللّه لو أنّي أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب. ثمّ قال له: أ رأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك اللّه على من خالفك، أ يكون لنا الأمر من بعدك؟قال: «الأمر إلى اللّه يضعه حيث يشاء» قال: فقال له:

أ فنهدف نحورنا [38] للعرب دونك فإذا أظهرك اللّه كان الأمر لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك [39] .

إنّ هذا العربي كان يفهم (أمر رسول اللّه (ص)) على أنه سيادة و حكم على العرب، فأراد أن يعقد مع الرسول (ص) حلفا يكون لقبيلته الحكم و السيادة على العرب من بعد الرسول (ص) ، لكنّ الرسول (ص) امتنع من إجابته رغم حاجته الشديدة يوم ذاك إلى المؤازرين، لأنّ الأمر ليس إليه و إنّما الأمر إلى اللّه يضعه حيث يشاء.

و كذلك كان شأن هوذة بن عليّ الحنفي في طلبه من الرسول (ص) حين دعاه الرسول (ص) إلى الإسلام كما في طبقات ابن سعد، ما ملخّصه:

كتب رسول اللّه (ص) إلى هوذة بن عليّ الحنفي يدعوه إلى الإسلام،

---

(37) قال ابن هشام: فراس، ابن عبد الله بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. سيرة ابن هشام 2/33.
(38) (أ فنهدف نحورنا) معناه نصيّرها هدفا، و الهدف: الغرض الّذي يرمى بالسهام إليه.
(39) سيرة ابن هشام 2/31-34. و الطبري، ط. أوربا 1/1205-1206.

فكتب في جواب النبيّ (ص) : ما أحسن ما تدعو إليه و أجمله، و أنا شاعر قومي و خطيبهم و العرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتّبعك، فقال النبي (ص) : «لو سألني سيابة من الأرض ما فعلت» (40) .

نرى أن الرسول (ص) قصد من (سيابة) : الأرض المهملة. إذن فقد طلب هوذة من الرسول (ص) أن يجعل له بعض الأمر: إمارة ما على أرض أو قبيلة و ما شابههما، فأجابه الرسول (ص) أنّه لا يؤمّره و لا على سيابة من الأرض، و هذا القول من الرسول (ص) نظير قول أهل الكوفة أو البصرة عند ما وظّف واليهم على كلّ واحد منهم نقل كميّة من الحصباء إلى مسجدهم الجامع ليفرشه بالحصباء، و أمر عليهم أحدهم و كان يتصعّب في قبول الحصباء منهم، فقالوا: يا حبّذا الإمارة و لو على الحجارة!و كذلك الأمر في الخبر السابق، فإنّ هوذة طلب من الرسول الإمارة (و لو على الحجارة) فأجابه الرسول (ص) : لا، و لا على الحجارة.

ب-في عرف المسلمين:

كان أكثر استعمال (الأمر) في عرف المسلمين يوم السّقيفة و ما بعدها، قال سعد بن عبادة للأنصار يوم السقيفة:

(استبدّوا بهذا الأمر دون الناس...) .

---

(40) طبقات ابن سعد، ط. أوربا 1/ق 2/18.

و قالوا في السيابة: واحدة السياب: البسر الأخضر، و على هذا لم يكن من المناسب أن يقول و لا سيابة أي لا بسر من الأرض بل كان المناسب أن يقول و لا بسر من التمر. و نرى أن السيابة مشتقة من السيب و هو كلّ سيب و خلي، و منه السائبة: أي الدابة المهملة، و يكون المعنى:

الأرض الخالية و المتروكة.

و أجابته الأنصار بقولهم: (نولّيك هذا الأمر) .

ثمّ ترادوا الكلام و قالوا: فان أبت مهاجرة قريش فقالوا: ... نحن عشيرته و أولياؤه فعلام تنازعوننا هذا الأمر من بعده؟...) .

و قال أبو بكر في احتجاجه عليهم يوم ذاك: (و لن يعرف هذا الأمر إلاّ لهذا الحيّ من قريش...) .

و قال-أيضا-في قريش: (هم أحقّ الناس بهذا الأمر من بعده و لا ينازعهم ذلك إلاّ ظالم) .

و قال عمر-أيضا-يوم السقيفة: (من ذا ينازعنا سلطان محمّد و إمارته و نحن أهله و عشيرته) .

و قال الحباب بن المنذر في جوابه: (لا تسمعوا مقالة هذا و أصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر... فأنتم و اللّه أحق بهذا الأمر...) .

و قال بشير بن سعد عندئذ في حقّ قريش: (لا يراني اللّه أنازعهم هذا الأمر أبدا) [41] .

ج-في النصوص الإسلامية:

لقد ورد في حديث الرسول ذكر (الأمر) كثيرا ممّا سندرسه في البحوث الآتية إن شاء اللّه تعالى. و نكتفي هنا بتسجيل كلمة الرسول (ص) في جواب العامري:

«إن الأمر إلى اللّه يضعه حيث يشاء» .

و قد ورد في كتاب اللّه تعالى:

يَا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اَللَّهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِي اَلْأَمْرِ

(41) كل هذه المحاجحات وردت في خبر السقيفة بتاريخ الطبري، ط. أوربا 1837/1-1851.

مِنْكُمْ... النساء/59.

في كلّ هذه الموارد سواء في لغة العرب، و عرف المسلمين، و النصوص الإسلامية سنّة و كتابا، إنّما أريد من (الأمر) أمر الإمامة و الحكم على المسلمين.

و على هذا فإنّ (الأمر) استعمل في الشّرع الإسلاميّ بنفس المعنى الّذي استعمل فيه لدى العرب و المسلمين، و لا مانع بعد ذلك أن نسمّي (أولي الأمر) مصطلحا شرعيّا و تسمية إسلامية و أنّه أريد به الإمام بعد النبيّ (ص) ، و لا خلاف في ذلك، و لكنّ الخلاف بين المدرستين في من يصدق عليه تسمية أولي الأمر، فإنّ مدرسة أهل البيت (ع) ترى أنّه لمّا كان المقصود من أولي الأمر: الأئمة، فلا بدّ أن يكون منصوبا من قبل اللّه، معصوما من الذّنوب على التفصيل الّذي سيأتي بيانه في بابه إن شاء اللّه.

و ترى مدرسة الخلافة أنّ (أولي الأمر) : من بايعه المسلمون بالحكم.

و بناء على ذلك يرون وجوب طاعة كلّ من بايعوه، و على هذا الأساس أطاعوا الخليفة يزيد بن معاوية فقتلوا و سبوا آل بيت رسول اللّه (ص) بكربلاء، و أباحوا مدينة الرسول (ص) ثلاثة أيّام، و رموا الكعبة بالمنجنيق، كما سيأتي بيانه في محلّه إن شاء اللّه تعالى.

سابعا-الوصيّ و الوصيّة

ورد مصطلح الوصيّ و الوصيّة و مشتقّاتهما في كلام العرب بالمعاني الآتية:

يقال لإنسان حيّ يعهد لإنسان آخر أن يقوم بأمر يهمّه بعد وفاته:

الموصي، و للآخر: الوصيّ، و للأمر الموصى به: الوصيّة؛ و تجري الوصية بلفظ الوصيّة و مشتقّاتها تارة مثل أن يقول الموصي لوصيّه: أوصيك بعدي برعاية

أهلي أو إدارة مدرستي، و أن تفعل كذا و كذا، و أخرى بلفظ يؤدّي معنى الوصيّة، مثل أن يقول الموصي لوصيّه: أطلب منك أن تقوم بعدي برعاية أهلي و إدارة مدرستي و تفعل كذا و كذا....

و يخبر الموصي الآخرين عن وصيّته أحيانا بلفظ: أوصيت إلى فلان، و وصيّي فلان، و أخرى يقول: عهدت إلى فلان، أو: أوكلت إليه أن يقوم بكذا، و كلا اللّفظين يؤدّيان معنى واحدا، و هكذا نظائرهما.

كان هذا موجز معنى مصطلح الوصيّ و الوصيّة و مشتقاتهما في لغة العرب، و بنفس المعنى وردت في القرآن الكريم و السنّة النبويّة الشريفة؛ قال اللّه سبحانه في سورة البقرة الآيات 180-182:

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ اَلْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً اَلْوَصِيَّةُ -إلى قوله تعالى-: **فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْماً فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ** و في سورة المائدة الآية 106:

يَا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ اَلْمَوْتُ حِينَ اَلْوَصِيَّةِ اِثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ... و كذلك وردت في سورة النّساء الآيتان 11 و 12.

و ممّا ورد في السنّة النبويّة ما رواه كلّ من البخاري في أوّل كتاب الوصايا من صحيحه، و مسلم في كتاب الوصيّة من صحيحه [42] :

إنّ رسول اللّه (ص) قال: «ما حقّ امرئ مسلم له شيء يوصي فيه أن يبيت ليلتين إلاّ و وصيّته مكتوبة عنده» .

و للوصيّة أحكامها في الفقه الإسلامي. و بناء على ما ذكرنا إنّ لفظي الوصيّ و الوصيّة من المصطلحات الإسلاميّة.

و الوصيّة من الأنبياء و الرسل كما سننقل أمثلة منها من التوراة و الإنجيل

(42) صحيح البخاري 2/83. و صحيح مسلم بشرح النووي 11/74.

أن يعهد الرسل إلى أوصيائهم حمل شريعتهم بعدهم إلى الناس و رعاية أمّتهم من بعدهم.

و في هذه الأمّة فعل خاتم الأنبياء (ص) مثل من سبقه من الرسل و عهد إلى الإمام عليّ (ع) تبليغ شريعته و رعاية أمّته من بعده، و بواسطته عهد ذلك إلى بنيه الأئمة الأحد عشر من بعده و أخبر النبيّ المسلمين بكلّ ذلك، تارة بلفظ الوصيّ و الوصيّة و مشتقّاتهما، و أخرى بألفاظ أخرى تؤدي المعنى نفسه. فلقّب الإمام عليّ بلقب الوصيّ و أصبح علما له، كما سيأتي بيان كل ذلك في باب النصوص الواردة عن رسول اللّه (ص) في تعيين وليّ الأمر من بعده مع بيان قول من أنكر ذلك و رأى أنّ رسول اللّه (ص) لم يهتمّ بأمر المسلمين و لم يوص إلى أحد من بعده، إن شاء اللّه تعالى. ـ

دراسة رأي مدرسة الخلفاء

بعد دراسة المصطلحات السبعة الماضية تتيسّر لنا دراسة رأي المدرستين في الخلافة و الإمامة و ما استدلّوا به في هذا المقام، و نبدأ بدراسة آراء مدرسة الخلافة في ما يأتي.

رأي مدرسة الخلافة و ما استدلّوا به:

أولا-قال الخليفة أبو بكر [1] :

لن يعرف هذا الأمر إلاّ لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسبا و دارا، و قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين (عمر و أبي عبيدة) فبايعوا أيّهما شئتم.

ثانيا-قال عمر بن الخطاب [2] :

فلا يغترّنّ امرؤ أن يقول إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة و تمّت، ألا

---

(1) البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى.
(2) البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى.

و إنّها قد كانت كذلك، و لكنّ اللّه وقى شرّها، و ليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر، من بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو و لا الّذي بايعه تغرّة أن يقتلا.

مناقشة الاستدلالين

أشرنا هنا أولا إلى استدلال الخليفة أبي بكر في السقيفة، و ثانيا إلى رفع الخليفة عمر شعار الشورى لولاية الأمر من بعده. أمّا ما كان من احتجاج الخليفة أبي بكر في السقيفة، فإنّ الحقيقة في أمر احتجاجات جميعهم يوم ذاك، هي أنّها كانت تجري وفق المنطق القبلي؛ فإنّ الأنصار لمّا تركوا جثمان رسول اللّه (ص) ملقى بين أهله، و بادروا إلى سقيفة بني ساعدة ليولّوا سعدا ما قالوا إنّ سعدا أفضل من غيره و أولى بهذا الأمر، بل قالوا: إنّ الناس في فيئكم و لا يجترئ مجترئ عليكم.

و إنّ مهاجرة قريش-أيضا-لمّا التحقوا بهم احتجّوا بالمنطق القبلي حين قالوا: إنّ قريشا أوسط العرب دارا، و قالوا: من ذا ينازعنا سلطان محمّد و نحن أهله و عشيرته!؟ و كذلك كان قول الأنصاريّ حين قال: منّا أمير و منكم أمير، و قول المهاجري حين قال: نحن الأمراء و أنتم الوزراء.

و كذلك كان دافع أسيد بن حضير و سائر من حضر من أفراد قبيلته الأوس قبليّا حين خافوا سلطة الخزرج عليهم، و تذكّروا حرب البعاث بينهم، و الّتي لم يكن قد مضى عليها عقدان من الزمن و قالوا: و اللّه لئن وليتها عليكم الخزرج مرّة، لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، و لا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا أبدا، فقوموا فبايعوا أبا بكر.

و تمّت الغلبة أخيرا لمهاجرة قريش بمجيء قبيلة (أسلم) الّتي ملأت

سكك المدينة، و بايعت أبا بكر و نصرت مهاجرة قريش على الأنصار. و حقّ للخليفة عمر بعد ذلك أن يعتبر بيعة أبي بكر فلتة! كانت هذه حقيقة تلك الواقعة مهما كان نوع الاستدلال فيها.

أمّا ما ذكره الخليفة عمر من أمر الشورى، فسندرسه بحوله تعالى ضمن دراسة آراء أتباع مدرسة الخلفاء في ما يأتي.

ثالثا-آراء أتباع مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة:

تتلخّص آراء مدرسة الخلفاء في شأن الخلافة و إقامتها في الأمرين التاليين:

أولا-تقام الخلافة:

أ- بالشورى ب- بالبيعة ج- باتّباع ما عملته الصحابة في إقامتها د- بالقهر و الغلبة

ثانيا-

يجب طاعة الخليفة بعد ما بويع، و إن عصى ربّه.

دراسة المصطلحات تفصيلا

بعد دراسة المصطلحات المذكورة تتيسّر لنا دراستها واحدة بعد الأخرى في ما يأتي:

الأول-مناقشة الاستدلال بالشّورى

إنّ أوّل من ذكر الشّورى و أمر بها لإقامة الخلافة هو الخليفة عمر بن الخطاب، غير أنه لم يأت بدليل على أن الإمامة في الإسلام تقام بالشورى،

و استدلّ المتأخّرون من أتباع مدرسة الخلفاء على صحّة إقامة الإمامة بالشورى بآيتين من كتاب اللّه، و بما ورد عن رسول اللّه (ص) أنّه كان يستشير أصحابه في بعض الأمور المهمّة، و بكلمة عن الإمام عليّ. و نحن نبدأ هنا بدراسة ما استدلّوا به في هذا الصّدد ثمّ ندرس الشورى الّتي أمر بها الخليفة عمر.

الاستدلال للشورى بكتاب اللّه و سنة رسوله

استدلّوا:

أ- بقوله تعالى للمؤمنين: **وَ أَمْرُهُمْ شُورىَ بَيْنَهُمْ** الشورى/38.

ب- بقوله تعالى لرسوله (ص) : **وَ شَاوِرْهُمْ فِي اَلْأَمْرِ** آل عمران/159.

ج- إنّ رسول اللّه (ص) كان يستشير أصحابه في الأمور المهمّة، فنقول:

أولا-الاستدلال بآية وَ أَمْرُهُمْ شُورىَ

إنّ هذه الجملة من الآية 38 من سورة الشورى جاء بعدها: **وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** . كلتا الجملتين تدلان على رجحان الفعل فيهما، و ليس على وجوب التشاور و الإنفاق.

هذا أولا، و ثانيا إنّما يصح التشاور في أمر لم يرد فيه من اللّه و رسوله حكم، فقد قال اللّه سبحانه:

مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اَللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ اَلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَ مَنْ يَعْصِ اَللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِيناً الأحزاب/36.

و سيأتي بعيد هذا ما ورد عن اللّه و رسوله (ص) في أمر الإمامة ما لا يبقى معه مورد للتشاور.

ثانيا-الاستدلال بآية وَ شَاوِرْهُمْ فِي اَلْأَمْرِ

إنّ هذه الآية التاسعة و الخمسين بعد المائة من سورة آل عمران قد وردت

ضمن سلسلة من آيات 139-166 منها، و كلّها في أمر غزوات الرسول (ص) و كيف نصرهم اللّه فيها، و في بعضها يخاطب المسلمين و خاصة الغزاة منهم و يعظهم، و في بعضها يخاطب الرسول (ص) خاصّة و من ضمنها هذه الآية:

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اَللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ اَلْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اِسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شَاوِرْهُمْ فِي اَلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اَللَّهِ إِنَّ اَللَّهَ يُحِبُّ اَلْمُتَوَكِّلِينَ .

يظهر جليّا أنّ الأمر بالمشاورة في هذه الآية كان بقصد الملاينة معهم و الرحمة بهم، و لم يكن أمرا بالعمل برأيهم، بل قال له: فإذا عزمت فتوكّل و اعمل برأيك. و يفهم من المجموع أيضا أنّ مقام المشاورة الراجحة إنّما هو في الغزوات، و ما ذكره من مشاورة الرسول (ص) أصحابه أيضا كانت في الغزوات كما سنذكرها في ما يأتي:

ثالثا-الاستدلال بمشاورة الرسول (ص) أصحابه

إنّ مشاورة الرسول (ص) أصحابه كانت في الغزوات فقط، كما صرح بذلك الصحابي أبو هريرة، و قال:

فلم أر أحدا كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و كانت مشاورته أصحابه في الحرب فقط [3] . و أشهرها مشاورته معهم في غزوة بدر، و قصتها كما يأتي:

أ-غزوة بدر

ندب رسول اللّه (ص) أصحابه للتعرّض لقافلة قريش التجارية الراجعة

---

(3) كتاب المغازي للواقدي 2/580. تحقيق الدكتور مارسدن جونس.

من الشام بقيادة أبي سفيان و خرج معه 313 شخصا ممّن استعدّ للاستيلاء على القافلة التجارية و ليس للقتال، و بلغ الخبر أبا سفيان فانحرف في سيره عن الطريق، و استصرخ قريشا بمكّة فخرجت مستعدّة للقتال في جيش يقارب الألف محارب، و أفلت أبو سفيان و القافلة، فكان الرسول (ص) أمام خيارين: التراجع إلى المدينة بسلام، أو مقاتلة جيش قريش المتأهّب للقتال بجيشه غير المتكافئ عددا و عدّة.

تفصيل الخبر:

روى ابن هشام في سيرته و قال:

و أتاه الخبر عن قريش و مسيرهم ليمنعوا غيرهم، فاستشار الناس و أخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق فقال و أحسن، ثمّ قام عمر بن الخطاب فقال و أحسن، ثمّ قام المقداد (4) .

ثمّ ذكر ما قاله المقداد و ما قالته الأنصار، بينا لم يذكر ما قاله أبو بكر ثمّ عمر! و في صحيح مسلم:

فتكلّم أبو بكر فأعرض عنه، ثمّ تكلّم عمر فأعرض عنه، فقام المقداد... (5) .

إنّ مسلما هكذا ذكر أيضا، و لم يذكر ما تكلّم به أبو بكر، و كلاهما لم يتمّا ذكر الخبر، و نحن ننقل تمام الخبر من مغازي الواقدي و إمتاع الأسماع للمقريزي و اللفظ للأول قال: قال عمر:

يا رسول اللّه، إنّها و اللّه قريش و عزّها، و اللّه ما ذلّت منذ عزّت، و اللّه ما آمنت منذ كفرت، و اللّه لا تسلم عزّها أبدا، و لتقاتلنّك، فاتّهب لذلك أهبته و أعدّ لذلك عدّته. ثم قام المقداد بن عمرو فقال:

(4) سيرة ابن هشام 2/253.
(5) صحيح مسلم، كتاب الجهاد و السير، باب غزوة بدر 3/1403.

يا رسول اللّه، امض لأمر اللّه فنحن معك؛ و اللّه لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيّها: **فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** المائدة/24، و لكن اذهب أنت و ربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون؛ و الّذي بعثك بالحقّ لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك-و برك الغماد من وراء مكّة بخمس ليال من وراء الساحل ممّا يلي البحر، و هو على ثماني ليال من مكّة إلى اليمن-فقال له رسول اللّه (ص) خيرا، و دعا له بخير.

ثمّ قال رسول اللّه (ص) : «أشيروا عليّ أيّها الناس!» و إنما يريد رسول اللّه (ص) الأنصار، و كان يظنّ أنّ الأنصار لا تنصره إلاّ في الدار، و ذلك أنّهم شرطوا له أن يمنعوه ممّا يمنعون منه أنفسهم و أولادهم. فقال رسول اللّه (ص) : «أشيروا عليّ!» فقام سعد بن معاذ فقال:

أنا أجيب عن الأنصار؛ كأنك يا رسول اللّه تريدنا!فقال: «أجل» .

قال:

إنّك عسى أن تكون خرجت عن أمر قد أوحي إليك في غيره، و إنّا قد آمنّا بك و صدّقناك، و شهدنا أنّ كلّ ما جئت به حقّ، و أعطيناك مواثيقنا و عهودنا على السّمع و الطاعة؛ فامض يا نبيّ اللّه؛ فو الّذي بعثك بالحقّ لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما بقي منّا رجل؛ وصل من شئت، و اقطع من شئت، و خذ من أموالنا ما شئت، و ما أخذت من أموالنا أحبّ إلينا ممّا تركت. و الّذي نفسي بيده، ما سلكت هذا الطريق قطّ، و ما لي بها من علم، و ما نكره أن يلقانا عدوّنا غدا؛ إنّا لصبر عند الحرب. صدق عند اللّقاء، لعلّ اللّه يريك منّا ما تقرّ به عينك.

حدّثنا محمّد قال: حدّثنا الواقديّ قال: فحدّثني محمّد بن صالح، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد قال: قال سعد:

يا رسول اللّه، إنّا قد خلّفنا من قومنا قوما ما نحن بأشدّ حبّا لك منهم،

و لا أطوع لك منهم، لهم رغبة في الجهاد و نيّة؛ و لو ظنّوا يا رسول اللّه أنّك ملاق عدوّا ما تخلّفوا، و لكن إنما ظنّوا أنّها العير. نبني لك عريشا فتكون فيه و نعدّ لك رواحلك، ثمّ نلقى عدوّنا، فإن أعزّنا اللّه و أظهرنا على عدوّنا كان ذلك ما أحببنا، و إن تكن الأخرى جلست على رواحلك فلحقت من وراءنا.

فقال له النبيّ (ص) خيرا، و قال: «أو يقضي اللّه خيرا من ذلك يا سعد!» قالوا: فلمّا فرغ سعد من المشورة، قال رسول اللّه (ص) :

«سيروا على بركة اللّه. فإنّ اللّه قد وعدني إحدى الطائفتين. و اللّه، لكأني أنظر إلى مصارع القوم» . قال: و أرانا رسول اللّه (ص) مصارعهم يومئذ؛ هذا مصرع فلان، و هذا مصرع فلان، فما عدا كلّ رجل مصرعه.

قال: فعلم القوم أنّهم يلاقون القتال، و أنّ العير تفلت، و رجوا النّصر لقول النبي (ص) [6] .

كانت استشارة رسول اللّه (ص) في هذا المقام: أنّه استشار أصحابه في ما ذا يفعلون، بعد أن أخبره اللّه سبحانه و تعالى بأنّهم سيقاتلون و ينتصرون، و أخبره بمصارع القوم و الرسول (ص) أيضا أخبر أصحابه بمصارع القوم بعد أن وافقوه على القتال، فهو إذ يستشيرهم لا يريد الاستفادة من رأيهم، و إنّما هو نوع من الملاينة و إخبار بإفلات غير قريش و تغيير الأمر من الاستيلاء على مال التجارة إلى القتال ليستعدّوا للقتال.

ب-غزوة أحد

كانت تلكم مشاورة الرسول (ص) أصحابه في غزوة بدر. و في ما يلي قصّة مشاورة الرسول أصحابه في غزوة أحد و في هذه المشاورة عمل رسول

---

(6) مغازي الواقدي، ط. آكسفورد 1/48-49. و إمتاع الأسماع للمقريزي ص 74-75.

اللّه (ص) برأي أصحابه، كما ورد في مغازي الواقدي و إمتاع الأسماع للمقريزي [7] ، قالا:

إنّ رسول اللّه (ص) صعد على المنبر فحمد اللّه و أثنى عليه ثمّ قال:

«أيّها النّاس، إنّي رأيت في منامي رؤيا: رأيت كأنّي في درع حصينة، و رأيت كأنّ سيفي ذا الفقار انقصم [8] من عند ظبته [9] ، و رأيت بقرا تذبح؛ و رأيت كأنّي مردف كبشا» .

فقال الناس: يا رسول اللّه (ص) ، فما أوّلتها؟قال:

«أما الدّرع الحصينة فالمدينة، فامكثوا فيها. و أمّا انقصام سيفي من عند ظبته فمصيبة في نفسي. و أما البقر المذبّح فقتلى في أصحابي. و أمّا أنّي مردف كبشا فكبش الكتيبة نقتله إن شاء اللّه» .

و في رواية:

«و أمّا انقصام سيفي فقتل رجل من أهل بيتي» . و قال: «أشيروا عليّ» و رأى رسول اللّه (ص) ألاّ يخرج من المدينة فوافقه عبد اللّه بن أبيّ و الأكابر من الصّحابة مهاجرهم و أنصارهم، و قال عليه السلام: «امكثوا في المدينة و اجعلوا النّساء و الذّراريّ في الآطام، فإن دخل علينا قاتلناهم في الأزقّة -فنحن أعلم بها منهم-و رموا من فوق الصياصي و الآطام» [10] . و كانوا قد شبّكوا المدينة بالبنيان من كلّ ناحية فهي كالحصن، فقال فتيان أحداث لم يشهدوا بدرا و طلبوا الشهادة و أحبّوا لقاء العدوّ: اخرج بنا إلى عدوّنا. و قال حمزة، و سعد بن عبادة، و النعمان بن مالك بن ثعلبة، في طائفة من الأنصار:

إنّا نخشى يا رسول اللّه أن يظنّ عدونا أنّا كرهنا الخروج إليهم جبنا عن لقائهم،

---

(7) مغازي الواقدي ص: 208-214. و إمتاع الأسماع للمقريزي ص 113-118.
(8) انقصم: تكسّر و تثلم.
(9) الظّبة: حدّ السيف من قبل ذبابه و طرفه.
(10) الصياصي جمع صيصية: و هي الحصون، و الآطام جمع أطم: و هي بيوت من حجارة كانت لأهل المدينة.

فيكون هذا جرأة منهم علينا؛ و قد كنت يوم بدر في ثلاثمائة رجل فظفّرك اللّه عليهم، و نحن اليوم بشر كثير؛ قد كنّا نتمنّى هذا اليوم و ندعو اللّه به، فساقه اللّه إلينا في ساحتنا. و رسول اللّه (ص) لما يرى من إلحاحهم كاره، و قد لبسوا السلاح. و قال حمزة: و الّذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاما حتّى أجالدهم [11] بسيفي خارجا من المدينة، و كان يوم الجمعة صائما و يوم السبت صائما. و تكلّم مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري، و النّعمان بن مالك بن ثعلبة، و إياس بن أوس بن عتيك، في معنى الخروج للقتال. فلمّا أبوا إلاّ ذلك صلّى [12] رسول اللّه (ص) الجمعة بالناس و قد وعظهم و أمرهم بالجدّ و الجهاد؛ و أخبرهم أنّ لهم النصر ما صبروا. ففرح النّاس بالشّخوص [13] إلى عدوّهم، و كره ذلك المخرج كثير. ثمّ صلّى رسول اللّه (ص) العصر بالنّاس و قد حشدوا، و حضر [14] أهل العوالي [15] و رفعوا النّساء في الآطام، و دخل (ص) بيته و معه أبو بكر و عمر (رض) فعمّماه و لبّساه. و قد صفّ الناس له ما بين حجرته إلى منبره، فجاء سعد بن معاذ و أسيد بن حضير فقالا للنّاس: قلتم لرسول اللّه (ص) ما قلتم و استكرهتموه على الخروج، و الأمر ينزل عليه من السماء، فردّوا الأمر إليه فما أمركم فافعلوه، و ما رأيتم فيه له هوى أو رأي فأطيعوه. فبينا هم على ذلك إذ خرج رسول اللّه (ص) قد لبس لأمته [16] ، و لبس الدرع فأظهرها و حزم وسطها بمنطقة [17] [من أدم] [18] من حمائل

---

(11) جالد بالسيف: ضرب به كأنه يجلد بسوط لسرعة ضربه و تتابعه.
(12) في الأصل: (صلى اللّه) .
(13) الشخوص: الخروج.
(14) في الأصل: (حضرو) .
(15) العوالي: ضيعة بينها و بين المدينة ثلاثة أميال.
(16) اللأمة: أداة الحرب و لباسها، كالرمح و البيضة و المغفر و السيف و النبل.
(17) المنطقة و النطاق، كلّ ما يشدّ به الوسط كالحزام.
(18) الذي بين المعقوفتين كان في الأصل بعد قوله: (حمائل سيف) ، و هذا حقّ موضعه.

سيف، و اعتمّ، و تقلّد السيف. فقال الّذين يلحّون: يا رسول اللّه، ما كان لنا أن نخالفك، فاصنع ما بدا لك، فقال: «قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم، و لا ينبغي لنبيّ إذا لبس لامته أن يضعها حتّى يحكم اللّه بينه و بين أعدائه، انظروا ما أمرتكم به فاتّبعوه، امضوا على اسم اللّه فلكم النّصر ما صبرتم» .

لعلّ الحكمة في استجابة رسول اللّه (ص) لإلحاح أصحابه في الخروج أنّه لو لم يستجب لهم الرسول لأثّر في أنفسهم تأثيرا سيّئا، و أولد فيهم الضعف و الاستكانة بدل الإقدام و الشجاعة، أمّا عدم استجابته لهم بعد أن طابقوا رأيه فقد ذكر هو (ص) حكمته.

مثال آخر من عمل الرسول برأي أصحابه فيما أشاروا عليه: قصّة جرت في غزوة الخندق نوردها في ما يأتي:

ج-غزوة الخندق

روى الواقدي و المقريزي عن بدء غزوة الخندق و قالا:

«و شاورهم رسول اللّه (ص) . و كان رسول اللّه يكثر مشاورتهم في الحرب... فأشار عليهم سلمان بحفر الخندق» .

و أخبرا كذلك عن مشاورة أخرى في آخر أيام القتال و قالا:

و أقام (ص) و أصحابه محصورين بضع عشرة ليلة حتّى اشتدّ الكرب، و قال (ص) : «اللّهم إنّي أنشدك عهدك و وعدك؛ اللّهم إنّك إن تشأ لا تعبد» . و أرسل إلى عيينة بن حصن، و الحارث بن عوف-و هما رئيسا غطفان-أن يجعل لهما ثلث ثمر المدينة و يرجعا بمن معهما، فطلبا نصف الثّمر فأبى عليهم إلاّ الثّلث، فرضيا. و جاءا في عشرة من قومهما حتّى تقارب الأمر، و أحضرت الصّحيفة و الدّواة ليكتب عثمان بن عفّان (رض) الصّلح -و عبّاد بن بشر قائم على رأس رسول اللّه (ص) مقنّع في الحديد-، فأقبل أسيد بن حضير، و عيينة مادّ رجليه فقال له: يا عين الهجرس، اقبض

رجليك. أ تمدّ رجليك بين يدي رسول اللّه (ص) !؟و اللّه لو لا رسول اللّه لأنفذت حضنيك بالرّمح!ثمّ قال: يا رسول اللّه صلّى اللّه عليك، إن كان أمرا من السّماء فامض له، و إن كان غير ذلك فو اللّه لا نعطيهم إلاّ السيف. متى طمعتم بهذا منّا؟فدعا رسول اللّه (ص) سعد بن معاذ و سعد بن عبادة فاستشارهما خفية، فقالا: إن كان هذا أمرا من السّماء فامض له، و إن كان أمرا لم تؤمر فيه و لك فيه هوى فسمع و طاعة، و إن كان إنّما هو الرأي فما لهم عندنا إلاّ السيف. فقال رسول اللّه (ص) : «إنّي رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة فقلت أرضيهم و لا أقاتلهم. » ، فقالا: يا رسول اللّه، و اللّه إن كانوا ليأكلون العلهز في الجاهلية من الجهد، ما طمعوا بهذا منّا قطّ: أن يأخذوا ثمرة إلا بشراء أو قرى!فحين أتانا اللّه بك و أكرمنا بك؛ و هدانا بك، نعطي الدّنيّة!؟لا نعطيهم أبدا إلاّ السيف. فقال (ص) : «شقّ الكتاب» فشقّه سعد، فقام عيينة و الحارث. فقال (ص) : «ارجعوا بيننا السيف» رافعا صوته.

كانت هذه قصّة استشاره الرسول (ص) أصحابه في هذه الغزوة، و يظهر من محاورة الرسول (ص) فيها أنّه-صلوات اللّه عليه-أراد أن يوقع الخلاف بين القبائل المحاربة، و خاصّة أنّ في آخره يرفع صوته و يقول: «ارجعوا بيننا السيف» فإنّ هذا الخبر ينتشر و يبلغ قريشا و يقع بينهم الخلاف، و قد رويا بعد هذا: أنّ رسول اللّه (ص) أمر نعيم بن مسعود لذلك و نجح، فألقى الشكّ و الترديد و الخلاف بين بني قريظة و قريش و كان ذلك من أسباب انكسارهم [19] .

(19) مغازي الواقدي 2/477-480. و إمتاع الأسماع للمقريزي ص 235-236.

و العلهز: كان أهل الجاهلية في سنيّ القحط و المجاعة يخلطون الوبر بالدم و يشوونه و يأكلون و يسمّونه العلهز.

الهجرس: ولد الثعلب، و قيل هو القرد أو دويبة أخرى.

في ضوء ما بيّناه من مشاورات الرسول (ص) يتّضح لنا جليّا أنّه لم تكن الغاية من تلك المشاورات أن يتعلم الرسول (ص) من أصحابه الرأي الصائب ليعمل به، بل كانت الغاية أحيانا أن يعلمهم الرسول (ص) بأسلوب المشورة الرأي الصائب الّذي كان يعلمه الرسول (ص) مسبقا ليعملوا به.

كما كان شأن مشورته إيّاهم في غزوة بدر، فإنّ اللّه كان قد أعلم رسوله (ص) النتيجة مسبقا من أنّهم سيقاتلون قريشا و ينتصرون عليهم، و بعد المشاورة أعلمهم الرسول (ص) نتيجة الأمر، و أراهم مصارع قريش.

إذا كانت الغاية من المشاورة توجيه المسلمين بأسلوب المشاورة إلى ما ينبغي أن يعملوه خلافا لأسلوب الملوك الجبّارين الّذين يملون آراءهم على الناس بقولهم مثلا: نحن ملك... أصدرنا أمرنا الملكي بكذا....

و إنّ صدر الآية يدلّ بوضوح على ما ذكرنا، فإنّه تعالى قال: **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اَللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ اَلْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اِسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شَاوِرْهُمْ فِي اَلْأَمْرِ...** آل عمران/159. فالمشاورة هنا من مصاديق اللّيونة و كونها رحمة من اللّه، اللّتين وردتا في صدر الآية.

تارة تكون الغاية من المشاورة الملاينة كالمثال السابق، و تارة تكون الغاية تربية نفوس المسلمين، كما كان شأن المشاورة في غزوة أحد، فإنّ رسول اللّه (ص) بعد أن أخذ برأيهم و لبس لامة حربه بقصد السير إلى أحد، ندموا على إلحاحهم على الرسول (ص) بالخروج، و قالوا: يا رسول اللّه (ص) ما كان لنا أن نخالفك، فاصنع ما بدا لك. فقال: «قد دعوتكم إلى هذا فأبيتم، و لا ينبغي لنبيّ إذا لبس لامته أن يضعها حتّى يحكم اللّه بينه و بين أعدائه» .

يظهر من المحاورات الّتي دارت بين الرسول (ص) و أصحابه في هذه الواقعة، أنّ عدم استجابة الرسول (ص) لرغبتهم العارمة في الخروج كان يؤثر على نفوسهم تأثيرا سيّئا، و يولد فيهم ضعف النفس و التردّد و عدم الإقدام في

الحروب، و من أجل ذلك أخذ برأيهم مع علمه بأنّ رأيهم غير صائب. أمّا في غزوة الخندق، فقد كانت المشاورة كيدا كاد به المشركين، و قد نجحت خطّته صلوات اللّه عليه و آله.

الثاني-مناقشة الاستدلال بالبيعة

عرفنا في ما سبق:

أنّ البيعة كالبيع تنعقد بالرضا و الاختيار و ليس بحدّ السيف و الجبر.

و أنّه لا بيعة في معصية.

و لا في خلاف ما أمر اللّه به.

و أنّه لا بيعة لمن يعصي اللّه.

و عرفنا أنّ أوّل بيعة أخذت بعد رسول اللّه هي البيعة للخليفة أبي بكر، و على صحّتها تتوقّف صحّة بيعة الخليفة عمر، لأنّها أخذت بأمر من الخليفة أبي بكر. و على صحّة بيعة الخليفة عمر تتوقّف صحّة بيعة الخليفة عثمان، لأنّها أخذت بأمر من الخليفة عمر حين أمر أن يبايعوا من الستّة القرشيّين من بايعه عبد الرحمن بن عوف، و أن يقتلوا من خالف.

و عرفنا كيف أخذت البيعة للخليفة أبي بكر غلابا في سقيفة بني ساعدة، ثمّ بمساعدة قبيلة بني أسلم في سكك المدينة، و كيف حملت النار إلى بيت فاطمة (ع) ابنة رسول اللّه (ص) لأنّه قد تحصّن فيه من أبى أن يبايع، و أنّ بني هاشم لم يبايعوا مدّة حياة ابنة رسول اللّه (ص) ، و أنّ الجنّ قتلت سعد بن عبادة بسهمين لأنّه لم يبايع! كان هذا شأن أخذ البيعة في المدينة. أما خارج المدينة، فكان شأن من امتنع عن بيعة الخليفة أبي بكر و أبى أن يدفع الزكاة لجباة الخليفة، قتل الرجال، و سبي النساء، و سلب الأموال.

كما كان شأن مالك بن نويرة عامل رسول اللّه (ص) [20] و أسرته من قبيلة تميم حين دهمهم جيش خالد بن الوليد ليلا، و أخذوا السلاح، فقال جيش خالد: إنّا المسلمون. فقال أصحاب مالك: و نحن المسلمون. فقال لهم جيش خالد: فإن كنتم كما تقولون، فضعوا السّلاح. فوضعوها ثمّ صلّوا مع جيش خالد [21] : ثمّ أخذوهم إلى خالد بن الوليد، فأمر بضرب عنق مالك. فالتفت مالك إلى زوجته و قال لخالد: هذه الّتي قتلتني-و كانت في غاية الجمال-فقال خالد: بل اللّه قتلك برجوعك عن الإسلام. فقال مالك: إنّا على الإسلام.

و بعد قتله أمر خالد برأسه فنصب أثفية للقدر و تزوج بامرأته في تلك الليلة و لمّا يدفن مالك [22] .

و كما كان شأن قبائل كندة، فإنّ زياد بن لبيد البياضي عامل أبي بكر أخذ ناقة لفتى من كندة، فسأله الكندي أخذ غيرها فأبى ذلك، لأنّه وسمها بميسم الصدقة [23] . فذهب الفتى إلى رجل من سادات كندة يقال له: حارثة بن سراقة، و قال له: يا ابن عمّ إنّ زياد بن لبيد قد أخذ لي ناقة فوسمها و جعلها مع إبل الصدقة، و أنا مشغوف بها، فإن رأيت أن تكلّمه فيها فلعلّه أن يطلقها و يأخذ غيرها من إبلي. فأقبل حارثة إلى زياد و قال له: إن رأيت أن تردّ ناقة هذا الفتى عليه و تأخذ غيرها فعلت منعما. فقال زياد: قد وضع عليها ميسم الصدقة. فترادّا الكلام، فأقبل حارثة إلى إبل الصدقة فأخرج الناقة بعينها،

---

(20) راجع ترجمته في الإصابة 3/336، رقم الترجمة: 7698.
(21) تاريخ الطبري ط. أوربا 1/1927-1928 و راجع تاريخ اليعقوبي ط. بيروت، 2/131.
(22) راجع تاريخ أبي الفداء ص 158. و وفيات الأعيان، ترجمة وثيمة. و كذلك فوات الوفيات. و بقية المصادر مع تفصيل الخبر في كتاب عبد اللّه بن سبأ ط. بيروت سنة 1403 هـ، 1/185-191.
(23) فتوح البلدان، ردة بني وليعة و الأشعث بن قيس.

و قال للفتى: خذ ناقتك فإن كلّمك أحد سأحطم أنفه بالسّيف و قال:

نحن إنما أطعنا رسول اللّه (ص) إذ كان حيّا، و لو قام رجل من أهل بيته لأطعناه؛ و أمّا ابن أبي قحافة فلا و اللّه ماله في رقابنا طاعة و لا بيعة. و أنشأ أبياتا من جملتها:

أطعنا رسول اللّه إذ كان بيننا # فيا عجبا ممّن يطيع أبا بكر

فقال له الحارث بن معاوية من سادة كندة: إنّك لتدعو إلى طاعة رجل لم يعهد إلينا و لا إليكم فيه عهد.

فقال له زياد: صدقت و لكنّا اخترناه لهذا الأمر.

فقال له الحارث: أخبرني لم نحّيتم عنها أهل بيته؟و هم أحقّ الناس بها لأنّ اللّه عزّ و جلّ يقول: **وَ أُولُوا اَلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلىَ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اَللَّهِ** الأحزاب/6.

فقال له زياد: إنّ المهاجرين و الأنصار أنظر لأنفسهم منك! فقال له الحارث: لا و اللّه ما أزلتموها عن أهلها إلاّ حسدا منكم، و ما يستقرّ في قلبي أنّ رسول اللّه (ص) خرج من الدنيا و لم ينصب للنّاس علما يتّبعونه، فارحل عنّا أيّها الرجل فإنك تدعو إلى غير رضا. ثمّ أنشأ الحارث يقول:

كان الرسول هو المطاع فقد مضى # صلّى عليه اللّه لم يستخلف

فأرسل زياد إبل الصّدقة أمامه إلى المدينة، ثمّ سار إلى المدينة و أخبر أبا بكر، فجهّزه في أربعة آلاف مقاتل. فسار زياد يريد حضر موت و في طريقه كان يباغت قبائل كندة و يقتل منهم و يستأسر، مثل بني هند الّذين هاجمهم و قتل منهم جماعة و احتوى على نسائهم و ذراريهم.

و وافى حيّ بني العاقل من كندة غافلين فلمّا أشرفت الخيل عليهم تصايحت النّساء و اقتتل الرجال ساعة و وقعت الهزيمة عليهم، و احتوى زياد

نساءهم و أموالهم.

و كبس بخيله في جوف اللّيل حيّ بني حجر من كندة، فقتل منهم مائتي رجل، و أسر خمسين، و فرّ الباقون، و احتوى على النساء و الأولاد.

ثم قاتله الأشعث بن قيس و حاصره في مدينة (تيم) و استرجع منه الأموال و الذّراريّ و ردّها إلى أهلها، فأرسل الخليفة إلى الاشعث كتابا يسترضيه فقال الأشعث للرسول:

إنّ صاحبك أبا بكر يلزمنا الكفر بمخالفتنا له، و لا يلزم صاحبه الكفر بقتله قومي و بني عمّي.

فقال له الرسول: نعم يا أشعث!يلزمك الكفر لأنّ اللّه تبارك و تعالى قد أوجب عليك الكفر بمخالفتك لجماعة المسلمين.

فضربه غلام من بني عمّ الأشعث بسيفه فقتله، و استحسن فعله الأشعث فغضب من ذلك عامّة أصحاب الأشعث حتى بقي في قريب من ألفي رجل. فكتب زياد إلى أبي بكر يخبره بقتل الرسول و أنهم محاصرون.

فاستشار الخليفة المسلمين في ما يصنع فأشار عليه أبو أيّوب الأنصاري و قال:

إنّ القوم كثير عددهم و إذا همّوا بالجمع جمعوا خلقا كثيرا، فلو صرفت عنهم الخيل في عامك هذا رجوت أن يحملوا الزكاة إليك بعد هذا العام طائعين.

فقال أبو بكر: و اللّه لو منعوني عقالا واحدا ممّا كان النبيّ وظفه عليهم لقاتلتهم عليه أبدا أو ينيبوا إلى الحقّ. ثمّ كتب إلى عكرمة بن أبي جهل أن يسير بمن أجابه من أهل مكّة إلى زياد و يستنهض من مرّ عليه من أحياء العرب. فخرج في ألفي فارس من قريش و مواليهم و أحلافهم، ثمّ سار إلى مأرب. و بلغ ذلك أهل دبا فغضبوا و قالوا نشغله عن محاربة بني عمّنا من كندة، و أخرجوا عامل أبي بكر. فكتب أبو بكر إليه أن يسير إليهم، و أن

لا يقصر فيهم، و إذا فرغ منهم أن يبعث بهم أسراء. فسار إليهم عكرمة و قاتلهم و حاصرهم، فسألوا الصّلح و أن يؤدّوا الزكاة، فأبى إلاّ أن ينزلوا على حكمه، فأجابوه. فدخل عكرمة حصنهم، و قتل أشرافهم صبرا، و سبى نساءهم و أولادهم، و أخذ أموالهم و وجّه بالباقين إلى أبي بكر، فهمّ أن يقتل الرجال و يقسم النساء و الذرية، فقال له عمر:

يا خليفة رسول اللّه، إنّ القوم على دين الإسلام يحلفون باللّه مجتهدين ما كنّا رجعنا عن دين الإسلام. فحبسهم أبو بكر إلى أن توفّي و أطلق عمر سراحهم على عهده.

فسار عكرمة إلى زياد فبلغ خبر الأشعث فانحاز إلى حصن النجير و جمع فيه نساءه و نساء قومه. فبلغ ذلك قبائل كندة ممّن كان تفرّق عن الأشعث لمّا قتل رسول أبي بكر فتلاوموا أن يتركوا بني عمّهم محاصرين، فسارت لقتال زياد، فجزع لذلك فقال له عكرمة: أرى أن تقيم محاصرا لمن في الحصن و أمضي أنا فألقى هؤلاء القوم، فقال له زياد: نعم ما رأيت، و لكن إن ظفر اللّه بهم فلا ترفع السيف حتى تبيدهم عن آخرهم.

فقال عكرمة: لست آلو جهدا في ما أقدر عليه.

فسار عكرمة حتّى وافى القوم فتقاتلوا و كانت الحرب بينهم سجالا و الأشعث لا يعلم عن ذلك شيئا، و طال عليهم الحصار و اشتدّ بهم الجوع و العطش، فطلب من زياد الأمان له و لأهل بيته و عشرة من وجوه أصحابه و كتب بينهم، فبعث زياد الكتاب إلى عكرمة، فأخبر عكرمة قبائل كندة بذلك و أراهم الكتاب، فتركوا القتال و انصرفوا، و دخل زياد الحصن و أخذ يضرب أعناق المقاتلة صبرا، و وافاه كتاب أبي بكر أن يحمل من نزل على حكمه إلى المدينة، فصفد من بقي منهم بالحديد و أرسلهم إلى المدينة [24] .

(24) لقد لخّصنا الخبر ممّا رواه البلاذريّ في فتوح البلدان في ذكر ردّة بني وليعة، و الأشعث بن

هكذا تمّت بيعة الخليفة أبي بكر و الّتي يصفها الخليفة عمر بأنها كانت فلتة، و عليها بنيت خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر و عمر و عثمان و بها يستدلّون.

الثالث-مناقشة الاستدلال بعمل الصّحابة

إنّ الاستدلال بعمل الصّحابة يتمّ لو كانت سيرتهم مصدرا للتشريع الإسلامي في عداد الكتاب و السنّة و نزل فيهم ما نزل في رسول اللّه (ص) مثل قوله تعالى:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اَللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ الأحزاب/21.

و قوله:

مَا آتَاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا الحشر/7.

و بدون ذلك لا حجّة علينا في عمل الصّحابة. ثمّ لسنا ندري بمن نقتدي، و عمل بعضهم و أقوالهم يخالف البعض الآخر، و من ثمّ اختلفت آراء العلماء في كيفيّة إقامة الخلافة، أ تقام ببيعة رجل لأنّ العبّاس عمّ النبي (ص) قال لعلي (ع) : (امدد يدك أبايعك يبايعك الناس) أم بقول الخليفة عمر حين قال: (بيعة أبي بكر فلتة) أم نقتدي بمعاوية حين شهر السيف في وجه الخليفة الشرعيّ الإمام علي (ع) ؟و لا نرى حاجة إلى المناقشة أكثر مما بيّنّا. أمّا ما استدلّ بعضهم بقول الإمام عليّ في نهج البلاغة، فسندرسه في ما يأتي:

قيس الكندي ص 122-123. و الحموي في مادة: حضرموت من معجم البلدان، و فتوح ابن أعثم 1/57- 85. و تمام الخبر في عبد اللّه بن سبأ 2/393-410.

مناقشة الاستدلال بما ورد في نهج البلاغة على صحّة الاستدلال بالشورى و البيعة و عمل الأصحاب.

استدلّ بعضهم على ما ارتأى في الشّورى و البيعة و الاقتداء بعمل الصّحابة بما رواه الشريف الرضي عن الإمام علي (ع) بباب الكتب من نهج البلاغة و هذا نصّه:

و من كتاب له، إلى معاوية:

إنّه بايعني القوم الّذين بايعوا أبا بكر و عمر و عثمان، على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشّاهد أن يختار، و لا للغائب أن يردّ، و إنّما الشّورى للمهاجرين و الأنصار. فإن اجتمعوا على رجل و سمّوه إماما كان ذلك[للّه] رضى؛ فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه؛ فإن أبى قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين، و ولاّه اللّه ما تولّى... [25] .

فإنّ الإمام قد احتجّ في هذا الكتاب على معاوية بالبيعة و الشورى و إجماع المهاجرين و الأنصار، و بناء على هذا فإنّ الإمام يرى صحة إقامة الإمامة بما ذكره.

و الجواب أن الشريف الرضي كان أحيانا يتخيّر نتفا من كتب الإمام و خطبه ممّا يجده في أعلى درجات البلاغة و يترك سائره، و كذلك فعل مع هذا الكتاب و قد أورد الكتاب بتمامه نصر بن مزاحم في كتاب صفّين، و هذا نصّه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم.

أمّا بعد، فإنّ بيعتي بالمدينة لزمتك و أنت بالشّام؛ لأنّه بايعني القوم الّذين بايعوا أبا بكر و عمر و عثمان على ما بويعوا عليه، فلم يكن للشّاهد أن

---

(25) نهج البلاغة و شرحه لابن أبي الحديد، الكتاب السادس من باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين.

يختار، و لا للغائب أن يردّ. و إنّما الشّورى للمهاجرين و الأنصار، فإذا اجتمعوا على رجل فسمّوه إماما كان ذلك للّه رضى، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين، و ولاّه اللّه ما تولّى و يصليه جهنّم و ساءت مصيرا. و إنّ طلحة و الزبير بايعاني ثمّ نقضا بيعتي، و كان نقضهما كردّهما، فجاهدتهما على ذلك حتّى جاء الحقّ و ظهر أمر اللّه و هم كارهون. فادخل فيما دخل فيه المسلمون؛ فإنّ أحبّ الأمور إليّ فيك العافية، إلاّ أن تتعرّض للبلاء. فإن تعرّضت له قاتلتك و استعنت اللّه عليك. و قد أكثرت في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكم القوم إليّ أحملك و إيّاهم على كتاب اللّه. فأمّا تلك الّتي تريدها فخدعة الصبيّ عن اللّبن. و لعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنّي أبرأ قريش من دم عثمان. و اعلم أنّك من الطّلقاء [26] الّذين لا تحلّ لهم الخلافة، و لا تعرض فيهم الشّورى. و قد أرسلت إليك و إلى من قبلك جرير بن عبد اللّه، و هو من أهل الإيمان و الهجرة: فبايع. و لا قوة إلاّ باللّه [27] .

اتّضح لنا من هذا الكتاب أنّ الإمام عليّا يحتجّ على معاوية بما التزم به هو و نظراؤه و يقول له: إنّ بيعتي بالمدينة لزمتك يا معاوية و أنت بالشام كما التزمت ببيعة عثمان بالمدينة و أنت بالشّام، و كذلك لزمت بيعتي نظراءك خارج المدينة كما لزمتهم بيعة عمر في المدينة و هم في أماكن أخرى.

هكذا يلزمه الإمام عليّ بكلّ ما التزمه هو و نظراؤه من مدرسة الخلافة يوم ذاك، و هذا وارد لدى العقلاء، فإنّهم يحتجّون على الخصم بما التزمه هو.

هذا أوّلا.

---

(26) الطلقاء: جمع طليق، و هو الأسير الّذي أطلق عنه إساره و خلي سبيله. و يراد بهم الّذين خلّى عنهم رسول اللّه (ص) يوم فتح مكّه و أطلقهم و لم يسترقهم.
(27) صفين لنصر بن مزاحم ط. القاهرة سنة 1382 هـ، ص 29.

و ثانيا قوله: «فإذا اجتمعوا على رجل فسمّوه إماما، كان ذلك للّه رضى» فإنّه قد ورد في بعض النسخ: «كان ذلك رضى» [28] ، أي كان لهم رضى، على أن يكون ذلك باختيار منهم و لم تؤخذ البيعة بالجبر و حدّ السيف. و على فرض أنّه كان قد قال: «كان للّه رضى» نقول: نعم، ما أجمع عليه المهاجرون و الأنصار بما فيهم الإمام عليّ و سبطا الرسول الحسن و الحسين، كان ذلك للّه رضى.

و أخيرا لست أدري كيف استشهدوا بهذا القول من نهج البلاغة و نسوا أو تناسوا سائر أقوال الإمام الّتي نقلها الشريف الرضي-أيضا-في نهج البلاغة مثل قوله في باب الحكم:

لمّا انتهت إلى أمير المؤمنين (ع) أنباء السقيفة بعد وفاة رسول اللّه (ص) قال (ع) :

ما قالت الأنصار؟قالوا:

قالت: منّا أمير و منكم أمير. قال (ع) :

فهلاّ احتججتم عليهم بأنّ رسول اللّه (ص) وصّى بأن يحسن إلى محسنهم، و يتجاوز عن مسيئهم؟! قالوا: و ما في هذا من الحجّة عليهم؟ فقال (ع) :

لو كانت الإمارة فيهم لم تكن الوصيّة بهم!! ثم قال (ع) :

فما ذا قالت قريش؟قالوا: احتجّت بأنها شجرة الرسول (ص) ، فقال (ع) :

---

(28) راجع نهج البلاغة ط. الاستقامة بالقاهرة تجد لفظ الجلالة «للّه» بين علامتين إشارة الى أنه لم يرد لفظ الجلالة بين النسخ.

احتجّوا بالشّجرة و أضاعوا الثّمرة [29] .

و قوله-أيضا-في باب الحكم:

وا عجبا!أ تكون الخلافة بالصحابة و لا تكون بالصحابة و القرابة [30] .

قال الرضي: و له شعر بهذا المعنى:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم # فكيف بهذا و المشيرون غيب

و إن كنت بالقربى حججت خصيمهم # فغيرك أولى بالنبيّ و أقرب

و أجمع أقواله في هذا الباب ما وردت في الخطبة الشقشقية (خ: 3) الّتي قال فيها (ع) :

«أما و اللّه لقد تقمّصها ابن أبي قحافة و إنّه ليعلم أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرّحى ينحدر عنّي السّيل و لا يرقى إليّ الطّير، فسدلت دونها ثوبا، و طويت عنها كشحا. و طفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء [31] أو أصبر على طخية عمياء [32] يهرم فيها الكبير، و يشيب فيها الصغير، و يكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه [33] فرأيت أنّ الصّبر على هاتا أحجى [34] فصبرت و في العين

---

(29) يريد من الثمرة آل بيت الرسول (ص) .

(30) نهج البلاغة، الحكمة: رقم 185، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

(31) و طفقت... الخ: بيان لعلة الإغضاء. و الجذّاء: بمعنى المقطوعة. و يقولون: رحم جذاء، أي: لم توصل. و سن جذاء أي متهتمة. و المراد هنا ليس ما يؤيدها. كأنه قال: تفكرت في الأمر فوجدت الصبر أولى فسدلت دونها ثوبا و طويت عنها كشحا.

(32) طخية: أي ظلمة، و نسبة العمى إليها مجاز عقلي، و إنما يعمى القائمون فيها إذ لا يهتدون إلى الحق، و هو تأكيد لظلام الحال و اسودادها.

(33) يكدح: يسعى سعي المجهود.

(34) أحجى: ألزم، من حجى به كرضي: أولع به و لزمه. و منه: هو حجيّ بكذا أي: جدير، و ما أحجاه و أحج به أي: أخلق به، و أصله من الحجا بمعنى العقل، فهي أحجى أي أقرب إلى العقل، و هاتا بمعنى هذه، أي: رأى الصبر على هذه الحالة التي وصفها أولى بالعقل من الصولة بلا نصير.

قذى، و في الحلق شجا [35] أرى تراثي نهبا، حتّى مضى الأوّل لسبيله، فأدلى بها إلى فلان بعده [36] -ثمّ تمثّل بقول الأعشى: -

شتّان ما يومي على كورها # و يوم حيّان أخي جابر

[37]

فيا عجبا!!بينا هو يستقيلها في حياته [38] إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشدّ ما تشطّرا ضرعيها [39] فصيّرها في حوزة خشناء يغلظ كلامها [40] ، و يخشن مسّها، و يكثر العثار فيها، و الاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصّعبة [41] إن أشنق لها

---

(35) الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم و نحوه. و التراث: الميراث.
(36) أدلى بها: ألقى بها إليه.
(37) الكور بالضم: الرحل أو هو مع أداته، و الضمير راجع إلى الناقة المذكورة في الأبيات قبل.

و حيان كان سيدا في بني حنيفة مطاعا فيهم، و له نعمة واسعة و رفاهية وافرة، و كان الأعشى ينادمه، و الأعشى هذا: هو الأعشى الكبير أعشى قيس، و هو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل.

و جابر: أخو حيّان أصغر منه.

و معنى البيت أنّ فرقا بعيدا بين يومه في سفره و هو على كور ناقته و بين يوم حيان في رفاهيته، فإنّ الأول كثير العناء شديد الشقاء، و الثاني وافر النعيم وافي الراحة. و وجه تمثّل الإمام بالبيت ظاهر بأدنى تأمل.

(38) رووا أنّ أبا بكر قال بعد البيعة: (أقيلوني فلست بخيركم) .
(39) لشدّ ما تشطرا ضرعيها: جملة شبه قسمية اعترضت بين المتعاطفين و الشطر أيضا أن تحلب شطرا و تترك شطرا، فتشطرا: أي أخذ كلّ منهما شطرا. و سمّى شطري الضرع ضرعين مجازا: و هو هاهنا من أبلغ أنواعه حيث أنّ من ولي الخلافة لا ينال الأمر إلاّ تامّا، و لا يجوز أن يترك منه لغيره سهما، فأطلق على تناول الأمر واحدا بعد واحد اسم التشطر و الاقتسام، كأنّ أحدهما ترك منه شيئا للآخر، و أطلق على كل شطر اسم الضرع نظرا لحقيقة ما نال كلّ منهما.
(40) الكلام-بالضمّ-: الأرض الغليظة و في نسخة كلمها. و إنّما هو بمعنى الجرح كأنّه يقول:

خشونتها تجرح جرحا غليظا.

(41) الصعبة من الإبل: ما ليست بذلول. و أشنق البعير، و شنقه: كفّه بزمامه حتى ألصق ذفراه: (العظم الناتئ خلف الأذن) بقادمة الرحل، أو رفع رأسه و هو راكبه. و اللام هنا زائدة للتحلية و لتشاكل أسلس. و أسلس: أرخى. و تقحّم: رمى بنفسه في القحمة، أي: أهلكها.

قال الرضي: «كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم و إن أسلس لها تقحم» يريد أنّه إذا شدّد عليها في جذب الزمام و هي تنازعه رأسها خرم أنفها، و إن أرخى لها شيئا مع صعوبتها تقحمت به فلم

خرم، و إن أسلس لها تقحّم، فمني النّاس لعمر اللّه-بخبط و شماس (42)

و تلوّن و اعتراض؛ فصبرت على طول المدّة، و شدّة المحنة؛ حتّى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنّي أحدهم، فيا للّه و للشّورى (43) متى

قيملكها. يقال: أشنق الناقة، إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه؛ و شنقها أيضا، ذكر ذلك ابن السكّيت في إصلاح المنطق. و إنّما قال: «أشنق لها» و لم يقل: «أشنقها» لأنه جعله في مقابلة قوله:

«أسلس لها» فكأنّه عليه السلام قال: إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها. انتهى.

الصعبة: إما أن يشنقها فيخرم أنفها، و إما أن يسلس لها فترمي به في مهواة تكون فيها هلكته.

(42) مني الناس: ابتلوا و أصيبوا، و الشماس-بالكسر-: إباء ظهر الفرس عن الركوب.

و النفار. و الخبط: السير على غير جادة. و التلون: التبدل. و الاعتراض: السير على غير خط مستقيم، كأنّه يسير عرضا في حال سيره طولا يقال: بعير عرضي، يعترض في سيره لأنه لم يتم رياضته، و في فلان عرضية، أي: عجرفة و صعوبة.

(43) لقد أوردنا تفصيل القصّة من أوثق المصادر في ما سبق، و قال الشيخ محمد عبده في شرحه لهذا الكلمة:

كان سعد من بني عمّ عبد الرحمن كلاهما من بني زهرة، و كان في نفسه شيء من عليّ كرم اللّه وجهه من قبل أخواله لأنّ أمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، و لعليّ في قتل صناديدهم ما هو معروف مشهور. و عبد الرحمن كان صهرا لعثمان؛ لأنّ زوجته أمّ كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط كانت أختا لعثمان من أمّه، و كان طلحة ميّالا لعثمان لصلات بينهما، على ما ذكره بعض رواة الأثر. و قد يكفي في ميله إلى عثمان انحرافه عن علي، لأنّه تيميّ و قد كان بين بني هاشم و بني تيم مواجد لمكان الخلافة في أبي بكر و بعد موت عمر بن الخطاب (رض) اجتمعوا و تشاوروا فاختلفوا، و انضمّ طلحة في الرأي إلى عثمان، و الزبير إلى علي، و سعد إلى عبد الرحمن. و كان عمر قد أوصى بأن لا تطول مدة الشورى فوق ثلاثة أيام، و أن لا يأتي الرابع إلا و لهم أمير و قال:

إذا كان خلاف فكونوا مع الفريق الّذي فيه عبد الرحمن. فأقبل عبد الرحمن على عليّ و قال:

عليك عهد اللّه و ميثاقه لتعملنّ بكتاب اللّه و رسوله- (ص) -و سيرة الخليفتين من بعده. فقال عليّ: أرجو أن أفعل و أعمل على مبلغ علمي و طاقتي؛ ثم دعا عثمان و قال له مثل ذلك، فأجابه بنعم. فرفع عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد حيث كانت المشورة و قال: اللهم اسمع و اشهد. اللهمّ إنّي جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان، و صفق يده في يد عثمان. و قال:

السلام عليك يا أمير المؤمنين و بايعه. قالوا: و خرج الإمام عليّ واجدا، فقال المقداد بن الأسود لعبد الرحمن: و اللّه لقد تركت عليّا و إنّه من الّذين يقضون بالحقّ و به يعدلون. فقال: يا مقداد لقد تقصيت الجهد للمسلمين. فقال المقداد: و اللّه إني لأعجب من قريش، إنّهم تركوا رجلا ما أقول و لا أعلم أنّ رجلا أقضى بالحقّ و لا أعلم به منه. فقال عبد الرحمن: يا مقداد، إني

اعترض الرّيب فيّ مع الأوّل منهم حتّى صرت أقرن إلى هذه النّظائر [44] !! لكنّي أسففت إذ أسفوا [45] و طرت إذ طاروا؛ فصغى رجل منهم لضغنه [46] و مال الآخر لصهره [47] مع هن و هن [48] . إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه [49] بين نثيله و معتلفه، و قام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الرّبيع [50] ، إلى أن انتكث فتله، و أجهز عليه عمله [51] و كبت به بطنته [52] . فما راعني إلاّ و النّاس كعرف الضّبع إليّ ينثالون [53] عليّ من كلّ جانب؛ حتّى

فأخشى عليك الفتنة فاتّق اللّه. ثم لمّا حدث في عهد عثمان ما حدث من قيام الأحداث من أقاربه على ولاية الأمصار و وجد عليه كبار الصحابة روي أنّه قيل لعبد الرحمن: هذا عمل يديك، فقال:

ما كنت أظنّ هذا به!و لكن للّه عليّ أن لا أكلّمه أبدا، ثم مات عبد الرحمن و هو مهاجر لعثمان، حتى قيل: إن عثمان دخل عليه في مرضه يعوده فتحول إلى الحائط لا يكلّمه!و اللّه أعلم، و الحكم للّه يفعل ما يشاء.

(44) المشابه بعضهم بعضا دونه.
(45) أسف الطائر: دنا من الأرض؛ يريد أنه لم يخالفهم في شيء.
(46) صغى صغيا و صغا صغوا: مال. و الضغن: الضغينة يشير إلى سعد.
(47) يشير إلى عبد الرحمن.
(48) يشير إلى أغراض أخرى يكره ذكرها، و قد أشرنا الى بعضها في باب مناقشة الشورى.
(49) يشير إلى عثمان، و كان ثالث الخلفاء. و نافجا حضنيه: رافعا لهما. و الحضن: ما بين الإبط و الكشح؛ يقال للمتكبر: جاء نافجا حضنيه. و يقال مثله لمن امتلأ بطنه طعاما. و النثيل:

الروث. و المعتلف: من مادة (علف) موضع العلف و هو معروف، أي: لا همّ له إلا ما ذكر.

(50) الخضم، على ما في القاموس: الأكل مطلقا، أو بأقصى الأضراس، أو ملء الفم بالمأكول، أو خاصّ بالشيء الرطب. و القضم: الأكل بأطراف الأسنان أخفّ من الخضم. و النبتة -بكسر النون-: كالنبات في معناه.
(51) انتكث فتله: انتقض. و أجهز عليه عمله: تمم قتله، تقول: أجهزت على الجريح، و ذففت عليه.
(52) البطنة-بالكسر-: البطر و الأشر، و الكظة (أي: التخمة) و الإسراف في الشبع. و كبت به: من كبا الجواد إذا سقط لوجهه.
(53) عرف الضبع: ما كثر على عنقها من الشعر، و هو ثخين، يضرب به المثل في الكثرة و الازدحام.

و ينثالون: يتتابعون مزدحمين.

لقد وطئ الحسنان، و شقّ عطفاي [54] ، مجتمعين حولي كربيضة الغنم [55] .

فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة، و مرقت أخرى، و قسط آخرون [56]

كأنّهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول **تِلْكَ اَلدَّارُ اَلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي اَلْأَرْضِ وَ لاَ فَسَاداً وَ اَلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**
بلى!و الله لقد سمعوها و وعوها، و لكنّهم حليت الدّنيا في أعينهم [57] و راقهم زبرجها، أما و الّذي فلق الحبّة، و برأ النّسمة [58] لو لا حضور الحاضر [59] و قيام الحجّة بوجود النّاصر، و ما أخذ اللّه على العلماء أن لا يقارّوا على كظّة ظالم، و لا سغب مظلوم [60] ، لألقيت حبلها على غاربها

61

، و لسقيت آخرها بكأس أوّلها، و لألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز

62

.

قالوا: و قام إليه رجل من أهل السواد

63

عند بلوغه إلى هذا الموضع من

---
(54) الحسنان: ولداه الحسن و الحسين. و شقّ عطفاه: خدش جانباه من الاصطكاك. و في رواية:

(شقّ عطافي) ، و العطاف: الرداء. و كان هذا الازدحام لأجل البيعة على الخلافة.

(55) ربيضة الغنم: الطائفة الرابضة من الغنم، يصف ازدحامهم حوله و جثومهم بين يديه.

(56) الناكثة: أصحاب الجمل. و المارقة: أصحاب النهروان. و القاسطون-أي الجائرون-:

أصحاب صفّين.

(57) حليت الدنيا: من حليت المرأة إذا تزيّنت بحليها. و الزبرج: الزينة من وشي أو جوهر.

(58) النسمة-محركة-: الروح، و برأها: خلقها.

(59) من حضر لبيعته، و لزوم البيعة لذمة الإمام بحضوره.

(60) و الناصر: الجيش الّذي يستعين به على إلزام الخارجين بالدخول في البيعة الصحيحة.

و الكظة: ما يعتري الآكل من امتلاء البطن بالطعام، و المراد استئثار الظالم بالحقوق. و السغب:

شدة الجوع، و المراد منه هضم حقوقه.

(61) الغارب: الكاهل، و الكلام تمثيل للترك و إرسال الأمر.
(62) عفطة العنز: ما تنثره من أنفها، تقول: عفطت تعفط من باب ضرب، غير أنّ أكثر ما يستعمل ذلك في النعجة. و الأشهر في العنز النفطة بالنون، يقال: ما له عافط و لا نافط، أي نعجة و لا عنز. كما يقال: ماله ثاغية و لا راغية. و العفطة: الحبقة أيضا، لكنّ الأليق بكلام أمير المؤمنين هو ما تقدم.
(63) السواد: العراق، و سمّي سوادا لخضرته بالزرع و الأشجار، و العرب تسمّي الأخضر

خطبته فناوله كتابا، فأقبل ينظر فيه، فقال له ابن عبّاس رضي اللّه عنهما:

يا أمير المؤمنين، لو اطّردت خطبتك من حيث أفضيت.

فقال: هيهات يا ابن عبّاس، تلك شقشقة

64

هدرت ثمّ قرّت.

قال ابن عبّاس: فو اللّه ما أسفت على كلام قطّ كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين (ع) بلغ منه حيث أراد.

نسوا أو تناسوا كلّ هذه الأقوال من الإمام علي (ع) و تمسّكوا بقول احتجّ به الإمام عليّ على معاوية لالتزام معاوية و نظرائه به.

الرابع-مناقشة الاستدلال بأنّ الخلافة تقام بالقهر و الغلبة

من سبر التاريخ الإسلامي، وجد أنّ حكم الخلافة إلى عهد الخلفاء العثمانيّين الأتراك كان يقوم على أساس القسر، و شذّ قيامه خلاف ذلك مثل حكم الإمام علي (ع) و هذا هو الصّحيح في الأمر و لا مناقشة لنا في ذلك.

أمّا ما قالوا: (من غلب عليهم بالسيف حتّى صار خليفة و سمّي أمير المؤمنين فلا يحلّ لأحد يؤمن باللّه و اليوم الآخر أن يبيت و لا يراه إماما برّا كان أو فاجرا) .

لست أدري عمّ يتكلّم هؤلاء الأعلام: عن شريعة اللّه في إقامة الحكم في المجتمع الإسلامي، أم عن شريعة الغاب لمجتمع الأسود و الفهود!؟ و لكي لا يؤاخذنا البعض على إيراد أقوال السّابقين باعتقاد أنّ أهل هذا العصر لا يوافقونهم في آرائهم و معتقداتهم و يقول الآخرون: (فلنكن اليوم في

قأسود. قال اللّه تعالى: **مُدْهَامَّتَانِ** يريد الخضرة، كما هو ظاهر.

(64) الشقشقة-بكسر فسكون فكسر-: شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج، و صوت البعير بها عند إخراجها هدير، و نسبة الهدير إليها نسبة إلى الآلة؛ قال في القاموس: و الخطبة

حاضر الإسلام)

65

، نثبت هنا صورة غلاف كتاب طبع لمدارس بلد فيه الكعبة البيت الحرام و مسجد الرّسول و حرمه، و الكتاب يثني على يزيد و يروي الحديث في مدحه، يزيد الّذي رمى الكعبة بالمنجنيق و أباح مسجد الرسول و حرمه لجيشه ثلاثة أيام يقتلون النّاس و يقعون على النساء، كما سيأتي تفصيله في باب (جيش الخلافة يستبيح حرم الرسول) و باب (مسير جيش الخلافة إلى مكّة) . و ينشر في الحرمين الشّريفين للدفاع عن يزيد و الثناء عليه هذا الكتاب:

قالشقشقية العلوية، و هي هذه.

(65) مجلة الأزهر، مجلد 32، باب الكتب من جلد 10، سنة 1380 ص 1150-1151 في نقده لكتاب عبد اللّه بن سبأ.

حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية

اطاعة الإمام الجائر المخالف لسنة الرسول (ص)

رأينا في بحث وجوب طاعة الإمام بمدرسة الخلفاء كيف رووا عن رسول اللّه (ص) النهي عن الخروج على السلطان الجائر المخالف لسنّة الرسول (ص) وجوب طاعته؛ أمّا مدرسة أهل البيت (ع) فقد رووا عن رسول اللّه (ص) روايات تناقض تلك الروايات مثل رواية الإمام الحسين (ع) سبط رسول الله (ع) عن جده قال:

«من رأى سلطانا جائرا مستحلاّ لحرم اللّه ناكثا عهده مخالفا لسنّة رسول الله (ص) يعمل في عباد اللّه بالإثم و العدوان، فلم يغيّر عليه بفعل و لا قول، كان حقّا على الله أن يدخله مدخله»

[66]

.

و بمقارنة نظير هذه الروايات بروايات مدرسة الخلفاء، أدركنا أنّ تلكم الروايات بمدرسة الخلفاء إنّما رويت عن رسول اللّه (ص) احتسابا للخير و تأييدا للسّلطات الحاكمة على المسلمين، و كان ذلك في أوائل العصر الأمويّ، ثمّ دوّنوها في عصر تدوين الحديث أوائل القرن الثاني الهجري بكتب الحديث صحاحها و مسانيدها

[67]

و تسالموا جميعا على صحّتها و العمل بها، و شرحها و علّق عليها و أكّدها علماء بلاط السّلطات الحاكمة من محدّثين و قضاة و خطباء و أئمة الجمعة و الجماعة و أشباههم مدى العصور في شتّى البلاد منذ عصر الخلافة الأمويّة بالشّام و الأندلس ثم العباسيّة في بغداد و العثمانيّين في تركيا و حكّام المماليك في مصر و السلاجقة و الغزنويّين في إيران و الاكراد في الشّام، و أغدقت تلك السّلطات عليهم الجاه و المال و الحظوة في بلاطها،

(66) في خطبة الإمام الحسين (ع) لجيش حرّ بن يزيد الرياحي، بتاريخ الطبري و ابن الأثير و مقتل الخوارزمي.

(67) تأتي الإشارة إليه في أوائل الجزء الثاني إن شاء اللّه تعالى.

و تابعهم على ذلك الملأ من أتباعهم.

و هكذا انقسم المسلمون إلى مدرستين؛ مدرسة الخلفاء الّتي أغدق حكامها: المال و الجاه و المناصب و الحظوة على مروّجي أفكار مدرستها، و مدرسة أهل البيت (ع) الّتي قاومت تلك الأفكار و الروايات المرويّة تأييدا للسّلطات و اجتهاداتها، فبذلت لها السّلطات الحاكمة القتل و السّجن و التشريد و حملات الإبادة و إحراق الكتب و المكتبات مدى العصور

68

لإبعاد أفكارها المحافظة على سنّة الرسول (ص) من المجتمع و إخفائها عن أنظار المسلمين

69

.

و بعد كلّ ما ذكرنا، ما ذا يصل إلينا من الحقائق في هذا العصر!؟

خلاصة البحث

كان المنطق السّائد يوم السّقيفة في الأفعال و الأقوال، هو المنطق القبلي سواء أ كان لدى المهاجرين أم الأنصار، و كانت بيعة أبي بكر يوم ذاك فلتة حسب تقويم الخليفة عمر لها.

و لم يستند الخليفة عمر إلى أيّ دليل من الكتاب و السنّة في ما طرحه من إقامة الخلافة بالشّورى و إنّما اعتمد اجتهاده الخاصّ.

اجتهد فجعل تعيين وليّ الأمر من بعده بين ستّة أشخاص لا أكثر من ذلك.

و اجتهد فجعلهم من المهاجرين دون الأنصار.

و اجتهد فجعل الترشيح بيد عبد الرحمن بن عوف دون الآخرين

(68) يأتي شرحها في بحث حملة المغول على البلاد الإسلامية من هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.
(69) ندرس تفصيل كلّ ما ذكرناه في البحوث الآتية إن شاء اللّه تعالى.

و قال: إذا اتّفق اثنان على واحد و اثنان على واحد، كونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن.

و اجتهد و قال: إذا صفق عبد الرحمن بإحدى يديه على الأخرى فاتّبعوه، فمن اتّخذ من اجتهاد الخليفة عمر في عداد كتاب اللّه و سنّة رسوله (ص) مصدرا للتّشريع الإسلامي، قال بأنّ الإمامة تقام بالشورى بين ستّة، يبايع خمسة منهم الواحد منهم.

و أمّا ما استشهد به أتباع مدرسة الخلفاء بآية: **وَ أَمْرُهُمْ شُورىَ بَيْنَهُمْ** فإنّ الآية لا تدلّ على أكثر من رجحان الشّورى في أمر لم يأت عن اللّه و رسوله فيه أمر، لأنّ اللّه سبحانه كلّما أراد الفرض في أمر قال: كتب اللّه عليكم كذا، أو فرض كذا، أو جعل أو وصّى، أو غيرها من الألفاظ الدالّة على الوجوب.

و أما آية: **وَ شَاوِرْهُمْ فِي اَلْأَمْرِ** في الخطاب للرسول (ص) فإنّ القصد المشاورة في الغزوات، و من أجل تربية نفوس المسلمين أو إيجاد الشكّ و الخلاف بين المشركين، و كلّها كانت من أجل تعيين إجراء الحكم الشرعيّ، و ليس من أجل معرفة الحكم الشرعيّ. ثم إنّهم لم يعيّنوا كيف تكون الشّورى من أجل تعيين الإمام، و قد رأينا كيف تمّت الشّورى لإقامة خلافة عثمان. هذا عن الشورى.

و أما البيعة فإنّها لا تنعقد بالإجبار و حدّ السيف، و لا تنعقد للقيام بمعصية، و لا لمن يعصي اللّه.

و أما سيرة الأصحاب، فإن اتّخذت في عداد الكتاب و السنّة مصدرا للتّشريع الإسلاميّ، صحّ الاستدلال بها، و إلاّ فلا.

و ما استشهد به في هذا المقام، من كلام الإمام علي (ع) ، فإنّه كان لمحاججة الخصم بما التزم به، و هذا متعارف لدى العقلاء، ثمّ إنّ إجماع

الصحابة بما فيهم الإمام علي و الإمام الحسن و الإمام الحسين يدلّ على رضا اللّه كما عبّر عنه الإمام.

أمّا قولهم: من غلب بالسيف فهو أمير المؤمنين تجب طاعته برّا كان أو فاجرا، فهو الواقع الّذي دأبوا عليه، كما يظهر ذلك لمن يدرس تاريخ الخلفاء في الإسلام.

كانت هذه دراسة آراء مدرسة الخلفاء و أدلّتهم عليها؛ أمّا مدرسة أهل البيت، فسندرس آراءهم و أدلّتهم في البحث الآتي بحوله تعالى.

الفصل الثالث بحوث مدرسة أهل البيت (ع) في الإمامة

اهتمام الرسول (ص) بأمر تعيين أولي الأمر من بعده وصيّ الرسول (ص) و وزيره و وليّ عهده و خليفته من بعده مدرسة الخلفاء تبذل جهودا كبيرة في سبيل كتمان أخبار الوصية دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنّة الرسول (ص) المخالفة لاتّجاهها انتشار أحاديث سيف من تاريخ الطبري إلى كتب التاريخ و سببه ما بقي من النصوص الواردة عن الرسول (ص) في أمر الحكم من بعده.

ما أشبه تعيين الوصيّ في هذه الأمّة بتعيين الوصيّ في أمّة موسى (ع) الولاية و أولو الأمر في القرآن الكريم الأئمة عليّ و بنوه مبلغون عن الرسول (ص)

مقدمة

في البحث السابق ذكرنا آراء مدرسة الخلفاء في الإمامة و أدلّتهم عليها.

أمّا أتباع مدرسة أهل البيت (ع) فإنّهم يشترطون في الإمام بعد النبيّ أن يكون معصوما من الذنوب، منصوبا من قبل اللّه عزّ و جلّ، منصوصا عليه من قبل نبيّه (ص) ، لقوله تعالى لخليله إبراهيم (ع) :

إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً، قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي اَلظَّالِمِينَ البقرة/124.

إذا فالإمامة عهد من اللّه يخبر نبيّه عمّن عهد اللّه إليه، كما يخبر عن سائر أوامر اللّه و أحكامه، و أنّه لا ينال عهد الإمامة من اللّه من كان ظالما، و أنّ كلّ من لم يتّصف بالظّلم إلى نفسه و لا إلى غيره فهو معصوم.

و على هذا فالإمامة عهد و تعيين من اللّه، و الرسول مبلّغ إيّاها، و يلزمها العصمة. و قد تحقّق هذان الشّرطان في أئمة أهل البيت (ع) كما يأتي بيانهما.

عصمة أهل البيت (ع)

أخبر اللّه سبحانه و تعالى بأن أهل البيت-و هم محمّد و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين صلوات اللّه عليهم-معصومون من الذنوب في قوله تعالى:

إِنَّمَا يُرِيدُ اَللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ اَلرِّجْسَ أَهْلَ اَلْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً الأحزاب/33.

شأن نزول الآية و ما صنع الرسول (ص) بهذه المناسبة

روى عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب [1] قال:

(لمّا نظر رسول اللّه (ص) إلى الرحمة هابطة، قال: «ادعوا لي، ادعوا لي» . فقالت صفيّة [2] : من يا رسول اللّه؟قال: «أهل بيتي عليّا و فاطمة

---

(1) بمستدرك الصحيحين 3/147.

و عبد اللّه بن جعفر ذو الجناحين: ابن عمّ النبي أبي طالب و أمّة أسماء بنت عميس الخثعمية.

ولد بأرض الحبشة في هجرة أبويه إليها، و هاجر أبوه به إلى المدينة. و كان حليما كريما يقال له:

بحر الجود، توفي بالمدينة سنة ثمانين عام الجحاف-عام جاء فيه سيل عظيم ببطن مكّة جحف الحاجّ و ذهب بالإبل عليها أحمالها-. و روى عنه أصحاب الصحاح 25 حديثا. ترجمته بأسد الغابة و جوامع السيرة ص 282.

(2) صفية بنت حيي بن أخطب: من سبط هارون بن عمران من بني إسرائيل، و أمّها برة بنت

و الحسن و الحسين» [3] . فجيء بهم. فألقى عليهم النبيّ (ص) كساءه، ثمّ رفع

قالسموأل من بني قريظة. كانت زوجة كنانة بن الربيع من يهود بني النضير فقتل عنها يوم خيبر فاصطفاها النبيّ و قال لها: «إن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي و إن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك» ، فقالت: يا رسول اللّه لقد هويت الإسلام و صدقت بك قبل أن تدعوني حيث صرت إلى رحلك، و ما لي في اليهودية إرب و ما لي فيها والد و لا أخ، و خيّرتني الكفر و الإسلام، فاللّه و رسوله أحبّ إليّ من العتق و أن أرجع إلى قومي. فاعتدّت ثم تزوّجها النبيّ و توفّيت في سنة 52 هـ. و روى عنها أصحاب الصحاح 10 أحاديث. ترجمتها بطبقات ابن سعد 8/120-129. و جوامع السيرة ص 285.

(3) فاطمة بنت رسول اللّه (ص) و أمّها أمّ المؤمنين خديجة (ع) .

في ترجمتها بأسد الغابة و الإصابة: أن كنيتها أمّ أبيها و أنه انقطع نسل رسول اللّه إلا منها، و قال رسول اللّه (ص) لفاطمة: «إن اللّه يغضب لغضبك و يرضى لرضاك» . أخرجه-أيضا- الحاكم في مستدركه 3/153. و بميزان الاعتدال 2/77. و تهذيب التهذيب 12/441. و في باب مناقب فاطمة بصحيح البخاري 4/200 و 201 و 205: قال رسول اللّه (ص) : «فاطمة بضعة منّي، من أغضبها أغضبني» .

و في رواية أخرى فيه بباب ذبّ الرجل عن ابنته من كتاب النكاح 3/177، و باب فضائل فاطمة من صحيح مسلم، و الترمذي. و بمسند أحمد 4/41 و 328. و مستدرك الصحيحين 3/153: «يؤذيني ما آذاها، أو يؤذيها» .

و كان آخر الناس عهدا برسول اللّه إذا سافر فاطمة، و إذا قدم من سفر كان أول الناس عهدا به فاطمة، كما في مستدرك الصحيحين 3/156 و 155 و 1/489. و مسند أحمد 5/275.

و سنن البيهقي 1/26.

و في باب فرض الخمس من صحيح البخاري 2/124، عن عائشة أنّ فاطمة سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول اللّه (ص) أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول اللّه ممّا أفاء اللّه عليه، فقال أبو بكر: إنّ رسول اللّه قال: «لا نورث ما تركنا صدقة» . فغضبت فاطمة بنت رسول اللّه فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفّيت، و عاشت بعد رسول اللّه (ص) ستّة أشهر.

و في باب غزوة خيبر منه 3/38: فلمّا توفيت دفنها زوجها عليّ ليلا، و لم يؤذن بها أبا بكر، و صلّى عليها، و كان لعليّ وجه حياة فاطمة، فلمّا توفّيت استنكر عليّ وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر...

و رواه مسلم كذلك في صحيحه بكتاب الجهاد 5/154. و مسند أحمد 1/9. و سنن البيهقي 6/300.

و بترجمتها في أسد الغابة: و أوصت إلى أسماء أن تغسلها و لا تدخل عليها أحدا، فلما توفّيت

يديه، ثمّ قال: «اللهمّ هؤلاء آلي فصل على محمّد و آل محمّد» . و أنزل اللّه عزّ و جلّ: **إِنَّمَا يُرِيدُ اَللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ اَلرِّجْسَ أَهْلَ اَلْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** .

و في رواية أمّ المؤمنين عائشة: أنّ الكساء كان مرطا مرحّلا من شعر أسود [(4)] .

قجاءت عائشة فمنعتها أسماء.

قال المؤلف:

و لم يعرف موضع قبرها حتّى اليوم.

و روى عنها أصحاب الصّحاح 18 حديثا. جوامع السيرة ص 283.

و الحسنان سبطا رسول اللّه و ابنا عليّ و فاطمة.

ولد الحسن في النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، و ولد الحسين لثلاث خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة.

قال رسول اللّه (ص) : الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنّة و أبوهما خير منهما. في سنن ابن ماجة باب فضائل أصحاب رسول اللّه (ص) . و مستدرك الصحيحين 3/167. و مصادر كثيرة غيرهما.

بايع المسلمون الحسن بعد وفاة أبيه سنة أربعين و بقي أكثر من ستّة أشهر في الخلافة، ثمّ اقتضت مصلحة الإسلام العليا أن يصالح معاوية. و لمّا أراد معاوية أن يأخذ البيعة لابنه يزيد دسّ إليه السّمّ فقتله سنة خمسين. أحاديث أمّ المؤمنين عائشة 1/251-266.

و في سنة ستّين أبى الحسين أن يبايع يزيد و قال: «و على الإسلام السلام إذا بليت الأمّة براع مثل يزيد» . فقتله جيش يزيد بكربلاء عاشوراء سنة إحدى و ستّين. اللهوف لابن طاوس.

روى أصحاب الصحاح عن الحسن 13 حديثا، عدا البخاري و مسلم، و عن الحسين 8 أحاديث. جوامع السيرة ص 284 و 286. و تقريب التهذيب 1/168.

(4) المرط: كساء من صوف أو خز. و المرحل من الثياب: ما أشبهت نقوشه رحال الإبل.

و عائشة بنت أبي بكر و أمّها أم رومان. ولدت في السنة الرابعة بعد البعثة، بنى بها الرسول (ص) بعد ثمانية عشر شهرا من هجرته إلى المدينة. و توفّيت سنة 57 أو 58 أو 59، و صلّى عليها أبو هريرة. و روى عنها أصحاب الصحاح 2210 أحاديث، راجع كتابنا أحاديث عائشة.

و روايتها في شأن نزول آية التطهير في صحيح مسلم 7/130، باب فضائل أهل بيت النبي.

و مستدرك الصحيحين 3/147. و بتفسير الآية في تفسير ابن جرير و الدر المنثور للسيوطي و آية المباهلة في تفسير الزمخشري و الرازي. و سنن البيهقي 2/149.

و في رواية الصّحابيّ واثلة بن الأسقع: إنّ رسول اللّه أدنى عليّا و فاطمة و أجلسهما بين يديه و أجلس حسنا و حسينا كلّ واحد منهما على فخذه- الحديث [5] .

و في رواية أمّ المؤمنين أمّ سلمة قالت: نزلت هذه الآية في بيتي: **إِنَّمَا يُرِيدُ اَللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ اَلرِّجْسَ...** و في البيت سبعة: جبرئيل و ميكائيل (ع) و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين (رض) و أنا على باب البيت، قلت: يا رسول اللّه أ لست من أهل البيت؟قال: «إنك إلى خير. إنك من أزواج النبيّ» [6] .

و قد روى شأن نزول آية التّطهير غير من ذكرنا كلّ من: أ- عبد اللّه بن عباس [7] .

ب- عمر بن أبي سلمة [8] ربيب النبيّ (ص) .

---

(5) واثلة بن الأسقع الليثي: أسلم و النبيّ يتجهّز إلى تبوك. و قيل إنّه خدم النبي ثلاث سنوات و مات سنة خمس و ثمانين أو ثلاث و ثمانين بدمشق أو ببيت المقدس. روى عنه أصحاب الصحاح 56 حديثا. ترجمته بأسد الغابة و جوامع السيرة ص 279. و روايته في شأن آية التطهير بسنن البيهقي 2/152، و رواية أخرى منه بمسند أحمد 4/107. و مستدرك الصحيحين 2/416 و 3/147. و مجمع الزوائد 9/167. و ابن جرير و السيوطي في تفسير الآية من تفسيريهما. و أسد الغابة 2/20.

(6) رواية أم سلمة في تفسير الآية بتفسير السيوطي 5/198 و 199.

و رواية أخرى في سنن الترمذي، 13/248. و مسند أحمد 6/306. و أسد الغابة 4/29، و 2/297. و تهذيب التهذيب 2/297.

و أخرى بمستدرك الصحيحين 2/416 و 3/147. و سنن البيهقي 2/150. و أسد الغابة 5/521 و 589. و في تاريخ بغداد 9/126.

و أخرى: بمسند أحمد 6/292.

(7) رواية ابن عباس بمسند أحمد 1/330، و خصائص النسائي ص 11. و الرياض النضرة 2/269. و مجمع الزوائد 9/119 و 207، و تفسير الآية بالدر المنثور.

(8) عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد أبو حفص المخزومي: ربيب رسول اللّه، أمّه أمّ سلمة.

ولد في الحبشة. شهد مع عليّ الجمل، و استعمله على البحرين و على فارس. توفّي سنة 83 هـ.

ج- أبو سعيد الخدري [9] .

د- سعد بن أبي وقاص [10] .

هـ- أنس بن مالك [11] ، و غيرهم [12] .

و استشهد بها الحسن السبط (ع) على المنبر [13] ، و عليّ بن الحسين (ع) في الشّام [14] .

كان رسول اللّه بعد نزول هذه الآية عدّة أشهر يأتي إلى باب دار عليّ و فاطمة يسلّم عليهم و يقرأ الآية. قال ابن عبّاس:

قروى عنه أصحاب الصحاح 12 حديثا. ترجمته بأسد الغابة و جوامع السيرة ص:

284. و حديثه بشأن آية التطهير في: «فضائل الخمسة» 1/214 عن صحيح الترمذي 2/209.

(9) رواية أبي سعيد في تفسير الآية بتفسير ابن جرير و السيوطي و تاريخ بغداد 10/278.

و مجمع الزوائد 9/167 و 169. و ستأتي ترجمته في الهامش رقم (5) ص 295.

(10) سعد بن أبي وقاص. -مرّت ترجمته في الهامش رقم (62) من بحث: الواقع التاريخي-و أبى أن يبايع عليّا، و أبى على معاوية أن يسبّ عليّا. و دسّ إليه معاوية السمّ لمّا أراد أن يبايع ليزيد، فمات. و روى عنه أصحاب الصحاح 271 حديثا. ترجمته بأسد الغابة و صحيح مسلم 7/120 و أحاديث أم المؤمنين عائشة 1/356 ط. بيروت 1405 هـ.

و روايته بشأن آية التطهير في خصائص النسائى ص 4-5. و سنن الترمذي 13/171-172.

(11) رواية أنس بن مالك في سنن الترمذي 13/248. و مجمع الزوائد 9/206.

(12) مثل قتادة في تفسير الآية عند ابن جرير و السيوطي و عطية بترجمته بأسد الغابة 3/413، و معقل بن يسار، راجع سنن الترمذي 13/248.

(13) روي استشهاد السبط بمستدرك الصحيحين 3/172. و مجمع الزوائد 9/146 و 172.

(14) علي بن الحسين: أمّه بنت يزدجرد كما في الباب العاشر من ربيع الأبرار للزمخشري راجع ج 2 ورقة 44، مصورة مكتبة أمير المؤمنين في النجف تسلسل 2059، أدب. و ماتت في نفاسها به، فكفله بعض أمهات ولد أبيه، و زوّجها علي بن الحسين بعد أبيه (عيون أخبار الرضا 2/128) و يبدو أنها كانت تسمى غزالة. توفي علي بن الحسين بالمدينة سنة خمس و تسعين. و روى عنه أصحاب الصحاح بعض الأحاديث و استشهاده بآية التطهير ورد في تفسير الآية بتفسير الطبري.

ترجمته بوفيات الأعيان 2/429. و تاريخ اليعقوبي 2/303.

شهدت رسول اللّه (ص) تسعة أشهر يأتي كلّ يوم باب عليّ بن أبي طالب عند وقت كلّ صلاة فيقول: «السلام عليكم و رحمة اللّه و بركاته أهل البيت، **إِنَّمَا يُرِيدُ اَللَّهُ...** الصّلاة رحمكم اللّه» كلّ يوم خمس مرّات [15] .

و عن أبي الحمراء، قال: حفظت رسول اللّه ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرّة يخرج إلى صلاة الغداة إلاّ أتى باب عليّ فوضع يده على جنبتي الباب ثم قال: «الصلاة، **إِنَّمَا يُرِيدُ اَللَّهُ...** » [16]

و قال أبو برزة: إنّه صلّى مع رسول اللّه سبعة أشهر، فإذا خرج من بيته أتى باب فاطمة... [17] .

و عن أنس بن مالك ستّة أشهر [18] . و روى-أيضا-غيرهم في ذلك.

في هذه الآية، أخبر اللّه عن المعصومين في عصر رسول اللّه خاصّة، و عيّنهم الرسول بما فعل من نشر الكساء عليهم و قراءة الآية في ملأ من أصحابه عدّة شهور على باب بيتهم.

إنّ هذه الآية، و ما ورد عن رسول اللّه (ص) من قول و فعل في تفسيرها، تكفي دليلا لإثبات عصمة أهل البيت (ع) .

و من الناحية العمليّة، لم يسجّل التاريخ عن أئمة أهل البيت (ع) ما ينافي عصمتهم، على أنّ التاريخ الإسلاميّ دوّن من قبل علماء مدرسة

---

(15) رواية ابن عباس في تفسير الآية و آية **وَ أْمُرْ أَهْلَكَ** . من الدر المنثور.

(16) أبو الحمراء: مولى رسول اللّه، اسمه هلال بن الحارث أو ابن ظفر، و الحديث بترجمته في الاستيعاب 2/598. و أسد الغابة 5/174. و مجمع الزوائد 9/168.

(17) أبو برزة الأسلمي: اختلفوا في اسمه. توفّي في البصرة سنة ستّين أو أربع و ستّين. روى عنه أصحاب الصحاح 20 أو 46 حديثا. ترجمته بأسد الغابة و جوامع السيرة ص 280 و 283.

و حديثه المذكور في مجمع الزوائد 9/169، لفظه: سبعة عشر شهرا و نراه من غلط النساخ.

(18) رواية أنس بمسند أحمد 3/252. و الطيالسي 7/274، ح 2509. و أسد الغابة 5/521. و تفسير الآية عند ابن جرير و السيوطي.

الخلفاء، و غالبا ما دوّنوا في كتب التاريخ الإسلامي ما يجلبون به رضا الخلفاء مدى العصور، و كان الخلفاء مدى العصور جادّين لإطفاء نور أئمة أهل البيت (ع) خشية ميل المسلمين إليهم (ع) و مبايعتهم بالخلافة، و لهذا السبب قتلوا منهم من قتلوا، و سجنوا منهم من سجنوا، و شرّدوا منهم من شرّدوا، و خاصّة بنو أميّة الّذين أمروا بلعن الإمام عليّ (ع) في خطب صلاة الجمعة على منابر المسلمين، و لم ينج من عذابهم و مطاردتهم محبّو أئمة أهل البيت و شيعتهم و من اعتقد بإمامتهم؛ مع كلّ ذلك لا نجد في التاريخ المدوّن أيّة صغيرة أو هفوة نسبت إلى أئمة أهل البيت (ع) . و كفى بهذا دليلا على أن اللّه عصمهم من الرجس و طهّرهم تطهيرا.

كان هذا أهمّ أدلّة مدرسة أهل البيت على عصمة أهل البيت (ع) ، و في ما يأتي بيان بعض النصوص الواردة عن رسول اللّه (ص) في إمامتهم، و قد قال اللّه تعالى في حقّ رسوله:

وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ اَلْهَوىَ*`إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحىَ النجم/3-4.

اهتمام الرسول (ص) بأمر تعيين أولي الأمر من بعده

قبل أن ندرس النصوص الواردة عن رسول اللّه (ص) في تعيين أولي الأمر من بعده، ندرس شيئا من اهتمام الرسول (ص) بهذا الأمر في ما يأتي:

إن أمر الإمامة بعد الرسول (ص) كان من الأمور المهمّة الّتي لم تغب عن بال الرسول (ص) و من كان حوله، بل كانوا يفكّرون فيه منذ البدء؛ فقد رأينا بيحرة من بني عامر بن صعصعة يشترط على رسول اللّه (ص) لإسلامهم أن يكون لهم أمر من بعد الرسول (ص) ، و رأينا هوذة الحنفي يطلب من الرسول (ص) منحه شيئا من الأمر.

و كذلك كان الرسول (ص) -أيضا-يفكّر في الأمر من بعده و يدبّر له منذ أوّل يوم دعا إلى الإسلام، و أوّل يوم أخذ فيه البيعة لإقامة المجتمع الإسلامي.

أمّا تدبيره في أوّل يوم أخذ فيه البيعة لإقامة المجتمع الإسلامي، فقد كان ما رواه البخاريّ و مسلم في صحيحيهما، و النسائيّ و ابن ماجة في سننهما، و مالك في الموطّأ، و أحمد في المسند، و غيرهم في غيرها-و اللّفظ للأوّل- قال:

قال عبادة بن الصامت: بايعنا رسول اللّه (ص) على السمع و الطاعة في (العسر و اليسر) و المنشط و المكره. و أن لا ننازع الأمر أهله... [1] .

و عبادة هذا كان أحد النّقباء الاثني عشر على الأنصار يوم بيعة العقبة الكبرى [2] حين قال النبيّ (ص) للنيف و السبعين من الأنصار الّذين بايعوه:

أخرجوا إليّ اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم. فأخرجوا من بينهم اثني عشر نقيبا، فقال رسول اللّه (ص) للنّقباء: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريّين لعيسى بن مريم (ع) ... [3] .

إنّ عبادة بن الصّامت أحد أولئك النّقباء الاثني عشر روى من بنود البيعة الّتي بايعوا الرسول عليها: «أن لا ينازعوا الأمر أهله» .

و إنّما أراد رسول اللّه (ص) من (الأمر) الوارد في هذا الحديث الصّحيح، و الّذي يذكر فيه أخذ البيعة من اثنين و سبعين رجلا و امرأتين من الأنصار أن لا ينازعوا الأمر أهله، هو الأمر الّذي تنازعوا عليه في سقيفة بني ساعدة [4] ، و أهل الأمر هم الّذين ذكرهم اللّه تعالى في قوله: **أَطِيعُوا اَللّٰهَ**

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، ح 1، 4/163. و لفظ العسر و اليسر في صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية و تحريمها في المعصية، ح 41 و 42. و سنن النسائي، كتاب البيعة، باب البيعة على أن لا ننازع الأمر أهله. و سنن ابن ماجة، كتاب الجهاد، باب البيعة ح 2866. و موطأ مالك، كتاب الجهاد، باب الترغيب في الجهاد، ح 5. و مسند أحمد 5/314 و 316 و 319 و 321، و راجع 4/411 منه.

و ترجمة عبادة بسير أعلام النبلاء 2/3. و تهذيب ابن عساكر 7/207-219.

(2) بترجمة عبادة في الاستيعاب 2/412. و أسد الغابة 3/106-8107.

(3) الطبري، ط. أوربا 1/1221.

(4) راجع نزاع الأنصار القبلي مع المهاجرين في فصل السقيفة و بيعة أبي بكر، بأول الكتاب.

وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِي اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ [5]

و إنّ رسول اللّه (ص) و إن لم يشخص هنا وليّ الأمر من بعده، لأنّه لم يكن من الحكمة أن يعرّف وليّ الأمر من بعده و هو من غير قبيلة الأنصار، و لعلّ نفوس بعض المبايعين لم تكن تتحمّل ذلك يومئذ، غير أنه أخذ البيعة منهم أن لا ينازعوه حين يعيّنه لهم بعد ذلك.

و قد عيّن الرسول (ص) وليّ الأمر من بعده و شخص وصيّه و خليفته في مجتمع أصغر من هذا المجتمع، و ذلك في أوّل يوم دعا الأقربين إليه للإسلام، كما رواه جمع من أهل الحديث و السير مثل: الطبري، و ابن عساكر، و ابن الأثير، و ابن كثير، و المتّقي، و غيرهم-و اللفظ للأوّل [6] - قال: عن عليّ بن أبي طالب (ع) قال:

لمّا نزلت هذه الآية على رسول اللّه (ص) : **وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ اَلْأَقْرَبِينَ** الشعراء/214. دعاني رسول اللّه (ص) فقال لي:

يا عليّ، إنّ اللّه أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعا، و عرفت أنّي متى أباديهم بهذا الأمر، أرى ما أكره، فصمتّ عليه، حتّى جاءني جبرئيل فقال: يا محمّد إن لا تفعل ما تؤمر به يعذّبك ربّك. فاصنع لنا صاعا من طعام، و اجعل عليه رجل شاة، و املأ لنا عسّا من لبن، ثمّ اجمع لي بني عبد المطّلب حتّى أكلّمهم و أبلّغهم ما أمرت به.

---

(5) النساء/59. و يأتي تفسيرها و الأحاديث الواردة عن رسول اللّه (ص) حوله في بحوث الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

(6) تاريخ الطبري ط. أوربا 3/1171-1172. و ابن عساكر تحقيق المحمودي ج 1 من ترجمة الإمام. و تاريخ ابن الأثير 2/222. و شرح ابن أبي الحديد 3/263. و في تاريخ ابن كثير 3/39، و قد حذف الألفاظ و قال: كذا و كذا. و كنز العمال للمتقي، 15/100 و 115 و 116 منه، و في ص 130: يكون أخي و صاحبي و وليّكم بعدي. و السيرة الحلبية نشر المكتبة الإسلاميّة ببيروت 1/285.

ففعلت ما أمرني به، ثمّ دعوتهم له و هم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه، فيهم أعمامه: أبو طالب، و حمزة، و العبّاس، و أبو لهب.

فلمّا اجتمعوا إليه دعاني بالطّعام الّذي صنعت لهم، فجئت به. فلمّا وضعته تناول رسول اللّه (ص) حذية (أي: قطعة) من اللّحم فشقّها بأسنانه، ثمّ ألقاها في نواحي الصّحفة، ثمّ قال: خذوا بسم اللّه. فأكل القوم حتّى ما لهم بشيء من حاجة، و ما أرى إلاّ موضع أيديهم. و أيم اللّه الّذي نفس عليّ بيده إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدمت لجميعهم. ثمّ قال: اسق القوم. فجئتهم بذاك العسّ، فشربوا منه حتّى رووا منه جميعا، و أيم اللّه إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله.

فلمّا أراد رسول اللّه (ص) أن يكلّمهم، بدره أبو لهب إلى الكلام فقال:

لشدّ ما سحركم صاحبكم. فتفرّق القوم و لم يكلّمهم رسول اللّه (ص) فقال الغد: يا عليّ إنّ هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول، فتفرّق القوم قبل أن أكلّمهم، فعد لنا من الطّعام بمثل ما صنعت، ثمّ اجمعهم إليّ.

قال: ففعلت، ثمّ جمعتهم، ثمّ دعاني بالطّعام، فقرّبته لهم ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتّى ما لهم بشيء حاجة، ثمّ قال: اسقهم. فجئتهم بذاك العسّ، فشربوا حتّى رووا منه جميعا. ثمّ تكلّم رسول اللّه (ص) فقال:

يا بني عبد المطّلب، إنّي و اللّه ما أعلم شابّا في العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به. إنّي قد جئتكم بخير الدنيا و الآخرة، و قد أمرني اللّه تعالى أن أدعوكم إليه. فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي و وصيّي و خليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعا و قلت-و إنّي لأحدثهم سنّا، و أرمصهم عينا، و أعظمهم بطنا، و أحمشهم ساقا-: أنا يا نبيّ اللّه أكون

وزيرك عليه. فأخذ برقبتي، ثمّ قال: إنّ هذا أخي و وصيّي و خليفتي فيكم، فاسمعوا له و أطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون و يقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك و تطيع.

كانت هذه الدعوة في السنّة الثالثة من البعثة، و هي أوّل مرّة أظهر فيها الرّسول (ص) الدعوة إلى الإسلام، و شخّص فيها الإمام من بعده و عرّفه للأقربين إليه. و إنّما فعل ذلك هنا، و لم يفعله بعدها بعشر سنوات و يوم أخذ البيعة من الأنصار لإقامة المجتمع الإسلامي، لأنّ الإمام كان من غير قبائل الأنصار و كان بناء المجتمع عندهم على أساس قبلي، و لم يكن من الحكمة أن يأخذ البيعة منهم لمن يلي الأمر بعده و هو ليس من قبائل الأنصار، فاكتفى في ذلك المقام بأخذ البيعة منهم أن لا ينازعوه في الأمر.

و في هذه المرّة شخّصه للأقربين إليه في محاورة شبيهة بمشاورة أصحابه في غزوة بدر، فإنّه مع علمه في غزوة بدر بعاقبة الأمر، كما أخبر بها أصحابه بعد الانتهاء من المشاورة و أراهم مصارع المشركين، مع ذلك استشارهم أوّل الأمر في ما يفعل، و كذلك فعل هنا، فإنّه مع علمه بالعاقبة و أنّ الّذي يقبل مؤازرته هو الإمام عليّ، مع ذلك علّق تعيين الوزير و الوصيّ و الخليفة من بعده على قبول المؤازرة في التبليغ و ليتقدّم بالقبول أيّهم شاء، و لمّا أبى كلّهم ذلك، و بادر بالقبول ابن عمّه عليّ، أخذ برقبته و قال فيه ما مرّ و أمرهم بطاعته.

رأينا في ما مرّ بنا إلى هنا اهتمام الرسول (ص) بأمر الإمامة من بعده:

يشخّصه في مكان، و يأخذ البيعة أن لا ينازعوه في مكان آخر، و يقابل طمع الطّامعين بالرفض في غيرهما.

و من أجل أن ندرك مدى اهتمام الرسول (ص) بأمر من يستخلفه من

بعده، ندرس في ما يأتي ما كان يعمله (ص) عند ما يغيب عن المدينة أيّاما معدودات في الغزوات، و كيف كان يعيّن خليفة عليهم من بعده.

باب ذكر من استخلف الرسول (ص) على المدينة في غزواته في السنة الثانية من الهجرة:

أذن لرسول اللّه (ص) بالقتال في صفر من السنة الثانية، فغزا بالمهاجرين يعترض عيرا لقريش فبلغ ودّان و الأبواء [7] .

أولا: استخلف سعد بن عبادة سيّد الخزرج من الأنصار خمس عشرة ليلة، مدة غيبته عن المدينة.

ثانيا: استخلف في غزوة بواط [8] سعد بن معاذ من سادة الأوس من الأنصار في ربيع الأول.

ثالثا: استخلف مولاه زيد بن حارثة في غزوته لطلب كرز بن جابر الفهري-و كان أغار على سرح المدينة-فبلغ (ص) سفوان و فاته كرز و السرح [9] .

رابعا: استخلف أبا سلمة المخزومي في غزوة ذي العشيرة، حين ذهب في جمادى الأولى أو الثانية يعترض عيرا لقريش ذاهبة إلى الشام، ففاتته، و كان

---

(7) الأبواء: قرية من أعمال فراض على بعد 23 ميلا من المدينة، فيها قبر آمنة أمّ النبيّ (ص) .

و ودّان: قرية على مرحلة من الجحفة بينها و بين الأبواء ستّة أميال. معجم البلدان.

(8) بواط: من جبال جهينة من طريق الشام، و بين بواط و المدينة ثمانية برد، و برد: جمع البريد و يبلغ البريد: اثني عشر ميلا. في معجم البلدان بمادة بواط.

يبدو جليا مراعاة رسول اللّه (ص) في الغزوتين الأوليين مشاعر الأنصار القبلية حين استخلف في الأولى سيّد الخزرج و في الثانية سيّدا من الأوس.

(9) كانت هذه الغزوة أيضا في ربيع الأول و بعد بواط. و سفوان: واد بناحية بدر.

كرز بن جابر بن حسل الفهري: قتل يوم الفتح مع رسول اللّه (ص) . راجع جمهرة أنساب العرب لابن حزم في ذكر نسب بني محارب بن فهر، و بترجمته من الإصابة.

القتال ببدر في رجوعها من الشّام [10] .

خامسا: استخلف ابن أمّ مكتوم الضرير في غزوة بدر الكبرى، و غاب عن المدينة تسعة عشر يوما [11] .

سادسا: استخلف أبا لبابة الأنصاري الأوسي في غزوة بني قينقاع [12] .

سابعا: استخلف أيضا أبا لبابة في غزوة السويق، و كان خروجه (ص) في طلب أبي سفيان حين أقبل في مائتي راكب ليبرّ بنذره أن لا يمسّ الطّيب و النّساء حتى يثأر لأهل بدر، و انتهوا إلى العريض فبلغهم خروج النبيّ (ص) فجعلوا يلقون جرب السويق تخفّفا، فسمّيت غزوة السويق [13] .

في السنة الثالثة:

ثامنا: استخلف ابن أمّ مكتوم في غزوة قرقرة الكدر، و سار (ص) للنّصف من المحرّم يريد سليم و غطفان-قبيلتين من قيس عيلان-فانجفلوا، و غنم من أموالهم، و رجع و لم يلق كيدا [14] .

---

(10) ذو العشيرة كما في التنبيه، بناحية ينبع يبعد عن المدينة تسعة برد.

و أبو سلمة: عبد اللّه بن عبد الأسد، أمه برة عمّة الرسول (ص) و ابنة عبد المطّلب. هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة. حضر بدرا و خرج في أحد و مات منه في جمادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة. راجع ترجمته في أسد الغابة.

(11) خرج الرسول (ص) من المدينة لثلاث خلون من شهر رمضان و وقع القتال يوم الجمعة السابع عشر منه.

(12) قال أهل السيرة: لمّا قدم اليهود المدينة نزلوا السافلة منها، فاستوخموها فأتوا العالية فنزل بنو النضير بطحان و نزلت بنو قريظة مهزورا-و هما واديان يهبطان من حرة هناك-فاتّخذ بنو النضير الحدائق و الآطام و أقاموا فيها، و أقاموا بها إلى أن غزاهم النبيّ (ص) و أخرجهم منها. راجع مادة: (بطحان) و (مهزور) من معجم البلدان.

و أبو لبابة: بشير أو رفاعة بن عبد المنذر، اشتهر بكنيته، أحد النقباء في بيعة العقبة، راجع ترجمة بشير و رفاعة و أبي لبابة في أسد الغابة.

(13) العريض: وادي المدينة. معجم البلدان، مادة: (عريض) .

(14) قرقرة الكدر: ناحية معدن بني سليم ممّا يلي حارة العراق إلى مكّة و هي على بعد ثمانية أيام

تاسعا: استخلف ابن أمّ مكتوم في غزوة فران، و غاب عن المدينة عشرة أيّام من جمادى الآخرة، فتفرّقوا و لم يلق كيدا [15] .

عاشرا: استخلف عثمان بن عفّان في غزوة ذي أمر بنجد، سار (ص) يريد غطفان، فانجفلوا من بين يديه و لم يلق كيدا، و غاب فيها عن المدينة عشرة أيّام.

حادي عشر: استخلف ابن أمّ مكتوم في غزوة أحد، و قاتل المشركين في سفح جبل أحد-على بعد ميل من المدينة-غاب فيها عن المدينة يوما واحدا.

ثاني عشر: استخلف ابن أمّ مكتوم في غزوة حمراء الأسد-على بعد عشرة أميال من المدينة-سار في طلب أبي سفيان حين بلغه أنه يريد الكرّ على المدينة، ففاته أبو سفيان و من معه، فأقام فيها ثلاثة أيّام، ثم عاد إلى المدينة.

في السنة الرابعة:

ثالث عشر: استخلف ابن أمّ مكتوم في غزوة بني النضير بناحية الغرس، حصرهم خمسة عشر يوما، ثم أجلاهم عنها [16] .

رابع عشر: استخلف عبد اللّه بن رواحة الأنصاري في غزوة بدر الثالثة ستّة عشر يوما، و أقام فيها ثمانية أيّام لموعد أبي سفيان إيّاهم في أحد أنه سيقاتلهم العام القادم في بدر، و خرج أبو سفيان من مكّة إلى عسفان، ثم عاد منها إلى مكة [17] .

قمن المدينة. معجم البلدان، مادة: (قرقرة) . سار إليها النبيّ في النصف من المحرم.

(15) فران: معدن بني سليم بناحية الفرع من المجاز. معجم البلدان و لسان العرب، مادة: (فران) .

(16) كانت منازل بني النضير من اليهود ببئر غرس بقبا و ما والاها، و قبا: قرية على ميلين من المدينة، و أصله اسم بئر هناك عرفت القرية به. معجم البلدان، مادة: (غرس) و (قبا) .

(17) عبد اللّه بن رواحة الأنصاري الخزرجي: كان نقيب بني الحارث في بيعة العقبة. شهد المشاهد مع رسول اللّه (ص) و كان أحد الأمراء الثلاثة الّذين استشهدوا في مؤتة. ترجمته في

في السنة الخامسة:

خامس عشر: استخلف في غزوة ذات الرقاع عثمان بن عفّان خمس عشرة ليلة و خرج لعشر خلون من المحرّم، فأجفلت العرب من بين يديه و لحقوا برءوس الجبال و بطون الأودية [18] .

سادس عشر: استخلف ابن أمّ مكتوم في غزوة دومة الجندل حين سار إلى أكيدر بن عبد الملك النصراني-و كان يعترض سفر المدينة و تجارتهم- فهرب و تفرّق أهلها، فلم يجد بها أحدا، فأقام أيّاما و عاد إلى المدينة و هي أوّل غزواته إلى الروم [19] .

سابع عشر: استخلف مولاه زيد بن حارثة في غزوة بني المصطلق على ماء المريسيع ثمانية عشر يوما، خرج فيها لليلتين خلتا من شعبان [20] .

ثامن عشر: استخلف في غزوة الخندق ابن أمّ مكتوم، و هو يقاتل الأحزاب دون الخندق من داخل المدينة في شهر شوّال أو ذي القعدة.

تاسع عشر: استخلف أبا رهم الغفاري في غزوة بني قريظة، و هم على بعض يوم من المدينة، حصرهم خمسة عشر يوما أو أكثر، بدأهم بسبع بقين من ذي القعدة [21] .

فالاستيعاب و أسد الغابة.

(18) ذات الرقاع: جبل قريب من النخيل ممّا يلي السعد و الشقرة مختلفة ألوانه فيه بقع حمر و سود و بيض. راجع ترجمة الغزوة من التنبيه و الإشراف للمسعودي.

(19) دومة الجندل: كانت حصنا مبنيا بالجندل في متّسع من الأرض خمسة فراسخ، و هي على سبع مراحل من دمشق، بينها و بين مدينة الرسول (ص) خمس عشرة ليلة. راجع مادة: (دومة) بمعجم البلدان و ترجمة الغزوة في التنبيه و الإشراف للمسعودي، ذكر السنة الخامسة.

(20) ماء المريسيع: على طريق الفرع و الفرع ثمانية برد من المدينة.

(21) أبو رهم؛ كلثوم بن الحصين: أسلم بعد قدوم النبيّ (ص) المدينة، شهد أحدا فرمي بسهم في نحره فبصق عليه النبيّ (ص) فبرأ. انظر ترجمته في أسد الغابة.

في السنة السادسة:

عشرين: استخلف في غزوة بني لحيان من هذيل، بالقرب من عسفان، ابن أمّ مكتوم، أربع عشرة ليلة و رجع و لم يلق كيدا [22] .

حادي و عشرين: استخلف ابن أمّ مكتوم، خمس ليال في غزوة ذي قرد، على ليلتين من المدينة [23] .

ثاني و عشرين: استخلف ابن أمّ مكتوم في غزوة الحديبية [24] .

في السنة السابعة:

ثالث و عشرين: استخلف سباع بن عرفطة في غزوة خيبر، و هي على بعد ثمانية برد من المدينة، و بعد فتح قلاعها عنوة و صلحا سار إلى وادي القرى فحصرهم أيّاما حتى افتتحها عنوة، ثمّ صالح أهل تيماء و هي على ثمانية مراحل من الشّام، و وادي القرى بينها و بين المدينة [25] .

رابع و عشرين: و استخلف أيضا سباع بن عرفطة في عمرة القضاء [26] .

في السنة الثامنة:

---

(22) بنو لحيان، نسبهم في جمهرة أنساب ابن حزم ط. مصر سنة 1382، ص 196-198.

و عسفان بين مكّة و المدينة، اختلفوا في تعيين موضعه. معجم البلدان، مادة: (عسفان) .

(23) ذي قرد: من طريق خيبر، و كان عيينة بن حصن الفزاري أغار على لقاحه و هو بالغابة و هي على بريد من المدينة أو أكثر. فخرج (ص) يوم الأربعاء لثلاث أو لأربع خلون من شهر ربيع الأول فاستنقذ بعضها و عاد إلى المدينة. التنبيه و الإشراف، ذكر السنة السادسة.

(24) خرج الرسول (ص) يوم الاثنين هلال ذي القعدة للعمرة فصدّه المشركون عن دخول مكّة، فأقام بالحديبية على تسعة أميال من مكّة، ثمّ وقع الصلح بين الرسول و قريش على أن يعتمر في السنة القادمة.

(25) سباع بن عرفطة الغفاري: استعمله النبي على المدينة لمّا سار إلى خيبر و تيماء. ترجمته بأسد الغابة.

(26) سار النبي (ص) لستّ ليال خلون من ذي القعدة.

خامس و عشرين: استخلف على المدينة أبا رهم الغفاري في غزوة مكّة.

سادس و عشرين: سار بعد غزوة مكّة إلى هوازن لغزو حنين، و حنين واد إلى جانب ذي المجاز يبعد ثلاث ليال عن مكّة، و بقي-أيضا-أبو رهم واليا على المدينة في هذه الغزوة.

سابع و عشرين: و استخلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك-على بعد تسعين فرسخا من المدينة-.

و هي آخر غزواته، و كانت غزواته ثمانيا و عشرين غزوة إن اعتبرنا خيبر و وادي القرى غزوتين، و إلاّ فهي سبع و عشرون غزوة.

رجعنا في ذكر أسماء من استخلفهم رسول اللّه (ص) على المدينة في غيابه عنها إلى التنبيه و الإشراف للمسعودي في ذكره التأريخ من السنة الثانية إلى السنة الثامنة من الهجرة، و قد يختلف في ذكر أسماء من ولاّه رسول اللّه (ص) على المدينة مع غيره أحيانا. أمّا ما ذكره في استخلاف الإمام عليّ على المدينة في غزوة تبوك فقد قال ذلك-أيضا-إمام الحنابلة في مسنده في ما رواه عن سعد بن أبي وقّاص؛ قال:

إنّ رسول اللّه (ص) حين خرج في غزوة تبوك استخلف عليها عليّا (رض) على المدينة، فقال عليّ: يا رسول اللّه ما كنت أحبّ أن تخرج وجها إلاّ و أنا معك. فقال: أو ما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي [27] .

و يؤيد ذلك أيضا ما رواه البخاريّ في صحيحه في كتاب بدء الخلق باب

(27) مسند أحمد 1/177

غزوة تبوك حيث روى عن سعد بن أبي وقاص أيضا أنّه قال:

إنّ رسول اللّه (ص) خرج إلى تبوك و استخلف عليّا فقال: أ تخلفني في الصّبيان و النساء؟قال: ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه ليس نبيّ بعدي [28] .

و ما رواه مسلم-أيضا-في صحيحه عن سعد بن أبي وقّاص أنّه قال:

سمعت رسول اللّه (ص) يقول له و قد خلّفه في بعض مغازيه فقال له عليّ: يا رسول اللّه خلّفتني مع الصّبيان و النساء؟فقال له رسول اللّه (ص) : أ ما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوّة بعدي [29] .

هكذا لم يغب الرسول (ص) في غزواته عن المدينة أيّاما معدودات دون أن يستخلف عليهم من يرجعون إليه مدّة غيابه عن المدينة، بل إنّه لم يغب يوما عن المدينة أو بعض يوم دون أن يستخلف عليهم من يرجعون إليه، كما كان الشأن في غزوة أحد، و كان جبل أحد على بعد ميل من المدينة، فإنّه (ص) قد عيّن خليفته عليهم مدّة غيابه عنهم، بل و في غزوة الخندق أيضا حيث كان يقاتل في المدينة و استقرّ دون الخندق، عيّن لأهل المدينة المرجع لانشغاله عنهم في الحرب.

---

(28) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب غزوة تبوك 3/58.
(29) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عليّ بن أبي طالب، ح 32، و راجع أيضا مسند أبي داود الطيالسي 1/29. و حلية الأولياء لأبي نعيم 7/195 و 196. و مسند أحمد 1/173، 182، 184، 330 و 4/153. و تاريخ بغداد للخطيب 11/432.

و خصائص النسائي ص 8 و 16. و طبقات ابن سعد 3/ق 1/15.

إذا كان هذا دأب الرسول (ص) في غيابه عن المدينة بعض يوم، كذلك في حال انشغاله عنهم بالحرب داخل المدينة، فما ذا فعل لأمّته من بعده هو يتركهم أبد الدهر؟هل تركهم هملا، و لم يعيّن لهم المرجع من بعده؟ هذا ما سندرسه في ما يأتي من فصول هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

النصوص الواردة عن رسول اللّه (ص) في تعيين وليّ الأمر من بعده

نبدأ هذا الباب بذكر ما فعله الأنبياء في تعيين الوصيّ و وليّ الأمر لأممهم من بعدهم.

الوصيّة في الأمم السّابقة

قد سلسل المسعوديّ [1] اتّصال الحجج و أوصياء الأنبياء من لدن آدم حتّى خاتم النبيين-صلوات اللّه عليهم أجمعين-و أوصيائه، فقد ذكر-مثلا-:

أنّ وصيّ آدم كان هبة اللّه و هو شيث بالعبرانية.

و أنّ وصيّ إبراهيم كان إسماعيل (ع) .

(1) إثبات الوصية، للمسعودي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ص: 5-70.

و المسعودي هو: أبو الحسن، علي بن الحسين المسعودي، ينتهي نسبه إلى الصحابي عبد اللّه بن مسعود. توفي سنة 346 هـ. و في ترجمته بطبقات الشافعية 2/307: قيل كان معتزلي العقيدة. و أشار إلى هذا الكتاب الكتبي في فوات الوفيات 2/45، و ياقوت الحموي في معجم الأدباء 13/94 و قالا: له كتاب البيان في أسماء الأئمة، و في الميزان، لابن حجر 4/224: له كتاب تعيين الخليفة. و سماه في الذريعة و غيرها: (إثبات الوصية) .

و أنّ وصيّ يعقوب كان يوسف (ع) .

و أنّ وصيّ موسى كان يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف (ع) و خرجت عليه صفورا زوجة موسى (ع) .

و أنّ وصيّ عيسى كان شمعون (ع) .

و أنّ وصيّ خاتم الأنبياء محمّد (ص) كان عليّ بن أبي طالب، ثمّ الأحد عشر من ولده (ع) .

و نحن نقتصر هنا على ذكر خبر ثلاثة من الأوصياء المذكورين آنفا:

أ-خبر وصيّة آدم لشيث:

قال اليعقوبي في خبر وصيّة آدم لشيث:

لمّا حضر آدم الوفاة... جعل وصيّته إلى شيث.

و قال الطبري:

هبة اللّه؛ و بالعبرانية: شيث، و إليه أوصى آدم... و كتب وصيّته، و كان شيث في ما ذكر وصيّ أبيه آدم (ع) .

و قال المسعودي في خبر وصيّة آدم لشيث ثمّ وفاته:

ثمّ إنّ آدم حين أدّى الوصيّة إلى شيث، احتقبها و احتفظ بمكنونها، و أتت وفاة آدم....

و قال ابن الأثير:

و تفسير شيث: هبة اللّه، و هو وصيّ آدم، و لمّا حضرت آدم الوفاة عهد إلى شيث.

و قال ابن كثير:

ذكر وفاة آدم و وصيّته إلى ابنه شيث (ع) :

و معنى شيث: هبة اللّه... و لمّا حضرت آدم الوفاة عهد إلى ابنه

شيث....

ب-خبر يوشع بن نون وصيّ موسى

أولا: يوشع بن نون في التوراة:

ورد في مادة يوشع من قاموس الكتاب المقدس نقلا عن التوراة: أن يوشع بن نون كان مع موسى في جيل سينا و لم يتلوّث بعبادة العجل على عهد هارون.

و في آخر الإصحاح السابع و العشرين من سفر العدد [2] ورد خبر تعيينه من قبل اللّه وصيّا لموسى كالنّصّ الآتي:

فكلّم موسى الرّبّ قائلا. 16 ليوكّل الرّبّ إله 17 أرواح جميع البشر رجلا على الجماعة 17 يخرج أمامهم و يدخل أمامهم و يخرجهم 18 و يدخلهم لكيلا تكون جماعة الرّب كالغنم الّتي لا راعي لها. 18 فقال الرّبّ لموسى 19 خذ يشوع بن نون رجلا فيه روح وضع يدك عليه 19 و أوقفه قدّام ألعازار الكاهن 20 و قدّام كلّ الجماعة و أوصه أمام أعينهم. 20 و اجعل من هيبتك عليه لكي يسمع له كلّ 21 جماعة بني إسرائيل. 21 فيقف أمام ألعازار الكاهن فيسأل له بقضاء الأوريم أمام الرّبّ. حسب قوله يخرجون و حسب قوله يدخلون هو و كلّ بني إسرائيل معه كلّ 22 لجماعة. 22 ففعل موسى كما أمره الرّبّ. أخذ يشوع و أوقفه قدّام ألعازار الكاهن 23 و قدّام كلّ الجماعة 23 و وضع يديه عليه و أوصاه كما تكلّم الرّبّ عن يد موسى...

و ورد خبر قيامه بأمر بني إسرائيل و حروبه في ثلاثة و عشرين إصحاحا من سفر يوشع بن نون.

ثانيا: في القرآن الكريم

(2) التوراة من الكتاب المقدس، بيروت، المطبعة الأمريكية سنة: 1907 م.

في القرآن الكريم؛ عرّب يوشع بـ (اليسع) في سورة الأنعام، الآية: 86 و سورة ص، الآية: 48.

ثالثا: في مصادر الدراسات الإسلامية.

في تاريخ اليعقوبي 1/46:

و كان موسى لمّا حضرته وفاته أمره اللّه عزّ و جلّ أن يدخل يوشع بن نون إلى قبّة الرّمان فيقدّس عليه، و يضع يده على جسده لتتحوّل فيه بركته، و يوصيه أن يقوم بعده في بني إسرائيل.

وجه الشّبه بين وصيّ خاتم الأنبياء و وصيّ موسى (ع)

إنّ يوسع بن نون كان مع موسى في جبل سينا و لم يعبد العجل. و أمر اللّه نبيّه موسى أن يعيّنه وصيّا من بعده لئلاّ تكون جماعة الربّ كالغنم بلا راع.

و كان الإمام عليّ مع النبيّ في غار حراء و لم يعبد صنما قطّ و أمر اللّه نبيّه في رجوعه من حجّة الوداع أن يعيّنه أمام الحجيج قائدا للأمة من بعده، و لا يترك أمّته هملا؛ و قد صدع بذلك رسول اللّه (ص) في غدير خم و عيّنه وليّا للعهد من بعده كما سنذكره في ما يأتي، و صدق رسول اللّه (ص) حيث قال:

«ليأتينّ على أمّتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل... » و قد أوردنا مصادره في أول الجزء الثاني من (خمسون و مائة صحابيّ مختلق) .

ج-خبر شمعون وصيّ عيسى

أولا: شمعون في الإنجيل.

ورد في قاموس الكتاب المقدّس ذكر عشرة أشخاص بهذا الاسم،

منهم: شمعون بطرس و شمعون اسمه في التوراة سمعون، و قد ورد خبره في إنجيل متّى، الإصحاح العاشر كالآتي:

«ثمّ دعا-يعني عيسى-تلاميذه الاثني عشر و أعطاهم سلطانا على أرواح نجسة حتّى يخرجوها، و يشفوا كلّ مرض و كلّ ضعف. و هذه أسماء الاثني عشر رسولا: الأول سمعان الّذي يقال له بطرس... » .

و في إنجيل يوحنا، الإصحاح 21 العدد: 15-18 أن عيسى أوصى إليه و قال له: «ارع غنمي» كناية عن رعاية من آمن به.

و جاء في قاموس الكتاب المقدّس أيضا:

«عيّنه المسيح لهداية الكنيسة» .

ثانيا: شمعون في مصادر الدراسات الإسلاميّة:

ذكر خبره اليعقوبي و سمّاه: سمعان الصفا.

و قال المسعودي في 1/343:

قتل برومية بطرس و اسمه باليونانية: شمعون و العرب تسمّيه:

سمعان.

و في مادة: دير سمعان من معجم البلدان:

«دير سمعان: بنواحي دمشق، و سمعان هذا الّذي ينسب إليه الدير أحد أكابر النصارى، و يقولون إنه شمعون الصفا» .

أوردنا نتفا من أخبار هؤلاء الأوصياء الثلاثة كمثال لأخبار بقيّة أوصياء الأنبياء في الأمم السابقة.

و لم يكن خاتم الأنبياء بدعا من الرسل ليترك أمّته دون تعيين وليّ الأمر من بعده، و هو الّذي لم يغب عن المدينة-المجتمع الإسلاميّ الصغير-في

غزواته و لا ساعة من نهار دون أن يستخلف عليها أحدا. كلاّ لم يترك خاتم الأنبياء و المرسلين المجتمعات الإسلاميّة للأبد دون أن يعيّن أولي الأمر من بعده، بل عيّنهم بألفاظ مختلفة و في أماكن متعدّدة؛ منها ما خصّ بالذكر الإمام من بعده و منها ما ذكر فيها جميع الأئمة.

و ممّا خصّ بالذكر الإمام عليّ بن أبي طالب وحده؛ الأحاديث الآتية:

وصيّ الرسول (ص) و وزيره و ولي عهده و خليفته من بعده الوصيّ في أحاديث الرسول (ص)

أوردنا في أول الباب قصّة إنذار بني هاشم و أنّ رسول اللّه (ص) قال لعليّ بن أبي طالب (ع) بمحضر من رجال بني هاشم في ذلك اليوم:

«إنّ هذا أخي و وصيّي و خليفتي فيكم فاسمعوا له و أطيعوا» .

و بهذا القول عيّن الرسول (ص) وصيّه و خليفته فيهم و أمرهم بإطاعته، و قد قال سبحانه و تعالى: **وَ مَا آتَاكُمُ اَلرَّسُولُ فَخُذُوهُ** الحشر/7.

و روى الطبراني عن سلمان، قال: قلت: يا رسول اللّه، إنّ لكلّ نبيّ وصيّا فمن وصيّك؟فسكت عنّي، فلمّا كان بعد رآني فقال: يا سلمان.

فأسرعت إليه، قلت: لبّيك. قال: تعلم من وصيّ موسى؟قال: نعم، يوشع بن نون. قال: لم؟قلت: لأنّه كان أعلمهم يومئذ. قال:

«فإنّ وصيّي و موضع سرّي و خير من أترك بعدي و ينجز عدتي و يقضي ديني عليّ بن أبي طالب» [(3)] .

---

(3) رواه الهيثمي عن الطبراني في المعجم الكبير 6/221. و مجمع الزوائد 9/113، و رواه سبط ابن الجوزي في كتاب تذكرة خواص الأمّة باب حديث النجوى عن كتاب الفضائل لأحمد بن حنبل و هذا لفظه:

و عن أبي أيّوب أنّ رسول اللّه (ص) قال لابنته فاطمة:

«أ ما علمت أنّ الله عزّ و جلّ اطّلع على أهل الأرض فاختار منهم أباك فبعثه نبيّا، ثمّ اطّلع الثانية فاختار بعلك فأوحى إلى فأنكحته و اتّخذته وصيّا» (4) .

و عن أبي سعيد أنّ رسول اللّه (ص) قال:

«إنّ وصيّي و موضع سرّي و خير من أترك بعدي و ينجز عدتي و يقضي ديني عليّ بن أبي طالب» (5) .

و عن أنس بن مالك أنّ الرسول توضّأ و صلّى ركعتين و قال له:

«أوّل من يدخل عليك من هذا الباب إمام المتّقين، و سيّد المسلمين، و يعسوب الدين، و خاتم الوصيين... » فجاء عليّ (ع) فقال (ص) : من

قال أنس:

قلنا لسلمان: سل رسول اللّه (ص) من وصيّك؟فسأل سلمان رسول اللّه (ص) ، فقال: من كان وصيّ موسى بن عمران؟فقال: يوشع بن نون. قال: إنّ وصيي و وارثي و منجز وعدي، علي بن أبي طالب. و راجع الرياض النضرة للمحب الطبرى (2/178) .

(4) مجمع الزوائد للهيثمي 8/253، و في 9/165 منه عن عليّ بن عليّ الهلالي: و وصيّي خير الأوصياء و أحبّهم إلى اللّه و هو بعلك-الحديث. و منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد 5/31. و كنز العمال، كتاب الفضائل، الفصل الثاني، فضائل عليّ بن أبي طالب، ح 1163، 12/204.

و في موسوعة أطراف الحديث عن المعجم الكبير للطبراني 4/205. و جمع الجوامع للسيوطي، رقم الحديث: 4261.

و أبو أيوب الأنصاري: اسمه خالد بن زيد الخزرجي. شهد بيعة العقبة و جميع مشاهد رسول اللّه (ص) و شهد مع الإمام عليّ الجمل و صفّين و نهروان. و توفّي عند مدينة القسطنطينية سنة خمسين أو إحدى و خمسين. أسد الغابة 5/143.

(5) كنز العمال، كتاب الفضائل، الفصل الثاني، فضائل عليّ بن أبي طالب، ح 1192، الثانية 12/209.

و في أطراف الحديث عن كنز العمال، الحديث 32952. و الطبراني 6/271 و أبو سعيد الخدري: سعد بن مالك الخزرجي، كان من الحفّاظ لحديث رسول اللّه (ص) (ت: 54 هـ) . أسد الغابة 5/211.

جاء يا أنس؟فقلت: عليّ. فقام إليه مستبشرا فاعتنقه-الحديث [6] .

و عن الصحابي بريدة قال: قال النبيّ:

«لكلّ نبيّ وصيّ و وارث، و إنّ عليا وصيّي و وارثي» [7] .

و في المحاسن و المساوئ للبيهقي، ما موجزه: إنّ جبرائيل جاء بهديّة من اللّه ليهديها الرسول (ص) إلى ابن عمّه و وصيّه علي بن أبي طالب-الحديث [8] .

كان هذا ما وجدناه في الوصية في أحاديث الرسول (ص) .

الوصيّة في كتب الأمم السّابقة

روى نصر بن مزاحم في كتابه وقعة صفّين و الخطيب في تاريخ بغداد و اللّفظ للأول:

إنّ الإمام عليّا في مسيره إلى صفّين عطش جيشه في صحراء، فانطلق بهم حتّى أتى بهم على صخرة، فأعانهم حتى اقتلعوها و شرب الجيش حتّى ارتووا، و كان بالقرب منهم دير، فلمّا اطلع صاحب الدير على هذا الأمر قال:

ما بني هذا الدير إلا بذلك الماء و ما استخرجه إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ [9]

.

---

(6) حلية الأولياء 1/63. و تاريخ ابن عساكر 2/486. و شرح نهج البلاغة، ط.

الأولى 1/450. و في موسوعة أطراف الحديث عن اتحاف السادة المتّقين للزبيدي 7/461.

و أنس بن مالك: أبو ثمامة الخزرجي، روى عنه البخاري و مسلم 2286 حديثا. اختلف في سنة وفاته من 90-93 هـ. الاستيعاب. و أسد الغابة. و الإصابة. مرّت ترجمته في ص 134.

(7) تاريخ دمشق لابن عساكر 3/5. و الرياض النضرة 2/178 عن بريدة و هو:

أبو عبد اللّه بريدة بن الحصيب بن عبد اللّه الأسلمي؛ قدم المدينة بعد أحد فشهد مع رسول اللّه (ص) مشاهده و تحول بعده إلى البصرة و ابتنى بها دارا. ثم خرج غازيا إلى خراسان فأقام بمرو و توفّي بها. أسد الغابة 1/175.

(8) المحاسن و المساوئ لمحمد بن إبراهيم البيهقي (كان حيّا قبل: 320 هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. القاهرة سنة 1380 هـ 1/64-65.

(9) وقعة صفين، ط. المدني بمصر سنة 1382 هـ ص 145. و تاريخ الخطيب 12/305.

و قد أوردنا الخبر بإيجاز من الأوّل.

خبر آخر يؤيد الخبر السابق:

في صفّين لنصر بن مزاحم و تاريخ ابن كثير و اللّفظ للأول:

قال: لمّا نزل عليّ الرقّة بمكان يقال له بليخ على جانب الفرات، فنزل راهب هناك من صومعته فقال لعلي: إنّ عندنا كتابا توارثناه عن آبائنا، كتبه أصحاب عيسى بن مريم، أعرضه عليك؟قال عليّ: نعم، فما هو؟قال الراهب:

بسم اللّه الرحمن الرحيم الّذي قضى فيما قضى، و سطر فيما سطر، أنّه باعث في الأميّين رسولا منهم يعلّمهم الكتاب و الحكمة، و يدلّهم على سبيل اللّه، لا فظّ و لا غليظ، و لا صخّاب في الأسواق، و لا يجزي بالسيئة السيئة، و لكن يعفو و يصفح، أمّته الحمّادون الّذين يحمدون اللّه على كلّ نشز، و في كلّ صعود و هبوط، تذلّ ألسنتهم بالتهليل و التكبير و التسبيح، و ينصره اللّه على كلّ من ناواه، فإذا توفّاه اللّه اختلفت أمّته ثمّ اجتمعت، فلبثت بذلك ما شاء اللّه ثمّ اختلفت، فيمرّ رجل من أمّته بشاطئ هذا الفرات، يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، و يقضي بالحقّ، و لا يرتشي في الحكم. الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الريح، و الموت أهون عليه من شرب الماء على الظماء. يخاف اللّه في السرّ، و ينصح له في العلانية، و لا يخاف في اللّه لومة لائم. من أدرك ذلك النبيّ (ص) من أهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضواني و الجنّة، و من أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره، فإنّ القتل معه شهادة.

قو قد بني في مكان الدير منذ قرون مسجد براثا، و تغيّر مجرى نهري دجلة و الفرات اللّذين كانا يجريان في أرض العراق و أصبح مجرى نهر دجلة قريبا من المسجد المذكور.

ثمّ قال له: فأنا مصاحبك غير مفارقك حتّى يصيبني ما أصابك. قال:

فبكى عليّ ثمّ قال: الحمد للّه الّذي لم يجعلني عنده منسيا. الحمد للّه الّذي ذكرني في كتب الأبرار. و مضى الراهب معه، و كان-فيما ذكروا-يتغدّى مع عليّ و يتعشّى حتّى أصيب يوم صفّين. فلمّا خرج الناس يدفنون قتلاهم قال عليّ: اطلبوه. فلمّا وجدوه، صلّى عليه و دفنه، و قال: هذا منّا أهل البيت.

و استغفر له مرارا [10] .

الوصية في أحاديث الصّحابة و التّابعين

الوصية في خطبة أبي ذر

وقف أبو ذر على عهد عثمان بباب مسجد رسول اللّه و خطب و قال في خطبته:

(و محمد وارث علم آدم و ما فضّل به النبيّون، و علي بن أبي طالب وصيّ محمد و وارث علمه...) .

سيأتي تمام الخطبة في ذكر النوع العاشر من أنواع الكتمان في مدرسة الخلفاء إن شاء اللّه تعالى.

الوصية في حديث الأشتر

قال مالك بن الحارث الأشتر لمّا بويع أمير المؤمنين (ع) :

أيّها النّاس هذا وصيّ الأوصياء، و وارث علم الأنبياء، العظيم البلاء الحسن العناء، الّذي شهد له كتاب اللّه بالإيمان، و رسوله بجنّة الرضوان، من كملت فيه الفضائل، و لم يشكّ في سابقته و علمه و فضله الأواخر و لا الأوائل [11] .

---

(10) صفين ص 147-148. و ابن كثير 7/254.

و البليخ: اسم نهر بالرقّة، يجتمع فيه الماء من عيون. معجم البلدان.

(11) تاريخ اليعقوبي 2/178.

الوصية في حديث عمرو بن الحمق الخزاعي

عند ما جمع أمير المؤمنين الناس بالكوفة و خاطبهم في شأن المسير إلى صفّين لحرب معاوية، قام عمرو بن الحمق الخزاعي و خاطب الإمام و قال:

يا أمير المؤمنين إنّي ما أحببتك و لا بايعتك على قرابة بيني و بينك، و لا إرادة مال تؤتينيه، و لا التماس سلطان ترفع ذكري به، و لكنّني أحببتك بخصال خمس: إنك ابن عمّ رسول اللّه (ص) ، و وصيّه، و أبو الذريّة الّتي بقيت فينا من رسول اللّه (ص) ، و أسبق الناس إلى الإسلام، و أعظم المهاجرين سهما في الجهاد [12] .

الوصيّة في كتاب محمّد بن أبي بكر

كتب محمّد بن أبي بكر إلى معاوية:

بسم اللّه الرحمن الرحيم من محمّد بن أبي بكر إلى الغاوي ابن صخر. سلام على أهل طاعة اللّه ممّن هو مسلم لأهل ولاية اللّه. أما بعد فإنّ اللّه... انتخب

(12) شرح النهج لابن أبي الحديد 1/281.

و عمرو بن الحمق الخزاعي: هاجر إلى النبيّ (ص) بعد الحديبية، سقى النبيّ (ص) فدعا له و قال: اللّهمّ متّعه بشبابه، فمرّت عليه ثمانون سنة لا ترى في لحيته شعرة بيضاء. شهد مع عليّ مشاهده كلّها و كان من أصحاب حجر بن عدي. و خاف زياد بن أبيه و هرب من الكوفة إلى الموصل و اختفى في غار بالقرب منه، فأرسل معاوية إلى العامل بالموصل-و كان العامل عمرو بن الحكم ابن أخت معاوية-ليحمل إليه عمرا فوجده ميتا، كان قد نهشته حيّة فقطع رأسه و بعث به إلى خاله معاوية. و كان رأسه أول رأس حمل في الإسلام. و كان معاوية قد حبس زوجة عمرو بن الحمق، آمنة بنت الشريد، فوجّه إليها رأس عمرو فألقي في حجرها فارتاعت لذلك ثم وضعته في حجرها و وضعت كفّها على جبينه ثمّ لثمت فاه و قالت: غيبتموه عني طويلا ثمّ أهديتموه إليّ قتيلا فأهلا بها من هديّة غير قالية و لا مقلية. و كان قتله في سنة خمسين للهجرة. ترجمته بأسد الغابة 4/100-101.

محمّدا (ص) فاختصّه برسالته، و اختاره لوحيه، و ائتمنه على أمره، و بعثه رسولا مصدّقا لما بين يديه من الكتب، و دليلا على الشرائع، فدعا إلى سبيل ربّه بالحكمة و الموعظة الحسنة، فكان أول من أجاب و أناب، و صدق و وافق، و أسلم و سلم؛ أخوه و ابن عمّه عليّ بن أبي طالب (ع) ، فصدّقه بالغيب المكتوم، و آثره على كلّ حميم، فوقاه كلّ هول، و واساه بنفسه في كلّ خوف، فحارب حربه، و سالم سلمه، فلم يبرح مبتذلا لنفسه في ساعات الأزل، و مقامات الروع، حتّى برز سابقا لا نظير له في جهاده، و لا مقارب له في فعله. و قد رأيتك تساميه و أنت أنت، و هو هو المبرّز السابق في كلّ خير، أوّل الناس إسلاما، و أصدق الناس نيّة، و أطيب الناس ذرّيّة، و أفضل الناس زوجة، و خير الناس ابن عمّ... ثمّ لم تزل أنت و أبوك تبغيان الغوائل لدين اللّه، و تجهدان على إطفاء نور اللّه، و تجمعان على ذلك الجموع، و تبذلان فيه المال، و تحالفان فيه القبائل. على ذلك مات أبوك، و على ذلك خلفته، و الشاهد عليك بذلك من يأوي و يلجأ إليك من بقية الأحزاب رءوس النفاق و الشقاق لرسول اللّه (ص) . و الشاهد لعليّ مع فضله المبين و سبقه القديم، أنصاره الّذين ذكروا بفضلهم في القرآن فأثنى اللّه عليهم، من المهاجرين و الأنصار، فهم معه عصائب و كتائب حوله، يجالدون بأسيافهم، و يهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل في اتّباعه، و الشّقاء في خلافه، فكيف-يا لك الويل-تعدل نفسك بعليّ، و هو وارث رسول اللّه (ص) ، و وصيّه و أبو ولده و أول الناس له اتّباعا، و آخرهم به عهدا، يخبره بسرّه و يشركه في أمره.

و كتب معاوية في جوابه:

من معاوية بن أبي سفيان إلى الزاري على أبيه محمّد بن أبي بكر.

سلام على أهل طاعة اللّه. أمّا بعد فقد أتاني كتابك، تذكر فيه ما اللّه أهله في قدرته و سلطانه و ما أصفى به نبيّه، مع كلام ألّفته و وضعته، لرأيك فيه تضعيف، و لأبيك فيه تعنيف. ذكرت حقّ ابن أبي طالب، و قديم سوابقه و قرابته من نبيّ اللّه (ص) ، و نصرته له و مواساته إيّاه في كل خوف و هول، و احتجاجك عليّ بفضل غيرك لا بفضلك. فأحمد إلها صرف الفضل عنك و جعله لغيرك. و قد كنّا و أبوك معنا في حياة من نبيّنا (ص) ، نرى حقّ ابن أبي طالب لازما لنا، و فضله مبرّزا علينا فلمّا اختار اللّه لنبيّه (ص) ما عنده، و أتمّ له ما وعده، و أظهر دعوته و أفلج حجّته، قبضه اللّه إليه، فكان أبوك و فاروقه أوّل من ابتزّه و خالفه. على ذلك اتّفقا و اتّسقا، ثمّ دعواه إلى أنفسهم فأبطأ عنهما و تلكأ عليهما، فهمّا به الهموم، و أرادا به العظيم، فبايع و سلم لهما، لا يشركانه في أمرهما، و لا يطلعانه على سرّهما، حتّى قبضا و انقضى أمرهما.

ثمّ قام بعدهما ثالثهما عثمان بن عفّان، يهتدي بهديهما-إلى آخر الكتاب.

أوردنا جواب معاوية لما فيه من الاعتراف بما ذكره محمّد بن أبي بكر.

و أورد تمام الكتابين نصر بن مزاحم في كتابه وقعة صفّين و المسعودي في مروج الذّهب. و أشار إليهما الطبريّ و ابن الأثير في ذكرهما حوادث سنة ستّ و ثلاثين هجرية.

روى الطبري بسنده عن يزيد بن ظبيان:

أنّ محمد بن أبي بكر كتب إلى معاوية بن أبي سفيان لمّا ولي. فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهت ذكرها لما فيه ممّا لا يحتمل سماعه العامة....

إذا فإنّ الطبري لم يورد في موسوعته التاريخية الكبرى ما دار بين محمّد بن أبي بكر و معاوية من مكاتبات لأنّه لم ير من الحكمة أن يطلع عليها عامّة الناس و ليس من باب عدم اعتماده على صحّة الخبر. و تبعه العلاّمة ابن الأثير و لم يورد تلك المكاتبات في موسوعته التاريخية (الكامل) و ذكر نفس

العلة و قال: كرهت ذكرها لما فيه ممّا لا يحتمل سماعه العامّة [13] .

الوصيّة في كتاب عمرو بن العاص

روى الخوارزمي كتابا لعمرو بن العاص إلى معاوية قال فيه:

فأمّا ما دعوتني إليه... ، و إعانتي إيّاك على الباطل، و اختراط السيف في وجه عليّ و هو أخو رسول اللّه (ص) و وصيّه و وارثه، و قاضي دينه و منجز وعده و زوج ابنته... [14] .

الوصيّة في كلام الإمام عليّ (ع) و احتجاجه

روى الخوارزميّ من كلام الإمام عليّ (ع) :

(أنا أخو رسول اللّه (ص) و وصيّه...) [15] .

و روى ابن أبى الحديد، من كتاب للإمام عليّ (ع) إلى أهل مصر:

(و اعلموا أنه لا سوى: إمام الهدى و إمام الرّدى، و وصىّ النبيّ و عدو النبيّ) [16] .

و ذكر اليعقوبي احتجاج الخوارج على الإمام عليّ (ع) و جاء فيه أنّه ضيّع الوصيّة، فكان من جوابه (ع) :

(أمّا قولكم إنّي كنت وصيّا فضيّعت الوصيّة، فإنّ اللّه عزّ و جلّ يقول:

وَ لِلَّهِ عَلَى اَلنَّاسِ حِجُّ اَلْبَيْتِ مَنِ اِسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اَللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ اَلْعَالَمِينَ آل عمران/97. أ فرأيتم هذا البيت لو لم يحجّ إليه أحد كان البيت يكفر؟إنّ هذا البيت لو تركه من استطاع إليه سبيلا كفر، و أنتم كفرتم بترككم إيّاي لا أنا بتركي لكم-الخ) [17] .

---

(13) الكتاب و جوابه في صفّين لنصر بن مزاحم، ط. القاهرة، سنة 1382 هـ ص 118-119. و تاريخ الطبري ط. أوربا 1/3348. و تاريخ ابن الأثير ط. أوربا 3/108. و مروج الذهب للمسعودي ط. بيروت، سنة 1385 هـ 3/11، و قال: إنّ محمد بن أبي بكر كتب الكتاب إلى معاوية من مصر لمّا ولاّه الإمام عليّ و ابن ابي الحديد 1/284.
(14) مناقب الخوارزمي ص 125.
(15) مناقب الخوارزمي ص 143.
(16) شرح النهج لابن أبي الحديد 2/28.
(17) تاريخ اليعقوبي 2/192-193.

الوصية في خطب الإمام عليّ (ع)

في الخطبة 182 من نهج البلاغة، قال الإمام:

(أيّها النّاس إنّي قد بثثت لكم المواعظ الّتي وعظ الأنبياء بها أممهم، و أدّيت إليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم...) .

و في الخطبة 88 منه، قال:

(و ما لي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها لا يقتصّون أثر نبيّ و لا يقتدون بعمل وصيّ) .

و في الخطبة الثانية منه، قال:

(لا يقاس بآل محمّد (ص) من هذه الأمّة أحد، و لا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا. هم أساس الدين... و لهم خصائص حقّ الولاية و فيهم الوصيّة و الوراثة...) .

و قال ابن أبي الحديد:

خطب عليّ عليه السّلام فقال في أثناء خطبته: «أنا عبد اللّه، و أخو رسوله، لا يقولها أحد قبلي و لا بعدي إلاّ كذب؛ ورثت نبيّ الرحمة، و نكحت سيدة نساء هذه الأمة، و أنا خاتم الوصيين» [18] .

الوصية في خطبة الإمام الحسن (ع)

خطب الإمام الحسن (ع) بعد مقتل أبيه و قال فى خطبته:

(أنا الحسن بن عليّ و أنا ابن النبيّ و أنا ابن الوصيّ...) [19] الحديث.

الوصيّة في تعزية الشّيعة للإمام الحسين بوفاة أخيه الإمام الحسن (6)

لمّا توفّي الحسن و بلغ الشيعة ذلك، اجتمعوا بالكوفة في دار سليمان بن

(18) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط. مصر الاولى 1/208.
(19) نقلنا الخبر من مستدرك الحاكم 3/172. و راجع ذخائر العقبى ص 138. و في مجمع الزوائد للهيثمي 9/146 عن الطبراني و غيره.

صرد و كتبوا إلى الحسين بن علي يعزّونه على مصابه بالحسن:

بسم اللّه الرحمن الرحيم للحسين بن عليّ من شيعته و شيعة أبيه أمير المؤمنين. سلام عليك، فإنّا نحمد إليك اللّه الّذي لا إله إلاّ هو. أمّا بعد فقد بلغنا وفاة الحسن بن علي [فسلام عليه] [20] يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث حيّا... ما أعظم ما أصيب به هذه الأمّة عامّة و أنت و هذه الشّيعة خاصّة بهلاك ابن الوصيّ و ابن بنت النبيّ و... [21] .

و في مروج الذهب للمسعودي: قال ابن عباس لمعاوية لما بلغه وفاة الإمام الحسن و هو بالشّام: و لئن أصبنا به فقد أصبنا قبله بسيّد المرسلين و إمام المتّقين و رسول ربّ العالمين ثمّ بعده بسيّد الأوصياء، فجبر اللّه تلك المصيبة... [22] .

الوصيّة في خطبة الإمام الحسين (ع)

خطب الإمام الحسين (ع) يوم العاشر من المحرّم على جيش الخليفة يزيد و قال في خطبته في مقام الاحتجاج عليهم:

(أما بعد فانسبوني فانظروا من أنا؟ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم و عاتبوها هل يجوز لكم قتلي و انتهاك حرمتي. أ لست ابن بنت نبيّكم (ص) و ابن وصيّه و ابن عمّه و أوّل القوم إسلاما و أوّل المؤمنين باللّه و المصدّق لرسوله بما جاء من عند ربّه؟أو ليس حمزة سيد الشهداء عمّ أبي؟!أو ليس جعفر الشهيد الطيّار ذو الجناحين عمّي؟» [23] .

---

(20) لم يرد هذا في النص و لكن السياق يقتضيه.
(21) تاريخ اليعقوبي 2/228.
(22) مروج الذهب للمسعودي، 2/430.
(23) في الخطبة الّتي رواها الطبري في ط. أوربا 2/329. و ابن الأثير، ط. أوربا 4/52.

و أورد الخطبة ابن كثير في 8/179 و حذف منها ما ذكره الإمام الحسين في وصف أبيه و كتب بدلها (و عليّ أبي) و أورد الباقى.

إذا كان ما وصف به الامام الحسين أباه الإمام عليّا من أنّه وصيّ رسول اللّه (ص) مشهورا عندهم كشهرة نبوّة جدّه، و أنّ عمّ أبيه حمزة سيّد الشهداء، و أنّ جعفر الطيّار ذا الجناحين عمّه. و لذلك ذكره في ذكر نسبه و لم يردّ عليه أحد منهم.

عبد اللّه بن علي عمّ الخليفة العباسي السفاح يحتجّ بالوصيّة

دعا العباسيون في بادئ أمرهم الناس إلى القيام ضدّ الأمويين باسم آل محمد (ص) و كان يدعى أبو مسلم أمير آل محمّد [24] و كانوا يحتجّون على خصومهم بالنصوص الّتي وردت عن رسول اللّه (ص) في حقّ آله بالحكم، و لمّا تمّ لهم الاستيلاء على الحكم أداروا ظهورهم لآل محمّد (ص) .

و ممّن احتجّ بالوصيّة عمّ السفّاح أول الخلفاء العباسيّين؛ فقد روى الذهبيّ عن أبي عمرو الأوزاعي [25] ما موجزه:

لمّا قدم عبد اللّه بن عليّ عمّ السفّاح الشام و قتل بني أميّة بعث إليّ و قال في كلامه:

ويحك أو ليس الأمر لنا ديانة؟ قلت: كيف ذاك؟ قال: أ ليس كان رسول اللّه (ص) أوصى لعليّ؟ قلت: لو أوصى إليه لما حكم الحكمين. فسكت و قد اجتمع غضبا، فجعلت أتوقع رأسي يسقط بين يدي، فقال بيده هكذا، أومى أن أخرجوه؛ فخرجت-الحديث.

إنّ الأوزاعي احتجّ في ردّ الوصيّة بما احتجّ به الخوارج على الإمام عليّ

(24) تاريخ اليعقوبي 2/352. و التنبيه و الإشراف للمسعودي ص 293. و تاريخ ابن الاثير 5/139-142-194 في ذكر حوادث سنة 129 و 130.
(25) بترجمته في تذكرة الحفاظ 1/181.

و جوابه جواب الإمام للخوارج، و الّذي مرّ ذكره تحت عنوان: الوصيّة في كلام الإمام عليّ (ع) و احتجاجه.

محمد بن عبد اللّه بن الحسن يحتجّ على الخليفة المنصور بالوصيّة

روى الطبري و ابن الأثير في ذكرهما حوادث سنة 145 بتاريخيهما: أنّ محمد بن عبد اللّه بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند ما خرج على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور و بايعه الناس بالمدينة، كتب في جواب أبي جعفر كتابا مفصلا يدلي بحججه في أنّه أحقّ بالخلافة من المنصور و جاء فيه:

... و إنّ أبانا عليّا كان الوصيّ و كان الإمام، فكيف ورثتم ولايته و ولده أحياء؟....

فكتب إليه المنصور كتابا يردّ فيه على ما احتجّ به و سكت عن جواب هذه الحجّة، و سكوت المنصور إقرار منه بصحّتها لديهم [26] .

الخليفة هارون الرشيد يخبر بما بلغه من الأوصياء

في الأخبار الطّوال عن الأصمعي [27] ما موجزه:

قال: دخلت على الرشيد فأرسل إلى ولديه محمّد و عبد اللّه، فأتياه و أجلسهما عن يمينه و شماله و أمرني بمطارحتهما، فكنت لا ألقي عليهما شيئا من فنون الأدب إلاّ أجابا به و أصابا، فقال: كيف ترى أدبهما؟ قلت: يا أمير المؤمنين ما رأيت مثلهما في ذكائهما و جودة ذهنهما... قال:

فضمّهما إلى صدره، و سبقته عبرته حتى تحدّرت دموعه، ثمّ أذن لهما، حتّى نهضا و خرجا، قال:

---

(26) الطبري، ط. اوربا، 3/209. و تاريخ ابن الأثير ط. مصر الأولى 5/199. و ابن كثير 10/85.
(27) الأصمعي: عبد الملك بن قريب (ت: 216 هـ) البصري اللّغوي النحوي. قيل: كان يحفظ اثني عشر ألف أرجوزة. ترجمته في الكنى و الألقاب للقميّ.

كيف بكم إذا ظهر تعاديهما و بدا تباغضهما و وقع بأسهما بينهما حتّى تسفك الدماء و يودّ كثير من الأحياء أنّهم كانوا موتى؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا شيء قضى به المنجّمون عن مولدهم، أو شيء أثرته العلماء في أمرهما؟ قال: بل شيء أثرته العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء في أمرهما.

قالوا: فكان المأمون يقول في خلافته: قد كان الرشيد سمع جميع ما جرى بيننا من موسى بن جعفر بن محمّد [28] ، فلذلك قال ما قال.

قال المؤلف: قصد الرشيد من الأوصياء الأئمة من أهل البيت: موسى و أباه جعفر الصادق و جدّه محمّد الباقر و جدّ أبيه علي بن الحسين ثمّ الحسن و الحسين و أباهما عليّ بن أبي طالب (ع) . و قصد من الأنبياء خاتم الأنبياء (ص) .

و من أجل ذلك فعل الخليفة هارون الرشيد ما لم يفعله خليفة من قبله و لا بعده و ذلك كما رواه المؤرّخون و قالوا:

(و لمّا صار إلى مكّة صعد المنبر، فخطب، ثمّ نزل، فدخل البيت، و دعا بمحمّد و المأمون، فأملى على محمّد كتاب الشرط على نفسه، و كتب محمّد الكتاب، و أحلفه على ما فيه، و أخذ عليه العهود و المواثيق، و فعل بالمأمون مثله، و أخذ عليه مثل ذلك، و كان نسخة الكتاب الّذي كتبه محمّد بخطّه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد اللّه هارون أمير المؤمنين، كتبه محمد بن هارون في

____

(28) الأخبار الطّوال، ط. القاهرة الأولى سنة 1960، ص 389 لأبي حنيفة الدينوري (ت: 282 هـ) . و مروج الذّهب للمسعودي 3/351.

صحّة من بدنه و عقله و جواز من أمره. إنّ أمير المؤمنين هارون ولاّني العهد من بعده، و جعل لي البيعة في رقاب المسلمين جميعا، و ولى أخي عبد اللّه بن أمير المؤمنين العهد و الخلافة و جميع أمور المسلمين بعدي برضى منّي و تسليم، طائعا غير مكره، و ولاّه خراسان بثغورها و كورها، و أجنادها و خراجها و طرازها، و بريدها، و بيوت أموالها و صدقاتها و عشرها و عشورها، و جميع أعمالها في حياته و بعد موته، و شرطت لعبد اللّه أخي عليّ الوفاء بما جعل له هارون أمير المؤمنين من البيعة و العهد و الولاية و الخلافة و أمور المسلمين بعدي... إلى آخر الكتابين..

و روى الطبري بعد ذلك و قال:

(و كتبا لأمير المؤمنين في بطن بيت اللّه الحرام بخطوط أيديهما بمحضر ممّن شهد الموسم من أهل بيت أمير المؤمنين و قوّاده و صحابته و قضاته و حجبة الكعبة و شهاداتهم عليهما كتابين استودعهما أمير المؤمنين الحجبة و أمر بتعليقهما في داخل الكعبة فلمّا فرغ أمير المؤمنين من ذلك كلّه في داخل بيت اللّه الحرام و بطن الكعبة أمر قضاته الذين شهدوا عليهما و حضروا كتابهما أن يعلموا جميع من حضر الموسم من الحاجّ و العمّار و وفود الأمصار ما شهدوا عليه من شرطهما و كتابهما، و قراءة ذلك عليهم ليفهموه و يعوه و يعرفوه و يحفظوه و يؤدّوه إلى إخوانهم و أهل بلدانهم و أمصارهم. ففعلوا ذلك و قرئ عليهم الشرطان جميعا في المسجد الحرام، فانصرفوا. و قد اشتهر ذلك عندهم و أثبتوا الشهادة عليه...) [29] .

(29) تاريخ اليعقوبي 2/416-421. و أورد الطبري تفصيل ذلك في ذكر حوادث سنة ستّ و ثمانين و مائة، ط. أوربا، 3/654-665. و أشار إلى ذلك بإيجاز كلّ من المسعودي في مروج الذهب، 3/353. و ابن الأثير في تاريخه (الكامل) ، ط. أوربا، 6/117-118. و ابن كثير في البداية و النهاية 10/187.

شهرة لقب وصيّ النبيّ (ص) للإمام عليّ (ع) و انتشار ذكره في أشعار الصّحابة و التابعين و كتب اللغة
في صدر الإسلام

كان لقب الإمام عليّ (ع) بالوصيّ مشهورا في الصّدر الإسلاميّ الأوّل و انتشر ذلك في كتب اللّغة؛ فقد ورد في مادة: (الوصيّ) من لسان العرب:

و قيل لعليّ (ع) : وصيّ.

و في تاج العروس: و الوصيّ كغنيّ لقب عليّ (رض) .

و سيأتي قول المبرد في الكامل في اللّغة بعيد هذا.

و ورد ذكره في شعر الشّعراء منذ عصر الصّحابة مثل قول حسّان بن ثابت شاعر النبيّ (ص) في قصيدته بعد وفاة النبي (ص) :

جزى اللّه عنّا و الجزاء بكفه # أبا حسن عنّا و من كأبي حسن

حفظت رسول اللّه فينا و عهده # إليك و من أولى به منك من و من

أ لست أخاه في الهدى و وصيّه # و أعلم منهم بالكتاب و السنن

(30)

و روى الزبير بن بكّار في الموفّقيات عن بعض شعراء قريش في مدح عبد اللّه بن عبّاس قوله:

و اللّه ما كلّم الأقوام من بشر # بعد الوصيّ عليّ كابن عبّاس

(31)

و قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط في مقتل عثمان:

---

(30) الموفقيات للزبير بن بكار، ط. بغداد، سنة 1972 م، ص 574-575، و ورد شعر حسان في تاريخ اليعقوبي 2/128 مع اختلاف في اللفظ. و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط. الأولى 2/15.

(31) الموفقيات ص 575. و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط. مصر الأولى 1/201.

ألا إنّ خير الناس بعد ثلاثة # قتيل التجيبي الّذي جاء من مصر

فأجابه الفضل بن عبّاس بأبيات جاء فيها:

ألا إنّ خير النّاس بعد محمّد # وصيّ النبيّ المصطفى عند ذي الذكر

و أول من صلّى و صنو نبيّه # و أوّل من أردى الغواة لدى بدر

(32)

و قال النعمان بن عجلان شاعر الأنصار في قصيدته-أيضا-بعد وفاة النبيّ (ص) :

و كان هوانا في عليّ و إنّه # لأهل لها يا عمرو من حيث لا تدري

---

(32) تاريخ الطبري، ط. أوربا 1/3064 و 3065. و تاريخ ابن الأثير، ط. أوربا 3/152 في ذكرهما ما رثي به عثمان.

و الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن ذكوان و كان ذكوان عبدا لأميّة فتبنّاه و ألحقه بنسبه. و أمّ الوليد أروى أمّ الخليفة عثمان. أرسله رسول اللّه (ص) مصدقا إلى بني المصطلق، فخرجوا يتلقونه، فهابهم فعاد إلى رسول اللّه (ص) و أخبر أنّهم ارتدّوا و منعوا الصدقة، فنزلت فيه: **إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا** الحجرات/6. فأرسل إليهم رسول اللّه (ص) غيره فأخبروه أنهم متمسّكون بالإسلام. ولاّه الخليفة عثمان الكوفة فشرب الخمر و صلّى بهم صلاة الصبح أربعا و هو سكران، فعزله عثمان، و قد ذكرنا تفصيل خبره في أول ذكر أخبار عصر الصهرين من كتاب أحاديث عائشة.

أقام في الرقة بعد عثمان و توفّي بها. ترجمته في أسد الغابة و الإصابة.

و الفضل بن العباس بن عبد المطّلب، أكبر ولد العبّاس. شهد مع النبيّ (ص) فتح مكّة و حنينا و ثبت معه حين انهزم الناس، و شهد غسل رسول اللّه (ص) و دفنه و استشهد يوم مرج الصفراء أو أجنادين بالشام و كلاهما سنة ثماني عشرة هجرية، و قيل: استشهد يوم اليرموك. و ترجمته في الاستيعاب و أسد الغابة و الإصابة.

قصد (بعد ثلاثة) أي بعد الرسول (ص) و أبي بكر و عمر. و التجيبي و التجوبي: نسبة إلى قبيلة من مذحج، كانت تسكن محلّة بمصر و قيل لمن يسكن تلك المحلة-أيضا-التجيبي و التجوبي. و كان منهم عبد الرحمن بن عديس البلوي الّذي اشترك في قتل الخليفة عثمان، و إيّاه عنى الوليد بالتجيبي في شعره، و منهم عبد الرحمن بن ملجم المرادي التدؤلي قاتل

الإمام عليّ، و كانت داره إلى جنب ابن عديس، و معنى البيت: ألا إنّ خير الناس بعد الرسول (ص) و أبي بكر و عمر-أي عثمان-أصبح مقتولا بيد التجيبي الّذي جاء من مصر.

راجع مادة: (التجيبي) و (التدؤلي) في أنساب السمعاني، و راجع مادة: (التجيبي) في الإكمال لابن مأكولا 1/214 و 256، و مادة: (التدؤلي) في اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير.

وصيّ النبيّ المصطفى و ابن عمّه # و قاتل فرسان الضّلالة و الكفر

قال ذلك في جواب عمرو بن العاص حين أغاض الأنصار في حوادث السقيفة و انتصار الإمام عليّ للأنصار من مهاجرة قريش [33] .

و قال ابن أبي الحديد:

و من الشعر المقول في صدر الإسلام المتضمّن كونه (ع) وصيّ رسول اللّه (ص) قول عبد اللّه بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطّلب:

و منّا علي ذاك صاحب خيبر # و صاحب بدر يوم سالت كتائبه

وصيّ النبيّ المصطفى و ابن عمه # فمن ذا يدانيه و من ذا يقاربه؟

و قال عبد الرحمن بن جعيل:

لعمري لقد بايعتم ذا حفيظة # على الدين معروف العفاف موفقا

عليّا وصيّ المصطفى و ابن عمّه # و أوّل من صلّى أخا الدين و التقى

[34]

الوصية في الأشعار الّتي قيلت في حرب الجمل [35]

و قال ابن أبي الحديد أيضا:

و قال أبو الهيثم بن التيهان و كان بدريا:

قل للزبير و قل لطلحة إنّنا # نحن الّذين شعارنا الأنصار

نحن الّذين رأت قريش فعلنا # يوم القليب أولئك الكفّار

---

(33) النعمان بن عجلان الزرقي الأنصاري، لسان الأنصار و شاعرهم. استعمله عليّ على البحرين.

ترجمته في الاستيعاب، ط. حيدرآباد 1/298، رقم: 1323. و أسد الغابة 5/26.

و الإصابة 3/532، و نسبه في الجمهرة ص 327-338. و الاشتقاق ص 461. و الأبيات عن كتاب الموفقيات للزبير بن بكار ص 592-594، و رواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم 6/31.

(34) شرح نهج البلاغة 1/47. و راجع فتوح ابن أعثم ط. حيدرآباد عام 1288، 2/277.

(35) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 1/47-49. و راجع فتوح أعثم 2/307.

كنّا شعار نبيّنا و دثاره # يفديه منّا الرّوح و الأبصار

إنّ الوصيّ إمامنا و وليّنا # برح الخفاء و باحت الأسرار

و قال عمر بن حارثة الأنصاريّ في محمّد بن الحنفيّة من أبيات أنشأها يوم الجمل:

سمي النبيّ و شبه الوصيّ # و رايته لونها العندم

و قال رجل من الأزد يوم الجمل:

هذا عليّ و هو الوصيّ # آخاه يوم النجوة النبيّ

و قال هذا بعدي الوليّ # وعاه واع و نسي الشقيّ

و خرج يوم الجمل غلام من ضبّة شابّ معلم من عسكر عائشة و هو يقول:

نحن بنو ضبّة أعداء علي # ذاك الّذي يعرف قدما بالوصي

و فارس الخيل على عهد النبي # ما أنا عن فضل عليّ بالعمي

لكنّني أنعى ابن عفّان التّقي # إنّ الوليّ طالب ثار الولي

(36)

و قال سعيد بن قيس الهمداني يوم الجمل، و كان في عسكر علي (ع) :

قل للوصيّ أقبلت قحطانها # فادع بها تكفيكها همدانها

و قال حجر بن عديّ الكنديّ في ذلك اليوم أيضا:

يا ربّنا سلّم لنا عليّا # سلّم لنا المبارك المرضيّا

المؤمن الموحّد التقيّا # لا خطل الرأي و لا غويّا

بل هاديا موفّقا مهديّا # و احفظه ربّي و احفظ النبيّا

فيه فقد كان له وليّا # ثمّ ارتضاه بعده وصيّا

و قال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، و كان بدريّا يوم الجمل أيضا:

يا وصيّ النبيّ قد أجلت الحر # ب الأعادي و سارت الأظعان

(36) راجع فتوح ابن أعثم 2/321.

و استقامت لك الأمور سوى الشـ # أم و في الشام يظهر الإذعان

حسبهم ما رأوا و حسبك منا # هكذا نحن حيث كنا و كانوا

و قال خزيمة يوم الجمل أيضا في أبيات يخاطب بها أمّ المؤمنين عائشة:

وصيّ رسول اللّه من دون أهله # و أنت على ما كان من ذاك شاهد

و خطب ابن الزبير يوم الجمل، و خطب الحسن (ع) بعده، فقال عمرو بن أحيحة في ذلك:

حسن الخير يا شبيه أبيه # قمت فينا مقام خير خطيب

قمت بالخطبة الّتي صدع اللّ # ه بها عن أبيك أهل العيوب

و كشفت القناع فاتّضح الأمـ # ر و أصلحت فاسدات القلوب

لست كابن الزبير لجلج في القو # ل و طأطأ عنان فسل مريب

و أبى اللّه أن يقوم بما قا # م به ابن الوصيّ و ابن النجيب

إنّ شخصا بين النبي-لك الخيـ # ر-و بين الوصيّ غير مشوب

و قال ابن أبي الحديد بعد إيراد الأبيات الّتي أوردنا مختصرا منها:

ذكر هذه الأشعار و الأراجيز بأجمعها أبو مخنف لوط بن يحيى في كتاب وقعة الجمل.

و أبو مخنف من المحدّثين و ممّن يرى صحّة الإمامة بالاختيار و ليس من الشّيعة و لا معدودا من رجالها.

و ممّا رويناه من أشعار صفّين الّتي تتضمّن تسميته (ع) بالوصيّ ما ذكره نصر بن مزاحم بن يسار المنقري في كتاب صفّين و هو من رجال الحديث.

الوصية في الأشعار الّتي قيلت بصفّين

لمّا كتب الإمام عليّ إلى جرير بن عبد اللّه البجلي و الأشعث بن قيس

الكندي و كانا من ولاة عثمان في البلاد الإيرانية فأجاب جرير بشعر جاء فيه:

أتانا كتاب عليّ فلم # نردّ الكتاب، بأرض العجم

و لم نعص ما فيه لمّا أتى # و لمّا نذمّ و لمّا نلم

و نحن ولاة على ثغرها # نضيم العزيز و نحمي الذّمم

نساقيهم الموت عند اللّقاء # بكأس المنايا و نشفي القرم

طحنّاهم طحنة بالقنا # و ضرب سيوف تطير اللّمم

مضينا يقينا على ديننا # و دين النبيّ مجلّي الظلم

أمين الإله و برهانه # و عدل البريّة و المعتصم

رسول المليك، و من بعده # خليفتنا القائم المدّعم

عليّا عنيت وصيّ النبيّ # نجالد عنه غواة الأمم

(37)

و ممّا قيل على لسان الأشعث في جواب كتاب الإمام (38) :

أتانا الرسول رسول عليّ # فسر بمقدمه المسلمونا

(37) صفّين ص 15-18. و ابن أبي الحديد 1/247. و راجع فتوح ابن أعثم 2/305.
(38) كان الأمراء إذا لم يكونوا ممّن ينظم الشعر يطلبون ممّن معهم في موارد خاصة أن ينظموا في الجواب عنهم و كان هذا المقام من الأشعث من تلك الموارد.

و جرير بن عبد اللّه البجلي: أسلم قبل وفاة النبيّ (ص) بأربعين يوما، شهد حرب القادسية.

أرسله رسول اللّه (ص) لتهديم صنم لخثعم في ذي الخلصة فذهب إليه و أحرقه. توفي سنة إحدى أو أربع و خمسين هجرية.

ترجمته في الاستيعاب. و أسد الغابة. و الإصابة.

و الأشعث بن قيس الكندي: أسلم مع وفد قومه إلى رسول اللّه (ص) في السنة العاشرة و لم يدفع الصدقة لجباة الخليفة أبي بكر، فقاتلوه و أسروه، فأطلقه الخليفة و زوّجه أخته أم فروة، و شهد بعض فتوح الشام و العراق، و استعمله عثمان على أذربيجان، و شهد صفّين مع عليّ و كان ممّن ألزم عليّا بالتحكيم و شهد الحكمين بدومة الجندل. و توفّي بالكوفة بعد مقتل الإمام عليّ بأربعين ليلة.

ترجمته في الاستيعاب. و أسد الغابة. و الإصابة.

رسول الوصيّ وصيّ النبيّ # له الفضل و السّبق في المؤمنينا

بما نصح اللّه و المصطفى # رسول الإله النبيّ الأمينا

يجاهد في اللّه، لا ينثني # جميع الطغاة مع الجاحدينا

وزير النبيّ و ذو صهره # و سيف المنيّة في الظالمينا

و قيل على لسانه أيضا:

أتانا الرسول رسول الوصيّ # عليّ المهذب من هاشم

رسول الوصيّ وصيّ النبيّ # و خير البرّية من قائم

وزير النبيّ و ذو صهره # و خير البريّة في العالم

له الفضل و السّبق بالصالحات # لهدي النبيّ به يأتمي

محمدا أعني رسول الإله # و غيث البريّة و الخاتم

أجبنا عليّا بفضل له # و طاعة نصح له دائم

فقيه حليم له صولة # كليث عرين بها سائم

(39)

و بعد أن أعطى معاوية مصر لعمرو طعمة ليعينه على قتال الإمام علي، قال الإمام في ذلك شعرا جاء فيه:

يا عجبا لقد سمعت منكرا # كذبا على اللّه يشيب الشعرا

يسترق السّمع و يغشي البصرا # ما كان يرضي أحمدا لو خبرا

ان يقرنوا وصيّه و الأبترا # شاني الرسول و اللّعين الأخزرا

و لمّا وقع خلاف بين جيش الإمام عليّ في عزل الأشعث من قيادة قبيلت و تعيين غيره [40] ، قال النّجاشي في ذلك:

(39) صفّين ص 20-24.
(40) صفّين ص 43.

رضينا بما يرضى عليّ لنا به # و إن كان في ما يأت جدع المناخر

وصيّ رسول اللّه من دون أهله # و وارثه بعد العموم الأكابر

(41)

و ممّا ورد في الأشعار الّتي قيلت في يوم صفين ما ورد في شعر النضر بن عجلان الأنصاري قوله:

قد كنت عن صفّين فيما قد خلا # و جنود صفّين لعمري غافلا

قد كنت حقّا لا أحاذر فتنة # و لقد أكون بذاك حقّا جاهلا

فرأيت في جمهور ذلك معظما # و لقيت من لهوات ذاك عياطلا

كيف التفرّق و الوصيّ إمامنا # لا كيف إلاّ حيرة و تخاذلا

لا تعتبنّ عقولكم لا خير في # من لم يكن عند البلابل عاقلا

و ذروا معاوية الغويّ و تابعوا # دين الوصيّ تصادفوه عاجلا

(42)

و قال حجر بن عديّ الكندي:

يا ربّنا سلّم لنا عليّا # سلّم لنا المهذب النقيا

المؤمن المسترشد المرضيا # و اجعله هادي أمّة مهديا

لا خطل الرأي و لا غبيا # و احفظه ربّي حفظك النبيا

فإنّه كان له وليّا # ثم ارتضاه بعده وصيّا

(43)

---

(41) صفّين ص 137.

و العموم جمع العمّ.

و النجاشي قيس بن عمرو: شاعر مخضرم. اشتهر في الجاهلية و الإسلام. أصله من نجران اليمن. سكن الكوفة. توفّي نحو 40 هـ. الأعلام للزركلي

(42) صفّين ص 365.

(43) صفّين ص 381. و قد ورد إنشاده هذه الأبيات في شرح النهج لابن أبي الحديد في حرب الجمل.

و حجر بن عدي الكندي المعروف بحجر الخير: وفد على النبيّ (ص) و شهد القادسية و شهد مشاهد الإمام عليّ و كان على كندة بصفّين. و أرسله زياد مع جماعة إلى معاوية فقتلهم بمرج

و قال عبد الرحمن بن ذؤيب الأسلمي:

ألا أبلغ معاوية بن حرب # أمالك لا تنيب إلى الصواب

أ كلّ الدهر مرجوس لغير # تحارب من يقوم لدى الكتاب

فإن تسلم و تبقى الدهر يوما # نزرك بجحفل شبه الهضاب

يقودهم الوصيّ إليك حتّى # يردك عن عوائك و ارتياب

(44)

و قال المغيرة بن الحارث بن عبد المطّلب:

يا شرطة الموت صبرا لا يهولكم # دين ابن حرب فإنّ الحقّ قد ظهرا

و قاتلوا كلّ من يبغي غوائلكم # فإنّما النصر في الضّرّا لمن صبرا

سيقوا الجوارح حدّ السّيف و احتسبوا # في ذلك الخير و ارجوا اللّه و الظفرا

و أيقنوا أنّ من أضحى يخالفكم # أضحى شقيّا و أضحى نفسه خسرا

فيكم وصيّ رسول اللّه قائدكم # و أهله و كتاب اللّه قد نشرا

(45)

و قال الفضل بن العبّاس أيضا:

وصيّ رسول اللّه من دون أهله # و فارسه إن قيل هل من منازل

(46)

و قال المنذر بن أبي حميصة الوادعي في شعره:

قعذراء سنة إحدى و خمسين هجرية. و قال حجر: إنّي لأوّل المسلمين كبّر في نواحيها، أي: عند ما فتحها المسلمون.

(44) صفّين ص 382 و (عوائك) : من العواء، اشتق اسم (معاوية) ، فان المعاوية: الكلبة تعاوي الكلاب.

(45) صفّين ص 385.

و المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب و هو أخو أبي سفيان بن الحارث الشاعر، و قال بعضهم إنّهما شخص واحد. ترجمتهما بأسد الغابة في الأسماء و الكنى.

(46) صفّين ص 416. و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط. الأولى 1/284.

و سيأتي تفصيل خبر البيت بعيد هذا إن شاء اللّه تعالى.

(47)

الوصيّة في كتاب ابن عباس

قال ابن عباس في وقعة صفّين في جواب كتاب معاوية: بسم اللّه الرحمن الرحيم أمّا بعد، فقد أتاني كتابك و فهمت ما سطرت فيه، فأمّا ما أنكرت من سرعتنا إلى أنصار عثمان بالمساءة و سلطان بني أميّة، فلعمري لقد أدركت حاجتك في عثمان حين استنصرك، فلم تنصره حتّى صرت إلى ما صرت إليه، و بينك و بينه في ذلك أخو عثمان لأمّه الوليد بن عقبة. و أمّا إغراؤك إيّانا بتيم و عدي، فأبو بكر و عمر خير من عثمان، كما أنّ عثمان كان خير منك.

و أمّا قولك إنّه لم يبق من رجال قريش إلاّ ستة رجال، فما أكثر رجالها و أحسن بقيتها، و قد قاتلك من خيارها من قاتلك و لم يخذلنا إلاّ من خذلك.

و أمّا ذكرك الحرب، فقد بقي لك منا ما ينسيك ما كان قبله و تخاف ما يكون بعده.

و أمّا قولك إنّي لو بايعني الناس لأسرعت إلى طاعتي، فقد بايع الناس عليّا، و هو أخو رسول اللّه (ص) و ابن عمّه و وصيّه و وزيره، و هو خير منّي، و أمّا أنت فليس لك فيها حقّ، لأنّك طليق و ابن طليق و رأس الأحزاب و ابن آكلة الأكباد، و السلام.

---

(47) صفّين ص 436، و كان فارس همدان و شاعرهم. و وادعة: بطن من همدان. الاشتقاق لابن دريد.

و في ترجمته في الإصابة: له إدراك، و هو أوّل من جعل سهم البراذين دون سهم العراب فبلغ الخبر الخليفة عمر فأعجبه ذلك و قال: امضوها على ما قال. الإصابة 3/478.

فلما انتهى كتاب ابن عباس إلى معاوية و قرأه، قال: هذا فعلي بنفسي.

و اللّه لأجهدن أن لا أكاتبه سنة. ثمّ أنشأ يقول:

دعوت ابن عباس إلى أخذ خطّة # و كان امرأ أهدي إليه رسائلي

فأخلف ظنّي و الحوادث جمّة # و لم يك في ما نابني بمواصلي

و لم يك في ما جاء ما يستحقّه # و ما زاد أن أغلى عليه مراجلي

فقل لابن عباس أراك مخوّفا # بجهلك حلمي إنّني غير غافل

فأبرق و ارعد ما استطعت فإنّني # إليك بما يشجيك سبط الأنامل

و صفّين داري ما حييت و ليس ما # تربص من ذاك الوعيد بقاتلي

فأجابه الفضل بن العباس و هو يقول:

ألا يا ابن هند إنّني غير غافل # و إنّك ممّا تبتغي غير نائل

أ الآن لما أخبت الحرب نارها # عليك و ألقت بركها بالكلاكل

و أصبح أهل الشام صرعى فكلّهم # كفقعة قاع أو كشحمة آكل

و أيقنت أنا أهل حقّ و إنما # دعوت لأمر كان أبطل باطل

دعوت ابن عباس إلى السلم خدعة # و ليس لها حتّى يموت بقائل

فلا سلم حتّى يشجر الخيل بالقنا # و تضرب هامات الرجال الأوائل

و آليت لا تهدي إليه رسالة # إلى أن يحول الحول من رأس قابل

أردت بها قطع الجواب و إنما # رماك فلم يخطئ بثار المقاتل

و قلت له لو بايعوك تبعتهم # فهذا عليّ خير حاف و ناعل

وصيّ رسول اللّه من دون أهله # و فارسه إذ قيل هل من منازل

فدونكه إذ كنت تبغي مهاجرا # أشمّ بنصل السيف ليس بناكل

(48)

(48) كتاب الفتوح لابن أعثم 3/254-258. و صفّين ص 416. و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط. الأولى، 1/284.

و قال مالك الأشتر:

كل شيء سوى الإمام صغير # و هلاك الإمام خطب كبير

قد أصبنا و قد أصيب لنا اليو # م رجال بزل حماة صقور

واحد منهم بألف كبير # إنّ ذا من ثوابه لكثير

إنّ ذا الجمع لا يزال بخير # فيه نعمى و نعمة و سرور

من رأى غرّة الوصيّ عليّ # إنّه في دجى الحنادس نور

إنّه و الّذي يحجّ له النّا # س سراج لدى الظّلام منير

من رضاه إمامه دخل الجنّ # ة عفوا و ذنبه مغفور

بعد أن يقضي الّذي أمر اللّ # ه به ليس في الهدى تخبير

(49)

و نقل المسعودي في مروج الذهب: أ- في ذكر من رثى الإمام عليّا بعد استشهاده:

و في ذلك يقول آخر من شيعة علي رضي اللّه عنه:

تأسّ فكم لك من سلوة # تفرج عنك غليل الحزن

بموت النّبيّ و قتل الوصيّ # و قتل الحسين و سمّ الحسن

ب- في ذكر قتل حجر بن عدي:

(49) قال ابن اعثم في الفتوح (3/226) و الخوارزمي في المناقب ص 170 ما موجزه: إن الأشتر و سائر أصحاب الإمام علي (ع) افتقدوه يوما بصفين فبحثوا عنه و وجدوه تحت رايات ربيعة فرأى الإمام الأشتر متغيرا عن حاله باكيا فقال له: ما خبرك يا مالك أفقدت ابنك أم أصابك غير ذلك؟ فجعل الأشتر ينشد و يقول... الأبيات.

حماة: جمع حام و هو المدافع الّذي لا يقرب أو الأسد لحمايته.

الدّجى: جمع دجية و هي الظلمة.

الحنادس: جمع حندس، ليل حندس أي مظلم، و الحنادس ثلاث ليال من الشّهر لظلمتهنّ.

و إنّ قاتل حجر بن عدي قال له ساعة قتله:

إنّ أمير المؤمنين قد أمرني بقتلك، يا رأس الضلال و معدن الكفر و الطغيان و المتولي لأبي تراب، و قتل أصحابك، إلاّ أن ترجعوا عن كفركم و تلعنوا صاحبكم و تتبرّءوا منه، فقال حجر و جماعة ممن كان معه: إنّ الصبر على حدّ السيف لأيسر علينا ممّا تدعونا إليه، ثمّ القدوم على اللّه و على نبيّه و على وصيّه أحبّ إلينا من دخول النّار (50) .

و قال علي بن محمد بن جعفر العلوي فيمن انتمى إلى سامة بن لؤي بن غالب:

و سامة منّا فأمّا بنوه # فأمرهم عندنا مظلم

أناس أتونا بأنسابهم # خرافة مضطجع يحلم

و قلنا لهم مثل قول الوصـ # يّ و كلّ أقاويله محكم

إذا ما سئلت فلم تدر ما # تقول فقل: ربّنا أعلم

(51)

الوصية في شعر المأمون

قد دفعت سياسة التقرّب إلى العلويّين الخليفة العبّاسيّ المأمون، أن ينتخب الإمام عليّا الرضا وليّا للعهد و يذكر الوصيّة في شعره؛ فقد قال:

ألام على حبّي الوصيّ أبا الحسن # و ذلك عندي من أعاجيب ذا الزمن

(52)

---

(50) مروج الذهب أ: في 2/428، و ب: 3/4.

(51) المسعودي في ذكر خبر ولد سامة أواخر ترجمة الإمام عليّ 2/408. و ولد سامة الّذين تكلّموا في انتسابهم إليه هم بنو ناجية.

أمّا علي بن محمد بن جعفر العلوي، فإنّ جعفرا هذا هو الإمام جعفر الصادق بن الباقر و عليّ ابنه. نسبه في الأنساب لابن حزم ص 61

(52) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 2/22.

و قال أيضا:

و من غاو يغصّ عليّ غيظا # إذا أدنيت أولاد الوصيّ

(53)

اشتهار لقب الوصيّ للإمام عليّ (ع) مدى القرون

و روى المبرد في الكامل و قال: قال الكميت:

و الوصيّ الّذي أمال التجو # بي به عرش أمة لانهدام

قال المبرد: قوله: الوصيّ، فهذا شيء كانوا يقولونه و يكثرون [54] .

إذا فالإمام عليّ كان مشهورا بأنّه وصيّ الرسول (ص) حتّى أصبح الوصيّ لقبا له كما كان مشهورا بكنيته أبي تراب.

و استشهد المبرد على قوله بأنّ الامام عليّا كان مشهورا بلقب الوصيّ بما ورد في شعر أبي الأسود الدؤلي قوله: (الوصي) مع اسم حمزة و العبّاس، بلا تعريف لأحدهم حيث قال:

---

(53) المحاسن و المساوئ للبيهقي 1/105.

(54) التجوبي هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي التدؤلي، قاتل الإمام عليّ (ع) . و قيل له التجيبي و التجوبي نسبة إلى المحلة الّتي كان يسكنها بمصر قبل هجرته إلى الكوفة. راجع الهامش رقم 31 من هذا الفصل.

الكامل للمبرد، ط. مكتبة المعارف، بيروت 2/151.

و المبرد هو: أبو العباس، محمد بن يزيد الأزدي الثمالي البصري. قال الخطيب البغدادي بترجمته: شيخ أهل النحو و حافظ علوم العربية، من تأليفه: الكامل في اللغة. توفّي ببغداد سنة 285 هـ، ترجمته بتاريخ بغداد 3/380، و كشف الظنون، مادة: (الكامل) .

و الكميت: أبو المستهل ابن زيد الأسدي، من أهل الكوفة. كان عالما بآداب العرب و لغاتها و أخبارها و أنسابها، ثقة في علمه. ترجم شعره الهاشميات إلى الألمانية، (ت: 126 هـ) . الأعلام للزركلي 6/92.

أحبّ محمّدا حبّا شديدا # و عبّاسا و حمزة و الوصيّا

(55)

و قول الحميريّ:

إنّي أدين بما دان الوصيّ به # يوم النخيلة من قتل المحلينا

(56)

و قوله أيضا:

و اللّه منّ عليهم بمحمّد # و هداهم و كسا الجنوب و أطعما

ثمّ انبروا لوصيّه و وليّه # بالمنكرات فجرعوه العلقما

(57)

و قال إمام الشافعية، محمد بن إدريس (ت 204 هـ) :

إن كان حبّ الوصيّ رفضا # فإنّني أرفض العباد

(58)

و قال ابن دريد:

أهوى النبيّ محمّدا و وصيّه # و ابنيه و ابنته البتول الطاهرة

(59)

---

(55) الكامل للمبرد 2/152. و أورده أبو الفرج بترجمة الحميري في الأغاني، ط. ساسي، 7/10.

و أبو الأسود: ظالم بن عمرو الدؤلي، من الفقهاء و الأعيان و الشعراء، واضع علم النحو، رسم له علي بن أبي طالب شيئا من أصول النحو فكتب فيه أبو الأسود، و أخذ عنه جماعة، و هو أول من نقط المصحف، شهد مع عليّ (ع) صفّين، توفّي بالبصرة سنة 69 هـ. الأعلام للزركلي 3/34. و راجع العقد الفريد ط. مصر عام 1372، 3/211.

(56) الكامل للمبرد 2/175، و أورد البيت و تفصيل سبب إنشاد السيد الحميري الشعر، في الأغاني، ط. ساسي 7/21 يوم الخريبة.

و السيد الحميري، إسماعيل بن محمد، كان واحدا من ثلاثة، أكثر الناس شعرا في الجاهلية و الإسلام، كان مقدما عند الخليفتين المنصور و المهدي العبّاسيّين، توفي سنة 173 هـ. الأعلام للزركلي 1/320.

(57) في ترجمة السيد الحميري، من الأغاني 9/6 يوم الخريبة.

(58) ديوان الشافعي ص 35، ط. بيروت، 1403 هـ.

(59) بترجمة ابن دريد في الكنى و الألقاب 1/274.

و في ديوان المتنبي:

و قيل للمتنبي: ما لك لم تمدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رض) ؟ فقال:

و تركت مدحي للوصيّ تعمّدا # إذ كان نورا مستطيلا شاملا

و إذا استقل الشيء قام بذاته # و كذا ضياء الشمس يذهب باطلا

(60)

و البيت الثاني جرى مجرى الأمثال بهذا اللفظ:

و إذا استطال الشيء قام بنفسه # و صفات ضوء الشمس تذهب باطلا

61

و قال يمدح أبا القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي كما في ديوانه أيضا:

هو ابن رسول اللّه و ابن وصيّه # و شبههما شبهت بعد التجارب

62

و قال شيخ الإسلام الحمويني الجويني (ت: 722 هـ) :

أخو أحمد المختار صفوة هاشم # أبو السادة الغرّ الميامين مؤتمن

وصيّ إمام المرسلين محمّد # علي أمير المؤمنين أبو الحسن

-الأبيات

63

. و قال أيضا:

أخي خاتم الرسل الكرام محمّد # رسول إله العالمين مطهر

قو ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري شاعر نحوي، لغوي و من مؤلفاته: الجمهرة (ت: 321 هـ) .

(60) ديوان أبي الطيب المتنبي (ت: 468 هـ) تحقيق فريدرخ، ص: 856، ط. برلين، سنة 1861 م.

(61) ورد بهذا اللّفظ في ترجمة أبي نواس في الكنى و الألقاب 1/162.

(62) ديوان المتنبّي ص 333.

(63) في مقدّمة كتابه فرائد السّمطين، الورقة: 2 ب، مخطوطة مصورة المكتبة المركزية بجامعة طهران برقم 1690/1164. جمع في البيت الثاني بين ذكر الاسم (علي) و ذكر الصفة (وصيّ) .

عليّ وصيّ المصطفى و وزيره # أبي السادة الغرّ البهاليل حيدر

64

و قال السيّد محمد حبيب العبيدي (ت 1383 هـ) مفتي الموصل، أيّام ثورة العراقيين عام 1920 ميلاديّة، عند احتلال بريطانيا للعراق و في دحض ادعاء بريطانيا أنّ لها حقّ الوصاية على العراق و العراقيين. في صرخته الأولى، كما سمّاها في ديوانه:

أيّها الغرب جئت شيئا فريّا # ما علمنا غير الوصي وصيّا

قسما بالقرآن و الإنجيل # ليس نرضى وصاية لقبيل

أو تسيل الدماء مثل السيول # أ فبعد الوصي زوج البتول

نحن نرضى بالإنكليز وصيّا؟ # دون ملك العراق بين الطلول

لأبي عبد اللّه نجل البتول # قد أريقت دماء خير قتيل

أ فبعد الحسين سبط الرسول # نحن نرضى بالإنكليز وصيّا؟

قد ظلمنا العراق يا ساكنيه # إنّ دمع النساء لا يجديه

حين تبكي السبطين أو تبكيه # أ فمن بعد المجتبى و أخيه

نحن نرضى بالإنكليز وصيّا؟ # يا محبّي آل النبيّ الكرام

أ يكون العراق ملك اللئام # و هو ميراث آل خير الأنام

أ فبعد الائمة الأعلام # نحن نرضى بالإنكليز وصيّا؟

(64) في أوّل السمط الأول من كتابه فرائد السّمطين، الورقة: 7 ب.

و قال في صرخته الثانية:

اشهدوا يا أهل الثرى و الثريا # قد أبت شيعة الوصيّ وصيّا

قد نكثنا عهد النبيّ لدينا # و احتملنا إثما و عارا و شينا

إن قبلنا وصاية و غوينا # أ فلا يسخط الوصيّ علينا

إن رضينا بالإنكليز وصيّا؟ # ما عسى أن نقول يوم الجزاء

لنبيّ الهدى أبي الزهراء # و الشهيد المقيم في كربلاء

و إمام الهدى بسامراء # إن رضينا بالإنكليز وصيّا؟

و قال أيضا في قصيدة ثانية:

لست منّا و لم نكن منك شيّا # فلما ذا تكون فينا وصيّا

لم تكن يا ابن لندن علويّا # هاشميّا و لم تكن قرشيّا

لا و لا مسلما و لا عربيّا # من بني قومنا و لا شرقيّا

فلما ذا تكون فينا وصيّا؟

إلى قوله:

لا تقل جعفريّة حنفيّة # لا تقل شافعيّة زيديّة

جمعتنا الشريعة الأحمديّة # و هي تأبى الوصاية الغربيّة

فلما ذا تكون فينا وصيّا؟

قد سئمنا سياسة التفريق # و اهتدينا إلى سواء الطريق

يا عدوا لنا بثوب صديق # أنت بين الوصيّ و الصديق

لست إلاّ مزوّرا أجنبيّا # فلما ذا تكون فينا وصيّا

65

كلّ ما ذكرناه في شأن الوصيّ و الوصية كان مشهورا لدى أتباع مدرسة الخلفاء منذ القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع عشر فقد قال الضبّي من عسكر عائشة يوم الجمل:

نحن بنو ضبّة أعداء عليّ # ذاك الّذي يعرف قدما بالوصيّ

كانوا يلقّبون الإمام عليّا بالوصيّ و يلقّبونه مع الأحد عشر من بنيه بالأوصياء كما قاله الخليفة العباسي هارون الرشيد في ما أخبر عمّا يقع من القتال بين ولديه الأمين و المأمون.

كانوا يلقبون الإمام عليّا بالوصي في حال الغفلة عن معنى هذا اللقب و مغزاه. أما في حال التنبه إلى معنى هذا اللقب و مغزاه فقد كانوا ينكرونه حينا و يكتمونه حينا آخر، و يحرفون الكلام عن مواضعه آونة أخرى. كما سندرس كل ذلك في البحوث الآتية إن شاء اللّه تعالى.

(65) ثورة العشرين في ذكراها الخمسين، معلومات و مشاهدات بقلم السيّد محمد علي كمال الدين. مطبعة التضامن، 1391 هـ-1971 م، ص 319-320.

مدرسة الخلفاء تبذل جهودا كبيرة في سبيل كتمان أخبار الوصيّة و تأويل ما انتشر منها

إنّ أوّل من وجدناه يفعل ذلك، أمّ المؤمنين عائشة في ما روي عنها من حديث، غير أنّ حديثها في إنكار الوصية يدل على اشتهار الإمام عليّ بلقب (الوصي) في عصرها، كما نبيّن ذلك في ما يأتي:

حديث عائشة يدلّ على أنّ عليّا كان وصيّ الرسول (ص)

و ممّا يدلّ على أنّ الإمام عليّا كان مشهورا بين الصحابة بأنّه وصيّ رسول اللّه (ص) مضافا إلى ما أوردناه؛ رواية أمّ المؤمنين عائشة كما في صحيح مسلم، قال:

ذكروا عند عائشة أن عليّا كان وصيّا فقالت:

متى أوصى إليه فقد كنت مسندته إلى صدري-أو قالت: حجري- فدعا بالطست فلقد انخنث في حجري و ما شعرت أنّه قد مات، فمتى أوصى إليه [1] !؟

---

(1) صحيح مسلم، شرح النووي، كتاب الوصية، 11/89. و صحيح البخاري، كتاب

كانت أمّ المؤمنين عائشة بحاجة إلى استنفار النّاس لحرب الإمام عليّ و الّتي سمّيت في التاريخ باسم حرب الجمل، و من ثمّ نرى أنّ هذه المذاكرة لم تجر عفوا، و إنّما كانت شبيهة بالاحتجاج عليها في ما اشتهر للإمام بأنّه وصيّ النبيّ، و كان هذا الموقف منها متناسبا مع هذا الواقع التاريخي، و كذلك متناسبا مع مواقفها الأخرى من الإمام عليّ؛ فقد روى ابن سعد عن عائشة، في خبر مرض رسول اللّه (ص) أنّها قالت:

فخرج بين رجلين تخطّ رجلاه في الأرض بين ابن عبّاس-تعني الفضل-و بين رجل آخر؛ قال عبيد الله: فأخبرت ابن عباس بما قالت، قال:

فهل تدري من الرجل الآخر الّذي لم تسمّ عائشة؟قال: قلت: لا!قال ابن عباس: هو عليّ!إنّ عائشة لا تطيب له نفسا بخير [2] .

و في حديث آخر ورد في مسند أحمد 6/113: جاء رجل فوقع في عليّ و في عمّار عند عائشة فقالت:

أمّا عليّ، فلست قائلة لك فيه شيئا؛ و أمّا عمّار فإنّي سمعت رسول اللّه (ص) يقول فيه: «لا يخيّر بين أمرين إلاّ اختار أرشدهما» .

هكذا كانت أمّ المؤمنين تدفع عن عمّار الوقيعة و تسكت عمّن ينال من الامام عليّ (ع) .

و في حديث ثالث: و في صحيحي البخاري و مسلم و غيرهما و اللّفظ لمسلم:

قالمغازي باب مرض النبي، 3/65، و كتاب الوصية، باب الوصايا. و فتح الباري 6/291.

و مسند أحمد 6/32.

(2) طبقات ابن سعد، ط. بيروت 2/232.

و قد أورد البخاري الحديث نفسه في صحيحه باب مرض النبي و وفاته 3/63، و هذا لفظه:

(فقال ابن عبّاس: هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسمّ عائشة؟ قال قلت: لا، قال ابن عبّاس: هو علي بن أبي طالب) .

حذف البخاري من الحديث قول ابن عباس: (ان عائشة لا تطيب له نفسا بخير) .

عن عائشة أنّ رسول اللّه (ص) بعث رجلا على سريّة و كان يقرأ لأصحابه في صلاتهم ب **قُلْ هُوَ اَللّٰهُ أَحَدٌ** فلمّا رجعوا ذكر لرسول اللّه (ص) فقال: سلوه لأيّ شيء يصنع ذلك. فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحبّ أن أقرأ بها. فقال رسول اللّه (ص) : أخبروه أنّ اللّه يحبّه [3] .

ترى من يكون هذا الرجل الّذي يحبّه اللّه و لم تر عائشة أن تذكر اسمه؟إنّه لو كان والدها الخليفة أبا بكر أو الخليفة عمر أو غيرهما من ذوي عصبتها مثل ابن عمّها طلحة و نظرائهم، لذكرت اسمه؛ و مهما بحثنا في مصادر مدرسة الخلفاء لم نجد اسمه، فاضطررنا إلى مراجعة مصادر مدرسة أهل البيت، فوجدنا الخبر في تفسير سورة الإخلاص من تفسير مجمع البيان و تفسير البرهان، و باب معنى **قُلْ هُوَ اَللّٰهُ أَحَدٌ** من كتاب التوحيد للشيخ أبي جعفر محمّد بن علي الصّدوق (ت: 381 هـ) و اللّفظ للأخير:

عن الصحابي عمران بن حصين:

أنّ النبيّ (ص) بعث سريّة و استعمل عليها عليّا (ع) . فلمّا رجعوا سألهم، فقالوا: كلّ خير، غير أنّه قرأ بنا في كلّ صلاة ب **قُلْ هُوَ اَللّٰهُ أَحَدٌ** .

فقال: لم فعلت هذا؟فقال: لحبّي ل **قُلْ هُوَ اَللّٰهُ أَحَدٌ** . فقال النبيّ (ص) : ما أحببتها حتّى أحبّك اللّه عزّ و جلّ [4] .

---

(3) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة **قُلْ هُوَ اَللّٰهُ أَحَدٌ** ح 263، ص 557.

و صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبيّ (ص) أمته في توحيد اللّه تبارك و تعالى 4/182.

(4) تفسير مجمع البيان للشيخ أبي علي أمين الدين، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: 548 هـ) ، تصحيح أحمد عارف الزين، مطبعة العرفان، صيدا، سنة 1333-1356 هـ 10/567. و تفسير البرهان للسيد هاشم البحراني، (ت: 1107 أو 1109 هـ) ط. الثالثة، قم سنة 1394 هـ 4/521. و توحيد الصدوق، ط. طهران، سنة 1387 هـ ص 94 ح 11.

و عمران بن حصين أبو نجيد الخزاعي، أسلم عام خيبر، بعثه عمر ليفقّه أهل البصرة، و كان من فضلاء الصحابة و مجاب الدعوة، توفي بالبصرة سنة 52 هـ. أسد الغابة 4/137-138.

و لصحّة هذا الحديث شاهدان قويّان: أ- في صحيح البخاريّ و غيره أنّ أمّ المؤمنين عائشة عبّرت في حديثها عن الإمام عليّ بلفظ: رجل، و كذلك فعلت في هذا الحديث.

ب- ورد في صحيح البخاريّ و غيره أنّ رسول اللّه (ص) قال لعليّ يحبّه اللّه كما قال في هذا الحديث: أحبّك اللّه.

هكذا لا تذكر أمّ المؤمنين عائشة اسم عليّ (ع) في حديثها و تكنّي عنه بالرجل؛ و لم تقتصر على هذا المقدار من الجفوة بل زادت، كما سنذكر بعضها في ما يأتي:

أمّ المؤمنين تظهر السرور بقتل الإمام علي (ع)

و أكثر من كلّ ما ذكرناه ما رواه أبو الفرج في مقتل الإمام علي (ع) و قال:

(لمّا أن جاء عائشة قتل الإمام علي، سجدت) [5] أي: سجدت شكرا للّه ممّا بشّروها به.

و روى الطبري و أبو الفرج و ابن سعد و ابن الأثير و قالوا:

لمّا أتى عائشة نعي عليّ قالت:

فألقت عصاها و استقر بها النوى # كما قرّ عينا بالإياب المسافر

ثمّ قالت: من قتله؟فقيل: رجل من مراد، فقالت:

فإن يك نائيا فلقد نعاه # غلام ليس في فيه التراب

فقالت زينب بنت أمّ سلمة: أ لعليّ تقولين هذا؟فقالت: إذا نسيت فذكروني [6] .

---

(5) مقاتل الطالبيين، ط. القاهرة، سنة 1368 هـ، ص 43.
(6) تاريخ الطّبري في ذكر سبب مقتل أمير المؤمنين من حوادث سنة 40 هـ، ط. أوربا 1/3466. و كذلك ابن الاثير، ط. أوربا 3/331، و ط. الأولى، 3/157. و طبقات ابن سعد 3/27. و مقاتل الطالبيين ص 42، و في لفظه: (بغاه غلام) ، و في لفظ غيره: (نعاه) .

ثمّ تمثّلت:

ما زال إهداء القصائد بيننا # باسم الصديق و كثرة الألقاب

حتّى تركت كأنّ قولك فيهم # في كلّ مجتمع طنين ذباب

(7)

مقارنة أحاديث أمّ المؤمنين عائشة بأحاديث غيرها

كان ما ذكرناه بعض مواقف أمّ المؤمنين عائشة من الإمام عليّ (ع) .

أمّا قولها: (متى أوصى إليه، و انخنث فمات في صدري أو حاقنتي و ذاقنتي) (8) .

فقد تفرّدت هي بروايته و تعارضه الروايات الآتية:

قال ابن سعد في طبقاته: باب من قال توفي رسول اللّه (ص) في حجر عليّ بن أبي طالب، عن الإمام عليّ:

«قال: قال رسول اللّه (ص) في مرضه: ادعوا لي أخي؛ قال: فدعي له علي، فقال: ادن منّي. فدنوت منه فاستند إليّ فلم يزل مستندا إليّ و إنّه ليكلّمني حتّى أن بعض ريق النبيّ (ص) ليصيبني. ثمّ نزل برسول اللّه (ص) و ثقل في حجري... » الحديث.

و روى عن عليّ بن الحسين، قال:

(قبض رسول اللّه (ص) و رأسه في حجر عليّ) .

و عن الشعبي، قال:

(توفّي رسول اللّه (ص) و رأسه في حجر عليّ و غسله عليّ...) الحديث.

---

(7) ورد تمثل أمّ المؤمنين بالبيتين في مقاتل الطالبيين ص 42.

(8) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، الباب الاول، 2/84. و كتاب المغازي، باب مرض النبيّ 3/63 منه، و صحيح مسلم كتاب الوصية باب: 19، و ابن ماجة كتاب الجنائز، باب 64، و مسند أحمد 6/32، 64 و 77، و الطبري 1/1814. و راجع قبله ص: 298 من هذا الكتاب.

و روى عن أبي غطفان، قال:

(سألت ابن عبّاس: أ رأيت رسول اللّه (ص) توفّي و رأسه في حجر أحد؟قال: توفّي و هو لمستند إلى صدر عليّ، قلت: فإنّ عروة حدثني عن عائشة أنها قالت: توفي رسول اللّه (ص) بين سحري و نحري!فقال ابن عبّاس: أ تعقل؟و اللّه لتوفّى رسول اللّه (ص) و إنه لمستند إلى صدر عليّ، و هو الّذي غسله...) الحديث.

و روى عن جابر بن عبد اللّه الأنصاري:

(أنّ كعب الأحبار قام زمن عمر فقال و نحن جلوس عند عمر أمير المؤمنين:

ما كان آخر ما تكلّم به رسول اللّه (ص) ؟فقال عمر: سل عليّا، قال:

أين هو؟قال: هو هنا. فسأله، فقال عليّ: أسندته إلى صدري فوضع رأسه على منكبي فقال: الصلاة الصلاة!فقال كعب: كذلك آخر عهد الأنبياء و به أمروا و عليه يبعثون. قال: فمن غسله يا أمير المؤمنين؟قال: سل عليا؛ قال:

فسأله فقال: كنت أنا أغسله و كان العباس جالسا و كان أسامة و شقران يختلفان إليّ بالماء) [9] .

لو كان النبيّ انخنث و توفّي بين سحر عائشة و نحرها أو حاقنتها و ذاقنتها، كما قالت هي، لقال الخليفة عمر لكعب الأحبار: سل أمّ المؤمنين عائشة عن آخر ما تكلّم به رسول اللّه (ص) و لم يكن يحيله على الإمام علي (ع) .

و أقوى من كلّ الروايات السّابقة رواية من شهدت ذلك من أمّهات المؤمنين و هي أمّ سلمة قالت:

---

(9) هذه الأحاديث الخمسة في طبقات ابن سعد، باب: من قال: توفي رسول اللّه (ص) في حجر عليّ بن أبي طالب. ط. أوربا 2/ق 2/51.

(و الّذي أحلف به أن كان عليّ لأقرب النّاس عهدا برسول اللّه (ص) عدناه غداة و هو يقول: جاء عليّ؟جاء عليّ؟-مرارا-فقالت فاطمة كأنّك بعثته في حاجة. قالت: فجاء بعد، فظننت أنّ له إليه حاجة، فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب، قالت أمّ سلمة: و كنت من أدناهم إلى الباب، فأكبّ عليه رسول اللّه (ص) و جعل يسارّه و يناجيه، ثمّ قبض (ص) من يومه ذلك، فكان أقرب الناس به عهدا) [10] .

و في رواية عبد اللّه بن عمرو:

(أنّ رسول اللّه (ص) قال في مرضه: ادعوا لي أخي-إلى قوله-فدعي له عليّ فستره بثوبه و أكبّ عليه...) [11] الحديث.

و ممّا قاله الإمام عليّ (ع) عن وفاة رسول اللّه (ص) قوله:

(فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك، و فاضت بين نحري و صدري نفسك، فإنّا للّه و إنّا إليه راجعون) [12] .

و قال أيضا:

(و لقد قبض رسول اللّه (ص) و إنّ رأسه لعلى صدري. و لقد سالت نفسه في كفّي، فأمررتها على وجهي. و لقد وليت غسله (ص) و الملائكة أعواني، فضجّت الدار و الأفنية، ملأ يهبط، و ملأ يعرج، و ما فارقت سمعي

(10) أخرجه الحاكم في مستدركه 3/138 و قال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، و اعترف بصحّته الذهبي في تلخيص المستدرك، و أخرجه ابن عساكر في باب: أنه كان أقرب الناس عهدا برسول اللّه (ص) ، من ترجمة الإمام عليّ 3/14-17 بطرق متعددة، و في مصنف ابن أبي شيبة 6/348. و مجمع الزوائد 9/112. و كنز العمال، ط. الثانية؛ كتاب الفضائل، فضائل علي بن أبي طالب، ح 374، 15/128 و أخرجه سبط ابن الجوزي، في تذكرة خواص الأمة، باب حديث النجوى و الوصية عن كتاب الفضائل لأحمد بن حنبل.

(11) كنز العمال، ط. الأولى، 6/392. و تاريخ ابن كثير 7/359. و ترجمة الإمام علي من تاريخ ابن عساكر، ط. بيروت، سنة 1395 هـ 2/484.

(12) نهج البلاغة، الخطبة: 202.

هينمة منهم يصلّون عليه حتّى واريناه في ضريحه) [13] .

مناقشة أحاديث أم المؤمنين عائشة

تفرّدت أمّ المؤمنين عائشة برواية، أنّ النبيّ (ص) توفّي في حجرها في مقابل كلّ تلكم الأحاديث.

و أغلب الظنّ كما قلنا سابقا أنّها قالت ذلك في حرب البصرة، أي بعد زمان الخليفتين عمر و عثمان، و كذلك يناسب هذا القول عصر معاوية حيث كان ينهى عن نقل فضائل الإمام و يأمر بنقل ما يناقضها.

و على فرض صحّة قول عائشة أنّ النبيّ (ص) توفّي على صدرها، هل كان ذلك مناقضا لما تواتر من أنّ الإمام عليّا كان وصيّ رسول اللّه (ص) ؟و أ لم يكن ثمّت زمان آخر ليدلي الرسول (ص) بوصاياه للإمام عليّ؟كما تدلّ عليه روايات كثيرة مثل ما رواه أصحاب السنن و المسانيد عن الإمام عليّ، قال:

(كان لي من رسول اللّه (ص) مدخلان: مدخل بالليل، و مدخل بالنهار، فكنت إذا أتيته و هو يصلّي تنحنح) [14] .

و في رواية:

(كانت لي من رسول اللّه (ص) منزلة لم تكن لأحد من الخلائق؛ إنّي كنت آتيه كلّ سحر فأسلّم عليه حتى يتنحنح...) [15] الحديث.

و من تاريخ ابن عساكر عن جابر:

(لمّا كان يوم الطّائف، ناجى رسول اللّه (ص) عليّا، فأطال نجواه فقال بعض أصحابه: لقد أطال نجوى ابن عمّه. فبلغه ذلك، فقال: ما أنا

---

(13) نهج البلاغة، الخطبة: 197.
(14) سنن ابن ماجة، كتاب الأدب، باب الاستئذان، ح 3708، و مسند أحمد 1/80.
(15) مسند أحمد 1/85 و 107 و يأتي تفصيله في باب مصادر الشريعة الإسلاميّة لدى مدرسة أهل البيت.

انتجيته؛ بل اللّه انتجاه) .

و في لفظ آخر للرّواية:

(فناجاه طويلا، و أبو بكر و عمر ينظران و النّاس، قال: ثمّ انصرف إلينا فقال الناس: قد طالت مناجاتك اليوم يا رسول اللّه!فقال: ما أنا انتجيته و لكنّ اللّه انتجاه) [16] .

أوردنا هذه الروايات من مصادر أخرى-أيضا-في باب ذكر حاملي علوم الرسول (ص) من هذا الكتاب، و في باب مصادر الشريعة الإسلاميّة لدى مدرسة أهل البيت (ع) .

مقارنة بين حديث أم المؤمنين عائشة و حديث الإمام علي (ع)

تفرّدت أمّ المؤمنين عائشة برواية ما أخبرت به عن خبر آخر ساعات حياة الرسول الأكرم (ص) أنه طلب طستا ليبول فانخنث و مات بين حاقنتها و ذاقنتها، و أمثال هذه الألفاظ، أضف إليه حديثها و حديث غيرها في بدء نزول الوحي:

أنّ رسول اللّه (ص) عند ما تلقّى أوّل وحي هبط به جبرائيل من اللّه بآيات سورة اقرأ، شكّ في جبرائيل أنّه شيطان يريد أن يتلعّب به، و شكّ في الآيات الكريمة أنّها من قبيل سجع الكهان حتى طمأنه الرجل النصرانيّ ورقة بن نوفل أنه نبيّ أوحي إليه كموسى بن عمران، فاطمأنّ و أدرك أنه نبيّ،

---

(16) أخرج الحديثين ابن عساكر بترجمة الإمام علي 2/310 و 311، و ابن كثير في تاريخه 7/356، و في شرح نهج البلاغة ط. مصر الأولى 2/78 ما ملخّصه:

دخلت عائشة و هما يتناجيان، فقالت: يا عليّ ليس لي إلاّ يوم من تسعة أيام، أ فما تدعني يا ابن أبي طالب!؟

إلى أحاديث أخرى لهذه المدرسة عن سيرة رسول اللّه (ص) .

إنّ تلكم الأحاديث كما ذكرنا في البحوث التمهيديّة كوّنت رؤية خاصّة عن رسول اللّه (ص) لمن يعتقد بها، تحطّ من مقام أفضل الرسل عن مستوى الإنسان العادي، و لهذا حقّ للرجل (ذي المعرفة) السعودي أن يقول: محمد رجّالا مثلي مات.

أمّا في حديث الإمام عليّ عن بدء نزول الوحي و هو الشاهد الوحيد الّذي كان عندئذ مع الرّسول (ص) في غار حراء: أنّه سمع رنّة حينئذ و أنّ الرّسول (ص) أخبره أنّ الرنّة من الشّيطان لأنّه أيس من عبادته.

و في حديثه أيضا: انّ اللّه قرن برسول اللّه (ص) منذ أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم و محاسن أخلاق العالم ليله و نهاره.

و في حديثه عن وفاة رسول اللّه (ص) أنّه أدناه إليه و أخذ يناجيه و يسرّ إليه و يوصي حتّى قبض (ص) [17] و سالت نفسه في كفّه فأمرّها على وجهه و أنّه أخذ في تغسيله و تكفينه و الملائكة أعوانه في ذلك، و قد ضجّت الدار و الأفنية ملأ يهبط و ملأ يعرج، و أنّه ما فارقت سمعه هينمة منهم يصلّون عليه حتّى و اراه في ضريحه.

إنّ أمثال هذه الأحاديث عن سيرة الرسول بمدرسة أهل البيت-أيضا-كوّنت رؤية خاصة لمن يعتقد بها، و لن يتيسّر تقارب بين المسلمين ما لم تدرس المجموعتان من الأحاديث معا دراسة مقارنة لنصل إلى الحقيقة المنشودة ثمّ يتفاهم الإخوة المسلمون في ضوء تلك الدراسات إن شاء اللّه تعالى.

و نؤكّد مرّة أخرى أنّ في مقدمة ما ينبغي دراسته دراسة مقارنة؛ أخبار سيرة الرسول الأكرم (ص) و تاريخ عصر الرسول (ص) و عصر من تشرّف بصحبته.

---

(17) و قد أيّد حديثه، حديث أم سلمة و غيرها في ذلك.

حديثان متعارضان من أم المؤمنين عائشة و موقفان مختلفان

روى ابن عساكر أنّ امرأتين سألتا عائشة، فقالتا:

يا أمّ المؤمنين أخبرينا عن عليّ، قالت: أي شيء تسألن عن رجل وضع يده من رسول اللّه (ص) موضعا فسالت نفسه في يده فمسح بها وجهه، و اختلفوا في دفنه، فقال: إنّ أحبّ البقاع إلى اللّه مكان قبض فيه نبيّه. قالت:

فلم خرجت عليه؟قالت: أمر قضي، لوددت أن أفديه بما في الأرض [18] .

إنّ حديثها هذا يتّفق مع حديث الإمام علي الّذي قال فيه:

قبض رسول اللّه (ص) و إنّ رأسه على صدري، و لقد سالت نفسه في كفّي و أمررتها علي وجهي.

و يتعارض مع حديثها:

(انخنث بين حاقنتي و ذاقنتي) .

و روى ابن عساكر-أيضا-عن عائشة أنّها قالت: قال رسول اللّه (ص) و هو في بيتها لمّا حضره الموت:

ادعوا لي حبيبي...

فدعوا عليّا فأتاه، فلمّا رآه أفرد الثوب الّذي كان عليه ثمّ أدخله فيه فلم يزل يحتضنه حتى قبض عليه [19] .

حديثها هذا يتّفق مع حديث عبد اللّه بن عمرو الّذي قال فيه:

(إنّ رسول اللّه قال في مرضه: ادعوا لي عليّا...) و يعارض

---

(18) كلا الحديثين أخرجهما ابن عساكر في ترجمة الإمام علي 3/15.
(19) كلا الحديثين أخرجهما ابن عساكر في ترجمة الإمام علي 3/15.

أحاديثها، في أنّ الرسول (ص) توفّي بين سحرها و نحرها، و أمثالها، و منشأ صدور الحديثين المتعارضين من أمّ المؤمنين عائشة؛ و سببه، اختلاف موقفها من الإمام علي. و بيانه:

موقفان مختلفان تجاه الإمام علي (ع)

بعد وفاة الرّسول (ص) بويع الخليفة أبو بكر، و بقي عليّ و معه جميع بني هاشم ستّة أشهر بحسب رواية أمّ المؤمنين عائشة لم يبايعوه حتى توفّيت فاطمة [20] ، ثمّ بقي الإمام عليّ بعيدا عن الساحة، حتّى أخريات خلافة عثمان، حيث قادت أمّ المؤمنين عائشة [21] المعارضين من طلحة و الزبير و غيرهما لمجابهة الخليفة أملا منها في أن يلي بعده ابن عمّها طلحة. و لمّا قتل عثمان و بايع المسلمون عليّا أقامت عليه حرب الجمل، و انكسرت فيها و أرجعها الإمام عليّ إلى المدينة، و بقيت حانقة عليه حتى استشهد، و مرّ بنا إظهارها للسّرور من مقتله، ثمّ ولي الحكم معاوية و جمع بينهما الموقف الواحد من الإمام، ثم فترت العلاقة بينهما على أثر قتل معاوية لحجر بن عدي.

و لمّا أراد معاوية أن يأخذ البيعة ليزيد، كان شقيقها عبد الرحمن بن أبي بكر من أشدّ المعارضين لبيعة يزيد، و خطب مروان في مسجد الرسول (ص) و كان واليا على الحجاز من قبل معاوية، فقال:

إنّ أمير المؤمنين قد اختار لكم، فلم يأل، و قد استخلف لابنه يزيد بعده.

فقام عبد الرحمن بن أبي بكر، فقال: كذبت و اللّه يا مروان!و كذب

(20) مرّ مصادر الخبر في بحث السقيفة من هذا الكتاب.
(21) أوردنا تفاصيل موقف عائشة من عثمان و معاوية في كتابنا: (أحاديث أم المؤمنين عائشة فصل:

مع معاوية، و أوردنا فهرستا من تلك الوقائع.

معاوية، ما الخيار أردتما لأمة محمّد، و لكنّكم تريدون أن تجعلوها هرقلية، كلّما مات هرقل قام هرقل.

فقال مروان: هذا الّذي أنزل الله فيه **وَ اَلَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا** الأحقاف/17.

فسمعت عائشة مقالته من وراء الحجاب، فقامت من وراء الحجاب، و قالت: يا مروان!يا مروان!فأنصت الناس، و أقبل مروان بوجهه، فقالت:

أنت القائل لعبد الرحمن أنه نزل فيه القرآن؟كذبت و اللّه ما هو به، و لكنّه فلان بن فلان، و لكنّك فضض من لعنة اللّه.

و في رواية، فقالت: كذب و اللّه ما هو به، و لكنّ رسول اللّه (ص) لعن أبا مروان و مروان في صلبه، فمروان فضض من لعنة اللّه عزّ و جلّ [22] .

و أخرج البخاري الحديث في صحيحه و قال:

(كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئا، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إنّ هذا الّذي أنزل اللّه فيه: **وَ اَلَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَ تَعِدَانِنِي** . فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل اللّه فينا شيئا من القرآن إلاّ أنّ اللّه أنزل عذري) [23] .

هكذا حذف البخاري قول عبد الرحمن: (تريدون أن تجعلوها هرقلية...) و أبدله بقوله: (قال شيئا) و حذف رواية أمّ المؤمنين عائشة في حقّ مروان. بينا أوردها ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري المسمّى بفتح

---

(22) تاريخ ابن الأثير 3/199 في ذكره حوادث سنة 56 هـ.

و الفضض: القطعة من الشيء.

(23) صحيح البخاري 3/126، باب **وَ اَلَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ** من تفسير سورة الأحقاف.

الباري مفصّلا، و في لفظ بعضها: و لكن رسول اللّه (ص) لعن أبا مروان و مروان في صلبه [24] .

و إنّما فعل الشيخ البخاري ذلك لأنّ معاوية و يزيدهما من خلفاء المسلمين، و لا يرى البخاريّ أن يسمع العامّة قول عبد الرحمن في حقّهما، أنّهما جعلا الخلافة هرقلية كلّما مات هرقل قام هرقل مقامه.

و حذف رواية أمّ المؤمنين عائشة في مروان-أيضا-لأنّ مروان أصبح خليفة للمسلمين و لا ينبغي ذكر ما يشينه. هكذا فعل الشيخ البخاري في صحيحة، فإنّه حذف كلّ شيء يشين الخلفاء و الحكّام في كلّ حديث ورد فيه من ذلك شيء. و من ثمّ اعتبرت مدرسة الخلفاء كتابه أصحّ الكتب بعد كتاب اللّه، و عدّ هو إمام أهل الحديث لديهم.

لمّا لم يستطع مروان أن يأخذ البيعة في الحجاز ليزيد، قدم معاوية الحجاز حاجّا و دخل المدينة، و كان من خبره ما رواه ابن عبد البرّ، حيث قال:

(قعد معاوية على المنبر يدعو إلى بيعة يزيد، فكلّمه الحسين بن علي، و ابن الزبير و عبد الرّحمن بن أبي بكر، فكان كلام ابن أبي بكر:

أ هرقلية!؟إذا مات كسرى كان كسرى مكانه؟لا نفعل و اللّه أبدا. و بعث إليه معاوية بمائة ألف درهم بعد أن أبى البيعة ليزيد، فردّها عليه عبد الرّحمن، و أبى أن يأخذها، و قال: أ بيع ديني بدنياي!؟فخرج إلى مكّة، فمات بها قبل أن تتمّ البيعة ليزيد بن معاوية) [25] .

---

(24) فتح الباري 10/197-198، و أخرج القصة بتفصيلها أبو الفرج في الأغاني 16/90-91. و راجع ترجمة الحكم بن أبي العاص من الاستيعاب و أسد الغابة و الإصابة و مستدرك الحاكم 4/481، و تاريخ ابن كثير 8/89 و الإجابة في ما استدركته عائشة على الصحابة، و ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر في تاريخ دمشق لابن عساكر.

(25) راجع ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر من الاستيعاب 2/393. و أسد الغابة 3/306.

و ذكر ابن عبد البرّ بعده و قال:

(إنّ عبد الرحمن مات فجأة بموضع يقال له: (الحبشي) [26] على نحو عشرة أميال من مكّة فدفن بها. و يقال: إنّه توفّي في نومة نامها، و لمّا اتّصل خبر موته بأخته عائشة أمّ المؤمنين (رض) ظعنت من المدينة حاجّة حتّى وقفت على قبره، و كانت شقيقته، فبكت عليه و تمثّلت:

و كنّا كندماني جذيمة حقبة # من الدهر حتّى قيل لن يتصدّعا

فلمّا تفرقنا كأني و مالكا # لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

[27]

أما و اللّه لو حضرتك لدفنتك حيث متّ مكانك، و لو حضرتك ما بكيتك)

.

و في مستدرك الحاكم:

(رقد في مقيل قاله، فذهبوا يوقظونه فوجدوه قد مات، فدخل في نفس عائشة تهمة أن يكون صنع به شرّ و عجل عليه فدفن و هو حيّ) [28] .

لو بقي عبد الرّحمن حيّا لما تمّت بيعة يزيد مع موقفه الصّارم ضد بيعته و معه أمّ المؤمنين عائشة، فمات في طريق مكّة، كما مات مالك الأشتر في طريق مصر مسموما بسمّ دسّه إليه معاوية [29] .

قو الإصابة 2/400. و شذرات الذهب في ذكر حوادث سنة 53 هـ، و قريب منه ما في مستدرك الحاكم 3/476.

(26) في معجم البلدان:

الحبشي: جبل بأسفل مكة، بينه و بين مكة ستة أميال، مات عنده عبد الرحمن بن أبي بكر فجأة، فحمل على رقاب الرجال إلى مكّة، فقدمت عائشة من المدينة و أتت قبره و تمثلت:

و كنا كندماني جذيمة.... البيتين.

(27) راجع ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر من الاستيعاب بهامش الإصابة 2/393.

(28) مستدرك الحاكم 3/476، و كذلك في تلخيص المستدرك للذهبي و قد ورد فيه:

(الحبشي) .

(29) راجع فصل: مع معاوية، من كتابنا (أحاديث أمّ المؤمنين عائشة)

مات عبد الرحمن ليفسح الطريق لبيعة يزيد، كما توفّي قبله الإمام الحسن بسمّ دسّه إليه معاوية. اغتيل عبد الرحمن في هذا السبيل، كما اغتيل سعد بن أبي وقّاص و عبد الرحمن بن خالد بن الوليد و لم يخف ذلك على أمّ المؤمنين عائشة، فأقامت على بني أميّة عامّة حربا شعواء من الدعاية القويّة ضدّهم بدأتها بنشر ما سمعته من النبيّ (ص) في شأن مروان و أبيه الحكم، و قابلت سياسة معاوية خاصّة و الّتي كانت ترمي إلى طمس فضائل بني هاشم عامّة و بيت الإمام خاصّة، لمقام الحسنين عند المسلمين، و هو يريد أن يورث الخلافة في عقبه و بلغ الأمر به أن أمر بلعن الإمام عليّ (ع) على منابر المسلمين، عندئذ قابلت أمّ المؤمنين عائشة هذه السّياسة مقابلة قويّة و أخذت تنشر في هذا الدور فضائل الإمام عليّ و شبليه الحسن و الحسين سبطي رسول اللّه (ص) و زوجته فاطمة ابنة رسول اللّه (ص) و من ثمّ روي عنها في فضائلهم بعض ما كانت سمعته من رسول اللّه (ص) و ما شاهدته، و من جملته الحديثان الآنفان المتعارضان مع أحاديثها الأخرى في وفاة الرسول (ص) .

كان موقف أمّ المؤمنين عائشة من حديث الوصيّة جزءا من عمل الخلافة القرشية مع أحاديث الرسول (ص) في شأن أهل بيته تبعا لسياسة عامّة قريش:

(ألاّ تجتمع النبوّة و الخلافة في بني هاشم) كما يأتي ذكرها في البحث الآتي بإذنه تعالى.

كتمان فضائل الإمام عليّ و نشر سبّه و لعنه و السبب فيهما

نبدأ في ما يأتي بذكر السبب في ذينك ثم نوالي إيراد أخبار كتمان فضائل الإمام علي و نشر سبّه و لعنه.

كرهت قريش أن تجتمع النبوّة و الخلافة في بني هاشم

روى الطبري محاورتين جرتا بين الخليفة عمرو ابن عباس و قال: قال الخليفة في إحداهما لابن عباس:

ما منع قومكم منكم؟-أي ما منع قومكم قريشا من ولايتكم- قال ابن عباس: لا أدري! قال عمر: لكنّي أدري، يكرهون ولايتكم لهم! قال ابن عباس: لم و نحن لهم كالخير!؟ قال: غفرا؛ يكرهون أن تجتمع فيكم النبوّة و الخلافة فيكون بجحا.

بجحا لعلّكم تقولون إن أبا بكر فعل ذلك، لا و اللّه و لكن أبا بكر أتى أحزم ما حضره. الحديث.

و في الثانية قال:

يا ابن عباس!أ تدري ما منع قومكم منكم بعد محمد؟

فكرهت أن أجيبه، فقلت: إن لم أكن أدري فأمير المؤمنين يدريني.

فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة و الخلافة فتبجحوا على قومكم بجحا بجحا؛ فاختارت قريش لأنفسها فأصابت و وفّقت.

فقلت: يا أمير المؤمنين!إن تأذن لي في الكلام و تمط عني الغضب تكلمت.

فقال: تكلم يا ابن عباس.

فقلت: أما قولك-يا أمير المؤمنين-اختارت قريش لأنفسها فأصابت و وفقت؛ فلو أنّ قريشا اختارت لأنفسها حيث اختار اللّه عزّ و جلّ لها لكان الصواب بيدها غير مردود و لا محسود، و أما قولك إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة و الخلافة؛ فإن اللّه عز و جل وصف قوما بالكراهية فقال: **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اَللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** .

فقال عمر: هيهات و اللّه يا ابن عباس؛ قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أقرّك عليها فتزيل منزلتك مني.

فقلت: و ما هي يا أمير المؤمنين؟فإن كانت حقّا فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، و إن كانت باطلا فمثلي أماط الباطل عن نفسه.

فقال عمر: بلغني أنك تقول: إنما صرفوها عنا حسدا و ظلما.

فقلت: أما قولك-يا أمير المؤمنين-ظلما فقد تبين للجاهل و الحليم، و أما قولك حسدا؛ فان إبليس حسد آدم فنحن ولده المحسودون.

فقال عمر: هيهات!أبت و اللّه قلوبكم-يا بني هاشم-إلاّ حسدا ما يحول، و ضغنا و غشا ما يزول.

فقلت: مهلا يا أمير المؤمنين!لا تصف قلوب قوم أذهب اللّه عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا بالحسد و الغش؛ فإن قلب رسول اللّه صلى اللّه عليه

و سلم من قلوب بني هاشم.

فقال عمر: إليك عني يا ابن عباس.

فقلت: أفعل.

فلما ذهبت أقوم استحيا مني فقال:

يا ابن عباس مكانك!فو اللّه إني لراع لحقّك، محبّ لما سرك.

فقلت: يا أمير المؤمنين!إن لي عليك حقّا و على كل مسلم؛ فمن حفظه فحظه أصاب، و من أضاعه فحظه أخطأ. ثم قام فمضى (1) .

وقفة تأمّل لدراسة الحديثين

في الحديثين صرح الخليفة عمر بأنّ قريشا كرهوا أن يجتمع في بني هاشم النبوّة و الخلافة فيتبجّح بنو هاشم على قريش بجحا أي يتباهوا بذلك على قريش مباهاة.

و قال في الثاني: (فاختارت قريش لأنفسها فاصابت و وفّقت) . إذا فقد بحثت قريش في أمر الولاية عن مصلحة أنفسهم-في ظاهر الأمر الدنيوي- و ليس مصلحة سائر المسلمين. و أي فرق للمسلمين أيّ قبيلة من قريش وليت الحكم بعد رسول اللّه (ص) .

و في تصويبه عمل قريش لم يستدل بغير قوله (اختارت قريش لأنفسها) و لم يذكر أي دليل آخر من كتاب اللّه أو سنّة رسوله (ص) .

و يستفاد من جواب ابن عباس (فلو أنّ قريشا اختارت لأنفسها حيث

---

(1) في ذكر سيرة عمر من حوادث سنة 23 هـ من تاريخ الطبري ط مصر الأولى، 30/1-32، و طبعة اوروبا، 2768/1-2772، و الثانية منهما-أيضا-في تاريخ ابن الأثير، 24/3-25، و اللفظ للطبري.

اختار اللّه عزّ و جلّ لها لكان الصواب بيدها) أمران:

أوّلا- إن اختيار قريش كان في غير ما اختاره اللّه، و يقصد حيث اختار اللّه الإمام عليّا (ع) . كما سنورد الآيات و الأحاديث في هذا الصدد بعيد هذا إن شاء اللّه تعالى.

ثانيا- إنه ليس لقريش أن تختار غير ما اختاره اللّه. و يشير بقوله هذا إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب:

وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اَللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ اَلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اَللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِيناً (36) .

و شدد النكير على كراهية قريش أن تجتمع النبوة و الخلافة في بني هاشم و قال:

إن اللّه عزّ و جلّ وصف قوما بالكراهية فقال: **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اَللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** (محمد/9) . و قد فصّلنا القول في مدلول حبط الأعمال في بحث «جزاء الأعمال» من كتاب «عقائد الإسلام» فليراجع.

و في جواب الخليفة لابن عباس لم يجد ردّا لدعوى ابن عباس أن قريشا اختاروا غير ما اختار اللّه و غير ما أنزل اللّه؛ بل جابهه بنقل ما بلغه أن ابن عباس قال: (إنّما صرفوها عنا حسدا و ظلما) و لم ينكر ذلك ابن عباس، بل أبان حجّته في هذا القول و قال:

(أمّا قولك: ظلما؛ فقد تبين للجاهل و الحليم) .

يعني ابن عباس من قوله هذا أنّ قوله: بأنّ بني هاشم ظلموا في تنحية الإمام علي عن الحكم ليس يخص ابن عبّاس وحده ليكون هو الذي كشف بقوله ذلك عن تلك الحقيقة، بل إن ذلك قد تبين لجميع الناس؛ العاقل الحصيف منهم، و الجاهل الخسيس و أجاب عن قوله (حسدا) و قال: (إن إبليس حسد آدم و نحن ولده

المحسودون) .

و لعلّ ابن عباس يشير في كلامه هذا إلى قوله تعالى في سورة آل عمران:

إِنَّ اَللَّهَ اِصْطَفىٰ آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْرٰاهِيمَ وَ آلَ عِمْرٰانَ عَلَى اَلْعٰالَمِينَ*`ذُرِّيَّةً بَعْضُهٰا مِنْ بَعْضٍ وَ اَللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (33-34) أي إنّ بني هاشم من ذريّة من حسده إبليس لأنّ اللّه اصطفاهم، و للذرية أسوة في ذلك بآبائهم.

و أخيرا جاش صدر الخليفة بالغيظ و لم يتحمل أقوال ابن عباس و قال له: (هيهات!أبت و اللّه قلوبكم يا بني هاشم إلاّ حسدا ما يحول، و ضغنا و غشا ما يزول) .

فأجابه ابن عباس و قال: (مهلا يا أمير المؤمنين!لا تصف قلوب قوم أذهب اللّه عنهم الرجس و طهّرهم تطهيرا بالحسد و الغشّ؛ فإنّ قلب رسول اللّه (ص) من قلوب بني هاشم) .

و نترك شرح كلمة الخليفة لما فيها من قسوة. أمّا كلمة ابن عباس فقد أشار فيها إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب: **إِنَّمٰا يُرِيدُ اَللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ اَلرِّجْسَ أَهْلَ اَلْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** (33) و لمّا لم يستطع الخليفة أن يرد على ابن عباس قوله أمره بالابتعاد عنه و قال له: (إليك عني يا ابن عباس!) أي ابتعد عنّي، و لمّا أطاع ابن عباس أمر الخليفة و أراد أن يقوم؛ لان عليه الخليفة و ختم الأمر بينهما بالحسنى، و استمرت الخلافة القرشية كسائر قريش في كرهها لاستيلاء بني هاشم على الحكم. كما يظهر ذلك من المحاورة التي دارت بين الخليفة و ابن عباس بعد موت عامل حمص حيث خاطب الخليفة ابن عباس بقوله:

يا ابن عباس!إن عامل حمص هلك، و كان من أهل الخير-و أهل الخير قليل-و قد رجوت أن تكون منهم، و في نفسي منك شيء لم أره منك،

و أعياني ذلك، فما رأيك في العمل؟ قال: لن أعمل حتّى تخبرني بالّذي في نفسك.

قال: و ما تريد إلى ذلك؟ قال: أريده، فإن كان شيء أخاف منه على نفسي، خشيت منه عليها الّذي خشيت، و إن كنت بريئا من مثله علمت أنّي لست من أهله، فقبلت عملك هنالك، فإنّي قلّما رأيتك طلبت شيئا إلاّ عاجلته.

فقال: يا ابن عباس!، إنّي خشيت أن يأتي عليّ الّذي هو آت و أنت في عملك فتقول: هلمّ إلينا و لا هلمّ إليكم دون غيركم... الحديث [2] .

يظهر أنّ هذه المحاورة جرت بينهما في اخريات حياة عمر. و جرى في آخر شهر من حياة الخليفة عمر ما رواه في هذا الصدد البخاري بسنده و قال:

عن ابن عباس أنّه قال: كنت أقرئ رجالا من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى و هو عند عمر بن الخطاب في آخر حجّة حجّها إذ رجع إليّ عبد الرحمن فقال: لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين اليوم، فقال: يا أمير المؤمنين!هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا؛ فو اللّه ما كانت بيعة أبي بكر إلاّ فلتة فتمت. فغضب عمر ثم قال: إنّي إن شاء اللّه لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم امورهم. قال عبد الرحمن فقلت: يا أمير المؤمنين! لا تفعل فإنّ الموسم يجمع رعاع الناس و غوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، و أنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير، و أن لا يعوها و أن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم

___

(2) مروج الذهب للمسعودي 2/321-322.

المدينة فإنها دار الهجرة و السنة، فتخلص بأهل الفقه و أشراف الناس فتقول ما قلت متمكنا، فيعي أهل العلم مقالتك، و يضعونها على مواضعها.

فقال عمر: أما و اللّه إن شاء اللّه لأقومنّ بذلك أول مقام أقومه بالمدينة.

قال ابن عباس: فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة فلما كان يوم الجمعة عجلنا الرواح حين زاغت الشمس حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا إلى ركن المنبر فجلست حوله تمس ركبتي ركبته فلم أنشب أن خرج عمر ابن الخطاب فلما رأيته مقبلا قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ليقولن العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف. فأنكر عليّ و قال: ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله؟فجلس عمر على المنبر فلما سكت المؤذنون قام فأثنى على اللّه بما هو أهله، ثم قال:

أما بعد!فإني قائل لكم مقالة قد قدّر لي أن أقولها، لا أدري لعلها بين يدي أجلي، فمن عقلها و وعاها فليحدّث بها حيث انتهت به راحلته، و من خشي أن لا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب عليّ-إلى قوله-ثم إنه بلغني أن قائلا منكم يقول: و اللّه لو مات عمر بايعت فلانا فلا يغترنّ امرؤ أن يقول إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة و تمت، ألا و إنها قد كانت كذلك و لكن اللّه وقى شرها، و ليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر. من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو و لا الذي بايعه تغرّة أن يقتلا. -إلى قوله في آخر الخطبة أيضا-فمن بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو و لا الذي بايعه تغرّة أن يقتلا [3] .

ياترى!من هو فلان المعزوم على بيعته؟و من هو فلان الذي أهاج بقوله

---

(3) صحيح البخاري 4/119-120، باب رجم الحبلى من الزنا من كتاب الحدود. و قد أوردنا مورد الحاجة من الخطبة ص 151 قبل هذا. و (و يضعونها) كذا وردت في الأصل و الصواب: يضعوها.

غضب الخليفة فخطب و قال في خطبته ما قال؟إنّ ابن أبي الحديد الشافعي قد كشف في بعض ما رواه عن اسميهما و قال:

(إنّ الرجل الّذي قال: لو قد مات عمر لبايعت فلانا؛ عمّار بن ياسر قال: لو قد مات عمر لبايعت عليّا. فهذا القول هو الذي هاج عمر أن خطب بما خطب به) (4)

دراسة مفهوم الخطبة:

يفهم من كلام الخليفة أنه خشي أن يفلت زمام الأمر بعد وفاته من يد قريش و يبادر غيرهم من المسلمين-صحابة و تابعين-إلى بيعة من يكرهون ولايته، و هو الإمام علي، و لذلك ابتكر طريقة سدّ بها الطريق على أولئك و قال: (من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو و لا الذي بايعه تغرّة أن يقتلا) . قال ذلك في حين أنه بنفسه ولي أمر المسلمين دون مشورة المسلمين، و استند في شرعية حكمه إلى تعيين الخليفة أبي بكر له، و مهما يكن من أمر فقد أمسك-بطرحه ذلك-بزمام الأمر بقوة بيده، ثم طرح بعد ذلك بقليل، و عند ما طعن، و أمر بأن يجتمع ستة من قريش ليختاروا واحدا منهم للخلافة، و جعل أمر ترشيح الخليفة بيد عبد الرحمن بن عوف، و شرط هذا -للبيعة-عمل الخليفة بكتاب اللّه و سنة رسوله و سيرة الشيخين، فقبل عثمان الشرط و رفضه الإمام علي (ع) ، و كانوا يعلمون أنّ الإمام عليا لا يقبل أن يجعل سيرة أبي بكر و عمر في عداد كتاب اللّه و سنة رسوله. و إذا رجعنا إلى ص 183 من هذا الكتاب نجد الخليفة عمر ينبئ سعيد بن العاص الأمويّ أنّ

---

(4) في شرح الخطبة (26) من شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة.

الّذي يلي الأمر من بعده هو ذو رحم سعيد، و قد ولي بعد الخليفة عمر ذو رحم سعيد (عثمان بن عفان الأمويّ) ، و لعلّنا نجد السبب-أيضا-في ص 172 منه أنّ أبا بكر دعا عثمان خاليا فقال: (اكتب... هذا ما عهد أبو بكر إلى المسلمين، أمّا بعد) فاغمي عليه فذهب عنه، (فكتب عثمان: أمّا بعد!فإنّي استخلفت عليكم عمر بن الخطاب) و لمّا أفاق أمضى ما كتبه عثمان من توليته عمر لأنّه كان قد وافق قصده.

و عن أمر من يلي بعد عثمان روى اليعقوبي و قال:

إن عثمان اعتلّ علّة اشتدّت به، فدعا حمران بن أبان، و كتب عهدا لمن بعده، و ترك موضع الاسم، ثمّ كتب بيده: عبد الرحمن بن عوف، و ربطه و بعث به إلى أمّ حبيبة بنت أبي سفيان، فقرأه حمران في الطريق فأتى عبد الرحمن فأخبره، فقال عبد الرحمن، و غضب غضبا شديدا: أستعمله علانية، و يستعملني سرّا!و نمى الخبر و انتشر بذلك في المدينة. و غضب بنو أميّة، فدعا عثمان بحمران مولاه، فضربه مائة سوط، و سيّره إلى البصرة. فكان سبب العداوة بينه و بين عبد الرحمن بن عوف.

و وجه إليه عبد الرحمن بن عوف بابنه، فقال له قل له: و اللّه لقد بايعتك، و إن فيّ ثلاث خصال أفضلك بهن... الخبر [5] .

و يظهر أنّه كان قد بتّ في أن يلي الحكم بعد عثمان عبد الرحمن بن عوف غير أنّ عبد الرحمن توفي قبل عثمان سنة 31 أو 32 هـ بعد أن اشتد الخصام بينهما [6] ، و كذلك وقع الخلاف بين بني أميّة «الأسرة الحاكمة من قريش»

(5) تاريخ اليعقوبي، 2/169.
(6) راجع الاوائل لأبي هلال العسكري ط. بيروت 1407، ص 129، و شرح النهج لابن أبي الحديد تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، 1/169.

و سائر أفخاذ قريش، و قادت أم المؤمنين عائشة أسرتها من تيم و المخالفين حتّى سقط الخليفة عثمان قتيلا في داره في المدينة و بمحضر من المهاجرين و الأنصار [7] .

عند ذلك ملك المسلمون أمرهم و انحلّوا من كلّ بيعة سابقة توثقهم فتهافتوا على الإمام علي (ع) يبايعونه و في مقدمتهم أصحاب رسول اللّه (ص) ، و لما ولي الإمام عليّ (ع) الحكم ألغى جميع امتيازات قريش التي منحوها على عهد الخلفاء قبله، و ساوى بين سروات قريش و سائر المسلمين-العرب منهم و الموالي-في تقسيم بيت المال و المنزلة الاجتماعية، فلملمت قريش أطرافها بعد أربعة أشهر من حكمه، و أقامت عليه حرب الجمل التي اجتمع فيها مروان (المطالب بدم عثمان) و طلحة و الزبير (اللذان حرّضا على قتل عثمان) بقيادة أمّ المؤمنين عائشة التي أفتت بقتل عثمان ثم أقامت قريش عليه حرب صفين.

أقامت الحربين عليه باسم الطلب بدم عثمان، و بذلك شوشت قريش على المسلمين في خارج المدينة الرؤية الصحيحة. و بعد تحكيم الحكمين بصفين خرجت على الإمام علي الخوارج بنهروان. و لهذا كلّه تكرر شكوى الإمام من ظلم قريش مثل قوله في كتابه لأخيه عقيل:

«فدع عنك قريشا و تركاضهم في الضّلال، و تجوالهم في الشّقاق، و جماحهم في التّيه؛ فإنّهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول اللّه، صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قبلي؛ فجزت قريشا عني الجوازي، فقد قطعوا رحمي... الكتاب» [8] .

---

(7) راجع كتابنا: (أحاديث أمّ المؤمنين عائشة) ط. بيروت عام 1408 ص 87-162 فصل في عهد الصهرين.

(8) نهج البلاغة، شرح محمد عبده-الرسائل، الكتاب رقم 36. و الأغاني ط. ساسي 15/44.

و أخبر عن مشاجرة وقعت بينه و بين أحدهم و قال:

و قد قال قائل: إنّك على هذا الأمر لحريص.

فقلت: بل أنتم و اللّه لأحرص و أبعد، و أنا أخصّ و أقرب!و إنّما طلبت حقّا لي و أنتم تحولون بيني و بينه، و تضربون وجهي دونه فلمّا قرعته بالحجّة في الملأ الحاضرين هبّ كأنّه[بهت]لا يدري ما يجيبني به! اللّهمّ إنّي أستعينك على قريش و من أعانهم؛ فإنهم قطعوا رحمي، و صغّروا عظيم منزلتي، و أجمعوا على منازعتي أمرا هو لي؛ ثمّ قالوا: ألا إنّ [في]الحقّ أن تأخذه و في الحقّ أن تتركه (9) .

و قال في خطبة اخرى:

«اللّهمّ إنّي أستعديك على قريش و من أعانهم فإنّهم قطعوا رحمي

قو التركاض: مبالغة في الركض، و استعاره لسرعة خواطرهم في الضلال، و كذلك التجوال من الجول و الجولان، و الشقاق: الخلاف، و جماحهم: استعصاؤهم على سابق الحقّ، و التيه: الضلال و الغواية.

الجوازي: جمع جازية بمعنى المكافأة، دعاء عليهم بالجزاء على أعمالهم.

(9) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، الخطبة: 167. و طبعة بيروت للدكتور صبحي الصالح، الخطبة: 172.

و ضرب الوجه: كناية عن الرد و المنع، و «قرعته بالحجّة» : من «قرعه بالعصا» ضربه بها، و هبّ: من هبب التيس-أي: صياحه-أي: كان يتكلم بالمهمل مع سرعة حمل عليها الغضب كأنّه مخبول لا يدري ما يقول.

و أستعينك: أستنصرك و أطلب منك المعونة، و يروى في مكانه «أستعديك» أي: أطلب منك أن تعديني عليهم و أن تنتصف لي منهم.

و «ثم قالوا-الخ» أي: إنهم اعترفوا بفضله، و أنه أجدرهم بالقيام به ففي الحقّ أن يأخذه، ثم لما اختار المقدم في الشورى غيره عقدوا له الأمر، و قالوا للإمام: في الحقّ أن تتركه، فتناقض حكمهم بالحقية في القضيتين، و لا يكون الحقّ في الأخذ إلاّ لمن توافرت فيه شروطه.

و «حرمة رسول اللّه» كناية عن زوجته، و أراد بها أمّ المؤمنين عائشة.

و أكفئوا إنائي، و أجمعوا على منازعتي حقّا كنت أولى به من غيري، و قالوا ألا إنّ في الحقّ أن تأخذه و في الحقّ أن تمنعه، فاصبر مغموما أو مت متأسّفا.

فنظرت فإذا ليس لي رافد، و لا ذاب، و لا مساعد إلاّ أهل بيتي فضننت بهم عن المنيّة فأغضيت على القذى، و جرعت ريقي على الشّجى، و صبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم، و آلم للقلب من حزّ الشّفار» [10] .

و أخيرا استشهد الإمام (ع) بيد أحد الخوارج في محراب مسجد الكوفة و بعد استشهاد الإمام علي (ع) استولى معاوية على الحكم في سنة أربعين للهجرة و سمّوا هذا العام بعام الجماعة و هو في الحقيقة عام الجماعة لقريش، و استمرّ حكم معاوية عشرين عاما، و توفي في سنة ستين للهجرة.

كان ذلكم بعض آثار كراهية قريش لحكم الإمام علي (ع) ، و من آثار تلك الكراهية منعهم نشر حديث الرسول (ص) كما سنذكرها في ما يأتي بإذنه تعالى.

منع كتابة حديث الرسول (ص)

روى عبد اللّه بن عمرو بن العاص و قال:

---

(10) نهج البلاغة، شرح محمد عبده، الخطبة: 212.

و قد ورد القسم الأوّل منها في كتاب الغارات للثقفي، ص 392.

و أستعديك: أستعينك. و أكفأ الإناء أي قلبه، كناية عن تضييعهم حقّه.

و الرافد: المعين، و الذاب: المدافع، و «ضننت» اي: بخلت، و القذى: ما يقع في العين، و الشجى: ما اعترض في الحلق من عظم و نحوه، يريد غصة الحزن.

و الشفار: جمع شفرة، و هي حدّ السيف و غيره.

«كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول اللّه (ص) فنهتني قريش و قالوا: تكتب كل شيء تسمعه من رسول اللّه (ص) و رسول اللّه (ص) بشر يتكلم في الغضب و الرضا!فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول اللّه (ص) فأومأ بإصبعه إلى فيه و قال: اكتب!فو الذي نفسي بيده ما خرج منه إلاّ حقّ» [11] .

صرّحت قريش بسبب نهيها عن كتابة حديث الرسول (ص) و هو أن يكون حديثه في حال غضبه على أحد أو حال رضاه من أحد.

ففي الأولى يبقى حديث الرسول (ص) منقصة له، و نحن نعلم كم تحدّث الرسول (ص) عن عتاة قريش و شرح الآيات التي نزلت تقريعا لهم! و في الثانية يبقى حديث الرسول (ص) نصّا في حقّ أحد لا يرضون أن ينشر نصّ له.

و لهذا السبب نفسه منعوا كتابة وصية الرسول (ص) في مرض وفاته عند ما قال:

«هلمّ أكتب لكم كتابا لن تضلّوا بعده» .

فقال عمر: إنّ النبي غلبه الوجع، و عندكم كتاب اللّه، فحسبنا كتاب اللّه.

و قالوا: «ما شأنه!أهجر؟» [12] .

كان هذا المنع و ذلك النهي بسبب خشية أن ينشر نصّ عن الرسول (ص) في حقّ من يكرهون ولايته فتجتمع الخلافة و النبوة في بيتهم! و بسبب تلكم الكراهية-أيضا-منع الخليفة عمر في عهد خلافته من

---

(11) راجع مصادره في المجلد الثاني من هذا الكتاب ص 41.
(12) راجع ص 41 من المجلد الثاني من هذا الكتاب المتن و الهامش.

كتابة حديث الرسول (ص) ، و أحرق ما كتبه الصحابة من حديث الرسول (ص) ، و بقي المنع نافذا حتى عصر الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز و جرت أمور أخرى ذكرناها في فصل: (منع كتابة الحديث على عهد الخلفاء) من المجلد الثاني من هذا الكتاب، و جرى بعد عهد الخلفاء الأربعة ما سنذكره على التوالي في ما يأتي إن شاء اللّه تعالى:

سياسة الخلافة القرشية و سائر بني أمية

أ-على عهد معاوية:

ذكر الجاحظ بإيجاز سياسة الخلافة القرشية على عهد معاوية كما رواه ابن أبي الحديد و قال:

قال أبو عثمان الجاحظ: إنّ معاوية أمر الناس بالعراق و الشام و غيرهما بسبّ عليّ عليه السلام و البراءة منه.

و خطب بذلك على منابر الإسلام، و صار ذلك سنة في أيام بني أميّة إلى أن قام عمر بن عبد العزيز (رض) فأزاله.

و ذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ أنّ معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة: اللهم إنّ أبا تراب ألحد في دينك، و صدّ عن سبيلك؛ فالعنه لعنا وبيلا، و عذبه عذابا أليما. و كتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يشار بها على المنابر إلى خلافة عمر بن عبد العزيز [13] .

(13) شرح الخطبة السابعة و الخمسين من خطب نهج البلاغة في شرح ابن أبي الحديد ط. مصر سنة 1378 هـ (1/56) و هو مصدر ما نرويه عن شرح ابن أبي الحديد في ما يأتي.

و أبو عثمان الجاحظ هو عمرو بن بحر الليثي البصري اللغوي النحوي كان مائلا إلى النصب و من كتبه (العثمانية) التي نقض عليه أبو جعفر الإسكافي و الشيخ المفيد (ت 255 هـ) في البصرة.

روى الطبري [14] و قال: استعمل معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة إحدى و أربعين، فلما أمّره عليها دعاه، و قال له: قد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة أنا تاركها اعتمادا على بصرك، و لست تاركا إيصاءك بخصلة، لا تترك شتم عليّ و ذمّه، و الترحّم على عثمان و الاستغفار له، و العيب لأصحاب عليّ، و الإقصاء لهم، و الإطراء لشيعة عثمان، و الإدناء لهم. فقال له المغيرة: قد جرّبت و جرّبت و عملت قبلك لغيرك، فلم يذممني، و ستبلو فتحمد أو تذمّ، فقال: بل نحمد إن شاء اللّه.

و روى ابن أبي الحديد عن المدائني في كتاب الأحداث و قال:

كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمّة ممّن روى شيئا من فضل أبي تراب، و أهل بيته، .... و كان أشدّ البلاء حينئذ أهل الكوفة [15] .

و قال: كتب معاوية [16] إلى عمّاله في جميع الآفاق: ألاّ يجيزوا لأحد من شيعة علي و أهل بيته شهادة، و كتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان و محبّيه، و أهل ولايته، و الذين يروون فضائله و مناقبه، فأدنوا مجالسهم، و قربوهم و أكرموهم، و اكتبوا إليّ بكل ما يروي كلّ رجل منهم، و اسمه، و اسم أبيه، و عشيرته، ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان و مناقبه، لما كان يبعث إليهم معاوية من الصلات و الكساء و الحباء و القطائع، و يفضيه في العرب منهم و الموالي، فكثر ذلك في كلّ مصر، و تنافسوا في المنازل و الدنيا،

(14) في حوادث سنة إحدى و خمسين من الطبري 6,108 و ابن الأثير 3,202
(15) شرح الخطبة (57) من نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط. مصر الأولى، 3/15-16. و منه ننقل كلما ننقل من شرح ابن أبي الحديد.
(16) قد نقل كتاب معاوية هذا أيضا أحمد أمين في فجر الإسلام 275.

فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملا من عمّال معاوية، فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلاّ كتب اسمه، و قرّبه و شفّعه، فلبثوا بذلك حينا، ثم كتب إلى عماله أنّ الحديث في عثمان قد كثر و فشا في كلّ مصر، و في كلّ وجه و ناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة و الخلفاء الأوّلين، و لا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلاّ و أتوني بمناقض له في الصحابة فإنّ هذا أحبّ إليّ و أقرّ إلى عيني، و أدحض لحجّة أبي تراب و شيعته، و أشدّ عليهم من مناقب عثمان، و فضله، فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، و جرى الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، و ألقي إلى معلمي الكتاتيب فعلّموا صبيانهم و غلمانهم من ذلك الكثير الواسع، حتى رووه، و تعلّموه كما يتعلّمون القرآن، و حتى علّموه بناتهم و نساءهم و خدمهم و حشمهم، فلبثوا بذلك إلى ما شاء اللّه... ، فظهرت أحاديث كثيرة موضوعة، و بهتان منتشر، و مضى على ذلك الفقهاء و القضاة و الولاة...) الحديث [17] .

و قد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه، و هو من أكابر المحدّثين و أعلامهم، في تاريخه ما يناسب هذا الخبر و قال: «إنّ أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيّام بني أمية تقرّبا إليهم بما يظنّون أنّهم يرغمون به أنوف بني هاشم» [18] .

---

(17) في شرح «من كلام له، و قد سأله سائل عن أحاديث البدعة» من شرح النهج 3/15-16، أورد ابن أبي الحديد الروايتين المرويتين عن (المدائني) . و هو ابو الحسن علي بن محمد بن عبد اللّه (ت 315 هـ) ذكر له النديم في الأحداث 25 كتابا (الفهرست ص 115)
(18) المصدر السابق؛ و ص 213 من فجر الإسلام.

و روى ابن أبي الحديد [19] عن أبي جعفر الإسكافي و قال: «إنّ معاوية وضع قوما من الصحابة و قوما من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ (ع) تقتضي الطعن فيه، و البراءة منه، و جعل لهم على ذلك جعلا يرغب في مثله» .

و روى في هذا الصدد عن الصحابة عن عمرو بن العاص، الحديث الذي أخرجه البخاري [20] و مسلم في صحيحيهما مسندا متصلا بعمرو بن العاص، قال: سمعت رسول اللّه يقول جهارا غير سرّ [21] : «إنّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنما وليي اللّه و صالح المؤمنين» .

و في البخاري بعده بطريق آخر عنه. (و لكن لهم رحما أبلّها ببلالها) -

---

قو نفطويه هو إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي قال في ترجمته بتاريخ بغداد: كان صدوقا له مصنّفات كثيرة؛ و قال المسعودي في ذكر المؤرخين و أصحاب الأخبار في أول كتابه مروج الذهب، 1/23:

و كذلك تاريخ أبي عبد اللّه الملقب بنفطويه فمحشو من ملاحة كتب الخاصّة مملوء من فوائد السادة و كان أحسن أهل عصره تأليفا و أملحهم تصنيفا و ذكر أسماء مؤلفاته في هديّة العارفين ص 5 و قال (ت 323 هـ) .

(19) شرح النهج ط. مصر الأولى، 1/358. و الإسكافي نسبة إلى الإسكاف من نواحي النهروان بين بغداد و واسط. و أبو جعفر الإسكافي في مادة الإسكاف من معجم البلدان عداده في أهل بغداد أحد المتكلمين من المعتزلة (ت 204 هـ) و قال ابن حجر في ترجمته:

محمد بن عبد اللّه الإسكافي؛ من متكلمي المعتزلة و أحد أئمتهم؛ و إليه تنسب الطائفة الإسكافية منهم؛ و هو بغدادي أصله من سمرقند؛ قال ابن النديم: كان عجيب الشأن في العلم و الذكاء و الصيانة و نبل الهمة و النزاهة؛ بلغ في مقدار عمره ما لم يبلغه أحد؛ و كان المعتصم يعظمه. و له مناظرات مع الكرابيسي و غيره. توفي سنة 240، لسان الميزان، 5/221.

(20) قد أورد البخاري هذا الحديث في صحيحه ج 4,34 كتاب الأدب باب يبل الرحم ببلالها بطريقين عن ابن العاص. و في ط البخاري كنّى عن آل أبي طالب قال أبي فلان.

(21) هذه الزيادة في رواية البخاري الثانية عن ابن العاص و كنى-أيضا-و قال آل أبي فلان.

و مسلم 1/136 كتاب الايمان باب موالاة المؤمنين و مقاطعة غيرهم.

يعني أصلها بصلتها-انتهى.

كانت تلكم رواية ابن أبي الحديد عن صحيح البخاري و في طبعات البخاري في عصرنا بدل لفظ (آل أبي طالب) بـ: (آل أبي فلان) .

و روى الطبري عن المغيرة بن شعبة، أنّه أقام سبع سنين و أشهرا في الكوفة لا يدع شتم عليّ و الوقوع فيه، و العيب لقتلة عثمان و اللعن لهم، و الدعاء لعثمان بالرحمة و الاستغفار له و التزكية لأصحابه، غير أنّ المغيرة كان يداري، فيشتدّ مرّة، و يلين أخرى.

و روى الطبري: أنّ المغيرة بن شعبة قال لصعصعة بن صوحان العبدي و كان المغيرة يوم ذاك أميرا على الكوفة من قبل معاوية: «إيّاك أن يبلغنى عنك أنك تعيب عثمان عند أحد من الناس، و إيّاك أن يبلغني عنك أنّك تذكر شيئا من فضل عليّ علانية، فإنّك لست بذاكر من فضل عليّ شيئا أجهله، بل أنا أعلم بذلك، و لكنّ هذا السلطان قد ظهر، و قد أخذنا باظهار عيبه للناس، فنحن ندع كثيرا ممّا أمرنا به، و نذكر الشيء الذي لا نجد منه بدّا ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيّة، فإن كنت ذاكرا فضله، فاذكره بينك و بين أصحابك، و في منازلكم سرّا، و أمّا علانية في المسجد، فإنّ هذا لا يحتمله الخليفة لنا و لا يعذرنا فيه... » الحديث.

و قال اليعقوبي [22] ما موجزه:

و كان حجر بن عدي الكندي، و عمرو بن الحمق الخزاعي و أصحابهما من شيعة علي بن أبي طالب، إذا سمعوا المغيرة و غيره من أصحاب معاوية، و هم يلعنون عليا على المنبر، يقومون فيردون عليهم، و يتكلمون في ذلك.

---

(22) اليعقوبي 2/230-231.

فلما قدم زياد الكوفة وجّه صاحب شرطه إليهم، فأخذ جماعة منهم فقتلوا، و هرب عمرو بن الحمق الخزاعيّ إلى الموصل و عدّة معه، و أخذ زياد حجر بن عديّ الكنديّ و ثلاثة عشر رجلا من أصحابه فأشخصهم إلى معاوية فكتب فيهم أنّهم خالفوا الجماعة في لعن أبي تراب، و زروا على الولاة، فخرجوا بذلك من الطاعة، و أنفذ شهادات قوم. فلمّا صاروا بمرج عذراء من دمشق على أميال، أمر معاوية بإيقافهم هناك، ثمّ وجه إليهم من يضرب أعناقهم، فكلّمه قوم في ستّة منهم فأخلى سبيلهم، و أمر أن يعرض على الباقي البراءة من علي و اللعن له فقالوا: إن فعلتم تركناكم و إن أبيتم قتلناكم، فابرءوا منه نخلّ سبيلكم!قالوا: اللهم لسنا فاعلي ذلك! فحفروا لهم قبورهم و أدنيت أكفانهم، فقاموا الليل كلّه يصلون، فلما أصبحوا عرضوا عليهم البراءة من علي فقالوا: نتولاه و نتبرأ ممن تبرأ منه. فأخذ كل رجل منهم رجلا ليقتله فقال حجر دعوني أتوضأ و أصلي. فلما أتم صلاته قتلوه و أقبلوا يقتلونهم واحدا واحدا حتى قتلوا ستة مع حجر. فلما بلغوا عبد الرحمن بن حسان العنزي و كريم بن العفيف الخثعمي قالا: ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن نقول في هذا الرجل مقالته. فبعثوا بهما إلى معاوية فلما دخلا عليه، قال معاوية للخثعمي: ما تقول في علي، قال: أقول فيه قولك!قال أتبرأ من دين علي؟فسكت، فقام ابن عم له فاستوهبه من معاوية فحبسه شهرا ثم خلّى سبيله على أن يذهب إلى الكوفة. أمّا العنزي فقد قال له: يا أخا ربيعة! ما قولك في علي؟قال: أشهد أنه كان من الذاكرين اللّه كثيرا و من الآمرين بالحقّ و القائمين بالقسط و العافين عن الناس. قال: فما قولك في عثمان؟قال:

هو أول من فتح باب الظلم و أرتج أبواب الحقّ. قال: قتلت نفسك. قال:

بل إياك قتلت، فبعث به معاوية إلى زياد و كتب إليه: أما بعد، فإن هذا

العنزي شرّ من بعثت، فعاقبه عقوبته التي هو أهلها و اقتله شرّ قتلة. فلمّا قدم به على زياد بعث زياد به إلى قسّ الناطف فدفن به حيّا [23]

و من قصص زياد بن أبيه في هذه المعركة أيضا ما وقع بينه و بين صيفي ابن فسيل، فإنّه أمر فجيء به إليه، فقال له: يا عدوّ اللّه!ما تقول في أبي تراب؟قال: ما أعرف أبا تراب؛ قال: ما أعرفك به!قال ما أعرفه، قال: أ ما تعرف عليّ بن أبي طالب؟!قال: بلى، قال: فذاك، -و بعد محاورة بينهما- قال: عليّ بالعصا، فقال: ما قولك في عليّ؟قال: أحسن قول أنا قائله في عبد من عبيد اللّه أقوله في أمير المؤمنين، قال: اضربوا عاتقه بالعصا حتى يلصق بالأرض؛ فضرب حتى ألصق بالأرض؛ ثم قال: أقلعوا عنه، فتركوه، فقال له: إيه ما قولك في عليّ؟قال: و اللّه لو شرطتني بالمواسي و المدى ما قلت إلاّ ما سمعت منّي، قال لتلعننّه أو لأضربنّ عنقك، قال: إذا و اللّه تضربها قبل ذلك، فأسعد و تشقى، قال: ادفعوا في رقبته، ثمّ قال: أوقروه حديدا و اطرحوه في السجن، ثمّ قتل مع حجر [24] .

و كتب إلى معاوية في رجلين حضرميّين [25] أنّهما على دين عليّ و رأيه، فأجابه: من كان على دين علي و رأيه، فاقتله، و مثل به، فصلبهما على باب دارهما بالكوفة [26] .

كما أمره بدفن الخثعميّ الذي مدح عليّا و عاب عثمان حيّا، فدفنه

(23) أوردناها موجزة من عبد اللّه بن سبأ 2/284-303 و في ترجمة حجر من تاريخ دمشق لابن عساكر و تهذيبه تفصيل الخبر.
(24) الطبري، 6/108 و 149؛ و ابن الأثير 3، 204، و الأغاني 16,7، و ابن عساكر، 6/459.
(25) نسبة إلى حضر موت من بلاد اليمن.
(26) المحبر، ص 479.

حيا [27] .

و ختم حياته بما ذكره المسعودي، و ابن عساكر، قال ابن عساكر:

جمع أهل الكوفة فملأ منهم المسجد و الرحبة و القصر، ليعرضهم على البراءة من عليّ [28] . و قال المسعودي: و كان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرّضهم على لعن عليّ، فمن أبى ذلك عرضه على السيف، ثمّ ذكر أنّه اصيب بالطاعون في تلك الساعة فأفرج عنهم.

و كان عمرو بن الحمق الخزاعيّ ممن أصابه التشريد و القتل في هذه المعركة، فإنّه فرّ إلى البراري، فبحثوا عنه حتى عثروا عليه، فحزّوا رأسه و حملوه إلى معاوية، فأمر بنصبه في السوق ثم بعث برأسه إلى زوجته في السجن-و كان قد سجنها في هذا السبيل-فالقي في حجرها [29] .

عمّت هذه السياسة البلاد الإسلامية، و اتّبعها و نفّذها غير من ذكرنا من الأمراء أيضا، كبسر بن أرطاة في ولايته البصرة، و ابن شهاب في الري [30] فقد كانت لهم قصص في ذلك ذكرها المؤرخون، ثمّ أصبحت هذه سياسة بني أمية التقليدية، و لعن علي بن أبي طالب على منابر الشرق و الغرب ما عدا سجستان، فإنّه لم يلعن على منبرها إلاّ مرة، و امتنعوا على بني أمية، حتى زادوا في عهدهم أن لا يلعن على منبرهم أحد في حين كان يلعن على منابر الحرمين

---

(27) راجع قصة حجر بن عدي في عبد اللّه بن سبأ.
(28) المسعودي في أيام معاوية 3/30؛ و ابن عساكر 5/421.
(29) المعارف لابن قتيبة 7/12، و الاستيعاب 2/517، و الاصابة 2/526، و تاريخ ابن كثير 8/48، و المحبر، ص 490.
(30) في حوادث سنة 41 هـ من الطبري 6/96، و ابن الأثير 3/165، و ابن شهاب في ابن الأثير 3/179 في ذكر استعمال المغيرة على الكوفة من (حوادث سنة إحدى و أربعين) .

مكة و المدينة [31] .

و قد كانوا يلعنون عليّا على المنابر بمحضر من أهل بيته، و قصصهم في ذلك كثيرة نكتفي منها بذكر واحدة أوردها ابن حجر [32] في تطهير اللّسان، و قال:

إنّ عمرا صعد المنبر فوقع في عليّ، ثمّ فعل مثله المغيرة بن شعبة، فقيل للحسن: اصعد المنبر لتردّ عليهما، فامتنع إلاّ أن يعطوه عهدا أنّهم يصدقوه إن قال حقّا، و يكذبوه [33] إن قال باطلا، فأعطوه ذلك، فصعد المنبر فحمد اللّه و أثنى عليه، ثمّ قال: أنشدك اللّه يا عمرو!يا مغيرة!أ تعلمان أنّ رسول اللّه (ص) لعن السائق و القائد أحدهما فلان؟قالا: بلى، ثمّ قال: يا معاوية! و يا مغيرة!أ لم تعلما أنّ النبي (ص) لعن عمرا بكل قافية قالها لعنة؟قالا:

اللّهم بلى...) الحديث.

و لمّا كان الناس لا يجلسون لاستماع خطبهم لما فيها من أحاديث لا يرتضونها، خالفوا السنّة و قدّموا الخطبة على الصلاة. قال ابن حزم في المحلّى [34] .

أحدث بنو أمية تقديم الخطبة على الصلاة، و اعتلّوا بأنّ الناس كانوا إذا صلّوا تركوهم، و لم يشهدوا الخطبة، و ذلك لأنّهم كانوا يلعنون علي بن أبي طالب (رض) فكان المسلمون يفرّون، و حقّ لهم ذلك.

و قال اليعقوبي في تاريخه (2/223) :

---

(31) أوردتها ملخصة من معجم البلدان 5/38 ط. المصرية الأولى في لغة سجستان، و هي من بلاد إيران.

(32) في تطهير اللسان ص 55، قال: و جاء بسند رجاله رجال الصحيح إلا واحدا فمختلف فيه لكن قواه الذهبى بقوله: إنّه أحد الاثبات، و ما فيه جرح أصلا، ثم أورد الحديث.

(33) كذا وردت في الأصل و الصحيح يصدّقونه... و يكذبونه.

(34) المحلى لابن حزم تحقيق احمد محمد شاكر 5/85-86؛ و راجع كتاب الأمّ للشافعي 1/208

و في هذه السنة-سنة 44 هـ-عمل معاوية المقصورة في المسجد و أخرج المنابر إلى المصلى في العيدين و خطب الخطبة قبل الصلاة، و ذلك أن الناس إذا صلوا، انصرفوا لئلا يسمعوا لعن علي فقدم معاوية الخطبة قبل الصلاة، و وهب فدكا لمروان بن الحكم ليغيظ بذلك آل رسول اللّه (ص) .

و في الصحيحين [35] و غيرهما عن أبي سعيد الخدري قال:

خرجت مع مروان و هو أمير المدينة-في أضحى أو فطر-فلمّا أتينا المصلّى إذا منبر بناه كثير بن الصلت، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلّي، فجبذت بثوبه، فجبذني، فارتفع، فخطب قبل الصلاة، فقلت له: غيّرتم و اللّه.

فقال: يا أبا سعيد!قد ذهب ما تعلم. فقلت: ما أعلم و اللّه خير ممّا لا أعلم، فقال: إنّ الناس لم يكونوا يجلسون لما بعد الصلاة، فجعلتها قبل الصلاة و كانوا لا يكتفون بذلك، بل يأمرون الصحابة به أيضا، ففي صحيح مسلم [36] و غيره عن سهل بن سعد: قال:

«استعمل على المدينة رجل من آل مروان، فدعا سهل بن سعيد فأمره أن يشتم عليّا، فأبى سهل، فقال له: أمّا إذا أبيت فقل: لعن اللّه أبا التراب، فقال سهل: ما كان لعليّ اسم أحبّ إليه من أبي التراب، و إن كان ليفرح إذا دعي بها، فقال له: أخبرنا عن قصّته، لم سمّي أبا تراب؟قال جاء رسول اللّه (ص) بيت فاطمة، فلم يجد عليّا في البيت، فقال: أين ابن عمّك؟» .

---

(35) البخاري 2، 111 و مسلم 3/20، و سنن أبي داود 1/178؛ و ابن ماجة 1/386، و البيهقي 3/297، و في مسند أحمد 3/10 و 20 و 52 و 54 و 92، و اسم المعترض على مروان في مسند أحمد غير أبي سعيد.

(36) أوردته ملخصا عن صحيح مسلم 7/124 باب مناقب علي، و أورده البخاري محرفا في صحيحه باب مناقب علي، و في باب نوم الرجل في المسجد من كتاب الصلاة 2/199، و في إرشاد الساري 6/112: أن هذا الوالي هو مروان بن الحكم؛ و راجع البيهقي 2/446.

إلى قوله:

«هو في المسجد راقد، فجاءه و هو مضطجع، و قد سقط رداءه عن شقّه، فجعل رسول اللّه (ص) يمسحه عنه، و يقول: قم أبا التراب، قم أبا التراب» .

و عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص، قال: «أمر معاوية سعدا فقال:

ما منعك أن تسبّ أبا التراب؟فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول اللّه (ص) فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم.

سمعت رسول اللّه (ص) يقول له و قد خلّفه في بعض مغازيه، فقال له عليّ: يا رسول اللّه!خلّفتني مع النساء و الصبيان؟فقال له رسول اللّه (ص) : أ ما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوّة بعدي، و سمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلا يحبّ اللّه و رسوله و يحبّه اللّه و رسوله؛ قال: فتطاولنا لها، فقال: أدعوا لي عليّا فأتي به أرمد، فبصق في عينه، و دفع الراية إليه، ففتح اللّه عليه، و لمّا نزلت هذه الآية:

فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ دعا رسول اللّه (ص) عليا و فاطمة، و حسنا، و حسينا، فقال: اللّهم!هؤلاء أهلي» (37) .

و رواه المسعودي (38) عن الطبري هكذا: قال:

«لما حجّ معاوية طاف بالبيت و معه سعد، فلمّا فرغ انصرف معاوية إلى دار الندوة، فأجلسه معه على سريره، و وقع في عليّ، و شرع في سبّه، فزحف

---

(37) مسلم 7/120، و الترمذي 13/171؛ و المستدرك 3/108 و 109؛ و زاد فلا و اللّه ما ذكره معاوية بحرف حتى خرج من المدينة، و الاصابة 2/509؛ و النسائي في الخصائص ص 15.
(38) مروج الذهب 3/24 في أيام معاوية، ثم ذكر ما صدر عن معاوية في المجلس مما أربأ بقلمي عن ذكره

سعد، ثمّ قال: أجلستني معك على سريرك، ثمّ شرعت في سبّ عليّ؟! و اللّه لأن يكون فيّ خصلة واحدة من خصال عليّ أحبّ إليّ، ثمّ ساق الحديث باختلاف يسير و ذكر في آخره أنّه قال: و أيم اللّه لا دخلت لك دارا ما بقيت، ثمّ نهض» .

أمّا ابن عبد ربّه فقد أورده باختصار في أخبار معاوية من العقد الفريد و قال: [39]

«و لمّا مات الحسن بن عليّ حجّ معاوية، فدخل المدينة، و أراد أن يلعن عليا على منبر رسول اللّه (ص) فقيل له: إنّ هاهنا سعد بن أبي وقّاص.

و لا نراه يرضى بهذا، فابعث إليه و خذ رأيه، فأرسل إليه و ذكر له ذلك، فقال: إن فعلت لأخرجنّ من المسجد، ثمّ لا أعود إليه، فأمسك معاوية عن لعنه حتى مات سعد، فلمّا مات لعنه على المنبر، و كتب إلى عمّاله أن يلعنوه على المنابر، ففعلوا، فكتبت أمّ سلمة زوج النبيّ (ص) إلى معاوية: إنّكم تلعنون اللّه و رسوله على منابركم، و ذلك أنّكم تلعنون عليّ بن أبي طالب، و من أحبّه، و أنا أشهد اللّه أنّ اللّه أحبّه، و رسوله، فلم يلتفت إلى كلامها» انتهى [40] .

و قال ابن أبي الحديد:

روى أبو عثمان-الجاحظ-أيضا أنّ قوما من بني أميّة قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين!إنك قد بلغت ما أملت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل! فقال: لا و اللّه حتى يربو عليه الصغير، و يهرم عليه الكبير، و لا يذكر له ذاكر

---

(39) العقد 3/127.
(40) نقلته باختصار من كتاب (أحاديث أمّ المؤمنين عائشة) ، بحث دواعي وضع الحديث من فصل (مع معاوية) .

فضلا! [41] .

تربية أهل الشام منذ زمن معاوية على بغض الإمام علي (ع) و لعنه

روى الثقفي في كتابه الغارات و قال: إنّ عمر بن ثابت كان يركب بالشام و يدور في القرى بالشام فإذا دخل قرية جمع أهلها ثم يقول:

أيّها الناس!إنّ علي بن أبي طالب كان رجلا منافقا أراد أن ينخس برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ليلة العقبة فالعنوه. قال: فيلعنه أهل تلك القرية ثم يسير إلى القرية الأخرى فيأمرهم بمثل ذلك (و كان في أيام معاوية) .

خبر ليلة العقبة بإيجاز:

عند ما رجع النبيّ سنة 9 للهجرة من غزوة تبوك و مرّ بعقبة هرشى على ملتقى طريق الشام و المدينة و مكة و في أسفلها واد تسير القوافل منها فأمر الجيش أن يسيروا من بطن الوادي و سار هو ليلا من طريق عقبة هرشى فتآمر بعض المنافقين على نفر ناقة الرسول ليلا ليقتلوه فمنعهم من ذلك الصحابيان عمار بن ياسر و حذيفة اللذان كانا في صحبة الرسول. راجع خبره في إمتاع الأسماع (477) ، و مادة هرشى من معجم البلدان، و نسب عميل معاوية هذا العمل إلى ابن عم الرسول (ص) .

الباعث لمعاوية على ما فعل:

إن كان دافع سائر قريش في ما فعلته مع الإمام علي (ع) ، كرهها أن

---

(41) شرح الخطبة (57) من شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة.

تجتمع النبوّة و الخلافة في بني هاشم. فقد كان دافع معاوية القرشي الأموي مع ذلك حقده على بني هاشم كما يظهر ذلك في الخبر الآتي:

روى الزبير بن بكار و قال:

قال المطرف بن المغيرة بن شعبة:

دخلت مع أبي على معاوية. فكان أبي يأتيه فيتحدث معه، ثم ينصرف إليّ فيذكر معاوية و عقله، و يعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، و رأيته مغتمّا فانتظرته ساعة، و ظننت أنّه لأمر حدث فينا فقلت: ما لي أراك مغتمّا منذ الليلة؟فقال: يا بنيّ!جئت من عند أكفر الناس و أخبثهم. قلت: و ما ذاك؟قال: قلت له و قد خلوت به: إنّك قد بلغت سنّا يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلا، و بسطت خيرا فإنّك قد كبرت، و لو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم، فو اللّه ما عندهم اليوم شيء تخافه، و إنّ ذلك مما يبقى لك ذكره و ثوابه، فقال: هيهات هيهات!أي ذكر أرجو بقاءه!ملك أخو تيم فعدل و فعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلاّ أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدي فاجتهد و شمّر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلاّ أن يقول قائل: عمر.

و إنّ ابن أبي كبشة ليصاح به كلّ يوم خمس مرات (أشهد أنّ محمدا رسول اللّه) فأى عمل يبقى؟و أي ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك؟لا و اللّه إلاّ دفنا دفنا [42] .

كان ذلكم من معاوية بسبب حقده على بني هاشم.

---

(42) الموفقيات ص 576-577 و مروج الذهب 2/454 و ابن أبي الحديد 1/462 و ط. مصر تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم 5/120. و كانت قريش تكني رسول اللّه (ص) أبا كبشة استهزاء به.

أسباب حقد معاوية على بني هاشم:

لمعرفة أسباب حقد معاوية على بني هاشم ينبغي قراءة بحث (مع معاوية) من كتابنا (أحاديث أمّ المؤمنين عائشة) و كان في ما شرحناه هناك من تلك الأسباب:

إنّ معاوية ورث ذلكم الحقد من أمّه هند التي لاكت كبد حمزة عمّ الرسول (ص) في غزوة احد، و صنعت من أطرافه قلادة تشفيا لغيظها على بني هاشم، و أخيرا شفى حقد آل أبي سفيان يزيد بن معاوية بقتله آل الرسول في كربلاء و قطع رءوسهم و سبي نسائهم كما ذكرناه مفصلا في المجلد الثالث من هذا الكتاب، و ولي بعد يزيد آل مروان من بني أمية و في ما يأتي أمثلة من سياستهم مع آل الرسول بعد ذكر ما فعله ابن الزبير في دولته:

سياسة ابن الزبير

شرح ابن أبي الحديد سياسة ابن الزبير في دولته و قال:

روى عمر بن شبّة و ابن الكلبيّ و الواقدي و غيرهم من رواة السير، أنّه مكث أيام ادّعائه الخلافة أربعين جمعة لا يصلّي فيها على النبي صلّى اللّه عليه و آله، و قال: لا يمنعني من ذكره إلاّ أن تشمخ رجال بآنافها.

و قال:

و في رواية محمد بن حبيب و أبي عبيدة معمر بن المثنى: انّ له أهيل سوء ينغضون رءوسهم عند ذكره.

و قال: أيضا و روى سعيد بن جبير أن عبد اللّه بن الزبير قال لعبد اللّه بن عباس: ما

حديث أسمعه عنك!قال: و ما هو؟قال: تأنيبي و ذمّي!فقال: إني سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: «بئس المرء المسلم يشبع و يجوع جاره» ، فقال ابن الزبير: إني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت من أربعين سنة...

الحديث. عرّض ابن عباس إلى بخل ابن الزبير في حديثه.

و قال أيضا: روى عمر بن شبّة عن سعيد بن جبير، قال: خطب عبد اللّه بن الزبير، فنال من عليّ عليه السلام، فبلغ ذلك محمد بن الحنفيّة (ت 81 هـ) ، فجاء إليه و هو يخطب، فوضع له كرسيّ، فقطع عليه خطبته، و قال: يا معشر العرب، شاهت الوجوه!أ ينتقص عليّ و أنتم حضور!إنّ عليّا كان يد اللّه على أعداء اللّه، و صاعقة من أمره، أرسله على الكافرين و الجاحدين لحقّه، فقتلهم بكفرهم فشنئوه و أبغضوه، و أضمروا له السيف و الحسد و ابن عمه صلّى اللّه عليه و آله حيّ بعد لم يمت؛ فلما نقله اللّه إلى جواره، و أحبّ له ما عنده، أظهرت له رجال أحقادها، و شفت أضغانها، فمنهم من ابتزّه حقّه، و منهم من ائتمر به ليقتله، و منهم من شتمه و قذفه بالأباطيل؛ فإن يكن لذريّته و ناصري دعوته دولة تنشر عظامهم، و تحفر على أجسادهم؛ و الأبدان منهم يومئذ بالية، بعد أن تقتل الأحياء منهم، و تذلّ رقابهم، فيكون اللّه عزّ اسمه قد عذّبهم بأيدينا و أخزاهم و نصرنا عليهم، و شفا صدورنا منهم، إنّه و اللّه ما يشتم عليّا إلاّ كافر يسرّ شتم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و يخاف أن يبوح به، فيكنّي بشتم علي عليه السلام عنه. أما إنّه قد تخطت المنية منكم من امتد عمره، و سمع قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فيه: «لا يحبّك إلاّ مؤمن، و لا يبغضك إلاّ منافق، و سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» [43] .

(43) شرح الخطبة 57 من نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

و قال ابن أبي الحديد:

و كان عبد اللّه بن الزبير يبغض عليّا عليه السلام، و ينتقصه و ينال من عرضه. (44)

و قال اليعقوبي:

تحامل عبد اللّه بن الزبير على بني هاشم تحاملا شديدا، و أظهر لهم العداوة و البغضاء، حتى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمّد في خطبته، فقيل له: لم تركت الصلاة على النبيّ؟فقال: إنّ له أهل سوء يشرئبون لذكره، و يرفعون رءوسهم إذا سمعوا به.

و أخذ ابن الزبير محمّد بن الحنفيّة، و عبد اللّه بن عبّاس، و أربعة و عشرين رجلا من بني هاشم ليبايعوا له، فامتنعوا، فحبسهم في حجرة زمزم، و حلف باللّه الذي لا إله إلاّ هو ليبايعنّ أو ليحرقنّهم بالنار، فكتب محمد بن الحنفية إلى المختار بن أبي عبيد: بسم اللّه الرحمن الرحيم، من محمد بن علي و من قبله من آل رسول اللّه إلى المختار بن أبي عبيد و من قبله من المسلمين، أما بعد فإن عبد اللّه بن الزبير أخذنا، فحبسنا في حجرة زمزم، و حلف باللّه الذي لا إله إلاّ هو لنبايعنّه، أو ليضر منّها علينا بالنار، فيا غوثاه! (45)

فوجّه إليهم المختار بن أبي عبيد بأبي عبد اللّه الجدلي في أربعة آلاف راكب، فقدم مكّة، فكسر الحجرة، و قال لمحمّد بن عليّ: دعني و ابن الزبير!قال:

لا أستحل من قطع رحمه ما استحلّ منّي (46) .

قو رواه اليعقوبي في تاريخه، 2/262، أكثر تفصيلا من هذا، و ابن الزبير هو عبد اللّه بن الزبير الأسدي بويع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية سنة 64 في الحجاز و العراق و استمر حكمه حتى قتله الحجاج سنة 67 هـ.

(44) شرح النهج لابن أبي الحديد، 1/78.

(45) في نسختنا: فيا غوثا، و الصحيح ما أثبتناه.

(46) تاريخ اليعقوبي، 2/261. و محمد بن الحنفية ابن علي بن أبي طالب (ت 81 هـ) .

بعد ابن الزبير:

بعد قتل ابن الزبير صفا الجوّ للخلفاء الأمويين من آل مروان فتابعوا معاوية في سياسته في شأن الإمام علي (ع) كالآتي بيانه بحوله تعالى:

ب-على عهد عبد الملك و ابنه الوليد

روى ابن أبي الحديد عن الجاحظ أنّه قال:

و قال أبو عثمان: و ما كان عبد الملك مع فضله و أناته و سداده و رجحانه ممن يخفى عليه فضل علي عليه السلام، و إن لعنه على رءوس الأشهاد، و في أعطاف الخطب، و على صهوات المنابر مما يعود عليه نقصه، و يرجع إليه وهنه، لأنهما جميعا من بني عبد مناف، و الأصل واحد، و لكنه أراد تشييد الملك و تأكيد ما فعله الأسلاف، و أن يقرّر في أنفس الناس أنّ بني هاشم لا حظّ لهم في هذا الأمر، و أنّ سيّدهم الذي به يصولون، و بفخره يفخرون، هذا حاله و هذا مقداره، فيكون من ينتمي إليه و يدلي به عن الأمر أبعد، و عن الوصول إليه أشحط و أنزح.

و قال أيضا:

روى أهل السّيرة أن الوليد بن عبد الملك في خلافته ذكر عليّا عليه السلام، فقال: لعنه «اللّه» بالجر، كان لصّ ابن لصّ.

فعجب الناس من لحنه فيما لا يلحن فيه أحد، و من نسبته عليّا عليه السلام إلى اللصوصيّة و قالوا: ما ندري أيّهما أعجب!و كان الوليد لحّانا [47] .

---

(47) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، 1/85 و 75 و 58. و عبد الملك بن مروان بويع له بالخلافة سنة 65 هـ و توفي سنة 86 هـ و بويع بعده لابنه الوليد بالخلافة.

و يؤيد أن الوليد كان لحانا ما رواه أهل السير و قالوا:

إنّ روح بن زنباع قال دخلت يوما على عبد الملك و هو مهموم فقال:

فكّرت في من أوليه العرب فلم أجده!فقلت: و أين أنت عن ريحانة قريش و سيدها الوليد!فقال لي يا أبا زنباع إنّه لا يلي العرب إلاّ من تكلّم بكلامهم، قال فسمعها الوليد فقام من ساعته و جمع أصحاب النحو و جلس معهم في بيت و طيّن عليه ستة أشهر ثم خرج و هو أجهل ممّا كان. فقال عبد الملك أما إنه قد أعذر [48] .

كان ذلكم بعض آثار سياسة الخلافة القرشية على عهد عبد الملك و ابنه الوليد و بعضه الآخر ندرسه من خلال دراسة ما فعله واليهما الحجاج في هذا الشأن.

بعض ما فعله الحجاج تنفيذا للسياسة القرشية

روى ابن أبي الحديد بعض ما فعله الحجاج في هذا الشأن و قال:

كان الحجاج لعنه اللّه يلعن عليا (ع) ، و يأمر بلعنه. و قال له متعرّض به يوما و هو راكب: أيها الأمير، إن أهلي عقّوني فسمّوني عليّا، فغيّر اسمي، و صلني بما أتبلّغ به، فإني فقير. فقال: للطف ما توصلت به قد سميتك

---

(48) ترجمة الوليد في تاريخ الإسلام للذهبي، 4/65، و قال الذهبي-أيضا-في ترجمة روح بن زنباع في سير أعلام النبلاء، ط. الأولى، 4/251. و كان شبه الوزير للخليفة عبد الملك (ت 84 هـ) .

كذا، و وليتك العمل الفلاني فاشخص إليه [49] .

و روى المسعودي في هذا الشأن و قال:

قال الحجاج يوما لعبد اللّه بن هانئ و هو رجل من أود، حي من اليمن، و كان شريفا في قومه، و قد شهد مع الحجاج مشاهده كلها، و شهد معه تحريق البيت، و كان من أنصاره و شيعته: و اللّه ما كافأناك بعد، ثم أرسل إلى أسماء ابن خارجة-و كان من فزارة-أن زوج عبد اللّه بن هانئ ابنتك، فقال:

لا و اللّه، و لا كرامة، فدعا له بالسياط، فقال: أنا أزوجه، فزوجه، ثم بعث إلى سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمانية أن زوّج عبد اللّه بن هانئ، قال:

و من أود؟و اللّه لا أزوجه و لا كرامة، قال: هاتوا السيف، قال: دعني حتى أشاور أهلي، فشاورهم، فقالوا: زوجه لا يقتلك هذا الفاسق، فزوجه، فقال له الحجاج: يا عبد اللّه، قد زوجتك بنت سيد بني فزارة و ابنة سيد همدان و عظيم كهلان، و ما أود هنالك، فقال: لا تقل-أصلح اللّه الأمير-ذلك، فإن لنا مناقب ما هي لأحد من العرب، قال: و ما هذه المناقب؟قال ما سبّ أمير المؤمنين عثمان في ناد لنا قط، قال: هذه و اللّه منقبة، قال: و شهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلا، و ما شهدها مع أبي تراب منا إلا رجل واحد، و كان و اللّه ما علمته امرأ سوء، قال: و هذه و اللّه منقبة، قال: و ما منّا أحد تزوج امرأة تحب أبا تراب و لا تتولاه، قال: و هذه و اللّه منقبة، قال و ما منّا امرأة إلاّ نذرت إن قتل الحسين أن تنحر عشر جزائر لها، ففعلت، قال:

و هذه و اللّه منقبة، قال: و ما منّا رجل عرض عليه شتم أبي تراب و لعنه إلا فعل، و قال: و أزيدكم ابنيه الحسن و الحسين و أمهما فاطمة، قال: و هذه

(49) شرح ابن أبي الحديد 1/75.

و اللّه منقبة. قال: و ما أحد من العرب له من الملاحة و الصباحة ما لنا، فضحك الحجاج و قال: أما هذه يا أبا هانئ فدعها. و كان عبد اللّه دميما شديد الأدمة مجدورا، في رأسه عجر، مائل الشدق، أحول قبيح الوجه، شديد الحول [50] .

و روى ابن سعد في ترجمة عطية بن سعد بن جنادة العوفي من طبقاته و قال:

كتب الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفي أن ادع عطية فإن لعن علي ابن أبي طالب و إلاّ فاضربه أربعمائة سوط و احلق رأسه و لحيته. فدعاه فأقرأه كتاب الحجاج فأبى عطية أن يفعل، فضربه أربعمائة سوط و حلق رأسه و لحيته [51] .

و سار على نهج الحجاج أخوه و واليه على اليمن كالآتي بيانه:

بعض ما فعله أخو الحجاج محمد بن يوسف زمان ولايته على اليمن

روى الذهبي عن حجر المدري ما موجزه قال: قال علي بن أبي طالب:

كيف بك إذا أمرت أن تلعنني.

---

(50) مروج الذهب، 3/144.
(51) الطبقات الكبرى 6/212-213 و ط. اوروبا 2/2494، و تهذيب التهذيب 7/224-226 و في تقريب التهذيب: و عطية أخرج حديثه البخاري و أبو داود و الترمذي و ابن ماجة و توفي سنة 111 هـ.

و محمد بن القاسم الثقفي كان على رأس جيش في بلاد فارس فأمره الحجاج سنة 92 هـ أن يذهب لفتح بلاد السند ففتح بلادها و قتل ملكها و كان في ما فتح من بلادها مدينة الكراتشي و مولتان من بلاد باكستان اليوم و لما ولي الخليفة سليمان أمر بتصفية ولاة الحجاج فسجن محمد و قتل في السجن سنة 92 هـ.

قلت: أو كائن ذلك؟ قال: نعم! قلت: فكيف أصنع؟ قال: العنّي و لا تبرأ منّي.

قال فامره محمد بن يوسف أخو الحجاج أن يلعن عليّا.

فقال: إن الأمير أمرني أن ألعن عليّا فالعنوه لعنه اللّه. فما فطن لها إلاّ رجل [52] .

هكذا توالت سياسة الخلافة الأموية القرشية إلى زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي قام بنقض تلكم السياسة كما سندرسه في ما يأتي:

ج-على عهد عمر بن عبد العزيز:

إنّ عمر بن عبد العزيز خالف سياسة الخلافة الاموية و أمر بترك لعن الإمام علي (ع) . و ذكروا في سبب ذلك و قالوا ما رواه ابن أبي الحديد و غيره و اللفظ لابن أبي الحديد.

فأمّا عمر بن عبد العزيز (رض) فإنه قال: كنت غلاما أقرأ القرآن على بعض ولد عتبة بن مسعود، فمرّ بي يوما و أنا ألعب مع الصبيان، و نحن نلعن عليا، فكره ذلك و دخل المسجد، فتركت الصبيان و جئت إليه لأدرس عليه

---

(52) تاريخ الإسلام للذهبي، 4/51-52، في ترجمة محمد بن يوسف الثقفي و حجر هو ابن قيس الهمداني و المدري نسبة إلى مدر جبل باليمن قال ابن حجر تابعي ثقة أخرج حديثه أبو داود و النسائي و ابن ماجة ترجمته في تهذيب التهذيب 2/215 و تقريبه 1/155.

وردي، فلما رآني قام فصلّى و أطال في الصلاة-شبه المعرض عنّي حتى أحسست منه بذلك-فلما انفتل من صلاته كلح في وجهي، فقلت له: ما بال الشيخ؟فقال لي: يا بنيّ، أنت اللاعن عليّا منذ اليوم!قلت: نعم، قال:

فمتى علمت أن اللّه سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم!فقلت: و هل كان عليّ من أهل بدر؟فقال: ويحك!و هل كانت بدر كلها إلاّ له!فقلت لا أعود، فقال: اللّه أنك لا تعود!قلت: نعم. فلم ألعنه بعدها [53] ، ثم كنت أحضر تحت منبر المدينة، و أبي يخطب يوم الجمعة، و هو حينئذ أمير المدينة، فكنت أسمع أبي يمر في خطبه تهدر شقاشقه، حتى يأتي إلى لعن علي عليه السلام فيجمجم، و يعرض له من الفهاهة و الحصر ما اللّه عالم به، فكنت أعجب من ذلك، فقلت له يوما: يا أبت، أنت أفصح الناس و أخطبهم، فما بالى أراك أفصح خطيب يوم حفلك، حتى إذا مررت بلعن هذا الرجل، صرت ألكن عييّا!فقال: يا بنيّ، إنّ من ترى تحت منبرنا من أهل الشام و غيرهم، لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد. فوقرت كلمته في صدري؛ مع ما كان قاله لي معلمي أيام صغري، فأعطيت اللّه عهدا؛ لئن كان لي في هذا الأمر نصيب لأغيّرنّه، فلما منّ اللّه عليّ بالخلافة أسقطت ذلك و جعلت مكانه: **إِنَّ اَللّٰهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ اَلْإِحْسٰانِ وَ إِيتٰاءِ ذِي اَلْقُرْبىٰ وَ يَنْهىٰ عَنِ اَلْفَحْشٰاءِ وَ اَلْمُنْكَرِ وَ اَلْبَغْيِ [54] يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** [55] ، و كتبت به إلى

---

(53) شرح النهج لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، 4/58-59. و أورد هذا الخبر ابن عساكر في تاريخ دمشق، ورقة 131، في ترجمة عمر بن عبد العزيز، و عمر بن عبد العزيز ولي الخلافة سنة 99 هـ. و مات مسموما سنة 101 هـ.

(54) أورد الخبرين بإيجاز كلّ من ابن الأثير في تاريخه، 5/16. و المسعودي في مروج الذهب، 3/184.

(55) سورة النحل/90.

الآفاق فصار سنة [56] .

و قال كثيّر بن عبد الرحمن يمدح عمر و يذكر قطعه السبّ:

و ليت فلم تشتم عليا و لم تخف # بريا و لم تقبل إساءة مجرم

و كفّرت بالعفو الذنوب مع الّذي # أتيت فأضحى راضيا كلّ مسلم

[57]

و قال الرضي أبو الحسن (ره) .

يا ابن عبد العزيز لو بكت العين فتى من أميّة لبكيتك غير أني أقول إنك قد طبت و إن لم يطب و لم يزك بيتك

أنت نزّهتنا عن السبّ و القذ # ف؛ فلو أمكن الجزاء جزيتك

[58]

إنّ عمر بن عبد العزيز لم ينجح في مسعاه لسببين:

أولا-لأنّ المسلمين كانوا قد اعتادوا على لعن الإمام علي و رأوا فيه سنّة لا ينبغي تركه، و أبى بعضهم ترك لعن الامام علي (ع) على عهد عمر بن عبد العزيز مثل أهل حرّان كما رواه الحموي و المسعودي حيث قال:

قد كان أهل حرّان قاتلهم اللّه تعالى حين أزيل لعن أبي تراب-يعني علي بن أبي طالب (رض) -عن المنابر يوم الجمعة امتنعوا عن إزالته و قالوا:

لا صلاة إلاّ بلعن أبي تراب. و أقاموا على ذلك سنة حتى كان من أمر

---

(56) شرح الخطبة 59 من نهج البلاغة لابن أبي الحديد، و أوجز منه في تاريخ اليعقوبي 1/305.
(57) الأغاني 9: 258 (طبعة الدار) مع إختلاف في الرواية.
(58) ديوانه، لوحة 124.

المشرق و ظهور المسوّدة ما كان [59] .

ثانيا-لأنّ الخلفاء الأمويين من بعد عمر بن عبد العزيز أعادوا تلك السنّة السيئة كما ندرسها في ما يأتي بإذنه تعالى.

د-على عهد هشام بن عبد الملك

روى ابن عساكر في ترجمة جنادة بن عمرو بن الجنيد بن عبد الرحمن الحرّي مولى بني امية و قال: إنّه روى عن جدّه الجنيد أنه قال:

أتيت من حوران إلى دمشق لآخذ عطائي فصليت الجمعة ثم خرجت من باب الدرج فإذا عليه شيخ يقال له أبو شيبة القاصّ يقصّ على الناس فرغّب فرغبنا و خوّف فبكينا، فلما انقضى حديثه قال اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب فلعنوا أبا تراب عليه السلام. فالتفت إلى من على يميني فقلت له: فمن أبو تراب؟ فقال: علي بن أبي طالب ابن عم رسول اللّه و زوج ابنته و أول الناس إسلاما و أبو الحسن و الحسين. فقلت: ما أصاب هذا القاص، فقمت إليه و كان ذا وفرة فأخذت وفرته بيدي و جعلت ألطم وجهه و أبطح برأسه الحائط فصاح فاجتمع أعوان المسجد فوضعوا ردائي في رقبتي و ساقوني حتى أدخلوني على هشام بن عبد الملك و أبو شيبة يقدمني، فصاح: يا أمير المؤمنين!قاصّك و قاصّ آبائك و أجدادك أتى إليه اليوم أمر عظيم. قال: من فعل بك؟فقال: هذا فالتفت إليّ هشام و عنده أشراف الناس فقال: يا أبا يحيى متى قدمت؟ فقلت أمس و أنا على المصير إلى أمير المؤمنين فأدركتني صلاة الجمعة فصليت و خرجت إلى باب الدرج فإذا هذا الشيخ قائم يقصّ فجلست إليه فقرأ فسمعنا

---

(59) مروج الذهب، 3/245. و مادة حرّان من معجم البلدان، و اللفظ للأول، و حرّان مدينة بين الموصل و الشام و تركيا و تخرج منها ابن تيمية (ت 728 هـ) مؤسس المذهب السلفي.

فرغب من رغب و خوف من خوف و دعا فأمنا و قال في آخر كلامه اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب فسألت من أبو تراب؟فقيل: علي بن أبي طالب أول الناس إسلاما و ابن عم رسول اللّه و أبو الحسن و الحسين و زوج بنت رسول اللّه فو اللّه يا أمير المؤمنين لو ذكر هذا قرابة لك بمثل هذا الذكر و لعنه بمثل هذا اللعن لأحللت به الذي أحللت فكيف لا أغضب لصهر رسول اللّه و زوج ابنته؟!فقال هشام: بئس ما صنع، ثم عقد لي على السند ثم قال لبعض جلسائه: «مثل هذا لا يحاورني هاهنا فيفسد علينا البلد فباعدته إلى السند» فلم يزل بها إلى أن مات و فيه يقول الشاعر:

ذهب الجود و الجنيد جميعا # فعلى الجود و الجنيد السلام

(60)

كان ذلكم عمل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، و في ما يأتي مثال من عمل ولاته:

عمل خالد بن عبد اللّه القسري

ذكر المبرد في «الكامل» أن خالد بن عبد اللّه القسريّ لمّا كان أمير العراق في خلافة هشام، كان يلعن عليّا عليه السلام على المنبر، فيقول: اللهم العن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، صهر رسول اللّه على ابنته، و أبا الحسن و الحسين!ثم يقبل على الناس فيقول: هل كنّيت

61

؟!

(60) ترجمة جنادة بن عمرو بن الجنيد في تهذيب تاريخ دمشق لابن بدران 3/410 و اللفظ له و في مختصره لابن منظور، 6/117-118.
(61) الكامل 414 (طبعة اوروبا) .

و المبرد أبو العبّاس محمد بن يزيد الازدي الثمالي شيخ أهل النحو و حافظ علم العربية كان من أهل

من هو خالد بن عبد اللّه القسري:

ابن النصرانية

62

أبو الهيثم بن عبد اللّه القسري كان كريما ببيت مال المسلمين ينفقه و يكسب به حمد الناس في الدنيا. ولي مكة لأبناء عبد الملك الوليد و سليمان و هشام، و ولي العراق لهشام.

قال ابن عساكر في ترجمته:

ساق ماء إلى مكة فنصب طستا إلى جانب زمزم ثم خطب فقال: قد جئتكم بماء الغاية لا يشبه أمّ الخنافس (يعني ماء زمزم) ، و كان يقع في علي ابن أبي طالب.

و قال ابن عساكر: و ذكر كلاما لا يحلّ ذكره.

و قال-أيضا-:

و خطب و قال في خطبته: و اللّه لو كتب إليّ أمير المؤمنين لنقضتها حجرا حجرا، يعني الكعبة.

و كان عاقبة أمر خالد أنّ الخليفة هشاما سلّمه إلى يوسف بن عمر واليه على العراق فقتله تعذيبا في السجن سنة 126 ه

63

.

و قال ابن خلكان: بنى خالد كنيسة في داره لأمّه

64

.

قالبصرة فسكن بغداد (ت 285 هـ) بها و أشهر مؤلفاته الكامل. راجع ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب.

(62) هكذا ورد ذكره في فهرست الطبري، 163، للمستشرق دي خويه.

(63) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور، 7/369-384.

(64) هكذا رواه ابن كثير في تاريخه، 10/21. و بعض أخباره في مروج الذهب، 3/120 و 174 و 179 و 280.

كانت الخلافة الأموية تسعى جاهدة في إبعاد المسلمين عن ذكر الإمام علي بخير، و بلغت في ذلك أنّها منعت من تسمية أحد باسم علي: كما نرى ذلك في الخبر الآتي:

بنو أميّة يقتلون من سمّي عليّا

روى ابن حجر في ترجمة علي بن رباح و قال ما موجزه:

كان بنو أميّة إذا سمعوا بمولود اسمه علي قتلوه، فبلغ ذلك رباحا فقال:

هو عليّ، و كان يغضب من عليّ و يحرّج على من سمّاه به.

المعنى أنّ رباحا كان يقول: اسم ابني عليّ.. و قال ابن حجر:

قال عليّ بن رباح لا أجعل في حلّ من سماني (عليّ) فإنّ اسمي عليّ

65

.

و يظهر من خبر عمر بن عبد العزيز و خبر هشام الآتي أنّ لعن الإمام عليّ من قبل بني أميّة كان مع علمهم بمنزلته. فقد روى ابن أبي الحديد:

أنّ هشام بن عبد الملك لما حجّ خطب بالموسم، فقام إليه إنسان، فقال:

يا أمير المؤمنين، إنّ هذا يوم كانت الخلفاء تستحبّ فيه لعن أبي تراب، فقال: اكفف، فما لهذا جئنا

66

.

إنّ سبب امتناع هشام من لعن الإمام عليّ في خطبته في الموسم يوم عرفة هو الأمر نفسه الّذي كان يتلجلج بسببه عبد العزيز في لعنه الإمام عليّا في خطبته في المدينة كما أبانه لابنه عمر بن عبد العزيز و الّذي أسلفنا ذكره، حيث قال له:

(65) علي بن رباح اللخمي (ت 114 أو 117 هـ) راجع ترجمته في تهذيب التهذيب، 7/319.
(66) شرح ابن أبي الحديد، 1/85.

يا بنيّ إنّ من ترى تحت منبرنا من أهل الشام و غيرهم-جنده و خاصّة من حوله-لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد.

إذا فقد كانت سياسة الخلافة الأموية القرشية في هذا الأمر تبعا لسياسة الخلافة القرشية في بادئ أمر الخلافة بعد الرسول (ص) و قد بقيت آثار تلك السياسة في المجتمع الإسلامي بعد بني أميّة كما ندرس أمثلة ممّا جرى في هذا الشأن على عهد بني العباس في ما يأتي بإذنه تعالى.

ج- على عهد العبّاسيين:

بقيت في المجتمع الإسلامي على عهد العباسيين آثار ما فعله الخلفاء، و الولاة قبلهم. و ندرس في ما يلي ثلاثة أمثلة من ثلاث طبقات في هذا الشأن على عهدهم:

أوّلا-من عمل طبقة العلماء:

روى ابن حجر في ترجمة أبي عثمان حريز بن عثمان[67] الحمصي و قال ما موجزه:

كان ينتقص عليّا و ينال منه، و قال إسماعيل بن عياش[68] عادلت حريز بن عثمان من مصر إلى مكّة فجعل يسبّ عليّا و يلعنه. و قال أيضا: سمعت حريز ابن عثمان يقول: هذا الّذي يرويه الناس عن النبيّ (ص) أنّه قال لعلّي: «أنت

(67) حريز بن عثمان دخل بغداد في عصر المهدي العباسي (ت 163 هـ) قال ابن حجر في ترجمته بتهذيب التهذيب، 2/237-240. و تقريب التهذيب، 1/159: ثقة ثبت رمي بالنصب أخرج حديثه البخاري و غيره عدا مسلم، و راجع ترجمته في تهذيب تاريخ ابن عساكر لابن بدران، 4/116-118.

(68) إسماعيل بن عيّاش بن سليم العنسي الحمصي (ت 81 أو 82 هـ) أخرج حديثه أصحاب السنن. تقريب التهذيب، 1/73.

منّي بمنزلة هارون من موسى» حقّ، و لكن أخطأ السامع، قلت: فما هو؟ قال: إنّما هو: أنت منّي بمنزلة قارون من موسى.

و ذكر الأزدي أنّ حريز بن عثمان روى أنّ النبيّ (ص) لما أراد أن يركب جاء عليّ بن أبي طالب فحلّ حزام البغلة ليقع النبيّ (ص) .

و قيل ليحيى بن صالح

69

لم لا تكتب عن حريز؟فقال: كيف أكتب عن رجل صلّيت معه الفجر سبع سنين، فكان لا يخرج من المسجد حتّى يلعن عليّا سبعين مرّة.

و قال ابن حبان

70

: كان يلعن عليّا بالغداة سبعين مرّة و بالعشي سبعين مرّة.

ثانيا-من عمل طبقة الحكّام:

روى ابن حجر في ترجمة نصر بن عليّ، و قال:

لما حدّث نصر بن عليّ حديث عليّ بن أبي طالب أنّ رسول اللّه (ص) أخذ بيد حسن و حسين فقال من أحبّني و أحبّ هذين و أباهما و أمّهما كان في درجتي يوم القيامة، أمر المتوكّل بضربه ألف سوط,فكلّمه فيه جعفر بن عبد الواحد و جعل يقول له: هذا من أهل السنّة فلم يزل به حتّى تركه

71

.

(69) يحيى بن صالح الوحاظي الحمصي (ت 222 هـ) أخرج حديثه أصحاب الصحاح و السنن تقريب التهذيب، 2/349.
(70) ابن حبان محمد بن حبان أبو حاتم البستي (ت 354 هـ) .
(71) نصر بن علي بن صهبان الأزدي الجهضمي (ت 250 أو 251 هـ) تهذيب التهذيب، 10/430.

ثالثا-من عمل عامّة الناس:

روى الذهبي في ترجمة ابن السّقا من تذكرة الحفاظ، و قال:

الحافظ الإمام، محدّث واسط، أبو محمّد، عبد اللّه بن محمّد بن عثمان الواسطي.

و اتّفق أنّه أملى حديث الطير، فلم تحتمله نفوسهم، فوثبوا به فأقاموه، و غسلوا موضعه فمضى و لزم بيته. فكان لا يحدّث أحدا من الواسطيين، فلهذا قلّ حديثه عندهم

72

.

لم يقتصر ما جرى من الحكّام على آل البيت طوال القرون على ما أوردنا أمثلة منه من قيامهم بلعنهم و أمر الناس بلعنهم و التبري منهم و ترك رواية أحاديث الرسول (ص) في مدحهم، بل شمل أنواع الأذى لهم و قتلهم قتل إبادة، كما أوردنا بعضها في المجلد الثالث من هذا الكتاب، في ذكرنا ما جرى على آل الرسول (ص) في كربلاء، ثمّ تسلسل قتل الحكام إيّاهم على عهد الأمويين و العباسيين، كما حفل بذكر أخبارهم أبو الفرج في كتابه مقاتل الطالبيين.

و أحيانا كان يجري عليهم من قبل الخلفاء العباسيين أشدّ مما كان يجري عليهم على عهد الخلفاء من قبلهم، كالآتي ذكر أمثلة منه بحوله تعالى:

---

(72) تذكرة الحفاظ ص 965-966.

و حديث الطير أن رسول اللّه (ص) أهدي إليه طير مشوي فوضع بين يديه فقال: اللهم ائتني بأحبّ الخلق إليك يأكل معي. فجاء علي بن أبي طالب و أكل معه. و راجع أسانيد حديث الطير في: 2/105 -155، من سيرة الإمام علي في تاريخ دمشق لابن عساكر تحقيق البحاثة المحقق المحمودي ط. بيروت سنة 1395 هـ.

أ-مثال ممّا جرى على آل الرسول (ص) على عهد المنصور

روى أبو الفرج انّ المنصور قال لمحمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب:

أنت الديباج الأصفر؟ قال نعم.

قال: أمّا و اللّه لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحدا من أهل بيتك.

ثمّ أمر بأسطوانة ففرغت ثمّ أدخل فيها فبنيت عليه و هو حيّ

73

.

ب-بعض ما جرى على آل الرسول على عهد المتوكل

روى الطبري في ذكر حوادث سنة (236 هـ) ، و قال:

و فيها أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن عليّ و هدم ما حوله من المنازل و الدور و أن يحرث و يبذر و يسقى موضع قبره و أن يمنع الناس من إتيانه.

فذكر أنّ عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به إلى المطبق، فهرب الناس و امتنعوا من المصير إليه و حرث ذلك الموضع و زرع ما حواليه

74

.

و قال ابن الأثير في ذكر حوادث سنة (236 هـ) من تاريخه:

(73) الطبري 9/198، و مقاتل الطالبيّين ص 200.

و الديباج من الثياب ما كان من الحرير، و ديباجة الوجه حسن بشرته.

و المنصور أبو جعفر عبد اللّه بن محمد بن علي ثاني الخلفاء العباسيين (ت 158 هـ) .

(74) الطبري 3/1407 في ذكر حوادث سنة ست و ثلاثين و مائتين، و المتوكّل على اللّه جعفر بن المعتصم بن هارون الرشيد. ولي الخلافة سنة 232 و قتل سنة 247 هـ. و المطبق: سجنه الرهيب.

في هذه السنة أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن عليّ عليه السلام و هدم ما حوله من المنازل و الدور و أن يبذر و يسقى موضع قبره و أن يمنع الناس من إتيانه. فنادى بالناس في تلك الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة حبسناه في المطبق فهرب الناس و تركوا زيارته و خرب و زرع. و كان المتوكل شديد البغض لعليّ بن أبي طالب عليه السلام و لأهل بيته. و كان يقصد من يبلغه عنه أنّه يتولى عليّا و أهله بأخذ المال و الدم. و كان من جملة ندمائه عبادة المخنث و كان يشدّ على بطنه تحت ثيابه مخدة و يكشف رأسه و هو أصلع و يرقص بين يدي المتوكل و المغنون يغنون:

قد أقبل الأصلع البطين، خليفة المسلمين، يحكي بذلك عليّا عليه السلام، و المتوكل يشرب و يضحك. ففعل ذلك يوما و المنتصر حاضر، فأومأ إلى عبادة يتهدده فسكت خوفا منه، فقال المتوكل: ما حالك؟فقام و أخبره، فقال المنتصر: يا أمير المؤمنين إنّ الّذي يحكيه هذا الكلب و يضحك منه الناس هو ابن عمك و شيخ أهل بيتك و به فخرك فكل أنت لحمه إذا شئت، و لا تطعم هذا الكلب و أمثاله منه، فقال المتوكل: للمغنين غنّوا جميعا:

غار الفتى لابن عمّه # رأس الفتى في حر أمّه

فكان هذا من الأسباب الّتي استحل بها المنتصر قتل المتوكل

75

.

و قال أبو الفرج في مقاتل الطالبيين

76

:

بعث برجل من أصحابه يقال له الديزج-و كان يهوديا فأسلم-إلى قبر الحسين، و أمره بكرب قبره و محوه و إخراب كلّ ما حوله، فمضى لذلك

(75) الكامل في التاريخ لابن الأثير ط. مصر الأولى، 7/18.
(76) مقاتل الطالبيّين 598-599.

و خرب ما حوله و هدم البناء و كرب ما حوله نحو مائتي جريب، فلما بلغ إلى قبره لم يتقدم إليه أحد، فأحضر قوما من اليهود فكربوه، و أجرى الماء حوله، و وكّل به مسالح، بين كلّ مسلحتين ميل، لا يزوره زائر إلاّ أخذوه و وجهوا به إليه.

و روى عن محمد بن الحسين الأشناني أنّه قال:

بعد عهدي بالزيارة في تلك الأيّام خوفا، ثمّ عملت على المخاطرة بنفسي فيها، و ساعدني رجل من العطارين على ذلك، فخرجنا زائرين، نكمن النهار و نسير الليل، حتّى أتينا نواحي الغاضرية، و خرجنا منها نصف الليل فسرنا بين مسلحتين و قد ناموا حتّى أتينا القبر فخفي علينا، و جعلنا نشمّه و نتحرى جهته حتّى أتيناه، و قد قلع الصندوق الّذي كان حواليه و أحرق، و أجري الماء عليه فانخسف موضع اللبن و صار كالخندق، فزرناه فأكببنا عليه فشممنا منه رائحة ما شممت مثلها قطّ كشيء من الطيب، فقلت للعطار الّذي كان معي، أيّ رائحة هذه؟فقال لا و اللّه ما شممت مثلها كشيء من العطر. فودعناه و جعلنا حول القبر علامات في عدّة مواضع.

فلما قتل المتوكل اجتمعنا مع جماعة من الطالبيين و الشيعة حتّى صرنا إلى القبر فأخرجنا تلك العلامات و أعدناه إلى ما كان عليه.

و قال-أيضا- و استعمل على المدينة و مكّة عمر بن الفرج الرخجي فمنع آل أبي طالب من التعرض لمسألة الناس، و منع الناس من البرّ بهم، و كان لا يبلغه أنّ أحدا أبرّ أحدا منهم بشيء و إنّ قلّ إلاّ أنهكه عقوبة، و أثقله غرما، حتّى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلّين فيه واحدة بعد واحدة، ثمّ

يرقعنه و يجلسن على معازلهن عواري حواسر، إلى أن قتل المتوكل، فعطف المنتصر عليهم و أحسن إليهم، و وجه بمال فرقه فيهم، و كان يؤثر مخالفة أبيه في جميع أحواله و مضادّة مذهبه طعنا عليه و نصرة لفعله

[77]

.

كانت تلكم بعض آثار سياسة الخلافة القرشية على آل الرسول مدى القرون. و سوف ندرس آثارا أخرى لها بعد إيراد نتيجة البحث الآتية بحوله تعالى.

نتيجة البحث:

كرهت قريش أن تجتمع النبوّة و الخلافة في بني هاشم فنهت من استطاعت أن تنهاه عن كتابة حديث الرسول (ص) في حياة الرسول (ص) كي لا يكتب نصّ عن الرسول (ص) يثبت حقّا في الخلافة لمن تكره أن يلي الحكم من بني هاشم بعد الرسول (ص) . و أيضا لكي لا ينشر حديث من الرسول (ص) فيه منقصة لذوي أرومتهم من قريش تبعدهم عن الحكم و فضيلة لمنافسيهم من بني هاشم خاصّة و الأنصار عامّة.

و للسبب نفسه منعت الرسول (ص) من كتابة وصيّته في آخر ساعة من حياته، تلك الوصية التي قال عنها: لن تضلوا بعدها أبدا. و خشية أن يكتب نصّا لمن يتولى الحكم بعده من بني هاشم الّذين كرهوا أن تجتمع فيهم النبوّة و الخلافة، و للسبب نفسه سعى الصحابي عمر القرشي و من معه من مهاجرة قريش في أخذ البيعة لأبي بكر القرشي التيمي بعد وفاة الرسول (ص) .

و لذلك-أيضا-أدلى أبو بكر بالخلافة إلى صاحبه عمر القرشي العدوي

(77) مقاتل الطالبيّين ص 599.

بواسطة عثمان القرشي

78

.

و للسبب نفسه منع الخليفة عمر بن كتابة حديث الرسول (ص) و نشره، و أحرق ما كتبه الصحابة منه و سجن منهم في المدينة من خالفه و نشر حديث الرسّول (ص) في البلاد خارج المدينة

79

.

و للسبب نفسه كان عمر إذا استعمل العمال خرج معهم يشيعهم فيقول... جرّدوا القرآن و أقلّوا الرواية عن محمد، و أنا شريككم

80

.

و للسبب نفسه لم يولّ الخليفتان أبو بكر و عمر أحدا من بني هاشم على جيش في الفتوح و لا على بلد مفتوح

81

.

و لذلك-أيضا-دبّر الخليفة عمر تولية عثمان القرشي الأمويّ على الحكم بواسطة عبد الرحمن بن عوف في الشورى القرشية

82

.

و للسبب نفسه جرّد عثمان القرآن من حديث الرسول (ص) و نسخه في مصاحف و وزّعه على البلاد الإسلامية و أحرق ما عداها من مصاحف الصحابة التي دوّن فيها مع القرآن أحاديث الرسول (ص) في تفسير القرآن. و جلب الصحابي عبد اللّه بن مسعود من الكوفة إلى المدينة لمخالفته إيّاه في إحراق المصاحف و أمر بضربه و قطع عطاءه من بيت المال

83

.

(78) راجع أخبارها و مصادرها في فصل الواقع التاريخي لقيام الخلافة من هذا الكتاب ص 142 فما بعدها.

(79) راجع 2/44-45، من هذا الكتاب فصل منع كتابة الحديث على عهد الخلفاء.

(80) تاريخ الطبري 5/19، في ذكر سيرة عمر من حوادث سنة 30 هـ.

(81) راجع مروج الذهب للمسعودي 2/321-322، و يؤيد ذلك أنهم لم يولّوا أحدا من بني هاشم على عهد الخلفاء الثلاثة.

(82) أشرنا إلى هذا الخبر قبيل هذا.

(83) راجع بحث على (عهد عثمان) من (تاريخ القرآن) في كتابنا (القرآن الكريم و روايات

و نفى الصحابي أبا ذر من المدينة إلى الربذة لنشره حديث الرسول بين العباد و في البلاد

84

.

و أدلى بالخلافة إلى عبد الرحمن القرشي الزهري في وصيّته التي كتبها في مرضه بالرعاف

85

.

و عند ما توفي عبد الرحمن في حياة عثمان و قتل عثمان و لم يتسنّ له أن يولّي أحدا من قريش على الحكم عندئذ ملك المسلمون زمام أمرهم فتهافتوا على الإمام علي (ع) يبايعونه يتقدمهم سروات قريش من الصحابة بعد فقدهم زمام المبادرة، و بعد أربعة أشهر من ذلك لملمت قريش أطرافها و أقامت على الإمام عليّ حرب الجمل بقيادة أمّ المؤمنين عائشة و طلحة و الزبير لعلّها تسلب الحكم من الإمام علي (ع)

86

، و ثنّت بإقامة حرب صفين عليه للسبب نفسه و لكي تتمكن من إقامة الحربين عليه أشاعت بين المسلمين خارج المدينة بأنّ الإمام قتل الخليفة عثمان و استولى على الحكم

87

؛ و لمّا كان المسلمون خارج المدينة يأخذون معالم دينهم و أخبار سيرة الرسول (ص) و سيرة أهل بيته و أصحابه ممّن يليهم من الصحابة، و ولاتهم من رجالات قريش و حلفائها و مواليها، و لا يعلمون ما عدا القرآن من الإسلام و سيرة أهله غير ما يذيعه فيهم أولئك الرجال، و لا يملكون سبيلا للمعرفة غير ذلك؛ فقد استطاعت قريش أن تشوّش على المسلمين رؤيتهم للإمام علي (ع) ، و زاد في الطين بلّة رفع جيش معاوية المصاحف

ق (المدرستين) و راجع خبر ابن مسعود في كتاب أحاديث أمّ المؤمنين عائشة فصل (على عهد الصهرين) .

(84) راجع 2/46 من هذا الكتاب.

(85) مضى ذكر مصدره.

(86) راجع خبر الجمل في كتاب أحاديث أمّ المؤمنين عائشة فصل على عهد الصهرين.

(87) راجع أخبار صفّين في تاريخ الطبري و ابن الأثير و ابن كثير.

عند ما ضعفوا عن القتال في صفين و دعوتهم الإمام عليّا (ع) و جيشه إلى تحكيم القرآن ثم إلى تحكيم الحكمين، و عند ما أصرّ القرّاء في جيش الإمام علي (ع) و من تبعهم على قبول التحكيم و خدع الصحابي عمرو بن العاص القرشي الأموي الصحابي أبا موسى الأشعري في مقام الحكم، و انتشر خبر الخدعة؛ كبر ذلك على جمع ممّن قبلوا التحكيم من قرّاء أهل الكوفة فكفّروا عامّة المسلمين، و خرجوا على الإمام علي (ع) و حاربوه في النهروان فقتلهم الإمام علي (ع) ، ثم اغتال أحدهم الإمام في محرابه بمسجد الكوفة

88

. إنّ كلّ ذلك شوش على المسلمين خارج المدينة الرؤية الصحيحة للإمام عليّ (ع) و سبّب قبولهم ما ينشر عن الإمام علي (ع) خلافا للواقع و الحق.

و من جانب آخر تبدّل كره قريش أن يستولي على الحكم أحد من بني هاشم-و المقصود في هذه الكراهية استيلاء الإمام علي على الحكم إذ لم يكن غيره في بني هاشم مرشحا للحكم غيره-، تبدّل ذلك الكره في الحربين التي أقامتها قريش على الإمام علي (ع) إلى الحقد و العداء على الإمام علي (ع) و قام حكم قريش على المسلمين بعد ذلك على أساس الحقد و العداء للإمام عليّ (ع) ، و ظهر ذلك جليّا في حكم بني أميّة على المسلمين كما نشير إليه في ما يأتي:

(88) راجع أخبار صفّين و النهروان في تاريخ الطبري و ابن الأثير و ابن كثير و غيرها.

عداوة الخلافة الاموية للامام علي و آثارها

أوّلا-في خلافة آل أبي سفيان و على عهد معاوية

عند ما استولى معاوية على الحكم بنى سياسة الحكم على أساسين:

1- الادلاء بالخلافة لابنه يزيد بعد أن كانت سياسة الخلفاء قائمة على أساس تداول الخلافة في قريش و كان شعارهم في ذلك (وسّعوها في قريش تتسع)[89]

.

2- سياسة العداء لآل الرسول (ص) و لسيّدهم الإمام علي (ع) خاصّة.

لم نعلم في التاريخ مثيلا لعداء معاوية للإمام علي (ع) خاصّة بالإضافة إلى عداوته لعامّة بني هاشم، و لذلك شيّد حكمه على ذمهم و اختلاق المثالب في حقهم و المناقب لغيرهم، و نشر ذلك بين الناس في البلاد، و أمر بلعن الإمام علي (ع) في كل ناد و خاصة في خطب صلاة الجمعة في المساجد من أقصى بلاد الشرق إلى أقصى بلاد الغرب الإسلامية، و آلى ألاّ يتركه حتى يهرم عليه الصغير و يفنى الكبير، و قتل من امتنع عن ذلك من أفاضل المسلمين بأنواع القتل، و أربى على ذلك ابنه يزيد حين قتل آل الرسول (ص) في كربلاء و قطع رءوسهم و سبى ذريّة الرسول و طاف بالرءوس و بالسبايا في البلاد، و بذلك انتهت أفعال الخلافة الأموية من آل أبي سفيان، و انتهى الحكم إلى بني

(89) لست أدري الآن أين رأيت خبر رفع قريش هذا الشعار بعد وفاة الرسول (ص) و انّ عملهم في تولية القرشيين على الحكم من بطون مختلفة من قريش يدل على ذلك.

مروان من آل أميّة.

سياسة حكم الخلافة المروانية من آل أميّة

تبع الخلفاء من آل مروان سياسة معاوية في تداول الحكم في أسرتهم و في لعن الإمام علي (ع) و التنقيص من قدره إلى زمان عمر بن عبد العزيز الذي أمر بترك لعن الإمام. غير أنّ الناس كانوا قد اعتادوا على لعن الإمام و رآه بعضهم فريضة لا يصحّ تركها و لا تقبل صلاة الجمعة دونها كما كان شأن أهل حرّان الّذين قالوا: (لا صلاة دون لعن أبي تراب) ، و لم يدم حكم ابن عبد العزيز أكثر من سنتين و أشهر

[90]

إذ سمّه آل أبيه

[91]

و عادت آل أميّة بعده إلى عادتها القديمة في لعن الإمام إلى أن جاء إلى الحكم بعدهم بنو العبّاس، و كانت سياستهم كالآتي.

سياسة حكم الخلافة العباسية:

كان في خلفاء بني العباس من زاد على بني أميّة في قتل آل الرسول و الحط من مكانتهم بين المسلمين مثل أبي جعفر المنصور و هارون الرشيد و المتوكل، و فيهم من خالف أولئك و مال إلى أهل البيت

[92]

.

(90) مروج الذهب للمسعودي، 3/35، و غيره.
(91) تاريخ ابن كثير، 9/209.
(92) مثل الناصر لدين اللّه الذي كان من أتباع مدرسة أهل البيت و قد شاهدت من آثاره في سامراء في مصلى الأئمة تحت مسجد المهدي و المسمى بسرداب الغيبة كتابة خشبية في صفتها نصبت في ارتفاع أكثر من متر من قاع الصفة كتب عليها أسماء الائمة الاثني عشر و أنّها شيدت بأمر الخليفة الناصر لدين اللّه.

غير أنّ الناس كانوا قد تربوا تسعين عاما مدة الخلافة الأموية

93

كما خطط معاوية تربيتهم على التّبري من الإمام علي (ع) و لعنه و تنقيصه، و بقي أثر تلكم التربية إلى عهد العباسيين، فقد كان على عهدهم من العلماء و المحدثين حريز بن عثمان (ت: 162 هـ) الذي كان يلعن الإمام بالغداة سبعين مرّة و بالعشي سبعين مرّة و وضع الأحاديث في ذم الإمام و رواها في بغداد و غيرها من عواصم البلاد الإسلامية.

و كان في عامة بلادهم أناس مثل أهالي واسط الذين اتفق لعالمهم و محدث بلدهم عبد اللّه بن محمد بن عثمان (ت: 371 هـ) أن أملى حديث الطير، فأقاموه و غسلوا موضعه، فمضى و لزم بيته.

اتفق لمحدث البلد مرّة واحدة أن يحدّث بحديث واحد فيه فضيلة للإمام علي (ع) فأقامه أهل البلد و غسلوا الموضع الذي جلس فيه و حدّث ذلك الحديث.

لم يقتصر الأمر على ما ذكرنا و من ذكرنا، و لا على تلك العصور، بل امتد الأمر إلى غيرهم و إلى عصرنا الحاضر و إنما اقتصرنا في ما سبق على ذكر أمثلة من عمل الحكام طوال القرون في إخفاء ذكر أهل بيت الرسول (ص) و نشر الكراهية لهم و الانتقاص من قدرهم كي لا يتجه المسلمون إليهم، و يدبروا عنهم. فينتقض حكمهم-حكم الخلافة القرشية-و يشاد على انقاضه حكم لآل الرسول (ص) ، و أنتجت سياسة الخلافة القرشية قادة و أتباعا مع أهل البيت، أموية و عباسية، و غير أموية و غير عباسية إجراء عشرة أنواع من

(93) راجع مروج الذهب للمسعودي، 3/235.

الكتمان و التحريف في مدرسة الخلفاء على سنة الرسول (ص) و أخبار سيرة أهل بيته و أصحابه في ما يخصّ منها أهل البيت، كما سندرسها في بحث: (دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنة الرسول (ص) و سيرة أهل بيته و أصحابه) الآتي بإذنه تعالى.

عشرة أنواع من الكتمان و التحريف لسنّة الرسول (ص) و أخبار سيرة أهل بيته و أصحابه

دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنة الرسول (ص) المخالفة لاتّجاهها

في هذه العجالة نضرب-مثلا-لما فعلته مدرسة الخلفاء بالنصوص الّتي تخالف اتّجاهها بعملها مع النصوص الّتي فيها ذكر صفة الوصيّ للإمام عليّ (ع) في سنّة الرسول (ص) و أقوال الصّحابة و نقول:

روت الصّحابة روايات متعددة موثوقة و معتبرة أنّ رسول اللّه (ص) قال: عليّ وصيّي و وزيري و وارثي. و في بعضها: و خليفتي؛ و اشتهر الإمام عليّ بلقب الوصيّ من بين هذه الألقاب، و أصبح علما له، و لم يعرف غيره بهذا اللّقب، كما كنّاه رسول اللّه (ص) بأبي تراب، فاختصّ به و اشتهر و أصبح علما له، و لم تعرف لغيره هذه الكنية. ثمّ أكثرت الصّحابة و التابعون و من جاء بعدهم من الشعراء ذكره بالوصيّ في أشعارهم كما ورد ذكره عند علماء أهل الكتاب و أخبروا النّاس بذلك.

إنكار الوصية

لما كانت شهرة لقب (الوصيّ) للإمام عليّ تخالف سياسة مدرسة الخلفاء، فقد سعوا في مقابلة هذه الشّهرة بإنكارها و كتمان النصوص الدالّة عليها.

بدأت أمّ المؤمنين عائشة بحملة دعاية قويّة ضدّ شهرة الإمام عليّ بلقب الوصيّ و أنكرته، ثمّ استمرّت حملاتهم ضدّ هذه الشّهرة بأشكال أخرى مدى القرون.

و من أهمّ ما فعلته مدرسة الخلفاء في هذا المقام كتمان النصوص الواردة في شأن الوصيّة، و يجد الباحث المتتبّع من كتمان النصوص الّتي تخالف سياسة الخلفاء بمدرستهم سواء ما كان منها في شأن الوصيّة أو في غيرها، أمرا هائلا خطيرا.

و من أمثلة الكتمان لدى مدرسة الخلفاء، الأصناف العشرة الآتية، نذكرها بحسب أهميتها في كتمان سنة الرسول (ص) بدءا بالمهمّ فالأهمّ:

أ- حذف بعض الحديث من سنّة الرسول (ص) و تبديله بكلمة مبهمة.

ب- حذف تمام الخبر من سيرة الصّحابة مع الإشارة إلى الحذف.

ج- تأويل معنى الحديث من سنّة الرسول (ص) .

د- حذف بعض أقوال الصّحابة مع عدم الإشارة إليه.

هـ- حذف تمام الرواية من سنّة الرسول (ص) مع عدم الإشارة إليه.

و- النهي عن كتابة سنة الرسول (ص) .

ز- تضعيف الروايات و رواة سنة الرسول (ص) و الكتب الّتي تنتقص السلطان.

ح- إحراق الكتب و المكتبات.

ط- حذف بعض الخبر من سيرة الصّحابة و تحريفه.

ي- وضع الروايات المختلقة بدلا من روايات سنة الرسول (ص) الصحيحة و سيرة الصحابة الصحيحة:

أ-حذف بعض الحديث من سنّة الرسول (ص) و تبديلها بكلمة مبهمة

من أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء، حذف بعض الحديث من سنّة الرسول (ص) و تبديلها بكلمة مبهمة بدل ما حذف، مثل ما فعله الطبري و ابن كثير بخبر دعوة بني هاشم في تفسير الآية: **وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ اَلْأَقْرَبِينَ** حيث حذفا قول رسول اللّه (ص) : «و وصيّي و خليفتي فيكم» و أبدلاه بقولهما: [و كذا و كذا].

و من هذا النوع من الكتمان ما فعله البخاري في صحيحه مع سيرة الصحابة في خبر عبد الرحمن الّذي مرّ بنا سابقا، حيث حذف قول عبد الرحمن لمروان و قال: [فقال عبد الرحمن شيئا]بدّل كلام عبد الرحمن بقول مبهم و أضاف إلى ذلك حذف ما روته أمّ المؤمنين عائشة عن رسول اللّه (ص) من الحديث في حقّ الحكم والد الخليفة مروان.

و من هذا النّوع من الكتمان-أيضا-ما فعلوه بخبر استشاره رسول اللّه (ص) أصحابه في شأن غزوة بدر و جواب أصحابه له؛ فقد روى ابن هشام و الطبري و قالا:

(و أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم، فاستشار الناس و أخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق فقال و أحسن. ثمّ قام عمر بن الخطاب فقال و أحسن. ثمّ قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول اللّه امض لما أمرك اللّه فنحن معك، و اللّه لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى:

فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ و لكن، اذهب أنت و ربّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون-إلى قوله: -فقال رسول اللّه (ص) خيرا و دعا له به) .

و جاء في جواب سعد بن معاذ الأنصاري قوله:

(فامض يا رسول اللّه (ص) لما أردت، فنحن معك، فو الّذي بعثك بالحقّ لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلّف منّا رجل... فسر رسول اللّه (ص) بقول سعد و نشطه ذلك) .

ترى ما ذا كان جواب الصحابيّين أبي بكر و عمر لرسول اللّه (ص) الّذي حذف من هذه الرواية و أبدل بقول مبهم و هو: [و أحسن]؟و لو كان القول حسنا فلم حذف ذلك القول الحسن!؟بينا أثبت قول المقداد المهاجري و سعد بن معاذ الأنصارى، نرجع إلى صحيح مسلم فنجد في روايته:

انّ رسول اللّه (ص) شاور أصحابه حين بلغه إقبال أبي سفيان قال:

(فتكلّم أبو بكر، فأعرض عنه. ثمّ تكلّم عمر فأعرض عنه....

الحديث) .

ترى لما ذا أعرض الرسول (ص) عن الصحابيّين، لو كان قولهما حسنا؟ و نبحث عن قولهما لدى الواقدي و المقريزي فنجدهما يقولان هكذا، و اللّفظ للأول:

(قال عمر: يا رسول اللّه إنّها و اللّه قريش و عزّها، و اللّه ما ذلّت منذ عزّت، و اللّه ما آمنت منذ كفرت، و اللّه لا تسلم عزّها أبدا، و لتقاتلنّك، فاتّهب لذلك أهبته و أعدّ لذلك عدّته...) (1) .

عرفنا من رواية ابن هشام و الطبري و مسلم أنّ الصحابيّ عمر تكلّم بعد الصحابيّ أبي بكر، و وصف الطبري و ابن هشام قول كلّ منهما ب[فأحسن]و في رواية مسلم أنّ الرسول (ص) أعرض عن أبي بكر، ثمّ عن عمر، و من ثمّ نعرف أنّ قولهما كان أمرا واحدا، و عند ما صرّح الواقدي و المقريزي بقول عمر و كتما قول أبي بكر، كشف لنا قول عمر-أيضا-عن

(1) مرّ بنا ذكر مصادر الخبر في بحث مناقشة الاستدلال بالشورى بهذا الكتاب.

قول أبي بكر.

و لمّا كان قول الصحابيّين يسوء ذكره بعض الناس حذف قولهما من رواية ابن هشام و الطبري و مسلم، و من أجل هذا النوع من الكتمان، أصبحت هذه الكتب من أوثق الكتب بمدرسة الخلفاء.

و أصبح صحيح البخاري الّذي لم يذكر شيئا من هذا الخبر؛ مبهما و غير مبهم أكثر اشتهارا بالصحّة و الوثاقة من جميع الكتب.

إنّ الطبري و ابن كثير أبدلا من حديث الرسول (ص) «وصيّي و خليفتي» ب[كذا و كذا]لأنّ هذا الخبر ينبّه العامة إلى حقّ الإمام عليّ في الحكم، و لا يحسن انتشاره.

و أبدل البخاري قول عبد الرحمن بـ (شيئا) ، لأنّ قول عبد الرحمن كان يسوء الخلفاء: معاوية و يزيد و مروان، و ينبّه العامة على ما لا ينبغي أن يتنبهوا إليه.

و أبدل قول أبي بكر و عمر في جواب رسول اللّه (ص) في كلّ من سيرة ابن هشام و تاريخ الطبري، و حذف من رواية صحيح مسلم، لما فيه ما لا يزين الخليفتين أبا بكر و عمر، و كلّهم حذف بعض الخبر و أبهم في القول.

و هذا النوع من الكتمان كثير عند علماء مدرسة الخلافة.

ب-حذف تمام الخبر من سيرة الصّحابة مع الإشارة إلى الحذف

و من أنواع الكتمان عندهم ما فعلوه بمكاتبات جرت بين محمّد بن أبي بكر و معاوية، فقد وجدنا في كتاب صفّين لنصر بن مزاحم (ت: 212 هـ) و مروج الذهب للمسعودي (ت: 346 هـ) تفصيل كتاب محمّد بن أبي بكر لمعاوية و فيه ذكر فضائل الإمام عليّ بما فيها أنه وصيّ النبيّ، و اعتراف معاوية

في جوابه بها، و في الكتابين ذكر ما لا يزين الخلفاء نشره، فحذفهما الطبري (ت: 310 هـ) مع ذكره لسنده إلى الكتابين، و اعتذر عن ذلك بعدم احتمال العامّة لسماع ما فيهما، أي أنه أخفى الحقائق عن النّاس.

و جاء بعده ابن الاثير (ت: 630 هـ) و فعل كذلك و اعتذر بالعذر نفسه.

و جاء بعدهما ابن كثير و أشار إلى كتاب محمد بن أبي بكر في موسوعته التاريخيّة الكبرى [2] و اقتصر بقوله: (و فيه غلظة) .

قصد الطبري و ابن الأثير من قولهما: (عدم احتمال العامّة لسماع ما فيهما) : أنّ العامّة لا تبقى على عقيدتها بالخلفاء بعد سماع الكتابين.

و هذا الصنف من الكتمان، أي: حذف تمام الخبر مع الإشارة إلى الخبر المحذوف، نادر عند علماء مدرسة الخلفاء.

ج-تأويل معنى الحديث من سنة الرسول (ص)

من أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء تأويل معنى الرواية كما فعل الذهبي [3]

بترجمة النسائي صاحب السنن؛ فإنّه قال: سئل النسائي أن يخرج فضائل معاوية، قال: أي شيء أخرج؟!حديث: اللهمّ لا تشبع بطنه؟ فقال الذهبي:

(قلت: لعلّ هذه منقبة لمعاوية لقول النبيّ (ص) : اللّهمّ من لعنته أو شتمته، فاجعل ذلك له زكاة و رحمة) .

---

(2) البداية و النهاية 7/314. و قد أوردنا الكتابين مع تعليقنا عليهما، و على ما فعله الطبري في ما سبق.
(3) تذكرة الحفاظ ص 698-701

قال الذهبي (ت: 748 هـ) [لعلّ...]. و جاء بعده ابن كثير (ت: 774 هـ) و قال:

(و قد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه و أخراه) .

و هذا نصّ كلامه [4] في الرواية الّتي وردت في شأن معاوية، في صحيح مسلم، باب (من لعنه النبيّ أو سبّه، جعله اللّه له زكاة و طهورا) من كتاب البرّ و الصلة، عن ابن عباس قال:

كنت ألعب مع الصّبيان فجاء رسول اللّه (ص) فتواريت خلف باب، قال: فجاء فخطاني خطاة و قال: «اذهب و ادع لي معاوية» . قال: فجئت فقلت: هو يأكل. قال: ثمّ قال لي: «اذهب فادع لي معاوية» . قال: فجئت فقلت: هو يأكل، فقال: «لا أشبع اللّه بطنه» [5] . كان هذا لفظ مسلم.

و أورد الحديث ابن كثير في تاريخه و زاد على كلام رسول اللّه (ص) بعد قوله: «اذهب و ادع لي معاوية» جملة: (و كان يكتب الوحي) و هذا لفظ ابن كثير:

(عن ابن عباس، قال: كنت ألعب مع الغلمان فإذا رسول اللّه (ص) قد جاء، فقلت: ما جاء إلاّ إليّ، فاختبأت على باب فجاءني فخطاني خطاة أو خطاتين، ثمّ قال: اذهب فادع لي معاوية-و كان يكتب الوحي-قال:

فذهبت فدعوته له، فقيل: إنّه يأكل. فأتيت رسول اللّه (ص) فقلت: إنّه يأكل، فقال: اذهب فادعه، فأتيته الثانية فقيل: إنّه يأكل، فأخبرته، فقال في الثالثة: لا أشبع اللّه بطنه. قال: فما شبع بعدها. و قد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه و أخراه، أمّا في دنياه، فإنّه لمّا صار إلى الشام أميرا [6] كان يأكل

___

(4) البداية و النهاية، 8/119.
(5) صحيح مسلم، كتاب البر و الصلة، ح 96، ص 2010.
و خطاني: ضربني باليد المبسوطة بين الكتفين.

(6) و هذه الإضافة الى آخرها من كلام ابن كثير.

في اليوم سبع مرّات يجاء بقصعة فيها لحم كثير و بصل فيأكل منها، و يأكل في اليوم سبع أكلات بلحم، و من الحلوى و الفاكهة شيئا كثيرا، و يقول: و اللّه ما أشبع و إنّما أعيا، و هذه نعمة و معدة يرغب فيها كلّ الملوك. و أمّا في الآخرة فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الّذي رواه البخاري و غيرهما من غير وجه عن جماعة من الصّحابة، أنّ رسول اللّه (ص) قال:

اللهمّ إنما أنا بشر فأيّما عبد سببته أو جلدته أو دعوت عليه، و ليس لذلك أهلا، فاجعل ذلك كفّارة و قربة تقرّبه بها عندك يوم القيامة. فركب مسلم من الحديث الأول و هذا الحديث فضيلة لمعاوية، و لم يورد له غير ذلك) [7] . انتهى كلام ابن كثير. و أراد بما قال أنّ دعاء الرسول على معاوية دعاء له في الدنيا و الآخرة؛ أمّا في الدنيا فبما ذكره من مزيّة كثرة الأكل للملوك، و أمّا الآخرة فاعتمد الأحاديث الّتي نسبت إلى رسول اللّه (ص) أنّه كان يلعن المؤمنين-معاذ اللّه-و دعا أن يكون لهم زكاة و طهورا، و أنّ مسلما حين أورد هذا الحديث في آخر هذا الباب أثبت لمعاوية رضوانا و تقرّبا إلى اللّه يوم القيامة.

و هكذا يؤوّلون الأحاديث و الأخبار الّتي فيها ذمّ لذوي السلطة من الخلفاء و الولاة إلى ما فيه مدحهم و الثناء عليهم.

و لنا هنا نظرة تأمّل في ما رووا أنّ النبيّ لعن المؤمنين-معاذ اللّه-.

نظرة تأمّل في ما رووا في باب من لعنه النبيّ (ص)

رووا و اللّفظ هنا لمسلم في صحيحه، باب من لعنه النبيّ: أنّ رسول اللّه (ص) قال:

«اللّهمّ إنّي أتّخذ عندك عهدا لن تخلفنيه فإنّما أنا بشر فأيّ المؤمنين آذيته، شتمته، لعنته، جلدته، فاجعلها له صلاة و زكاة و قربة تقربه بها إليك

---

(7) البداية و النهاية، 8/119.

يوم القيامة» .

أشعر-و أنا أكتب هذا-بمثل طعن المدى في قلبي لعظم ما نسب إلى رسول اللّه (ص) !!يروون هذا الحديث في مقابل قول اللّه سبحانه و تعالى:

وَ إِنَّكَ لَعَلىَ خُلُقٍ عَظِيمٍ و ينبغي دراسة هذا الحديث في الصنف الثامن من أنواع الكتمان: (وضع الروايات المختلقة بدلا من الروايات الصحيحة) ، فإنّها نسبت إلى رسول اللّه (ص) في مقابل ما تواتر عند جميع المسلمين من سيرة رسول اللّه الصحيحة في باب سموّ أخلاقه الكريمة، و إنّما رويت أمثال هذه الرواية عن رسول اللّه (ص) لكتمان ما مرّ بنا من رواية أمّ المؤمنين عائشة أنّ رسول اللّه (ص) لعن الحكم بن أبي العاص والد الخليفة الأموي مروان، و كتمان ما تواترت روايته عن رسول اللّه (ص) في حقّ الخليفة معاوية الّتي أوّلها ابن كثير إلى ما فيه مدح معاوية؛ و بما أنّا قد ناقشنا هذه الأحاديث في الجزء الثاني من كتاب (أحاديث أمّ المؤمنين عائشة) و الثالث من (أثر الأئمة في إحياء السنة) ، فلا نعيد تلك البحوث في هذا الكتاب.

عود على بدء

نعود إلى بحث تأويل معنى الرواية من أصناف الكتمان و نقول:

و كان من هذا الباب من التأويل و ما يأتي بحثه [8] في خبر درء سعد بن أبي وقاص حدّ شرب الخمر عن أبي محجن، و تمحل ابن فتحون و ابن حجر في تأويل قول سعد لأبي محجن: (و اللّه لا نجلدك على الخمر) .

و سيأتي في بحث نصّ رسول اللّه (ص) على أنّ عدد الأئمة الخلفاء بعده اثنا عشر، كيف ارتبكوا في تأويله عند ما رأوا أنه لا يصدق على غير الأئمة الاثني

(8) في بحث انتشار أحاديث سيف... في الصنف العاشر من أصناف الكتمان.

عشر من آل رسول اللّه (ص) . و أوّل كلّ واحد من العلماء الحديث على غير الأئمة الاثني عشر من آل الرسول (ص) بما لم يرض به العالم الآخر و نقضه.

و من هذا الباب من الكتمان ما فعله الطبراني بالحديث الآتي كما في مجمع الزوائد (9) .

(عن سلمان، قال: قلت: يا رسول اللّه، إنّ لكلّ نبيّ وصيّا، فمن وصيّك؟فسكت عنّي، فلمّا كان بعد رآني فقال: يا سلمان فأسرعت إليه قلت: لبّيك، قال: «تعلم من وصيّ موسى؟» قلت: نعم: يوشع بن نون، قال: «لم؟» قلت: لأنّه كان أعلمهم يومئذ، قال: «فإنّ وصيّي و موضع سرّي و خير من أترك بعدي و ينجز عدتي و يقضي ديني عليّ بن أبي طالب» . رواه الطبراني و قال: وصيّي: أنه أوصاه بأهله لا بالخلافة) .

انتهى ما نقله الهيثمي عن الطبراني في مجمع الزوائد.

دراسة للحديث النبويّ الشريف و نظرة تأمّل في تأويل الطبراني إيّاه

لمعرفة مدى صحّة تأويل الطبرانيّ للحديث الشريف ندرس ثلاثة جوانب من الحديث: السائل، و السؤال، و حكمة النبيّ في الجواب.

السائل هو: سلمان الفارسيّ نسبا، و لم يكن من بني عبد المطّلب أو أقرباء أزواج الرّسول أو أصهاره ليعنيه من يخلفه الرسول على أهله و إنّما كان ممّن عاشر رهبان النصارى و علماءهم قبل أن يسلم على يدي الرسول (ص) ، و أخذ منهم علم الأمم السابقة و أخبار أنبيائها و أوصيائها، و من ثمّ قال للرسول (ص) : (إنّ لكل نبيّ وصيّا فمن وصيّك؟) . فهو إذن يسأل عن وصيّ النبيّ على شريعته و وليّ عهده في أمّته، و لم يقل له انّ ربّ كلّ عائلة يعيّن وصيّا فمن وصيّك من بعدك؟ليفهم منه أنّه يسأل عن خليفته على أهله.

(9) مجمع الزوائد، 9/113-114.

أمّا جواب النبيّ (ص) و تأخّره عن الإجابة فقد كان هذا شأن النبيّ (ص) في الأمور المهمّة. ينتظر أمر السّماء مثل انتظاره في المدينة أمر السّماء في تحويل القبلة إلى الكعبة و هو يعلم أنّها قبلته، حتّى نزلت عليه: **قَدْ نَرىَ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي اَلسَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا** البقرة/144. و لمّا كان رسول اللّه (ص) يعلم تنافس الإنسان العربي على الإمرة كما مرّ بنا بعض أخباره [10] فيما سبق، و كان المجتمع الإسلاميّ الصغير في المدينة الّذي بدأ النبيّ (ص) بتأسيسه لا يتحمّل نشر خبر ولاية عهد الإمام علي بعد النبيّ (ص) ، تأخّر النبيّ (ص) في جواب سلمان، و لعلّه أجاب سلمان حين أذن له بذلك، و عندئذ فاتح سلمان و أعدّه لاستماع الجواب بالسؤال منه عن وصيّ موسى و هو يعلم أن سلمان يعلم ذلك بما عنده من علماء أهل الكتاب، فلمّا أجابه بأنّ يوشع بن نون كان وصيّ موسى، سأله النبيّ (ص) و قال له:

«لم؟» فلمّا قال سلمان في جوابه: (لأنّه كان أعلمهم يومئذ) قال النبيّ (ص) : «فإنّ وصيّي و... عليّ بن أبي طالب» .

و الحكمة في جواب النبيّ لسلمان بهذا الأسلوب ما يأتي: أولا: ضرب النبيّ (ص) المثل بيوشع بن نون لأنّه كان أشهر أوصياء الأنبياء، و لأنّ موسى بن عمران (ع) كان قد استخلفه على أمّته من بعده، فقاد بني إسرائيل و مارس الحروب، كما فعل الإمام علي بعد النبيّ (ص) في مدّة حكمه.

ثانيا: سأل عن سبب كون يوشع وصيّا لموسى و أجاب سلمان أنه كان أعلمهم.

بهذه المحاورة بيّن رسول اللّه (ص) أنّ عليّا وصيّه. ليس لكونه ابن عمّ الرسول (ص) أو لأنّه دافع عن الإسلام في حروب النبيّ (ص) ببسالة فائقة،

---

(10) في فصل مصطلحات بحث الإمامة و الخلافة.

بل لأنّه أعلمهم، أي أنّه كشف عن قابلية الإمام عليّ للوصاية على الإسلام و المسلمين و أكّد ذلك بقوله (ص) : «موضع سرّي و خير من أترك بعدي» .

و هذا الكلام-أيضا-أوّله الطبراني و قال: «خير من أترك بعدي من أهل بيتي» . كان هذا تأويل الطبراني في حديث لم يجد فيه مغمزا من ضعف و ما شاكله من القول.

حيرة عالم آخر في تأويل معنى الوصية

قال ابن أبي الحديد الشافعي في شرح الوصيّة في كلام الإمام عليّ (ع) .

(لا يقاس بآل محمّد (ص) من هذه الأمّة أحد... هم أساس الدين... و لهم خصائص حقّ الولاية و فيهم الوصيّة و الوراثة) ما يأتي:

(أمّا الوصيّة فلا ريب عندنا أن عليّا (ع) كان وصيّ رسول اللّه (ص) و إن خالف في ذلك من هو منسوب عندنا إلى العناد، و لسنا نعني بالوصيّة النّصّ على الخلافة و لكن أمورا أخرى لعلّها إذا لمحت أشرف و أجلّ) . انتهى كلام ابن أبي الحديد.

و نقول في جوابه:

إنّ الإمام عليّا (ع) لم يقل: لي حقّ الولاية و الوصيّة و الوراثة، كي يمكن تأويل قوله إنّ له حقّ الولاية و الوصيّة على أهل رسول اللّه (ص) ، بل قال: (آل محمّد هم أساس الدين... و فيهم الوصيّة) . أثبت الإمام الصّفات المذكورة لآل رسول اللّه (ص) بما فيها الوصيّة، و لا معنى للقول بأنّ- آل رسول اللّه (ص) لهم حقّ الوصيّة على آل رسول اللّه (ص) ، أثبتها الإمام لآل رسول اللّه (ص) و هو أحدهم و سائرهم الأئمة الأحد عشر من بنيه. و من ثمّ حار العلامة الشافعي في تأويل الوصية هنا و لم يستطع أن يردد تأويل

الطبراني، و إنما قال: (لسنا نعني بالوصية النصّ على الخلافة و لكن أمورا أخرى) ، فما هي الأمور الأخرى الّتي لم تذكرها أيّها العالم المحتار في تأويل الحديث؟ و خلاصة القول إنّ العلماء في هذا الصّنف من الكتمان يؤوّلون من سنّة رسول اللّه (ص) حديثه و سيرته و سيرة أهل بيته و أصحابه ما يخالف مصلحة السلطة الحاكمة على المسلمين من خلفاء و ولاة و ما فيه نقدهم إلى ما فيه مصلحتهم و مدحهم و الثناء عليهم.

د-حذف بعض من أقوال الصّحابة مع عدم الإشارة إليه

من أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء؛ حذف بعض الخبر الّذي ينقلونه دون ما إشارة إلى المحذوف؛ مثل ما فعلوه مع قصيدة الصّحابيّ الأنصاريّ النعمان بن عجلان الّتي استشهدنا ببيتين منها في باب الأشعار الّتي قيلت في الوصيّة، و قد رواها الزبير بن بكّار بتمامها ضمن إيراده أخبار السقيفة و ما وقع بين المهاجرين و الأنصار من خصومة و محاججات، منها أقوال عمرو بن العاص ضدّهم، فأجابه النعمان بقصيدة ذكر فيها مواقف الأنصار في حروب رسول اللّه (ص) مع قريش، ثمّ إيواءهم مهاجرة قريش و مقاسمتهم الأموال، ثمّ ذكر حوادث السقيفة و قال:

و قلتم: حرام نصب سعد و نصبكم # عتيق بن عثمان حلال أبا بكر

و أهل أبو بكر لها خير قائم # و إنّ عليّا كان أخلق بالأمر

و كان هوانا في عليّ و إنّه # لأهل لها يا عمرو من حيث لا تدري

فذاك بعون اللّه يدعو إلى الهدى # و ينهى عن الفحشاء و البغي و النكر

وصيّ النبيّ المصطفى و ابن عمّه # و قاتل فرسان الضّلالة و الكفر

و هذا بحمد اللّه يهدي من العمى # و يفتح آذانا ثقلن من الوقر

نجي رسول اللّه في الغار وحده # و صاحبه الصديق في سالف الدهر

-الأبيات [11] .

و أورد ابن عبد البرّ تمام القصيدة بترجمة النعمان بن عجلان من الاستيعاب غير أنه حذف منها البيتين الآتيين:

فذاك بعون اللّه يدعو إلى الهدى # و ينهى عن الفحشاء و البغي و النكر

وصيّ النبيّ المصطفى و ابن عمّه # و قاتل فرسان الضّلالة و الكفر

حذف هذين البيتين لما فيهما من ثناء على ابن عمّ الرسول (ص) أنّه وصيّ الرسول (ص) و أبقى البيتين اللّذين فيهما مدح أبي بكر.

و جاء بعده ابن الأثير و قال بترجمة النعمان من أسد الغابة:

و من شعره يذكر أيام الأنصار و يذكر الخلافة بعد النبيّ (ص) ، ثمّ ذكر من أوّل القصيدة أبياته في أيّام الأنصار فحسب و حذف من القصيدة الأبيات الّتي يشير فيها إلى الخلاف الّذي وقع يوم ذاك في أمر الخلافة و البيتين اللّذين مدح فيهما الإمام عليّا و خاصّة أنّه كان وصيّ النبيّ.

و جاء ابن حجر بعده فقال في ترجمته:

(و هو القائل يفخر بقومه من أبيات) ثمّ أورد أبياته في المفاخرة بأيّام الأنصار و لم يذكر من أبيات هذه القصيدة ما فيه ذكر الخلافة.

و هكذا كلّما تأخّر الزمن حذف العلماء من الروايات ما لم يرق لهم ذكره، فابتعدنا عن فهم الواقع التاريخي.

إذا نرى أنّ الزبير بن بكار (ت: 256 هـ) غفل و ذكر في كتابه الموفقيات ما وقع من الاختلاف في أمر الخلافة بعد رسول اللّه (ص) و ما تقاولوا فيه من خطب و شعر، و من ضمنها قصيدة النعمان بن عجلان الّتي فيها بيتان ذكر

---

(11) راجع مصادر ترجمته و شعره في الهامش رقم 32 ص 292، في باب: شهرة لقب وصيّ النبيّ (ص) للامام عليّ و انتشار ذكره في أشعار الصحابة و التابعين من هذا الكتاب.

فيهما فضائل الإمام علي و خاصة أنّه وصيّ النبيّ، و تنبّه لها ابن عبد البرّ (ت: 463 هـ) فحذف البيتين.

و جاء بعده ابن الأثير (ت: 638 هـ) و تنبّه إلى أنّ ذكر ما وقع من الخلاف في الخلافة-أيضا-لا يصلح، فحذف من القصيدة ما فيه ذكر الاختلاف في أمر الخلافة و قال: (و يذكر الخلافة) . هذا إضافة إلى حذفه ما فيه وصف الإمام عليّ.

و جاء بعدهما ابن حجر (ت: 852 هـ) فحذفها كذلك و لم يقل إنّ في القصيدة ذكرا للخلافة.

و هكذا كلّما تأخر الزمن زاد العلماء من حذف الحقائق ما لا يصلح ذكره لمدرسة الخلفاء.

إذا راجعنا ما سبق إيراده في بحث الوصيّة و ما يأتي في بحث أصناف الكتمان، و ما كتموه من خبر الوصية، يتّضح جليّا، أنّ انتشار تعيين الرسول عليّا وصيّا له كان يسوء مدرسة الخلفاء، فحذفوا من القصيدة و الخبر هذا القسم دون أن يشيروا إلى أنّهم حذفوا منهما شيئا، و هذا النوع من الكتمان من أكثر أصناف الكتمان بمدرسة الخلفاء سواء في حديث الرسول (ص) أو سيرته أو سيرة صحابته، و يطول بنا المقام لو أردنا أن نأتي بأمثلة منها في غير شأن الوصيّة من سنّة الرسول (ص) في هذا المقام.

هـ-حذف تمام الرواية من سنّة الرسول (ص) مع عدم الإشارة إليه

إنّ ابن هشام [12] أخذ من سيرة ابن إسحاق برواية البكائي ما أورد في

---

(12) ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري.

قال ابن خلكان: (جمع سيرة رسول اللّه (ص) من المغازي و السير لابن إسحاق

سيرته من روايات سيرة الرسول (ص) و قال في ذكر منهجه بأول الكتاب:

(و تارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب... و أشياء يشنع الحديث به و بعض يسوء الناس ذكره...) .

و كان ممّا حذفه ابن هشام من سيرة ابن إسحاق (ممّا يسوء الناس ذكره) خبر دعوة الرسول بني عبد المطّلب عند ما أوحى اللّه إليه: **وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ اَلْأَقْرَبِينَ** فقد روى الطبري في تاريخه عن ابن إسحاق بسنده أنّ رسول اللّه (ص) قال في دعوته لبني عبد المطّلب:

«فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي و وصيّي و خليفتي فيكم؟» فأحجم القوم عنها جميعا. و قال عليّ بن أبي طالب:

أنا يا نبيّ اللّه، أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي-رقبة عليّ بن أبي طالب-ثمّ قال:

«إنّ هذا أخي و وصيّي و خليفتي فيكم، فاسمعوا له و أطيعوا» .

قال: فقام القوم يضحكون و يقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع

قو هذبها...) .

و قال السيوطي في بغية الوعاة، ص 315: (مهذب السيرة النبوية، سمعها من زياد البكائي صاحب ابن اسحاق و نقّحها...) .

قصدوا من هذّبها و نقّحها؛ أنه حذف من سيرة ابن إسحاق ما كان مخالفا لمصلحة السلطة الحاكمة.

توفي بمصر سنة 218 أو 213 هـ.

و البكائي: هو زياد بن عبد اللّه بن طفيل البكائي العامري (ت: 183 هـ) .

و ابن إسحاق: هو أبو عبد اللّه أو أبو بكر محمّد بن إسحاق بن يسار المطلبي ولاء، كتب السيرة بأمر الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور لابنه الخليفة المهديّ. توفي سنة 151 أو 152 أو 154 هـ.

أوردنا هذه التراجم من مقدمة محمد حسين هيكل على سيرة ابن هشام، ط. القاهرة سنة 1356 هـ، و رجعنا إلى هذه الطبعة في ما أوردناه في المتن.

لابنك و تطيع) [13] .

حذف ابن هشام هذا الخبر و أخبارا كثيرة أخرى كان يرى أنّ ذكرها يسوء الناس و هم عصبة الخلافة [14] . و لهذا السبب أهملت سيرة ابن إسحاق لأنّ فيها أخبارا لا يرغبون في نشرها حتى فقدت نسخها [15] . و اشتهرت سيرة ابن هشام و أصبحت أوثق سيرة عند الناس.

و قد أدرك الطبري أهميّة هذا النّصّ في حقّ الإمام عليّ بعد أن أثبته في تاريخه فتدارك في تفسيره ما غفل عنه في تاريخه، فإنّه لما أورد الخبر بالسند نفسه في تفسيره آية **وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ اَلْأَقْرَبِينَ** قال:

فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي و كذا و كذا....

ثمّ قال:

إنّ هذا أخي و كذا و كذا فاسمعوا له و أطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون و يقولون لأبي طالب... الحديث [16] .

و كذلك فعل-أيضا-ابن كثير في تاريخه [17] و تفسير الآية من تفسيره.

و هذا ما نسمّيه بحذف بعض الخبر مع الإبهام في القول.

و أكثر من هذا ما فعله محمد حسين هيكل حيث أورد الخبر في ص 104 من الطبعة الأولى من كتابه (حياة محمّد) و لفظه:

«فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر و أن يكون أخي و وصيّي و خليفتي فيكم» .

---

(13) أوردتها ملخصة من تاريخ الطبري، ط. مصر الأولى، 2/216-217.
(14) ذكرنا بعضها في كتابنا المخطوط: (من تاريخ الحديث) .
(15) طبع أخيرا قسم من سيرة ابن إسحاق في الرباط بالمغرب سنة 1396 هـ.
(16) تفسير الطبري، ط. الأولى، بولاق، سنة 1323-1330 هـ، 19/72-75.
(17) البداية و النهاية 3/40.

و حذفه في الطبعة الثانية سنة 1354 ص 139 من كتابه [18] .

و هذا الصّنف من الكتمان أي كتمان تمام الخبر دون ما إشارة إليه كثير عند علماء مدرسة الخلفاء.

و-النهي عن كتابة سنّة الرسول (ص)

من أهمّ أصناف كتمان سنّة الرسول (ص) بمدرسة الخلفاء نهي الخلفاء عن كتابة سنّة الرسول (ص) . و كان بدء النهي في عصر رسول اللّه (ص) حيث نهت قريش عبد اللّه بن عمرو بن العاص عن كتابة حديث الرسول (ص) و قالت له: تكتب كلّ ما سمعته من رسول اللّه (ص) و رسول اللّه (ص) بشر يتكلم في الرضا و الغضب. و قريش هنا هم المهاجرون من أصحاب رسول اللّه (ص) و هم الّذين منعوا الرسول عن كتابة وصيّته في آخر ساعة من حياته، ثمّ لمّا ولوا الحكم بعد رسول اللّه (ص) نهوا عن كتابة حديث الرسول (ص) و بقي منع كتابة الحديث ساريا حتّى عصر الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز حيث رفع الحظر و أمر بتدوين حديث الرسول (ص) . و سيأتي تفصيل أخبار النهي عن كتابة حديث رسول اللّه (ص) في الجزء الثاني من الكتاب في بحث مصادر الشريعة الإسلاميّة لدى المدرستين، و مضى ذكر خبر منع الرسول (ص) من كتابة وصيّته في خبر السقيفة.

و اللّه أعلم كم من حديث لرسول اللّه (ص) في أمر الوصيّة، نسي مع ما نسي من سنّة الرسول (ص) بسبب عدم كتابتها طيلة هذه القرون.

---

(18) نقلناه من كتاب الغدير للحبر الحجة الأميني، ط. طهران، سنة 1372 هـ، 2/88-289.

و يلحق بهذا الصنف من الكتمان الخبران الآتيان:

أولا- خبر الأنصار مع معاوية و عمرو بن العاص، كما رواه صاحب الأغاني و قال ما موجزه:

حضرت وفود الأنصار باب معاوية بن أبي سفيان، فخرج إليهم حاجبه سعد أبو درّة، فقالوا له: استأذن للأنصار. فدخل إليه و عنده عمرو بن العاص، و قال: الأنصار بالباب. فقال عمرو: ما هذا اللّقب الّذي قد جعلوه نسبا يا أمير المؤمنين؟أردد القوم إلى أنسابهم، فقال[له معاوية: إنّي أخاف من ذلك الشّنعة، فقال]: هي كلمة تقولها إن مضت عرّتهم و نقصتهم و إلاّ فهذا الاسم راجع إليهم. فقال له: اخرج فقل: من كان هاهنا من ولد عمرو بن عامر فليدخل، فقالها الحاجب، فدخل ولد عمرو بن عامر كلّهم إلاّ الأنصار، فنظر معاوية إلى عمرو نظر منكر، فقال له: باعدت جدّا، فقال: اخرج فقل:

من كان هاهنا من الأوس و الخزرج فليدخل. فخرج فقالها[فلم يدخل أحد، فقال معاوية: أخرج فقل: من كان هاهنا من الأنصار فليدخل، فخرج فقالها] فدخلوا يقدمهم النعمان بن بشير، و هو يقول:

يا سعد لا تعد الدّعاء فما لنا # نسب نجيب به سوى الأنصار

نسب تخيره الإله لقومنا # أثقل به نسبا على الكفّار

إنّ الذين ثووا ببدر منكم # يوم القليب هم وقود النار

و قام مغضبا فانصرف. فبعث معاوية فردّه و ترضّاه، و قضى حوائجه و حوائج من كان معه من الأنصار.

فقال معاوية لعمرو: كنّا أغنياء عن هذا [19] .

---

(19) الأغاني، ط. ساسي 14/120 و 122، و ط. بيروت 16/13 و 17.

نرى السلطة الحاكمة في هذا الخبر تنهى عن نشر لقب الأنصار الّذي هو من سنّة الرسول (ص) لما فيه ثناء على الأنصار اليمانيين، و ليسوا من عصبة الخلافة، و الجامع بين هذه الموارد الّتي أوردناها هو نهي السلطة عن نشر سنّة الرسول، حنقا على خصومها.

ثانيا- ما رواه-أيضا-بسنده عن ابن شهاب، قال: قال لي خالد بن عبد اللّه القسري: اكتب لي النسب، فبدأت بنسب مضر، [فمكثت فيه أياما، ثمّ أتيته، فقال لي: ما صنعت؟فقلت: بدأت بنسب مضر]و ما أتممته، فقال: اقطعه قطعه اللّه مع أصولهم، و اكتب لي السيرة. فقلت له:

فإنّه يمرّ بي الشيء من سيرة علي بن أبي طالب أ فأذكره؟فقال: لا، إلاّ أن تراه في قعر الجحيم [20] .

نرى أنّ السلطة الحاكمة تمنع من كتابة اسم الإمام عليّ (ع) إلاّ إذا ما كان فيه ذمّ له. فكيف إذا تسمح بكتابة سنّة الرسول (ص) الّتي تنصّ على أنّ الرسول (ص) عيّنه وصيّا من بعده؟! نهى الخلفاء عن نشر سنّة الرسول (ص) و كان مصير من يخالفهم و يروي أو يكتب ما يخالف اتّجاههم مدى القرون القتل المعنوي أو الجسدي كما سنشير إلى أمثلة منه في ما يأتي إن شاء اللّه.

---

(20) الأغاني، ط. ساسي 19/59 و ط. بيروت 22/23.

و ابن شهاب: هو محمد بن مسعود القرشي الزهري. أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح (ت: 125 هـ أو بعده بسنة أو سنتين) . تقريب التهذيب 2/207.

و خالد بن عبد اللّه: ولي مكّة سنة 89 هـ للوليد، و العراقين البصرة و الكوفة سنة 105 لهشام بن عبد الملك، ثم عزله سنة 120. و قتله والي العراق من بعده. و قد رمي في نسبه و دينه.

راجع ترجمته في الأغاني و تهذيب تاريخ ابن عساكر 5/67-80 و غيره.

ز-تضعيف الروايات و رواة سنّة الرّسول (ص) و الكتب الّتي تنتقص السلطان و قتل المخالفين أحيانا

لا يستطيع الباحث أن يحصي عمل العلماء في تضعيف الراوي و الكتاب اللّذين ينتقصان السلطان، و كذلك تضعيفهم الروايات الّتي فيها انتقاص لمقام السلطة من خليفة و وال و أمير و أحيانا تقتل العامّة العالم المخالف لهذا الاتّجاه، و كي لا يطول البحث في هذا الصنف من الكتمان نقتصر على ذكر أربعة أمثلة منه في ما يأتي:

1-انتقاص من يذكر الوصيّة

قال ابن كثير ما موجزه:

(و أمّا ما يغترّ به كثير من جهلة الشيعة و القصاص الأغبياء، من أنّه أوصى إلى عليّ بالخلافة، فكذب و بهت و افتراء، يلزم منه خطأ كبير من تخوين الصحابة و ممالأتهم بعده على ترك إنفاذ وصيّته-إلى قوله-: و ما قد يقصّه بعض القصاص من العوام و غيرهم في الأسواق و غيرها من الوصيّة لعليّ في الآداب و الأخلاق... كلّ ذلك من الهذيانات، فلا أصل لشيء منه بل هو اختلاق بعض السفلة الجهلة و لا يعول على ذلك و لا يغترّ به إلاّ غبيّ عيي) (21) .

هكذا تكلّم ابن كثير بتوتر عصبي شديد من عناء هذه المشكلة، و لنر من هم الّذين اغترّ بهم جهلة الشيعة و القصّاص الأغبياء. إنّهم كلّ من الأشخاص الآتية أسماؤهم:

أولا-من الصحابة:

أ- الإمام علي بن أبي طالب المهاجري.

---

(21) البداية و النهاية 7/224.

ب- سلمان المحمّدي (الفارسي) .

ج- أبو أيّوب الأنصاري.

د- أبو سعيد الخدري الأنصاري.

هـ- أنس بن مالك الأنصاري.

و- بريدة بن الحصيب الأسلمي المهاجري.

ز- عمرو بن العاص القرشي.

ح- أبو ذرّ الغفاري.

ط- الإمام الحسن سبط الرسول الأكبر.

ي- الإمام الحسين السبط الشهيد.

ك- حسّان بن ثابت الأنصاري.

ل- الفضل بن العبّاس بن عبد المطلب.

م- النعمان بن عجلان الأنصاري.

ن- عبد اللّه بن أبي سفيان الحرث بن عبد المطلب.

س- أبو الهيثم بن التيهان الأنصاري ع- سعيد بن قيس الأنصاري.

ف- حجر بن عديّ الكندي.

ص- خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين.

ق- عمرو بن الحمق الخزاعى.

ر- عبد اللّه بن عباس ش- المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب.

ت- الأشعث بن قيس الكندي و هو من خصوم الإمام علي.

ثانيا-من التابعين:

أ- جرير بن عبد اللّه البجلي.

ب- النجاشي الشاعر قيس بن عمرو.

ج- محمد بن أبي بكر (الخليفة الأول) .

د- المنذر بن حميضة الوادعي.

هـ- عبد الرحمن بن جعيل.

و- النضر بن عجلان.

ز- مالك الأشتر.

ح- عمر بن حارثة الأنصاري.

ط- عبد الرحمن بن ذؤيب الأسلمي.

ثالثا-من حكام مدرسة الخلفاء و أئمة مذاهبهم:

أ- الأمير علي بن عبد اللّه عمّ الخليفة العباسي السفاح.

ب- الخليفة العبّاسي هارون الرشيد.

ج- الخليفة العبّاسي المأمون.

د- إمام الشافعيّة محمد بن إدريس الشافعي.

رابعا-من المؤلفين الذين أخرجوا أحاديث الوصية عن رسول اللّه (ص) :

أ- إمام الحنابلة أحمد بن حنبل (ت: 241 هـ) في كتابه: مناقب علي.

ب- الدينوري (ت: 282 هـ) في الأخبار الطوال.

ج- إمام المؤرخين الطبري (ت: 310 هـ) في تاريخه.

د- البيهقي (كان حيّا قبل 320 هـ) في المحاسن و المساوئ.

هـ- مسند الدنيا، الطبراني إمام المحدثين في عصره (ت: 360 هـ) في معاجمه.

و- أبو نعيم الأصبهاني (ت: 430 هـ) في حلية الأولياء.

ز- الحافظ ابن عساكر الشافعي (ت: 571 هـ) في تاريخ مدينة دمشق.

ح- ابن الأثير (ت: 630 هـ) في تاريخه.

ط- ابن أبي الحديد الشافعي (ت: 656 هـ) في شرح نهج البلاغة.

ي- المتقي الهندي (ت: 975 هـ) في كنز العمال.

هؤلاء هم جهلة الشيعة و القصّاص الأغبياء على حسب تعبير ابن كثير الّذين اغترّوا بروايات الوصية و رووها و أخرجوها في كتبهم، إلى كثير من نظرائهم من الصّحابة و التابعين الّذين اغترّوا بها و احتجوا بها في أشعارهم و خطبهم و رواها عنهم أمثال:

الزبير بن بكّار في الموفقيات، و الطبريّ و ابن الأثير في تاريخيهما، و الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد. و المسعودي الشافعي في مروج الذهب، و الإمام المقدّم في الحديث الحاكم في المستدرك، و الذهبي في تذكرة الحفاظ، و أمثالهم.

كتم ابن كثير كلّ ما ذكرناه آنفا، و كتم أكثر ممّا أشرنا إليه ممّا كان في متناول أيدي علماء ذلك العصر، و ذهبت عنّا لتكتّمهم الشّديد عليها و إخفائها عن النّاس، كتمها جميعا و لم يخرج منها شيئا في موسوعته التاريخية.

و كتمها-أيضا-بتضعيف الرواة و الروايات و الكتب الّتي خرجتها، و تسخيف المحتجّين بها كي لا يصدق من يصل إليه شيء مما كتمها من كتاب آخر و قال: (ما يغترّ به جهلة الشيعة و القصاص الأغبياء) .

و هذا النوع من الكتمان كثير عند علماء مدرسة الخلفاء.

2-الطعن في رواة الحديث

نقل ابن عبد البرّ عن الشعبي أنّه قال في الحارث الهمداني:

(حدثني الحارث و كان أحد الكذابين) . قال ابن عبد البر:

(و لم يبن من الحارث كذب، و إنّما نقم عليه إفراطه في حبّ عليّ

و تفضيله له على غيره، و من هاهنا و اللّه أعلم كذّبه الشعبيّ لأنّ الشعبيّ يذهب إلى تفضيل أبي بكر و إلى أنّه أوّل من أسلم) [22] . انتهى قول ابن عبد البرّ.

3-الطعن في أئمة الحديث

في مدرسة الخلفاء يطعنون أحيانا في أئمة الحديث الّذين يروون حديثا يخالف اتّجاهها، مثل ما جرى للحاكم الشافعي كما رواه الذهبي بترجمته [23]

و في ما يلي ما أورده بإيجاز:

الحافظ الكبير إمام المحدّثين، أبو عبد اللّه، محمّد بن عبد اللّه بن محمّد بن حمدويه النيسابوري المعروف بابن البيع. ولد سنة 312 هـ، و توفّي سنة 405 هـ. طلب الحديث من الصّغر و رحل إلى العراق و حجّ و جال في خراسان و ما وراء النهر و سمع من ألفي شيخ أو نحو ذلك، بلغت تصانيفه قريبا من خمسمائة جزء و من تآليفه فضائل الشافعي، و نقل أنّ مشايخ الحديث كانوا يذكرون أيّامه و أنّ الأئمة من مقدّمي عصره كانوا يقدّمونه على أنفسهم و يراعون حقّ فضله و يعرفون له الحرمة الأكيدة.

قال الذهبي: و سئل الحاكم عن حديث الطير فقال: (لا يصحّ، و لو صحّ لما كان أحد أفضل من علي (رض) بعد النبيّ (ص)) .

و قال: ثمّ تغيّر رأي الحاكم و أخرج حديث الطير في مستدركه.

و نقل الذهبي عن العلماء أنّهم قالوا عن مستدركه: إنّه جمع فيه أحاديث و زعم أنّها على شرط البخاري و مسلم، منها حديث الطير، و من كنت مولاه فعليّ مولاه، فأنكرها عليه أصحاب الحديث فلم يلتفتوا إلى قوله.

---

(22) جامع بيان العلم، باب حكم العلماء بعضهم في بعض 2/189.
(23) تذكرة الحفاظ ص 1039-1045.

و قال الذهبي: أمّا حديث الطير، فله طرق كثيرة جدّا قد أفردتها بمصنّف و مجموعها هو يوجب أن يكون الحديث له أصل.

و أمّا حديث «من كنت مولاه فعليّ مولاه» ، فله طرق جيّدة، و قد أفردت ذلك أيضا. يعني الذهبي أنّه ألّف في حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» ، كتابا خاصّا.

قال المؤلف: أمّا حديث «من كنت مولاه» فسيأتي بحثه في ذكر النصوص الواردة عن الرسول (ص) في حقّ الإمام عليّ (ع) إن شاء اللّه تعالى.

و حديث الطير برواية الصحابيّ أنس و غيره من الصّحابة، أنّه أهدي إلى رسول اللّه طير مشويّ فدعا أن يأتيه اللّه بأحبّ الخلق إليه-أي بعد الرسول (ص) -فيأكل معه، فجاء عليّ و أكل معه و بما أنّ الحديث يدلّ على أنّ الامام عليّا أفضل النّاس بعد رسول اللّه (ص) فقد أنكروا على الحاكم و غيره رواية هذا الحديث، و لم نخرجها نحن في باب النّصوص، لأنّنا لسنا بصدد إيراد فضائل الإمام عليّ (ع) و إنّما نورد النّصوص الصّريحة في حقّ آل الرسول (ص) في الحكم.

نقل الذهبي فضل الحاكم الشافعيّ في علم الحديث بمدرسة الخلفاء، و بما أنّه خرّج في مستدركه أحاديث في فضل الإمام عليّ (ع) و ما فيه انتقاص لمعاوية، طعنوا فيه و قالوا ما نقله الذهبي:

(ثقة في الحديث، رافضيّ خبيث) .

(كان يظهر التسنّن في التقديم و الخلافة و كان منحرفا عن معاوية و آله -يعني يزيد-متظاهرا بذلك و لا يعتذر منه) .

قال الذهبي: (قلت: أمّا انحرافه عن خصوم عليّ فظاهر، و أما أمر الشيخين فمعظم لهما بكلّ حال فهو شيعيّ لا رافضيّ، و ليته لم يصنّف المستدرك فانّه غضّ من فضائله بسوء تصرفه) . انتهت أقوال الذهبي.

و لإمام المحدثين بمدرسة الخلفاء أسوة بإمام المذهب الشافعي محمد بن إدريس (ت: 204 هـ) حيث رمي بالرفض كما رواه البيهقي، فقال الشافعي في ذلك:

قالوا ترفضت، قلت كلاّ # ما الرفض ديني و لا اعتقادي

لكن تولّيت غير شكّ # خير إمام و خير هادي

إن كان حبّ الوصيّ [24] رفضا # فإنّني أرفض العباد

و ممّا قال أيضا:

إن كان رفضا حبّ آل محمد # فليشهد الثقلان أنّي رافضي

و يظهر أنه كان يضطر إلى الكتمان أحيانا فقد قال:

ما زال كتما منك حتّى كأنني # بردّ جواب السائلين لأعجم

و أكتم ودّي مع صفاء مودتي # لتسلم من قول الوشاة و أسلم

[25]

غير أنّه لم ينفعه الكتمان و رمي بالرفض كغيره من العلماء الّذين لا يكتمون رأيهم في ما ورد عن سنّة الرسول (ص) و سيرة الصّحابة، و إنّ

---

(24) ورد في ديوان الشافعي ط. بيروت 1403 هـ، و كذلك في (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية) لمحمد بن يحيى العلوي (ت: 1350 هـ) و ذكر ابن حجر في الصواعق المحرقة ص 131: (الولي) بدلا من (الوصي) . و لنا أن نعد هذا التبديل في الصواعق من موارد الكتمان لدى أتباع مدرسة الخلفاء.

(25) هذا موجز ما أورده الهيتمي (ت: 974 هـ) في الصواعق، ط. مصر الثانية، سنة 1375 هـ، ص 131، مع قول البيهقي أورد جميعها مفصلا و البيت: إن كان رفضا... مع بيتين آخرين رواها أيضا ابن الصباغ المالكي المكي (ت: 855 هـ) في كتابه الفصول حسب نقل صاحب الكنى و الألقاب بترجمة الشافعي.

أغلب علماء المذهب الشافعي بمدرسة الخلفاء لا يكتمون الحديث كما يفعله علماء المذاهب الأخرى في تلك المدرسة و لذلك يرمون بالرفض.

في هذا الباب لاحظنا أنواعا من الإنكار بدءا بتضعيف الراوي و الرواة إلى طعنهم بالتشيّع و الرفض و الّذي كان يؤدّي إلى إسقاط الحديث عن الاعتبار. و كلّ أنواع الإنكار من أسهل الأمور في باب الاحتجاج للمنكر و من أصعب الأمور عندئذ إثبات الحقّ، فإنّ المنكر يسهل عليه أن يقول: الحديث ضعيف، باطل، كذب. و على صاحب الحقّ أن يأتي بالدليل تلو الدليل و ليس للمنكر في مقابله أكثر من الإنكار و عدم القبول، و هو في حقيقته قتل معنويّ للرواة، و أحيانا يقتل الراوي الّذي يروي ما يخالف مصلحة مدرسة الخلفاء جسديا، كما نذكر في ما يأتي مثالا واحدا منه لما جرى لأحد أصحاب الصحاح الستّة بمدرسة الخلفاء.

4-النسائي أحد مؤلّفي الصّحاح الستّة و قصّة قتله.

ننقل خبره و قصة قتله من كتابي الذهبي و ابن خلّكان فقد قالا بترجمته [26] ما موجزه:

الحافظ، الإمام، شيخ الإسلام، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، كان إمام أهل عصره في الحديث و له كتاب السنن تفرّد بالمعرفة و علوّ الإسناد، و استوطن مصر. و كان يصوم يوما و يفطر يوما، و يجتهد في العبادة ليلا. و خرج مع أمير مصر إلى الغزو، و كان يحترز عن مجالسه و الانبساط في المأكل، و خرج آخر عمره حاجّا و بلغ دمشق، و صنّف في دمشق كتاب الخصائص في فضل عليّ بن أبي طالب (رض) و أهل البيت، و أكثر رواياته

(26) تذكرة الحفاظ ص 698. و وفيات الأعيان 1/59.

فيه عن أحمد بن حنبل، فأنكروا عليه ذلك، فقال: دخلت دمشق و المنحرف عن عليّ بها كثير، فصنّفت كتاب الخصائص رجوت أن يهديهم اللّه بهذا الكتاب، فقيل له: ألا تخرج فضائل معاوية؟فقال: أيّ شيء أخرج؟ حديث اللهمّ لا تشبع بطنه؟فسكت السائل، و سئل-أيضا-عن معاوية و ما جاء من فضائله، فقال: ألا يرضى رأسا برأس حتّى يفضل، فما زالوا يدفعون في خصييه و داسوه حتى أخرج من المسجد و حمل إلى الرملة.

قال الحافظ أبو نعيم: مات بسبب ذلك الدوس و هو منقول.

و قال الدار قطني: امتحن بدمشق و أدرك الشهادة. و كان ذلك سنة 303 هـ.

و لا ينحصر من أوذي و قتل في سبيل نشر سنّة الرسول (ص) بالنسائي وحده، فقد لاقى الصحابيّ أبو ذرّ أيضا كما سيأتي ذكره بعيد هذا في بقية بحوث كتمان سنّة الرسول (ص) و قتل عدد غير قليل من العلماء، ترجم بعضهم العلامة الحبر الأميني في كتابه، شهداء الفضيلة.

و من يجرؤ مع هذه الحالة أن يروي النصوص الواردة عن رسول اللّه (ص) في فضائل آله فضلا عن ذكر النصوص الواردة في حقّ آله في الحكم.

ألا يحقّ لابن كثير، إذا كان يريد أن يداري من يطالب العلماء بإيراد فضائل معاوية أن يؤوّل ما فيه انتقاص لمعاوية إلى ما فيه له فضيلة في الدنيا و الآخرة!!! و كيف يتيسّر نشر سنّة الرسول (ص) مع هذه الحالة!؟ ذكرنا شيئا من مصير من يخالف مدرسة الخلفاء و يروي أو يكتب من سنّة الرسول (ص) ما يخالف مصلحة الخلفاء، و في ما يأتي نشير إلى مصير

الكتب الّتي حوت من سنّة الرسول (ص) ما يخالف سياسة هذه المدرسة.

ح-إحراق الكتب و المكتبات

من أصناف الكتمان بمدرسة الخلفاء، إحراق الكتب الّتي فيها سنّة الرسول (ص) سيرة و حديثا ممّا لا ترغب في نشره. و قد بدأ ذلك الخليفة عمر بن الخطاب كما سيأتي ذكره في باب بحوث مدرسة الخلفاء من مصادر الشريعة الإسلامية.

عن طبقات ابن سعد، قال: إنّ الأحاديث كثرت على عهد عمر، فأنشد الناس أن يأتوه بها، فلمّا أتوه بها، أمر بتحريقها.

و روى الزبير بن بكار [27] : أنّ سليمان بن عبد الملك في زمان ولايته للعهد مرّ بالمدينة حاجّا، و أمر أبان بن عثمان أن يكتب له سير النبيّ (ص) و مغازيه، فقال أبان: هي عندي أخذتها مصحّحة ممّن أثق به، فأمر عشرة من الكتاب بنسخها، فكتبوها في رقّ، فلمّا صارت إليه، نظر فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبتين-يقصد بيعة الأنصار في العقبتين الأولى و الثانية-و ذكر الأنصار في بدر، فقال سليمان: ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل فإمّا أن يكون أهل بيتي-أي الخلفاء الأمويين-غمصوا عليهم، و إمّا أن يكونوا ليس هكذا، فقال أبان بن عثمان: أيّها الأمير!لا يمنعنا ما صنعوا بالشهيد المظلوم-يقصد الخليفة عثمان-من خذلانه، أن نقول الحقّ. هم على ما وصفنا لك في كتابنا هذا. قال سليمان: ما حاجتي إلى أن أنسخ ذاك حتّى أذكره لأمير المؤمنين-يقصد والده عبد الملك-لعلّه يخالفه، فأمر بذلك الكتاب فحرّق، و لمّا رجع أخبر أباه بما كان، فقال عبد الملك: و ما حاجتك أن تقدم

(27) الموفقيات ص 332-333.

بكتاب ليس لنا فيه فضل تعرّف أهل الشام أمورا لا نريد أن يعرفوها، قال سليمان: فلذلك أمرت بتحريق ما نسخته حتّى أستطلع رأي أمير المؤمنين، فصوّب رأيه.

هكذا يأمر خلفاء المسلمين و أولياء عهدهم بإحراق كتب سنّة الرسول (ص) لئلاّ يعرف المسلمون ما يخالف مصالح السّلطة، و قد فعلت أكثر من ذلك حين أحرقت مكتبات فيها من كتب سنّة الرسول (ص) ما يخالف اتّجاهها نظير ما يأتي بيانه:

إحراق مكتبة إسلاميّة ببغداد

قال ابن كثير [28] في ذكر حوادث سنة 416 هـ بترجمة سابور بن أردشير:

كان كثير الخير سليم الخاطر إذا سمع المؤذّن لا يشغله شيء عن الصّلاة، و قد وقّف دارا للعلم في سنة 381 هـ و جعل فيها كتبا كثيرة جدّا، و وقّف عليها غلّة كبيرة، فبقيت سبعين سنة ثمّ أحرقت عند مجيء طغرل في سنة 450 هـ و كانت في محلّة بين السورين.

و قال الحموي بترجمة بين السورين في معجم البلدان:

بين السورين، اسم لمحلّة كبيرة كانت بالكرخ و بها كانت خزانة الكتب الّتي وقفها وزير بهاء الدولة، و لم يكن في الدنيا أحسن كتبا منها كانت كلّها بخطوط الأئمة المعتبرة و أصولهم المحرّرة و احترقت في ما أحرق من محال الكرخ عند ورود طغرل بك أول ملوك السلجوقية إلى بغداد.

و قال ابن كثير [29] -أيضا-بترجمة الشيخ أبي جعفر الطوسي، من

---

(28) البداية و النهاية 12/19.
(29) نفس المصدر 12/97.

حوادث سنة 460 هـ:

أحرقت داره بالكرخ و كتبه سنة 448 هـ.

و فعل أكثر من ذلك مع مخازن كتب الخلفاء الفاطميّين بمصر كما ذكره المقريزي [30] (ت: 848 هـ) في ذكر الخزانات الّتي كانت في قصر الفاطميّين و قال عن خزانة الكتب:

و كانت من عجائب الدنيا و يقال: إنّه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من الّتي كانت بالقاهرة في القصر. و يقال: إنّها كانت تشتمل على ألف و ستّمائة ألف كتاب، و قال قبلها: (أخذ جلودها عبيدهم و إماؤهم برسم عمل ما يلبسونه في أرجلهم و أحرق ورقها تأوّلا منهم أنّها خرجت من قصر السلطان و أنّ فيها كلام المشارقة الّذي يخالف مذهبهم سوى ما غرق و تلف و حمل إلى سائر الاقطار و بقي منها ما لم يحرق و سفت عليه الرياح التراب فصار تلالا باقية إلى اليوم في نواحي آثار تعرف بتلال الكتب) .

أسّس مكتبة الكرخ وزير البويهيّين من أتباع مدرسة أهل البيت (ع) .

فلمّا استولى السلجوقيّون من أتباع مدرسة الخلفاء أحرقوها و أحرقوا مكتبة الشيخ الطوسي بالكرخ، و فعل أكثر من ذلك بخزائن كتب الخلفاء الفاطميّين بمصر عند استيلاء صلاح الدين على الحكم.

يا ترى كم كتم عنّا من سنّة الرسول (ص) بسبب تحريق الكتب و المكتبات الّتي كان أصحابها من مخالفي مدرسة الخلفاء؟و كم كان فيها أحاديث صحيحة مسلسلة عن رسول اللّه (ص) في حقّ آل الرسول من ضمنها أحاديثه في الوصيّة ذهبت عنّا بسبب هذا النوع من الكتمان؟اللّه أعلم بذلك.

---

(30) خطط المقريزي 2/255 و 254.

و أهمّ من كلّ ما ذكرنا من أصناف كتمان سنّة الرسول (ص) تحريف سنّة الرسول و سيرة الصحابة الآتي ذكره في البحثين التاليين:

ط-حذف بعض الخبر من سيرة الصحابة و تحريفه

من أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء حذف بعض الخبر و تحريفه، كما فعل ذلك ابن كثير في خطبة الإمام الحسين في تاريخه، فقد أورد الخطبة الطبريّ و ابن الأثير في تاريخيهما و في لفظهما:

(أمّا بعد فانسبوني، فانظروا من أنا، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم و عاتبوها، هل يجوز لكم قتلي و انتهاك حرمتي؟أ لست ابن بنت نبيّكم (ص) و ابن وصيّه و ابن عمّه و أوّل المؤمنين باللّه و المصدّق لرسوله بما جاء من عند ربّه؟أو ليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟أو ليس جعفر الطيار ذو الجناحين عمّي...) [(31)] .

حرّف ابن كثير هذا الخبر في تاريخه و نقل أنّ الإمام الحسين قال:

(راجعوا أنفسكم و حاسبوها، هل يصلح لكم قتال مثلي، و أنا ابن بنت نبيكم، و ليس على وجه الأرض ابن بنت نبيّ غيري، و عليّ أبي، و جعفر ذو الجناحين عمّي، و حمزة سيد الشهداء عمّ أبي) [(32)] .

إنّ ابن كثير حذف ذكر الوصيّة من خطبة الإمام الحسين، لأنّ ذكرها كما قلنا ينبّه العامّة على حقّ الإمام عليّ و سبطي الرسول (ص) في الحكم و هو ما يسوء السلطة نشر خبره، ثمّ حرّف الخطبة. و هذا نوع من أنواع الكتمان

---

(31) تاريخ الطبري ط. أوربا 2/329. و تاريخ ابن الاثير، ط. أوربا 4/52 و ط. مصر الأولى 4/25.
(32) ابن كثير 7/179.

بمدرسة الخلفاء، و يوجد نظير هذا الحذف في سيرة الرسول (ص) و سنشير إلى شيء منه في الصنف العاشر من أصناف الكتمان الآتي بحثه بعد هذا.

ي-وضع الروايات و الأخبار المختلقة بدلا من الروايات الصحيحة

من أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء، وضع الأخبار المختلقة و نشر الروايات المختلقة بدلا من الروايات الصحيحة. و إليك مثالا واحدا منها:

روى الطبري في تاريخه خبر أبي ذرّ و قال:

(و في هذه السنة أعني سنة ثلاثين كان ما ذكر من أمر أبي ذرّ و معاوية و إشخاص معاوية إيّاه من الشام إلى المدينة، و قد ذكر في سبب ذلك أمور كثيرة، كرهت ذكر أكثرها. فأمّا العاذرون معاوية في ذلك فإنّهم ذكروا في ذلك قصّة كتب إليّ بها السريّ يذكر أنّ شعيبا حدّثه سيف....) الحديث.

و تبعه ابن الأثير و قال-أيضا-في ذكره حوادث سنة 30 من الهجرة: (و في هذه السنة كان ما ذكر من أمر أبي ذرّ و إشخاص معاوية إيّاه من الشام إلى المدينة، و قد ذكر في سبب ذلك أمور كثيرة من سبّ معاوية إيّاه و تهديده بالقتل و حمله إلى المدينة من الشام بغير وطاء و نفيه من المدينة على الوجه الشنيع لا يصلح النقل به...) .

فمن هو سيف هذا الذي أورد الطبري القصّة الّتي رواها في خبر أبي ذرّ، و تمسّك بها العاذرون معاوية؟و ما هو نوع أخباره و رواياته؟ هو سيف بن عمر التميمي (توفّي حدود سنة 170 هـ) روى أخبارا عن عصر الرسول (ص) و السقيفة و بيعة أبي بكر و حروب الردّة و الفتوح و حرب الجمل.

وصفه علماء الرجال و قالوا في نعته: ـ

ضعيف، متروك الحديث، ليس بشيء، كذّاب، كان يضع الأحاديث، اتّهم بالزندقة [33] .

نوع أخباره و رواياته

اختلق في رواياته أكثر من خمسين و مائة صحابيّ لرسول اللّه (ص) نشرنا دراسات مفصّلة عن ثلاثة و تسعين منهم في المجلدين الأول و الثاني من كتاب (خمسون و مائة صحابيّ مختلق) جعل سيف تسعة و عشرين منهم من قبيلته تميم، اختلق لهم أخبارا في الفتوح و كثيرا من المعجزات و الشعر و رواية الحديث، غير أن اللّه سبحانه و تعالى لم يخلق أشخاصهم و لا شيئا من أخبارهم، بل اختلقهم سيف جميعا، كما اختلق عشرات الرواة و روى عنهم أخباره، و قد نشرنا، في جزأي (عبد اللّه بن سبأ) و (خمسون و مائة صحابيّ مختلق) دراسات عن نيف و سبعين راويا منهم، تتبّعنا في حدود قدرتنا روايات سيف عنهم فوجدنا لراو واحد منهم و الّذي سماه محمّد بن سواد بن نويرة 216 رواية، و منهم من روى عنه أقلّ من ذلك، إلى رواية واحدة.

و كذلك اختلق شعراء للعرب و قادة للفرس و الرومان و أراضي في البلاد الإسلامية و غيرها، و حرّف سني الحوادث التأريخية، كما حرّف أسماء أشخاص ذكروا في التاريخ الإسلامي، و نشر الخرافات بين المسلمين في ما اختلق منها في أحاديثه، و اختلق حروبا في الردّة و الفتوح لم تقع، و ذكر مئات الألوف ممّن قتلهم المسلمون قتلا فظيعا في تلك الحروب ممّا لم يكن

---

(33) كان ما ذكرناه بعض ما ذكره في وصفه علماء أمثال: يحيى بن معين (ت: 233 هـ) ، أبي داود (ت: 275 هـ) ، النسائي صاحب الصحيح (ت: 303 هـ) ، ابن أبي حاتم الرازي (ت: 327 هـ) ، ابن حبان (ت: 354 هـ) ، الحاكم (ت: 405 هـ) و تفصيل ما ذكروا في حقّ سيف و مصادر ترجمة سيف بكتاب (عبد اللّه بن سبأ) الجزء الأوّل.

شيء منها، و أشاع في ما وضع و اختلق أنّ الإسلام انتشر بحدّ السّيف، و قد بيّنّا زيفها في أوّل الجزء الثاني من كتابنا (عبد اللّه بن سبأ) .

انتشرت رواياته الموضوعة في أكثر من سبعين مصدرا [34] من كتب الحديث و التاريخ و الأدب و غيرها من مصادر الدراسات الإسلاميّة بمدرسة الخلفاء انتشر فيها ما روى سيف و اختلق منذ عصر الرسول (ص) حتّى عصر معاوية، و كان أكثر من أخذ عنه الطبريّ في تاريخه و روى عنه أمثال الأخبار [35]

الآتية:

أ- مسير الجيش على ماء البحر من الساحل إلى دارين مسيرة يوم و ليلة لسفن البحر، يمشون على مثل رملة ميثاء فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل.

ب- تكليم الأبقار لعاصم بن عمرو التميمي الصحابي المختلق في حرب القادسية بلسان عربيّ فصيح. و إن بكيرا قال لفرسه أطلال عند نهر أراد أن يعبره يومئذ: (ثبي أطلال) . فنطقت و قالت: (وثبا و سورة البقرة) أي أنّها أقسمت بسورة البقرة، ثمّ وثبت!!! ج- إنشاد الجنّ الشعر في فتح القادسية و ثناؤهم على موقف تميم في الحرب.

د- فتح السوس بضرب الدجال باب السوس برجله و قوله: (انفتح بظار) .

هـ- تكلّم الملائكة على لسان الأسود بن قطبة التميمي في فتح بهرسير.

---

(34) ذكرنا أسماء أكثرها في أوّل الجزء الأول من كتاب (خمسون و مائة صحابيّ مختلق) .
(35) راجع أخبارها في ذكر فتح دارين و القادسية و السوس و بهرسير و دراسة مقارنة لأخبار-سيف هذه بروايات صحيحة لغيره في كتاب (خمسون و مائة صحابيّ مختلق) الجزء الأول بتراجم عفيف بن المنذر و عاصم بن عمرو و الأسود بن قطبة من الصحابة الّذين اختلقهم سيف بن عمر التميمي من قبيلته تميم.

و من تاريخ الطبري انتشرت أكاذيب سيف في كتب التاريخ الإسلامي الّتي ألّفت بعده إلى عصرنا الحاضر كما سنشير إلى بعض ذلك فيما يأتي.

انتشار أحاديث سيف من تاريخ الطبري إلى كتب التاريخ و سببه

قال ابن الأثير في مقدمة تاريخه الكامل:

إنّي قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد، فابتدأت بالتاريخ الكبير الّذي صنّفه الإمام أبو جعفر الطبري، إذ هو الكتاب المعوّل عند الكافّة عليه و المرجوع عند الاختلاف إليه.... فلمّا فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعته و أضفت إلى ما نقلته من تاريخ الطبري ما ليس فيه.... إلاّ ما يتعلّق بما جرى بين أصحاب رسول اللّه (ص) فإنّي لم أضف إلى ما نقله أبو جعفر شيئا إلاّ ما فيه زيادة بيان أو اسم إنسان، أو ما لا يطعن على أحد منهم في نقله، على أنّي لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة و الكتب المشهورة ممّن يعلم صدقهم في ما نقلوه و صحّة ما دوّنوه... [36] .

و قال ابن كثير بعد انتهائه من ذكر أخبار الصّحابة في الردّة و الفتوح و الفتن:

هذا ملخّص ما ذكره ابن جرير الطبري-رحمه اللّه-عن أئمة هذا الشأن، و ليس في ما ذكره أهل الأهواء من الشيعة و غيرهم من الأحاديث المختلقة على الصّحابة و الأخبار الموضوعة الّتي ينقلونها بما فيها [37] .

و قال ابن خلدون:

هذا آخر الكلام في الخلافة الإسلامية و ما كان فيها من الردّة و الفتوحات

---

(36) تاريخ ابن الأثير ط. مصر سنة 1348 هـ 1/5.
(37) تاريخ ابن كثير 7/246.

و الحروب ثمّ الاتّفاق و الجماعة، أوردتها ملخّصة عيونها و مجامعها من كتب محمد بن جرير الطبري و هو تاريخه الكبير فإنّه أوثق ما رأيناه في ذلك و أبعد عن المطاعن و الشبه في كبار الأمّة من خيار الأمّة و عدولهم من الصحابة و التابعين [38] .

نظرة تأمل في سبب اختيار كبار العلماء الأفذاذ روايات سيف في أخبار صدر الاسلام

قال الطبري في خبر أبي ذرّ الصحابيّ الفقير-مثلا-مع معاوية الأمير:

(كرهت ذكر أكثرها، فأمّا العاذرون معاوية في ذلك فإنّهم ذكروا في ذلك قصّة... عن سيف) .

و قال ابن الاثير:

(... من سبّ معاوية إيّاه و تهديده بالقتل و حمله إلى المدينة من الشام بغير وطاء و نفيه من المدينة على الوجه الشنيع لا يصلح النقل به) . ثمّ أورد قصّة سيف و وصفهم كذلك بالعاذرين.

إنّ العالمين الكبيرين لم يتركا روايات غير سيف لعدم اعتمادهما عليها، بل لأنّهما لم يجدا فيها العذر للسّلطة الحاكمة، و وجدا العذر عند العاذرين معاوية الأمير و عثمان الخليفة، و هم سيف الزنديق و سلسلة رواته المختلقين، فحشّى الطبري تاريخه الكبير بروايات سيف، و للسبب نفسه أخذ ابن الأثير روايات سيف من تاريخ الطبري، و كذلك فعل ابن كثير حيث قال في آخر ذكره خبر واقعة الجمل من أخبار سنة ستّ و ثلاثين هجريّة عمّا نقله من أخبار سيف في حوادث ما بعد وفاة رسول اللّه (ص) إلى واقعة الجمل:

---

(38) تاريخ ابن خلدون 2/457.

(هذا ملخّص ما ذكره ابن جرير الطبري-رحمه اللّه-عن أئمة هذا الشأن) و قصد من أئمة هذا الشأن الّذين ذكر ابن جرير الطبري الأخبار عنهم سيف الزنديق و رواته المختلقين.

و قد أفصح العلامة ابن خلدون أكثر منهم في سبب اختيارهم روايات سيف المنتشرة في تاريخ الطبري عن أخبار الخلافة أي بيعة الخلفاء و الردّة و الفتوح و الجماعة أي الاجتماع على بيعة معاوية و قال:

(إنّه أوثق ما رأيناه في ذلك و أبعد عن المطاعن و الشّبهة في كبار الأمّة) .

إذا فإنّ روايات سيف في تاريخ الطبري عن تلك الأخبار أوثق عندهم، لأنّها أبعد عن المطاعن و الشّبهة في كبار الأمّة من الصحابة و التابعين، و هم الخلفاء و الولاة و ذووهم، و إليكم دليلا آخر على أنّه من المعيب أن يذكر ما يورد النقد على الكبراء و ينبغي البحث عن العذر لهم في ما يوجه النقد إليهم كيف ما كان؛ في خبر درء سعد بن أبي وقاص الحدّ عن أبي محجن و البحث عن العذر لسعد الأمير.

كان أبو محجن الثقفي كما في ترجمته من الاستيعاب و أسد الغابة و الإصابة، مدمنا للخمر و حدّه الخليفة عمر سبع مرّات لذلك، و أخيرا نفاه من المدينة، و التحق بسعد بن أبي وقّاص في حرب القادسية فقيّده لشربه الخمر و أطلقت زوجة سعد سراحه و كانت له مواقف مشهورة في الحرب، فدرأ سعد الحدّ عنه لموقفه و قال: و اللّه لا نجلدك على الخمر أبدا. قال أبو محجن:

و إذن لا أشربها أبدا.

كان هذا خبر درء سعد الحدّ عن أبي محجن، و في هذا الشأن نقل ابن حجر في ترجمة أبي محجن في كتابه الإصابة عن كتاب ابن فتحون (ت: 519 هـ) : (التذييل على استيعاب أبي عمر بن عبد البرّ) و قال:

(و قد عاب ابن فتحون أبا عمر على ما ذكره في قصة أبي محجن، أنّه

كان منهمكا في الشراب-إلى قوله-: و أنكر ابن فتحون على من روى أنّ سعدا أبطل عنه الحدّ و قال: [لا يظنّ هذا بسعد]ثمّ قال: [لكن له وجه حسن] و لم يذكره و كأنّه أراد بقوله لا يجلده في الخمر بشرط أضمره و هو: إن ثبت عليه أنه يشربها، فوفّقه اللّه أن تاب توبة نصوحا فلم يعد إليها...) [39] .

هكذا يبحث أتباع مدرسة الخلفاء عمّا يرفع النقد عن الكبراء و هم الخلفاء و الولاة و ذووهم من الخلفاء الأوائل حتّى معاوية و مروان بن الحكم و يزيد بن معاوية و ولاتهم الّذين يسمّونهم الكبراء أو كبراء الصّحابة و التابعين. و بما أنّ سيف بن عمر الزنديق عرف من أين تؤكل الكتف، فقد وضع روايات موافقة لرغبات جميع الطبقات بمدرسة الخلفاء مدى العصور، و طلا رواياته بطلاء الدفاع عن الخلفاء و ذويهم في ما انتقدوا عليه و نشر فضائلهم.

و تحت هذا الغطاء السميك استطاع أن يخفي أهدافه في الطعن بالإسلام و الإضرار به و نشر الخرافات الضارّة بالعقائد الإسلامية بين المسلمين، و كذلك استطاع أن ينشر و يذيع بين الناس أنّ الإسلام انتشر بحدّ السيف.

استطاع سيف أن يصل إلى كلّ أهدافه في ما اختلق بدافع زندقته.

و سنورد أمثلة ممّا ذكرنا في ما يأتي.

و من أمثلة نشره الخرافات الضارّة بالعقيدة الإسلامية ما رواه في خبر الأسود العنسي المتنبي و خبر مناجاة كسرى مع الرسول (ص) عند اللّه كالآتي.

---

(39) الإصابة 4/173-175.

أوّلا-قصّة الأسود العنسي في روايات سيف

روى الطبري في قصة الأسود العنسي [40] عدة روايات عن سيف تتلخّص في ما يلي:

إنّ الأسود لمّا ادّعى النبوة و تغلّب على اليمن و قتل ملكها شهر بن باذان و تزوّج امرأته و أسند أمر الجيش إلى قيس بن عبد يغوث، و أسند أمر الأبناء -و هم أبناء الفرس باليمن-إلى فيروز و داذويه، كتب النبيّ (ص) إلى هؤلاء بقتال الأسود إمّا مصادمة أو غيلة. فاتّفقوا على اغتياله، فأخبره شيطانه فأرسل إلى قيس و قال: يا قيس!ما يقول الملك؟قال قيس: و ما يقول؟قال: يقول:

(عمدت إلى قيس فأكرمته حتّى إذا دخل منك كلّ مدخل، و صار في العزّ مثلك، مال ميل عدوّك؛ و حاول ملكك و أضمر على الغدر!إنّه يقول:

يا أسود، يا أسود، يا سوءة!يا سوءة!اقطف قنّته [41] و خذ من قيس أعلاه و إلاّ سلبك أو أخذ قنّتك!) ، فقال قيس: فحلف به و كذب: (و ذي الخمار [42] لأنت أعظم في نفسي و أجلّ عندي من أن أحدّث بك نفسي) ، قال الأسود: (ما أجفاك!أ تكذب الملك؟!و عرفت الآن أنّك تائب ممّا اطلع عليه منك) يعني ما اطلع عليه شيطانه الّذي يسمّيه الملك.

و قال سيف: ثمّ خرج قيس و أخبر جماعته بما جرى له مع الأسود و تواطئوا على إنفاذ ما اتّفقوا عليه من قتله، فدعا الأسود قيسا ثانية، و قال له:

(أ لم أخبرك الحقّ و تخبرني الكذابة إنّه يقول-يعني شيطانه الّذي يسمّيه

(40) نسبة إلى عنس بن مذحج و هم حيّ من زيد بن كهلان بن سبأ، ترجمتهم في أنساب ابن حزم ص 381.
(41) اقطف قنته أي اقطع رأسه، و قنة كل شيء أعلاه مثل القلة.
(42) كان الأسود يلقب ذا الخمار أو ذا الحمار.

الملك-: يا سوءة!يا سوءة!إلاّ تقطع من قيس يده يقطع قنّتك العليا) . فقال له قيس: (ليس من الحقّ أن أقتلك و أنت رسول اللّه فمر بي بما أحببت، فإمّا الخوف و الفزع فأنا فيهما مخافة!اقتلني!فموتة أهون عليّ من موتات أموتها كلّ يوم) ، قال سيف: فرقّ له فأخرجه!و قال: دعا الأسود بمائة جزور بين بقرة و بعير، و خطّ خطا فأقيمت من وراء الخطّ، و قام من دونها، فنحرها غير محبسة و لا معقّلة، ما يقتحم الخطّ منها شيء، ثمّ خلاها فجالت إلى أن زهقت. و نقل سيف عن الراوي أنّه قال: (ما رأيت أمرا كان أفظع منه، و لا يوما أوحش منه) .

قال سيف: و تواطئوا مع زوجته على اغتياله-ليلا-فلمّا دخلوا عليه ليقتلوه بادره فيروز، فأنذره شيطانه بمكان فيروز و أيقظه. فلمّا أبطأ تكلّم الشيطان على لسانه و هو يغطّ في نومه و ينظر إلى فيروز قال له: (ما لي و لك يا فيروز؟) . فدقّ فيروز رقبته و قتله.

قال: (ثمّ دخل الباقون ليحتزّوا رأسه، فحرّكه شيطانه فاضطرب فلم يضبطوا أمره حتّى جلس اثنان على ظهره و أخذت المرأة شعره، فجعل يبربر بلسانه فاحتزّ الآخر رقبته فخار كأشدّ خوار ثور سمع قطّ، فابتدر الحرس الباب، و قالوا: ما هذا؟فقالت المرأة: النبيّ يوحى إليه، فخمد...) الحديث.

روى هذا الخبر عن سيف كلّ من الطبري و الذهبي في تاريخيهما، و أخذه من الطبري كلّ من ابن الأثير و ابن كثير و ابن خلدون، غير أنّ الأخير أورده بإيجاز.

دراسة خبر الأسود العنسي

آ-رواة الخبر:

روى سيف هذا الخبر في إحدى عشرة رواية رواها عن أربعة رواة اختلقهم و هم كلّ من:

1- سهل بن يوسف الخزرجي السلمي.

2- عبيد بن صخر الخزرجي السلمي.

3- المستنير بن يزيد النخعي.

4- عروة بن غزية الدثيني.

هكذا تخيّلهم سيف الزنديق غير أنّ اللّه لم يخلق رواة بهذه الأسماء و إنّما اختلقهم سيف بن عمر لرواياته.

ب-دراسة متن الخبر:

قد قارنّا روايات سيف المختلفة في خبر الأسود العنسي بالروايات الصحيحة و بيّنا اختلاقه الروايات و الرواة في هذا الخبر في الجزء الثاني من (عبد اللّه بن سبأ.)

ثانيا-خبر مناجاة كسرى مع الرسول عند اللّه في رواية سيف

روى سيف في قصّة مسير يزدجرد إلى خراسان بعد واقعة جلولاء و قال:

(كان يزدجرد بن شهريار بن كسرى و هو يومئذ ملك فارس، لمّا انهزم أهل جلولاء خرج يريد الريّ و كان ينام في محمله و البعير يسير به و لا يعرسون، فانتهوا به إلى مخاضة و هو نائم في محمله فأنبهوه ليعلم و لئلاّ يفزع إذا خاض البعير، فعنف و قال: بئسما صنعتم، و اللّٰه لو تركتموني لعلمت ما مدّة هذه الأمّة، إنّي رأيت: أنّي و محمّدا تناجينا عند اللّٰه، فقال له:

-أملكهم مائة سنة.

فقال: -زدني.

فقال: -عشرا و مائة سنة.

فقال: -زدني.

فقال: -عشرين و مائة سنة.

فقال: -لك.

و أنبهتموني، فلو تركتموني لعلمت ما مدّة هذه الأمّة...) [43] .

دراسة خبر مناجاة كسرى و الرسول (ص)

أ-دراسة رواة الخبر:

روى سيف أسطورة مناجاة كسرى و الرسول (ص) عند اللّه عن مختلقاته من الرواة الآتية أسماؤهم:

1- محمّد، و قد تخيّله: محمّد بن عبد اللّه بن سواد بن نويرة.

2- المهلب، و هو عنده: المهلب بن عقبة الأسدي.

3- عمرو، و قد اختلق سيف راويين باسم عمرو، تخيّل أحدهما:

عمرو بن ريان و الآخر: عمر بن رفيل، و بيّنّا اختلاقه هذه الأسماء في الجزء الأول من (عبد اللّه بن سبأ) و (خمسون و مائة صحابيّ مختلق)

ب-دراسة متن الخبر:

درسنا متن هذا الخبر في أول الجزء الأول من (خمسون و مائة صحابيّ مختلق) و بيّنّا زيفه و لا حاجة لإعادة البحث في هذه العجالة.

ما ذا استهدف الزنديق من وضع هذين الخبرين؟

---

(43) راجع مصادره في البحث الأوّل من البحوث التمهيدية في الجزء الاول من (خمسون و مائة صحابيّ مختلق) .

زعم سيف أنّ الأسود الّذي ادّعى النبوة كان يخبر قيسا بكلّ ما ينويه مرّة بعد أخرى و يقول:

(قال الملك!) و كان الملك الّذي يخبره هو الشيطان!و ظهرت من الأسود مدّعي النبوة معجزة باهرة حين خطّ خطّا أوقف وراءه مائة جزور بين بقرة و بعير و قام من دونها و نحرها جميعا غير محبسة و لا معقلة ما يقتحم الخطّ منها شيء، ثمّ خلاها فجالت إلى أن زهقت، و إنّ الراوي استعظم هذا الأمر! و قال في الخبر الثاني: (إنّ كسرى رأى في المنام أنه اجتمع مع اللّه و رسوله في مؤتمر ثلاثي...) الحديث.

أ ليس مغزى الأسطورة الأولى أنّ نبيّ المسلمين ادّعى النبوّة و كان من يسمّيه (الملك) يخبره بالغيب، و تصدر منه المعجزات.

و الأسود العنسي أيضا ادّعى النبوة و كان من يسمّيه (الملك) يخبره بالغيب و تظهر منه المعجزات؟هل نشر الزنديق هذه الأسطورة دون أن يقصد إلقاء الشبهات في أذهان المسلمين؟ و في الأسطورة الثانية، أ لم يقصد الزنديق الاستهزاء بربّ المسلمين و نبيّهم حين جمعهما في مؤتمر واحد مع عدوّهما يزدجرد ملك الفرس في ما رآه!!؟ هكذا نقل كبار العلماء عن سيف أساطير الخرافة و حشوا بها كتب التاريخ الإسلامي و أصبحت تلك الأساطير جزءا من مصادر الدراسات الإسلامية، و كذلك نشروا في كتب التاريخ الإسلاميّ ما أشاعه سيف الزنديق بأنّ الإسلام انتشر بحدّ السيف، نظير الأخبار الآتية.

إشاعة الزنديق أنّ الإسلام انتشر بالسيف و إراقة الدماء

أشاع سيف في ما اختلق من أخبار حروب الردّة و الفتوح بأنّ الإسلام

انتشر على وجه الأرض بحدّ السيف و إراقة الدماء؛ و ممّا اختلق باسم حروب الردّة، الأكاذيب و التهويلات الآتية:

تهويلات و أكاذيب في ما رواه سيف من أخبار حروب الردّة

مهّد سيف لما أراد أن يذكر في حروب الردّة من تهويلات بما روى في روايات قصيرة له أوردها الطبري في أول أخبار الردّة، قال سيف فيها:

(كفرت الأرض و تضرّمت نارا، و ارتدّت العرب من كلّ قبيلة خاصّتها أو عامّتها إلاّ قريشا و ثقيفا) . ثمّ ذكر ارتدادا في غطفان، و امتناع هوازن من دفع الصدقة، و اجتماع عوام طيّئ و أسد على طليحة، و ارتداد خواصّ بني سليم، و قال: (و كذلك سائر الناس بكلّ مكان) و قال: (و قدمت كتب أمراء النبيّ من كلّ مكان بانتقاض القبائل خاصّتها، أو عامّتها) .

و نقل الخبر كذلك ابن الأثير و ابن خلدون بتاريخيهما، و نقله ابن كثير بالمعنى حيث قال في تاريخه [44] .

(ارتدّت العرب عند وفاة رسول اللّه (ص) ما خلا أهل المسجدين مكّة و المدينة) .

ثمّ ذكر سيف في ما اختلقه من حروب الردّة كيف أرجع المرتدّون إلى الإسلام بحدّ السيف كما زعمه الزنديق في رواياته. و من أمثلة ما روى في حروب الردّة ما سمّاها بحرب الأخابث كالآتي:

ردّة عكّ و الأشعرين و خبر طاهر ربيب رسول اللّه (ص) في روايات سيف

و قال سيف في خبر الأخابث من عكّ:

كان أوّل من انتفض بتهامة العكّ و الأشعرين لمّا بلغهم نبأ وفاة

---

(44) البداية و النهاية 6/312.

النبيّ (ص) تجمعوا و أقاموا على الأعلاب (طريق الساحل) فكتب بذلك طاهر إلى أبي بكر، ثمّ سار إليهم مع مسروق العكّي حتّى التقى بهم، فاقتتلوا، فهزمهم اللّه و قتلوهم كلّ قتلة، و أنتنت السّبل لقتلهم، و كان مقتلهم فتحا عظيما.

و أجاب أبو بكر طاهرا-من قبل أن يأتيه كتابه بالفتح-: (بلغني كتابك تخبرني فيه مسيرك و استنفارك مسروقا و قومه إلى الأخابث بالأعلاب، فقد أصبت، فعاجلوا هذا الضرب و لا ترفهوا عنهم، و أقيموا بالأعلاب حتّى يأتيكم أمري) . فسمّيت تلك الجموع و من تأشب إليهم إلى اليوم الأخابث، و سمّي ذلك الطريق طريق الأخابث، و قال في ذلك طاهر بن أبي هالة:

و و اللّه لو لا اللّه لا شيء غيره # لما فضّ بالأجراع جمع العثاعث

فلم تر عيني مثل يوم رأيته # بجنب صحار في جموع الأخابث

قتلناهم ما بين قتّة خامر # إلى القيعة الحمراء ذات النبائث

و فئنا بأموال الأخابث عنوة # جهارا و لم نحفل بتلك الهثاهث

قال: و عسكر طاهر على طريق الأخابث، و معه مسروق في عكّ ينتظر أمر أبي بكر.

أدار سيف خبر ردّة عكّ و الأشعرين على من تخيّله طاهر بن أبي هالة، فمن هو طاهر في أحاديث سيف؟

طاهر في أحاديث سيف

تخيّل سيف طاهر بن أبي هالة التميمي من أمّ المؤمنين خديجة و ربيب رسول اللّه (ص) و عامله في حياته، و ذكر من أخباره في عصر أبي بكر إبادته للمرتدّين من عكّ و الأشعرين، و من أحاديث سيف استخرجوا ترجمته و ذكروه في عداد الصّحابة في كلّ من الاستيعاب و معجم الصّحابة و أسد

الغابة و تجريد أسماء الصّحابة و الإصابة و غيرها، و كذلك ترجم في معجم الشعراء و سير النبلاء.

و ذكر خبره في تواريخ الطبري و ابن الأثير و ابن كثير و ابن خلدون و ميرخواند.

و اعتمد (شرف الدين) على هذه المصادر و ذكر اسم طاهر في عداد أسماء الشّيعة من أصحاب عليّ في كتابه (الفصول المهمّة) .

و اعتمادا على أخبار سيف ترجم البلدانيون الأعلاب و الأخابث في عداد الأماكن مثل الحموي في معجم البلدان و عبد المؤمن في مراصد الاطلاع.

مناقشة الخبر

روى سيف أخبار طاهر في خمس من رواياته في أسانيدها خمس رواة اختلقهم باسم سهل عن أبيه يوسف السلمي و عبيد بن صخر بن لوذان و جرير بن يزيد الجعفي و أبي عمرو مولى طلحة.

و لم يكن وجود لردة عكّ و الأشعرين.

و لم يخلق اللّه أرضا باسم الأعلاب و الأخابث.

و لا صحابيّا شيعيّا ربيبا لرسول اللّه (ص) من أمّ المؤمنين خديجة اسمه طاهر بن أبي هالة.

و لم تقع حرب الإبادة لعكّ و الأشعرين المرتدّين كما تخيّلها سيف، و لا الرواة الّذين روى عنهم أخبار طاهر وردة عكّ و الأشعرين و الأخابث.

اختلق سيف الردّة، و حربها، و الأراضي، و الشعر، و كتاب أبي بكر، و الصحابيّ، و الرواة، و وصل من خلالها إلى هدفه أنّ الناس ارتدّوا بعد رسول اللّه (ص) عامّة عدا قريش و ثقيف، و هكذا حاربهم المسلمون حرب إبادة، و قد ناقشنا كلّ هذه الأخبار و أسانيدها في ترجمة من

سمّاه بطاهر بن أبي هالة في الجزء الأول من كتاب (خمسون و مائة صحابيّ مختلق) .

كانت هذه إحدى حروب الردّة الّتي اختلقها سيف، و ممّا اختلق من حروب الردّة و اختلق أخبارها، ما سمّاه بردّة طيّئ و ردّة أمّ زمل و ردّة أهل عمان و المهرة و ردّة اليمن الأولى و ردّة اليمن الثانية.

اختلق ارتداد تلك القبائل و البلاد و حروبها و حروب ردّة أخرى زعم أنها وقعت في عصر أبي بكر، كذب فيها جميعا. و كذب و افترى في ذكر عدد من قتل في تلك المعارك و ذكر تهاويل مزعومة سوّد بها وجه التاريخ الإسلامي الناصع، و كذلك فعل في أخبار الفتوح حيث ذكر معارك لم تقع، و قتلا و إبادة من قبل جيوش المسلمين لم يكن لهما وجود في التاريخ بتاتا كالآتي ذكرهما.

فتح أ ليس و تخريب مدينة أمغيشيا في أحاديث سيف

روى الطبري عن سيف في خبر أ ليس و أمغيشيا من فتوح سواد العراق و قال في خبر أ ليس:

فاقتتلوا قتالا شديدا و المشركون يزيدهم كلبا و شدّة ما يتوقّعون من قدوم بهمن جاذويه، فصابروا المسلمين للّذي كان في علم اللّه أن يصيرهم إليه و حرب المسلمون عليهم، و قال خالد: اللهمّ إنّ لك عليّ إن منحتنا أكتافهم ألاّ أستبقي منهم أحدا قدرنا عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم، ثمّ إنّ اللّه عزّ و جلّ كشفهم للمسلمين و منحهم أكتافهم، فأمر خالد مناديه فنادى في الناس: الأسر الأسر، لا تقتلوا إلاّ من امتنع فأقبلت الخيول بهم أفواجا مستأسرين يساقون سوقا و قد وكّل بهم رجالا يضربون أعناقهم في النهر، ففعل ذلك بهم يوما و ليلة، و طلبوهم الغد و بعد الغد حتّى انتهوا إلى النهرين و مقدار ذلك من كلّ جوانب أ ليس، فضرب أعناقهم و قال له القعقاع و أشباه

له: لو أنّك قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم إنّ الدماء لا تزيد على أن ترقرق منذ نهيت عن السيلان و نهيت الأرض عن نشف الدماء، فأرسل عليها الماء، تبرّ بيمينك، و قد كان صدّ الماء عن النهر فأعاده فجرى دما عبيطا فسمّى نهر الدم لذلك الشأن إلى اليوم. و قال آخرون منهم بشير بن الخصاصية و بلغنا أنّ الأرض لما نشفت دم ابن آدم نهيت عن نشف الدماء و نهي الدم عن السيلان إلاّ مقدار برده.

و قال: كانت على النهر أرحاء فطحنت بالماء و هو أحمر قوت العسكر ثمانية عشر ألفا أو يزيدون ثلاثة أيام....

و قال بعده في خبر هدم مدينة أمغيشيا:

لمّا فرغ خالد من وقعة أ ليس، نهض فأتى أمغيشيا و قد أعجلهم عمّا فيها و قد جلا أهلها و تفرقوا في السواد، فأمر خالد بهدم أمغيشيا و كلّ شيء كان في حيزها، و كانت مصرا كالحيرة، و كانت أ ليس من مسالحها، فأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله قطّ.

اختلق سيف جميع هذه الأخبار بتفاصيلها مع رواتها و لنتأمّل في ما وضع و اختلق في الخبرين.

نظرة تأمل في رواية سيف عن أ ليس و مدينة أمغيشيا

قال سيف:

في وقعة أ ليس آلى خالد أن يجري نهرهم بدمائهم، فلمّا غلب غيّر مجرى الماء من نهرهم و استأسر فلول الجيش الفارسي و المدنيين من أهل الأرياف من كلّ جوانب أ ليس مسافة يومين و أقبلت الخيول بهم أفواجا مستأسرين و و كلّ بهم رجالا يضربون أعناقهم على النهر يوما و ليلة، و الدم ينشف فقال له القعقاع-الصحابي الذي اختلقه سيف-و أشباه له: لو قتلت

أهل الأرض لم تجر دماؤهم، أرسل عليها الماء تبرّ يمينك، فأرسل عليها الماء فأعاده فجرى النهر دما عبيطا فسمّي نهر الدم لذلك إلى اليوم. ثمّ قال: ذهب خالد إلى أمغيشيا و كانت مصرا كالحيرة فأمر بهدم أمغيشيا و كلّ شيء كان في حيزها و بلغ عدد قتلاهم سبعين ألفا.

أمّا هدم مدينة أمغيشيا الّتي اختلق سيف المدينة و حيّزها و خبر هدمها، فقد كان له نظير في التاريخ من قبل طغاة مثل هولاكو و جنكيز و كذلك قتل الأسرى، غير أنّ سيفا نسب إلى خالد ما لم يجر له نظير في تاريخ الحروب و هو أنه أجرى نهرهم بدمائهم، و أنّه لذلك سمّي نهرهم بنهر الدم إلى اليوم.

اختلق سيف كلّ هذه الأخبار و اختلق أخبار معارك الثني و المذار و المقر و فم فرات بادقلى و حرب المصيخ و قتلهم الكفّار يوم ذاك حتّى امتلأ الفضاء من قتلاهم، فما شبهوهم إلاّ بغنم مصرّعة و كذلك معركة الزميل و الفراض و قتل مائة ألف من الروم فيها.

اختلق سيف جميع أخبار هذه الحروب و نظائرها و انتشرت في تواريخ الطبري و ابن الأثير و ابن كثير و ابن خلدون و غيرهم، و لا حقيقة لواحدة منها، و قد ناقشنا أخبارها و أسانيدها في بحث (انتشار الإسلام بالسيف و الدم في حديث سيف) من كتاب (عبد اللّه بن سبأ) الجزء الثاني.

ألا يحقّ لخصوم الإسلام مع هذا التاريخ المزيّف أن يقولوا: (إنّ الإسلام انتشر بحدّ السيف) !؟ و هل يشكّ أحد بعد هذا في هدف سيف من وضع هذا التاريخ و ما نواه من سوء للإسلام؟!و ما الدافع لسيف إلى كلّ هذا الدّس و الوضع إن لم تكن الزندقة الّتي وصفه العلماء بها!؟ و أخيرا هل خفي كلّ هذا الكذب و الافتراء على إمام المؤرخين الطبري؟

و علاّمتهم ابن الأثير؟و مكثرهم ابن كثير؟و فيلسوفهم ابن خلدون؟و على عشرات من أمثالهم، كابن عبد البرّ و ابن عساكر و الذهبي و ابن حجر؟ كلاّ فإنّهم هم الّذين وصفوه بالكذب و رموه بالزندقة!و قد ذكر الطبري و ابن الأثير و ابن خلدون في تواريخهم في وقعة ذات السلاسل: أنّ ما ذكره سيف فيها خلاف ما يعرفه أهل السير! إذا فما الّذي دعاهم إلى اعتماد رواياته دون غيرها مع علمهم بكذبه و زندقته، إن هو إلاّ أنّ سيفا حلّى مفترياته بإطار من نشر مناقب ذوي السلطة من الصحابة، فبذل العلماء وسعهم في نشرها و ترويجها، مع علمهم بكذبها؟ ففي فتوح العراق-مثلا-أورد مفترياته تحت شعار مناقب خالد بن الوليد، فقد وضع على لسان أبي بكر أنّه قال بعد معركة أ ليس و هدم مدينة أمغيشيا:

(يا معشر قريش عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله، أعجزت النساء أن ينشئن مثل خالد) .

كما زيّن ما اختلق في معارك الرّدّة بإطار من مناقب الخليفة أبي بكر، و كذلك فعل في ما روى و اختلق عن فتوح الشام و إيران على عهد عمر، و الفتن في عصر عثمان، و واقعة الجمل في عصر عليّ، فإنّه زيّن جميعها بإطار من مناقب ذوي السلطة و الدفاع عنهم في ما انتقدوا عليه و بذلك راجت روايات سيف و شاعت أكاذيبه و نسيت الروايات الصحيحة و أهملت، على أنّه ليس في ما وضعه سيف و اختلق-على الأغلب-فضيلة للصحابة بل فيه مذمّة لهم.

و لست أدري كيف خفي على هؤلاء أنّ جلب خالد عشرات الألوف من البشر و ذبحهم على النهر ليجري نهرهم بدمائهم ليست فضيلة له، و لا هدمه مدينة أمغيشيا و لا نظائرها إلاّ على رأي الزنادقة في الحياة من أنّها سجن للنور،

و أنّه ينبغي السعي في إنهاء الحياة لإنقاذ النور من سجنه [45] .

و مهما يكن من أمر، فإنّ بضاعة سيف المزجاة إنّما راجت لأنّه طلاها بطلاء من مناقب الكبراء، و إنّ حرص هؤلاء على نشر فضائل ذوي السلطة و الدفاع عنهم أدّى بهم إلى نشر ما في ظاهره فضيلة لهم و إن لم تكن لهم في واقعه فضيلة! و الأنكى من ذلك أنّ سيفا لم يكتف باختلاق روايات في ظاهرها مناقب للصحابة من ذوي السلطة و يدسّ فيها ما شاء لهدم الإسلام، بل اختلق صحابة للرسول (ص) لم يخلقهم اللّه!و وضع لهم ما شاء من كرامات و فتوح و شعر و مناقب كما شاء!و ذلك معرفة منه بأنّ هؤلاء يتمسّكون بكلّ ما فيه مناقب لأصحاب الحكم كيف ما كان، فوضع و اختلق ما شاء لهدم الإسلام! اعتمادا منه على هذا الخلق عند هؤلاء!و ضحكا منه على ذقون المسلمين!و لم يخيّب هؤلاء ظنّ سيف، و إنّما روّجوا مفترياته زهاء ثلاثة عشر قرنا! أوردنا إلى هنا أمثلة ممّا اختلقه سيف للطّعن بالإسلام و أطره بإطار مناقب كبراء الصحابة و التابعين أي ذوي السلطة منهم، و في ما يأتي ندرس أمثلة أخرى منها ممّا أطره بإطار حلّ معضلة مدرسة الخلافة مدى القرون، كما سيأتي بيانها.

كانت شهرة الإمام عليّ (ع) بالوصيّ معضلة مدرسة الخلافة مدى القرون

رأينا في ما مرّ بنا كيف دارت المعركة الكلامية بين المدرستين حول نصّ

(45) راجع بحث الزندقة و الزنادقة من البحوث التمهيدية في الجزء الأوّل من (خمسون و مائة صحابيّ مختلق) .

الوصية مدى سبعمائة سنة منذ عهد أمّ المؤمنين عائشة حتّى عصر ابن كثير، لأن نصّ الوصيّة كان يشخّص قصد الرسول (ص) في سائر النصوص الّتي نصّ بها على حقّ آله في الحكم بدءا بالإمام عليّ و انتهاء بالإمام المهدي، مثل حديث الغدير و حديث أنّ عليّا ولي الأمر بعد الرسول (ص) و وارثه، إلى غيرهما. بينما كانت مدرسة الخلفاء تؤوّل تلك النّصوص إلى مدلول الفضيلة لآل الرسول (ص) . و ممّا يوضّح ذلك أنّ علماء أهل الكتاب-مثلا-عند ما كانوا يتكلّمون عن وصيّ خاتم الأنبياء، ما كانوا يعنون غير وليّ عهده من بعده.

و أنّ أنصار الإمام عليّ (ع) عند ما كانوا يذكرون الوصيّة في خطبهم و أشعارهم. يحتجّون بها على حقّ الإمام عليّ (ع) في الحكم مثل أبي ذرّ على عهد عثمان و مالك الأشتر يوم بيعة الإمام عليّ (ع) و محمّد بن أبي بكر في كتابه لمعاوية، و المهاجرين و الأنصار في أشعارهم في الجمل و صفّين، و الإمام الحسن (ع) عند ما خطب ليبايع له، و الإمام الحسين عند ما خطب على جيش الخلافة بكربلاء، كلّهم كانوا يحتجّون بالوصيّة، لأنّها كانت تشير إلى جميع النّصوص الّتي وردت بحقّهم و تشملها، فكأنّهم في احتجاجهم بالوصيّة يدلون بجميع تلك النّصوص.

و إنّ قيام العلويّين المطالبين بالحكم لم ينته باستشهاد الإمام الحسين (ع) و إنّما استمرّت ثوراتهم على الخلفاء حتّى عصر العباسيين، و كان في مقدمة ما يضايق مدرسة الخلفاء في كلّ تلكم القرون في المعركة السياسية شهرة الإمام عليّ (ع) بأنّه وصيّ النبيّ (ص) لما كان يحتجّ بها المطالبون بالحكم من العلويين باعتبار أنّها تدلّ كما ذكرنا آنفا على نصّ النّبيّ (ص) بحقّ الإمام عليّ (ع) و ولده في الحكم.

و من ثمّ لمّا أراد المأمون تهدئة ثورات العلويّين تظاهر بالاستدلال بالوصيّة و ولى الإمام الرضا العهد من بعده، و بذلك هدّأ العلويّين في كلّ مكان

و جلب رءوسهم إلى عاصمته و قضى على جلّهم بالسّمّ و انتصر عليهم.

إذا كانت شهرة الإمام عليّ (ع) بالوصيّة هي معضلة مدرسة الخلفاء مدى القرون، فكيف حلّ سيف هذه المعضلة؟

سيف يضع حلاّ لمعضلة مدرسة الخلفاء

مرّ بنا كيف كانت مدرسة الخلفاء تعمد إلى كتمان كلّ ما فيه ذكر للوصيّة حذفا و تحريفا و طعنا على رواة الحديث و المحتجّين به، و تأويلا للنصوص الصريحة للوصيّة، و لم يبلغ أحدهم شأو سيف في ما وضع من حلّ لهذه المشكلة العويصة بتحريفه الحقائق إلى ما يناقضها في ما اختلقه من روايات نذكرها في ما يأتي:

أ- روى الطبري [46] في أول أخبار سنة خمس و ثلاثين للهجرة الرواية الآتية:

(عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي، قال: كان عبد اللّه بن سبأ يهوديّا من أهل صنعاء، أمّه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثمّ تنقّل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز ثمّ البصرة ثمّ الكوفة ثمّ الشام. فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتّى أتى مصر فاعتمر فيهم، فقال لهم في ما يقول: لعجب ممّن يزعم أنّ عيسى يرجع و يكذب بأنّ محمّدا يرجع و قد قال اللّه عزّ و جلّ: **إِنَّ اَلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ اَلْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلىَ مَعَادٍ** فمحمّد أحقّ بالرجوع من عيسى، قال: فقبل ذلك عنه فوضع لهم الرجعة فتكلّموا فيها، ثمّ قال لهم بعد ذلك: إنّه كان ألف نبيّ و لكلّ نبيّ وصيّ، و كان عليّ وصيّ محمّد. ثمّ قال: محمّد خاتم الأنبياء، و عليّ خاتم

(46) تاريخ الطبري، ط. أوربا 1/2941-2944.

الأوصياء. ثمّ قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصيّة رسول اللّه (ص) و وثب على وصيّ رسول اللّه (ص) و تناول أمر الأمّة؟ثمّ قال لهم بعد ذلك:

إنّ عثمان أخذها بغير حقّ، و هذا وصيّ رسول اللّه (ص) فانهضوا في هذا الأمر فحركوه و ابدءوا بالطّعن على أمرائكم، و أظهروا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر تستميلوا النّاس و ادعوهم إلى هذا الأمر.

فبثّ دعاته و كاتب من كان استفسد في الأمصار، و كاتبوه و دعوا في السرّ إلى ما عليه رأيهم، و أظهروا الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و جعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم و يكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، و يكتب أهل كلّ مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرأه أولئك في أمصارهم و هؤلاء في أمصارهم حتّى تناولوا بذلك المدينة. و أوسعوا الأرض إذاعة و هم يريدون غير ما يظهرون و يسرّون غير ما يبدون، فيقول أهل كلّ مصر: إنّا لفي عافية ممّا ابتلى به هؤلاء، إلاّ أهل المدينة، فإنّهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصار فقالوا: إنّا لفي عافية ممّا فيه النّاس و جامعه محمّد و طلحة من هذا المكان، قالوا: فأتوا عثمان فقالوا: يا أمير المؤمنين، أ يأتيك عن النّاس الّذي يأتينا، قال: لا و اللّه ما جاءني إلاّ السلامة، قالوا: فإنّا قد أتانا و أخبروه بالّذي أسقطوا إليهم، قال: فأنتم شركائي و شهود المؤمنين، فأشيروا عليّ، قالوا: نشير عليك أن تبعث رجالا ممن تثق بهم إلى الأمصار حتّى يرجعوا إليك بأخبارهم. فدعا محمّد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة و أرسل أسامة بن زيد إلى البصرة و أرسل عمّار بن ياسر إلى مصر و أرسل عبد اللّه بن عمر إلى الشام و فرّق رجالا سواهم، فرجعوا جميعا قبل عمّار فقالوا: أيّها النّاس ما أنكرنا شيئا و لا أنكره أعلام المسلمين و لا عوامّهم و قالوا جميعا:

الأمر أمر المسلمين إلاّ أنّ أمراءهم يقسطون بينهم و يقومون عليهم، و استبطأ النّاس عمّارا حتّى ظنّوا أنّه قد اغتيل، فلم يفجأهم إلاّ كتاب من عبد اللّه بن

سعد بن أبي سرح يخبرهم أنّ عمّارا قد استماله قوم بمصر و قد انقطعوا إليه، منهم عبد اللّه بن السوداء و خالد بن ملجم و سودان بن حمران و كنانة بن بشر) .

ب- روى الذهبي [47] في أوائل ذكره أخبار سنة خمس و ثلاثين هجرية الحديثين الآتيين:

أوّلا- (قال سيف بن عمر عن عطية، عن يزيد الفقعسي، قال: لمّا خرج ابن السوداء إلى مصر نزل على كنانة بن بشر مرّة و على سودان بن حمران مرّة، و انقطع إلى الغافقي، فشجّه الغافقي فكلّمه، و أطاف به خالد بن ملجم و عبد اللّه بن رزين و أشباه لهم فصرف لهم القول فلم يجدهم يجيبون إلى الوصية...) إلى آخر الحديث الطويل.

ثانيا- روى بعد هذا الحديث خبر عمّار في مصر كالآتي:

(قال سيف: عن مبشر و سهل بن يوسف، عن محمّد بن سعد بن أبي وقاص، قال: قدم عمّار بن ياسر من مصر و أبي يسأل، فبلغه فبعثني إليه أدعوه، فقام معي و عليه عمامة وسخة و جبّة فراء، فلمّا دخل على سعد قال له:

ويحك يا أبا اليقظان، إن كنت فينا لمن أهل الخير فما الّذي بلغني عنك من سعيك في فساد بين المسلمين و التألّب على أمير المؤمنين أ معك عقلك أم لا؟ فأهوى عمّار إلى عمامته و غضب فنزعها و قال: خلعت عثمان كما خلعت عمامتي هذه. فقال سعد: إنّا للّه و إنّا إليه راجعون، ويحك حين كبرت سنّك و رقّ عظمك و نفد عمرك، خلعت ربقة الإسلام من عنقك و خرجت من الدين عريانا. فقام عمّار مغضبا مولّيا و هو يقول: أعوذ بربّي من فتنة سعد. فقال

(47) تاريخ الإسلام 2/122-128.

سعد: ألا في الفتنة سقطوا، اللهمّ زد عثمان بعفوه و حلمه عندك درجات، حتّى خرج عمّار من الباب. فأقبل عليّ سعد يبكي حتّى أخضل لحيته و قال: من يأمن الفتنة، يا بنيّ لا يخرجنّ منك ما سمعت منه فإنّه من الأمانة و إنّي أكره أن يتعلّق به الناس عليه يتناولونه، و قد قال رسول اللّه (ص) : الحقّ مع عمّار ما لم تغلب عليه ولهة الكبر، فقد و له و خرف. و ممّن قام على عثمان، محمّد بن أبي بكر الصدّيق، فسأل سالم بن عبد اللّه في ما قيل عن سبب خروج محمّد، قال: الغضب و الطمع و كان من الإسلام بمكان، و غرّه أقوام فطمع و كانت له دالّة و لزمه حقّ فأخذه عثمان من ظهره.

ج- روى الطبري [48] في أخبار سنة ثلاثين أمر أبي ذرّ كالآتي:

(عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي، قال: لما ورد ابن السوداء الشام لقي أبا ذرّ فقال: يا أبا ذرّ ألا تعجب إلى معاوية يقول: المال مال اللّه، ألا إنّ كلّ شيء للّه كأنّه يريد أن يحتجنه دون المسلمين و يمحو اسم المسلمين، فأتاه أبو ذرّ فقال: ما يدعوك إلى أن تسمّي مال المسلمين مال اللّه؟قال:

يرحمك اللّه يا أبا ذر، ألسنا عباد اللّه و المال ماله و الخلق خلقه و الأمر أمره، قال: فلا تقله. قال: فإنّي لا أقول إنّه ليس للّه، و لكن سأقول مال المسلمين.

قال: و أتى ابن السوداء أبا الدرداء فقال له: من أنت؟أظنّك و اللّه يهوديّا.

فأتى عبادة بن الصامت فتعلّق به فأتى به معاوية فقال: هذا و اللّه الّذي بعث عليك أبا ذرّ. و قام أبو ذرّ بالشام و جعل يقول: يا معشر الأغنياء واسوا الفقراء، بشّر الّذين يكنزون الذّهب و الفضّة و لا ينفقونها في سبيل اللّه بمكاو من نار تكوى بها جباههم و جنوبهم و ظهورهم، فما زال حتّى ولع الفقراء بمثل ذلك و أوجبوه على الأغنياء و حتّى شكا الأغنياء ما يلقون من النّاس. فكتب معاوية

---

(48) تاريخ الطبري، ط. أوربا 2858/1-2859.

إلى عثمان: إنّ أبا ذرّ قد أعضل بي و قد كان من أمره كيت و كيت. فكتب إليه عثمان: إنّ الفتنة قد أخرجت خطمها و عينها فلم يبق إلاّ أن تثب فلا تنكأ القرح و جهّز أبا ذرّ إليّ و ابعث معه دليلا و زوده و ارفق به و كفكف الناس و نفسك ما استطعت فإنّما تمسك ما استمسكت، فبعث بأبي ذرّ و معه دليل، فلمّا قدم المدينة و رأى المجالس في أصل سلع قال: بشّر أهل المدينة بغارة شعواء و حرب مذكار. و دخل على عثمان فقال: يا أبا ذرّ ما لأهل الشام يشكون ذربك؟فأخبره أنّه لا ينبغي أن يقال مال اللّه و لا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالا، فقال: يا أبا ذرّ عليّ أن أقضي ما عليّ و آخذ ما على الرعية و لا أجبرهم على الزّهد و أن أدعوهم إلى الاجتهاد و الاقتصاد، قال: فتأذن لي في الخروج؟فإنّ المدينة ليست لي بدار. فقال: أو تستبدل بها إلاّ شرّا منها، قال: أمرني رسول اللّه (ص) أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعا. قال: فانفذ بما أمرك به. قال:

فخرج حتى نزل الربذة فخطّ بها مسجدا و أقطعه عثمان صرمة من الإبل و أعطاه مملوكين و أرسل إليه أن تعاهد المدينة حتّى لا ترتد أعرابيّا، ففعل) .

دراسة روايات سيف في أخبار الفتن

اختلق سيف هذه الأخبار و نظائرها في الدفاع عن الخلفاء الأمويين:

عثمان، و معاوية، و مروان، و الولاة: الوليد، و سعد بن أبي سرح، و غيرهم من كبراء بني أميّة، فراجت قصصه المختلقة في أخبار تلك الفتن، و انتشرت في مصادر الدراسات الإسلاميّة انتشار النّار في الهشيم، كما برهنّا على ذلك في أوّل الجزء الأوّل من (عبد اللّه بن سبأ) ، و أثبتنا الصحيح من أخبار تلك الفتن في فصل (في عصر الصهرين) و فصل (مع معاوية) من كتابنا (أحاديث أمّ المؤمنين عائشة) الجزء الأول، و نشير في ما يأتي إلى أمثلة من أنواع الاختلاق و التحريف في روايات سيف السابقة. ـ

الاختلاق و التحريف في روايات سيف الآنفة الذكر

أوّلا-أمثلة من الاختلاق في الروايات السابقة:

أ- اختلق سيف رواة الحديث: عطية و مبشر و سهل بن يوسف و يزيد الفقعسي و هذا بيانه:

أمّا عطية، فقد تخيّله سيف: ابن بلال بن أبي بلال، هلال الضّبّي و اختلق له ابنا سمّاه الصّعب، و أسند إليهم رواية بعض مختلقاته من الروايات؛ تارة يروي الابن منهم عن أبيه، و تارة يروي عن غيره، و هؤلاء درسناهم و أحصينا الروايات الّتي أسندها سيف إليهم في كتابنا (رواة مختلقون) ، و قارنّا بين بعض ما أسند إليهم سيف من روايات في ترجمة القعقاع الصحابي المختلق بكتابنا (خمسون و مائة صحابي مختلق) الجزء الأوّل، و في خبر العلاء الحضرمي بكتابنا (عبد اللّه بن سبأ) الجزء الأوّل.

و سهل بن يوسف تخيّل سيف نسبه هكذا: سهل بن يوسف بن سهل بن مالك الأنصاري، و قد ترجمناهم و أحصينا روايات سيف عنهم في كتاب (رواة مختلقون) و درسنا روايات سيف عنهم في ترجمة القعقاع بكتاب (خمسون و مائة صحابي مختلق) .

و مبشر تخيّله: مبشر بن فضيل و قد درسناه و درسنا رواية سيف عنه في خبر السقيفة بكتابنا (عبد اللّه بن سبأ) الجزء الأوّل.

و يزيد الفقعسي، لم نجد له ذكرا في ما بحثنا من كتب الحديث و السير و التاريخ و الأدب و الأنساب و الطبقات و تراجم الرجال عدا خمس روايات لسيف في تاريخ الطبري و رواية واحدة له في تاريخ الإسلام للذهبي، و كأنّ اللّه لم يخلقه إلاّ ليروي سيف عنه، و لذلك اعتبرناه من مختلقات سيف من الرواة.

ب- اختلق سيف، الغافقي و غيره، في متون الأحاديث السابقة و نترك إحصاء ما اختلق فيها و البرهنة عليها، لئلاّ يطول بنا الكلام.

و اختلق في متون الأحاديث السابقة أيضا الأخبار الآتية: أ- قصة عبد اللّه بن سبأ في تلك الفتن و يكفي لمعرفة ما اختلقه مقارنتها بالأخبار الصحيحة الّتي أوردناها في فصلي (في عصر الصهرين) و (مع معاوية) من كتاب (أحاديث عائشة) الجزء الأوّل.

ب- من ضمن هذه الأخبار المختلقة متابعة الصحابيين عمّار و أبي ذرّ لعبد اللّه بن سبأ الذي تخيّله يهوديا من أهل اليمن... و ألحق بهما في متابعتهما عبد اللّه بن سبأ، صحابة و تابعين آخرين و سمّى جميعهم بالسّبائيّة.

ج- اختلق خبر إرسال الخليفة عثمان رجالا إلى الأمصار لتحقيق ما تصل إليه من الشكاوي، و تخيّلهم هكذا: محمد بن مسلمة إلى الكوفة، و أسامة بن زيد إلى البصرة، و عمّار بن ياسر إلى مصر، و عبد اللّه بن عمر إلى الشّام، و أنّ جميعهم رجعوا يخبرون عن رضا النّاس عن ولاتهم ما عدا عمّار بن ياسر الّذي تبع عبد اللّه بن سبأ اليهودي و بقي في أرض مصر يفسد فيها.

اختلق سيف جميع تلك الأخبار بتفاصيلها، و لم يرد ذكر شيء منها عند أيّ واحد من المؤرخين غيره. و الخبر الصحيح في ذلك ما ذكرناه في كتاب (أحاديث عائشة) عن أنساب الأشراف للبلاذري و غيره.

د- اختلق خبر أبي ذرّ مع معاوية و حرّفه و الروايات الصحيحة في خبره-أيضا-ما أوردناه في كتاب (أحاديث عائشة) .

هـ- اختلق غيرها مثل المكاتبات الّتي تخيل أنّها جرت بين الخليفة عثمان و عماله و غير ذلك.

ثانيا-أمثلة من التحريف في الروايات السابقة:

أ- تحريف في الأسماء:

حرّف اسم عبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام علي و عبد اللّه بن وهب السبائي من رؤساء الخوارج في حرب النهروان و سمّاهما خالد بن ملجم و عبد اللّه بن سبأ كما برهنّا على ذلك في فصل (تصحيف) و تحريف من كتاب (عبد اللّه بن سبأ) الجزء الثاني.

ب- تحريف في الأخبار، مثل:

تحريفه خبر عبادة بن الصامت و معاوية. و الصحيح منه ما أوردناه في فصل (مع معاوية) من كتاب (أحاديث عائشة) .

و تحريفه خبر القول بالرجعة و قوله: إنّ ابن سبأ اخترعه، و يطول بنا البحث عن أدلّته في الكتاب و السنّة، و نقتصر على إيراد خبر واحد كالآتي:

لمّا توفي رسول اللّه (ص) كان الصحابي أبو بكر بمنزله في السنح، و أخذ الصحابيّ عمر يقول: إنّ رجالا من المنافقين يزعمون أنّ رسول اللّه توفّي. و أنّ رسول اللّه ما مات، و لكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة ثمّ رجع بعد أن قيل مات، و اللّه ليرجعنّ رسول اللّه [49] .

و تحريفه خبر القول بالوصيّة و نسبته إلى ابن سبأ اليهودي و قد مرّ بنا البحوث عنها في ما سبق.

و تحريفه رواية رسول اللّه (ص) في حقّ عمّار بقوله: (الحقّ مع عمّار ما لم تغلب عليه ولهة الكبر) و أنّ سعدا قال: إنّ عمّارا و له و خرف، بينا قال

---

(49) راجع تفصيل الخبر في فصل وفاة الرسول (ص) من كتاب (عبد اللّه بن سبأ) ، الجزء الأوّل.

رسول اللّه (ص) في حقّه الحديث الآتي:

عن عبد اللّه بن مسعود، قال قال رسول اللّه:

«إذا اختلف النّاس، كان ابن سميّة مع الحقّ» [50] .

و في طبقات ابن سعد [51] : قال الإمام علي في رثاء عمّار:

(إنّ عمارا مع الحقّ و الحقّ معه، يدور عمّار مع الحقّ أينما دار) .

إنّ سيف بن عمر حرّف هذه الأحاديث في حقّ عمّار و زاد فيها: (ما لم تغلب عليه ولهة الكبر) .

و من حديث رسول اللّه في عمّار ما رواه ابن هشام في خبر بناء مسجد الرسول (ص) أنّ رجلا تعرّض لعمّار، فقال رسول اللّه (ص) :

«ما لهم و لعمّار يدعوهم إلى الجنّة و يدعونه إلى النّار، إنّ عمّارا جلدة ما بين عيني و أنفي، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يستبق فاجتنبوه» . روى الحديث ابن هشام و لم يذكر اسم الرجل الّذي تعرض لعمّار. و ذكر أبو ذرّ في شرح سيرة ابن هشام أنّ هذا الرجل هو عثمان بن عفان، و تفصيل الخبر بكتاب (أحاديث عائشة) ، فصل (في عصر الصهرين) .

أمّا أبو ذرّ فقد قال رسول اللّه (ص) فيه:

«ما أظلت الخضراء و ما أقلت الغبراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذرّ» [52] .

مقارنة خبر سيف في الفتن بأخبار غيره

قال الذهبي في تاريخه [53] في خبر الفتن على عهد عثمان:

---

(50) راجع تاريخ الذهبي 2/179. و تاريخ ابن كثير 7/270.
(51) ط. بيروت 3/262.
(52) سنن ابن ماجة، المقدمة، باب 11 ح 156. و سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي ذر (رض) . و مسند أحمد 2/163 و 175 و 223 و 5/351 و 356 و 6/442. و طبقات ابن سعد، ط. أوربا 4/ق 1/168.
(53) . 2/122.

(عن الزهري قال: ولي عثمان فعمل ستّ سنين لا ينقم عليه النّاس شيئا. و إنّه لأحبّ إليهم من عمر، لأنّ عمر كان شديدا عليهم. فلمّا وليهم عثمان لان لهم و وصلهم، ثمّ إنّه توانى في أمرهم و استعمل أقرباءه و أهل بيته في الستّ الأواخر، و كتب لمروان بخمس مصر أو بخمس إفريقية، و آثر أقرباءه بالمال و تأوّل في ذلك الصلة الّتي أمر اللّه بها، و اتّخذ الأموال و استسلف من بيت المال، و قال: إنّ أبا بكر و عمر تركا من ذلك ما هو لهما، و إنّي أخذته فقسمته في أقربائي. فأنكر النّاس عليه ذلك.

قلت: و ممّا نقموا عليه أنّه عزل عمير بن سعد عن حمص و كان صالحا زاهدا، و جمع الشّام لمعاوية، و نزع عمرو بن العاص عن مصر، و أمر ابن أبي سرح عليها، و نزع أبا موسى الأشعري عن البصرة و أمر عليها عبد اللّه بن عامر، و نزع المغيرة بن شعبة [54] عن الكوفة و أمر عليها سعيد بن العاص.

و قال: دعا عثمان ناسا من الصحابة فيهم عمّار فقال: إنّي سائلكم و أحبّ أن تصدقوني. نشدتكم اللّه أ تعلمون أنّ رسول اللّه (ص) كان يؤثر قريشا على سائر النّاس و يؤثر بني هاشم على سائر قريش؟فسكتوا، فقال:

لو أنّ بيدي مفاتيح الجنّة لأعطيتها بني أميّة حتّى يدخلوها) [55] .

لا يتّسع المجال لذكر ما فعله الولاة و الأمراء من بني أميّة في السنوات السّتّ الّتي ذكرها المؤرخون في مصر و الشام و الكوفة و البصرة و المدينة، و ما جرى بينهم و بين أبرار الصحابة و التابعين، و إنّما نقتصر على ذكر بعض ما كان من أمر أبي ذرّ خاصّة معهم.

---

(54) في النسخة: المغيرة بن شعبة خطأ، و إنّما نزع سعد بن أبي وقاص.
(55) قال المؤلف: و لكن مفاتيح بيوت أموال المسلمين كانت بيده.

أبو ذرّ في موسم الحجّ بمنى

عن أبي كثير عن أبيه، (قال: أتيت أبا ذرّ و هو جالس عند الجمرة الوسطى و قد اجتمع النّاس عليه يستفتونه، فأتاه رجل فوقف عليه ثمّ قال:

أو لم تنه عن الفتيا؟فرفع رأسه إليه فقال: أر قيب أنت عليّ؟لو وضعتم الصمصامة على هذه-و أشار إلى قفاه-ثمّ ظننت أنّي أنفذ كلمة سمعتها من رسول اللّه (ص) قبل أن تجيزوا عليّ لأنفذتها) [56] .

اختزل هذا الخبر البخاري في صحيحه و قال:

(قال أبو ذرّ: لو وضعتم الصمصامة على هذه-و أشار إلى قفاه-ثمّ ظننت أنّي أنفذ كلمة سمعتها من النّبيّ (ص) قبل أن تجيزوا عليّ لأنفذتها) [57] .

و في شرحه من فتح الباري قال ابن حجر:

(إنّ الّذي خاطبه رجل من قريش و الّذي نهاه عثمان (رض)) [58] .

و قال: (و نكّر (كلمة) ليشمل القليل و الكثير، و المراد به يبلغ ما تحمله في كلّ حال، و لا ينتهي عن ذلك و لو أشرف على القتل) . انتهى كلام شارح البخاري و فسّر في ما قال كلام أبي ذرّ بأنّه أراد أنّه سيبلّغ ما سمعه عن رسول اللّه (ص) و إن كان كلمة واحدة و لا ينتهي عن ذلك و لو أشرف على القتل.

و في تذكرة الحفاظ للذهبي:

(و على رأسه فتى من قريش، فقال: أما نهاك أمير المؤمنين عن

---

(56) سنن الدارمي 1/137. و طبقات ابن سعد 2/354.
(57) كتاب العلم، باب العلم قبل القول و العمل 1/16.
(58) . 171-1/170.

الفتيا...) الحديث [59] .

أبو ذرّ في بيت اللّه الحرام

في مستدرك الحاكم [60] بسنده عن حنش الكناني

61

، قال: سمعت أبا ذرّ يقول و هو آخذ بباب الكعبة:

أيّها النّاس من عرفني فأنا من عرفتم، و من أنكرني فأنا أبو ذرّ، سمعت رسول اللّه يقول:

«مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا و من تخلّف عنها غرق» .

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

أبو ذرّ في مسجد الرسول (ص) و غيره

أورد اليعقوبي تفصيل خبر أبي ذرّ مع السلطة في تاريخه

62

و قال:

(و بلغ عثمان أنّ أبا ذرّ يقعد في مسجد رسول اللّه، و يجتمع إليه النّاس

63

، فيحدّث بما فيه الطعن عليه. و أنّه وقف بباب المسجد فقال:

أيّها النّاس من عرفني فقد عرفني، و من لم يعرفني فأنا أبو ذرّ الغفاري، أنا جندب بن جنادة الرّبذي **إِنَّ اَللّٰهَ اِصْطَفىٰ آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْرٰاهِيمَ وَ آلَ عِمْرٰانَ عَلَى اَلْعٰالَمِينَ `ذُرِّيَّةً بَعْضُهٰا مِنْ بَعْضٍ، وَ اَللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** محمّد الصفوة من نوح، فالآل

64

من إبراهيم، و السلالة من إسماعيل، و العترة الهادية

(59) . 1/18.
(60) . 2/343.
(61) حنش في الإصابة، رجل من غفار.
(62) . 2/171.

(63) يظهر من سياق الخبر أنّ أبا ذرّ كان يفعل ذلك في مسجد الرسول في موسم الحجّ كفعله في منى و بباب الكعبة، فإنّه لو كان في غير موسم الحجّ لم يكن بحاجة إلى أن يعرّف نفسه لإخوته الّذين كانوا يعاشرونه في المدينة.

(64) في النسخة المطبوعة: (فالأوّل) ، خطأ مطبعيّ.

من محمّد إنّه شرف شريفهم، و استحقّوا الفضل في قوم هم فينا كالسماء المرفوعة و كالكعبة المستورة، أو كالقبلة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر الساري، أو كالنجوم الهادية، أو كالشجر الزيتونيّة أضاء زيتها، و بورك زبدها، و محمّد وارث علم آدم و ما فضّل به النبيّون، و عليّ بن أبي طالب وصيّ محمّد، و وارث علمه. أيّتها الأمّة المتحيرة بعد نبيّها!أما لو قدّمتم من قدّم اللّه، و أخّرتم من أخّر اللّه، و أقررتم الولاية و الوراثة في أهل بيت نبيّكم لأكلتم من فوق رءوسكم و من تحت أقدامكم، و لما عال وليّ اللّه، و لا طاش سهم من فرائض اللّه، و لا اختلف اثنان في حكم اللّه، إلاّ وجدتم على ذلك عندهم من كتاب اللّه و سنّة نبيّه، فأمّا إذ فعلتم ما فعلتم، فذوقوا وبال أمركم، و سيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون) .

و قال اليعقوبي بعده:

(و بلغ عثمان أيضا أنّ أبا ذرّ يقع فيه، و يذكر ما غيّر و بدّل من سنن رسول اللّه و سنن أبي بكر و عمر، فسيّره إلى الشّام إلى معاوية، و كان يجلس في المسجد، فيقول كما كان يقول و يجتمع إليه النّاس حتّى كثر من يجتمع إليه و يسمع منه...) الحديث.

و قال اليعقوبي بعد ذلك ما موجزه:

(إنّ معاوية كتب إلى عثمان أنّك قد أفسدت الشّام على نفسك بأبي ذرّ، فكتب إليه أن احمله على قتب بغير وطاء. فقدم به المدينة و قد ذهب لحم فخذيه و جرى له مع عثمان ما أدّى بعثمان أن ينفيه إلى الرّبذة، و جرى للوليد والي الكوفة مع ابن مسعود نظير ذلك، فجلبه الخليفة إلى المدينة و أمر به، فضرب به الأرض و توفّي على أثر ذلك، و فعل نظير ذلك بعمّار)

65

.

---
(65) راجع تفصيل أخبارهما بكتاب أحاديث عائشة.

خلاصة خبر الفتن في أخريات عهد عثمان

أطلق الخليفة عثمان يد الولاة من بني أميّة على المسلمين و في بيوت أموالهم، و كلّما اشتكى المسلمون إلى الخليفة من ظلم ولاته لم يبال بهم، فثاروا عليه و أصبحت بنو تيم عندئذ تعارض عثمان و تطمح بالخلافة لطلحة و آل الزبير للزبير، و كان ما عداهم و ما عدا بني أميّة جلّ الأنصار و سائر أصحاب رسول اللّه (ص) يدعون للإمام عليّ. و أخيرا قتل الثّائرون عثمان و لم ينصره الأنصار و غيرهم، ثمّ تجمهر المهاجرون و الأنصار على الإمام عليّ فبايعوه و خضع طلحة و الزبير للرأي العام و بايعا عليّا في مقدمة من بايعه من صحابة رسول اللّه (ص) . و لمّا قسّم الإمام عليّ بيوت الأموال بالسّوية ثارت ثائرة الطبقة المتميزة و على رأسهم طلحة و الزبير، فاجتمعوا مع أمّ المؤمنين عائشة بمكّة، و جمعوا حولهم بني أميّة، و أظهروا الطلب بدم عثمان، و ساروا إلى البصرة و تغلبوا عليها، و جهّزوا جيشا لقتال الإمام عليّ، فخرج الإمام من المدينة و التقى بهم خارج البصرة، و ركبت أمّ المؤمنين عائشة جملا، و قادت العسكر، و قاتلوا جيش الإمام عليّ، فقتل في المعركة منهم من قتل و استسلم الباقون، فعفا عنهم الإمام عليّ.

هذه خلاصة خبر الفتن في عصر عثمان و بيعة الإمام عليّ و حرب الجمل بالبصرة، ذكرنا أخبارها و مصادر الأخبار في كتاب (أحاديث عائشة) .

نتيجة البحث المقارن بين روايات سيف المختلقة في الفتن و الروايات الصحيحة

روى سيف أنّ يهوديّا من صنعاء اليمن اسمه عبد اللّه بن سبأ ابن الأمة

السوداء تظاهر على عهد عثمان بالإسلام و سار في عواصم البلاد الإسلامية و مدنها: المدينة و الشّام و الكوفة و مصر يدعو إلى القول برجعة الرسول بعد وفاته و أنّ عليّا وصيّه و أنّ عثمان غاصب حقّ هذا الوصيّ، فيجب الوثوب عليه لإرجاع الحقّ إلى أهله، فآمن به أبرار صحابة رسول اللّه (ص) نظراء أبي ذرّ و عمّار و حجر بن عدي إلى عشرات أمثالهم ممّن سمّاهم بالسبائيّة و أنّ ابن سبأ اليهودي علّم هؤلاء أن يدعوا النّاس إلى الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر و أن يكتبوا في عيب ولاتهم و يثيروا الناس عليهم، ففعلوا، و أنّ عمّارا كان قد خرف كما أخبر عنه الرسول، و كذلك أبو ذرّ، فامتثل السبائيّون الصّحابة و التابعون تعليمات ابن سبأ، و جلبوا النّاس إلى المدينة، و قتلوا عثمان في داره و بايعوا عليّا، و سار طلحة و الزبير و عائشة إلى البصرة للطلب بدم عثمان، و سار خلفهم الإمام عليّ و التقوا خارج البصرة و تذاكروا في الصلح و قرّ رأيهم على الصلح، فتخوّف السبائيّون

66

من سوء عاقبتهم و اندسوا في الجيشين ليلا و تراموا بالسهام من الجانبين و أثاروا الحرب بين الجيشين، فقامت الحرب بين الطرفين دون أن يتنبّه إلى مكيدتهم من الجيشين أحد، لم يتنبّهوا هم و قادتهم إلى من يرمي السهام مع أنّ رماة السهام كانوا مندسين بين صفوفهم.

قال سيف: هكذا وقعت الحرب و انتهت بنصرة جيش الإمام عليّ.

روى سيف هذه الأخبار في مئات من رواياته المختلقة و رواها عمّن اختلقهم من الرواة من ضمنهم من ذكر أسماءهم في الروايات السابقة، و قد أشرنا إلى الصحيح من أخبارها في ما مضى، و لم يخف على فطاحل العلم أمثال

(66) السبائيون في روايات سيف هم عمّار و حجر بن عدي و صعصعة بن صوحان و محمّد بن أبي بكر و مالك الأشتر و نظراؤهم. راجع عبد اللّه بن سبأ الجزء الثاني، فصل (حقيقة ابن سبأ و السبئية) .

الطبري و ابن الأثير و ابن عساكر و ابن كثير و ابن خلدون و غيرهم أنّ سيف بن عمر متّهم بالزندقة و أنّ علماء الرجال أجمعوا على نعته بالكذب و لم يوثّقه أحد منهم، بل رأينا هؤلاء بأنفسهم يضعّفون حديثه كما نقلنا عنهم في كتابنا (عبد اللّه بن سبأ) ، و كذلك لم تخف عليهم الروايات الصحيحة في تلك الأخبار و إنّما كرهوا ذكرها كما نصّوا على ذلك، فكتموا الأخبار الصحيحة لما قالوا إنّ العامة لا تحتمل سماعها، و ليتهم اكتفوا بكتمان الأخبار الصحيحة في هذا الشّأن كما فعلوا بكثير من الأخبار الأخرى و لم ينقلوا الأخبار المكذوبة بدلا من الأخبار الصحيحة و لم ينشروا الأخبار المختلقة بين النّاس مع علمهم بكذبها، فإنّهم كانوا يعلمون بكذب ما نسبه سيف إلى عمّار و أبي ذرّ و ابن مسعود و حجر بن عدي إلى عشرات غيرهم من الصحابة و التابعين في ما افتراه عليهم من أنّهم اتّبعوا يهوديّا أمرهم بالإفساد بين المسلمين و إيقاع الفتنة و الفساد بينهم حتّى قتل بعضهم البعض الآخر و هم لا يدركون ما يعملون! على عقول من صدّق هذه الخرافات، العفا!كيف يصدّقون أنّ الخليفة عثمان لم يتنبّه إلى هذا اليهودي على حدّ زعم سيف في إثارته الفتن!و كيف لم يسأل عمّار و أبو ذرّ الإمام عليّا عمّا يدعو له هذا اليهودي من أنّه وصيّ رسول اللّه (ص) ؟!و كيف لم يسأله ربيبه محمّد بن أبي بكر عن صدق مزعمة هذا اليهودي؟! لست أدري كيف يصدّقون هذه الأكاذيب؟!و لست أزعم أنّ العلماء صدّقوا بحديث سيف، كلاّ، فإنّهم يعلمون كذب ما اختلقه و افتراه و إنّما عجبي من عامّة النّاس كيف يصدّقون هذه الأساطير الخرافية؟فإنّ العلماء الّذين نشروا أكاذيب سيف كانوا يعلمون كذبه و إنّما تقبّلوها لأنّ الزنديق طلاها بطلاء الدفاع عن ذوي السلطة في ما انتقدوا عليه، مثل ما فعل في

ما انتقد عليه خالد على قتله مالك بن نويرة و نكاحه زوجته في ليلته، و في ما رمي به المغيرة بن شعبة زمان إمارته على البصرة، و في خبر درء سعد بن أبي وقّاص حدّ شرب الخمر عن أبي محجن، و في خبر الوليد و حدّه على شرب الخمر. إنّ سيف بن عمر عالج جميع ما انتقد عليه هؤلاء و غيرهم من الخلفاء و الولاة و ذويهم، فلم يهتمّ كبار العلماء عندئذ أن ينشروا ما افتراه هذا الزنديق على أبرار الصحابة الفقراء، أمثال ابن مسعود و أبي ذرّ و عمّار تحت غطاء الدفاع عن أولئك، لأنّ المهمّ عندهم كتمان ما يعاب عليه الخلفاء و الولاة و ذووهم عن عامّة النّاس. و بنشر أكاذيب سيف بلغوا غايتهم و بلغ سيف-أيضا-غايته من تسخيف صحابة النبيّ الأبرار و نشر الأراجيف السخيفة في التاريخ الإسلامي بدافع الزندقة.

و يظهر من قول الطبري في ذكر سبب قتل عثمان: (فأعرضنا عن ذكر كثير منها لعلل دعت إلى الإعراض عنها)

[67]

أنّ العلل الّتي دعته إلى كتمان الأخبار الصحيحة، هي كتمان الأخبار الّتي تعاب بها سلطة الخلافة عن عامّة النّاس، كما سبق لنا أن نقلنا منه أنّه قال: (ممّا لا يتحمّله عامّة النّاس) .

و خلاصة القول: إنّهم في هذا الصنف من الكتمان، يحرّفون حديث الرسول (ص) و سيرته و سيرة أهل بيته و أصحابه و أخبارهم الصحيحة و يبدّلونها بأخبار مختلقة، كما فعل سيف ذلك بدافع زندقته. و أنّ العلماء يروّجون هذه الروايات المختلقة بدلا من الروايات الصحيحة مع علمهم بأنّها غير صحيحة لما يجدون فيها دفاعا عن السلطة الحاكمة و ذويهم من خلفاء و ولاة و أمراء!!! و هذا النوع من الكتمان غير قليل عند علماء مدرسة الخلفاء.

(67) تاريخ الطبري، ط. اوربا 1/2980.

خلاصة بحث أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء

قد رأينا العلماء بمدرسة الخلفاء مجمعين على كتمان كلّ رواية أو خبر يسبب توجيه النقد إلى ذوي السلطة في صدر الإسلام، و ولاتهم و ذويهم، محتجّين في ذلك بأنّ أولئك كانوا من صحابة الرسول (ص) . و لا يصحّ ذكر ما يسبب انتقادهم، بينا هم نشروا من الروايات المكذوبة ما فيه طعن على أبرار صحابة رسول اللّه (ص) الفقراء أمثال عمّار و أبي ذرّ و ابن مسعود.

و في سبيل الدفاع عن ذوي السلطة، تارة يكتمون كلّ الرواية و الخبر، و أحيانا يحذفون من الخبر و الرواية بعضها الّذي يوجّه النقد إلى ذوي السلطة بسببها، و يأتون بباقي الرواية ممّا لا يوجب النقد عليهم، و تارة أخرى يبدّلون من الرواية و الخبر ما يسبب النقد على الولاة بكلمة مبهمة لا يفهم منها شيء من المراد، و أخرى يحرّف بعضهم الخبر و الرواية بأنواع التحريف حتّى يبلغ الأمر أن يجعل الحليم البارّ ظالما سفيها، و الظالم المتعنّت بارّا حليما؛ أي يبدّل الشيء إلى نقيضه تماما ثمّ يتسابق الآخرون إلى نشر ذلك الخبر المحرّف و الرواية المختلقة و توثيقهما و إشاعتهما في المجتمعات الإسلامية بدل الخبر الصحيح و الرواية الصحيحة الّتي تسبّب النقد على الحكّام و الأمراء، و يتسابقون كذلك و يتعاونون في تضعيف الرواية الّتي تسبّب النقد لذوي السلطة و الطعن على راويها و على مؤلّف الكتاب الّذي أورد الرواية فيه بأنواع الطعون و التضعيف و التسخيف، و إن لم يستطيعوا كلّ ذلك أوّلوا تلك الرواية و الخبر إلى ما فيه مصلحة ذوي السلطة و يبدّل النقد الموجّه إليهم إلى مدحهم و الثناء عليهم.

و يحترمون من التزم هذا الاتّجاه و يجلّونه على قدر التزامه الأسلوب المذكور، يوثّقون الراوي الملتزم بذلك و يصفون خبره بالصحيح، و يصفون تأليف المؤلف الملتزم بهذا النهج بالوثاقة و الصحّة على قدر التزامهما المسلك

المتّفق عليه، و يشهرونهما و يذكرونهما بكلّ تجلّة و احترام. و من ثم اشتهرت سيرة ابن هشام في مدرسة الخلفاء و من تابعهم بالوثاقة لالتزامه ما اتّفقوا عليه، و أهملت سيرة ابن إسحاق لعدم التزامه الأسلوب المقبول عندهم، و تركوا تدارسها و استنساخها حتّى أدّى ذلك إلى فقدان سيرة ابن إسحاق في حين أنّ ابن هشام أخذ جميع ما حوته سيرته من سيرة ابن إسحاق مع إسقاط (ما يسوء النّاس ذكره) من سيرة ابن إسحاق بحسب تعبيره.

و من ثمّ-أيضا-أصبح تاريخ الطبري أوثق مصادر التاريخ الإسلامي و أكثرها شهرة و اعتبارا و أصبح مؤلفه الطبري إمام المؤرّخين بمدرسة الخلفاء، لأنّه باتّباعه المنهج المذكور بثّ روايات سيف الّتي كان يعلم كذبها و مخالفتها للحقّ و الواقع التاريخي في أخبار عصر الصحابة أو بالأحرى الخلفاء الأوائل، ثمّ تهافت العلماء على أخذ ما ورد منها في تاريخ الطبري و نشرها في مصادر الدراسات الإسلامية و أهملوا الأخبار الصحيحة في مقابلها حتّى نسيت و فقدت من المجتمعات الإسلامية.

و من ثمّ-أيضا-أصبح البخاري إمام المحدّثين بمدرسة الخلفاء، و أصبح صحيحه أصحّ كتاب بعد كتاب اللّه عندهم، و أصبحت الأحاديث الصحيحة في غير صحيحه أو صحيح مسلم غير معتبرة.

منشأ الاختلاف فى روايات مصادر الدراسات الاسلامية

إذا أمعنّا النظر في بحوثنا السابقة و ما يأتي في بحوث اجتهادات الخلفاء من الجزء الثاني لهذا الكتاب، عرفنا منشأ الاختلاف في روايات مصادر الدراسات الإسلامية، فقد وجدنا في الموردين أحاديث وضعت موافقة لسياسة السلطات الحاكمة و مصلحتها، مقابل الروايات الصحيحة الّتي كانت تخالف سياستهم و مصلحتهم، و من ثمّ انكشف لنا ميزان ثابت لتمييز الحديث القوي

من الضعيف، فإنّ الضعيف من الأحاديث المتعارضة في صحيح البخاري في شأن البكاء على الميت-مثلا-ما وافق سياسة السلطة الحاكمة الّتي تنهى عن البكاء على الميّت و تنسب النهي إلى الرسول (ص) ، و الحديث القويّ ما خالفها مثل حديث أمّ المؤمنين عائشة و حديث غيرها الّتي أخبرت عن جواز البكاء على الميت و أنّه من سنة الرسول (ص) . و كذلك الضعيف في حديثي أمّ المؤمنين عائشة المتعارضين في بيان من كان إلى جنب رسول اللّه (ص) في آخر ساعات حياته ما فيه: (متى أوصى إليه و قد انخنث و مات في صدري) ، و القويّ منهما حديثها الآخر الّذي ورد فيه أنّ الإمام عليّا كان إلى جنب الرسول في آخر ساعات حياته لموافقة الأول منهما لرغبات الحكّام و مخالفة الثاني لسياستهم.

هذا هو الميزان الثابت لمعرفة القويّ من الضعيف في أحاديث سنّة الرسول (ص) و سيرة الصحابة و التابعين و سيرة الأنبياء السابقين و الأحكام الّتي اجتهد فيها الخلفاء وفقا لرأيهم و أمثالها.

نتيجة البحوث و حقيقة الأمر

يرى الباحث المتتبّع أنّ الميزان الثابت لمعرفة الحقّ من الباطل بمدرسة الخلفاء إنّما هو مصلحة ذوي السلطة، و أنّ كلّ رواية أو خبر يوجّه النّقد لهم أو يشينهم فهو ضعيف و غير صحيح و باطل، و كلّ كتاب و كلّ راو أو مؤلّف يروي شيئا من ذلك فهو ضعيف و غير ثقة، و يرمى بأنواع الطعون، و إذا ورد الحديث أو الخبر من راو لا يستطيعون الطعن عليه و على مؤلّف الكتاب، فإنّهم حينئذ يؤولون الحديث إلى ما يرغبون فيه. و من جهة أخرى كلّ مؤلف أو راو يذكر مناقب ذوي السلطة و يترك ما يوجّه النّقد إليهم، فهو ثقة و صدوق، فإذا استطاع أن يدافع عنهم في ما يروي و يؤلّف، فهو الثقة المأمون المصدق، و تنتشر رواياته في الكتب و تذاع. و من هذا الباب الواسع أدخل سيف الزنديق

في سنة رسول اللّه (ص) و سيرته و حديثه بمقتضى زندقته ما شاء، و لذلك -أيضا-انتشرت رواياته في أكثر من سبعين مصدرا من مصادر الدراسات الإسلامية زهاء ثلاثة عشر قرنا.

إنّ سيف بن عمر أدخل في سنّة رسول اللّه (ص) حديثا و سيرة ما اختلقه و درسناه في أبواب «رسل النبيّ (ص) » و «عمال رسول اللّه (ص) » و «الوافدون على رسول اللّه (ص) » و «ربيب رسول اللّه (ص) » من كتاب (خمسون و مائة صحابيّ مختلق) و كتابنا (رواة مختلقون) و قد مرّ بنا في ما سبق كيف حرّف سيف حديث رسول اللّه (ص) في حقّ عمّار.

كان هذا رأينا في سيف و نظائره مثل أبي الحسن البكري مؤلف كتاب «الأنوار» الّذي أدخل أحاديث خرافية في كتاب: سيرة النبيّ (ص) المختار و غيره من كتبه، و مثل كعب الأحبار الّذي أدخل الإسرائيليّات في مصادر الدراسات الإسلاميّة، و قد درسنا أخبارهم و آثارهم في سلسلة (أثر الائمة في إحياء السنّة) . كان هذا شأن هؤلاء عندنا.

أمّا البخاري و صحيحه، و ابن هشام و سيرته، و الطبري و تاريخه، و أمثالهم من العلماء الّذين ناقشنا أسلوبهم، فلهم عندنا شأن آخر فإنّهم و إن كانوا ينتقدون في شيء من أسلوبهم، فإنّهم مع ذلك قد أوردوا في كتبهم الكثير من سنة رسول اللّه (ص) الصحيحة سيرة و حديثا ممّا نعتمدها و نرويها عنهم، و كذلك دأب علماء مدرسة أهل البيت مع من يرون خطأ في عمله العلمي، فإنّهم عندئذ ينتقدون أسلوبه أشدّ الانتقاد رغم أنّهم يجلّونه و يحترمونه و يأخذون منه غير الّذي انتقدوه فيه، و هذا معنى عدم تقليدهم لمن تقدّمهم من العلماء لا في الأحكام الفقهية و لا في دراية الحديث، إنّ علماء مدرسة أهل البيت يضعّفون الحديث الضعيف في أصول الكافي و صحيح

البخاري معا، و يأخذون-أيضا-الحديث الصحيح من كليهما، و إنّ المجلسي الكبير (ت: 1111 هـ) عند ما شرح كتاب الكافي في كتابه مرآة العقول نبّه فيه على آلاف الأحاديث الضعيفة الواردة في أبواب كتاب الكافي، و هو أشهر كتاب حديث في مدرسة أهل البيت، و هذا الأمر بمدرسة أهل البيت مخالف لما عليه أتباع مدرسة الخلفاء الّذين يرون لصحيح البخاري ما يرونه لكتاب اللّه، و يعتقدون أنّه ليس فيه حديث غير صحيح، بل يرون أكثر من ذلك حيث يرون صحّة ما ورد في صحيحي البخاري و مسلم من سنّة الرسول (ص) مما لم يرد في كتاب اللّه، و يصعب عليهم أن يتقبلوا صحّة سنّة الرسول (ص) الّتي وردت في غير صحيحي مسلم و البخاري، و الكتب الأربعة الأخرى الّتي سمّيت جميعها بالصحاح السّتّة. على أنّ الكثير من حفظة الحديث بمدرسة الخلفاء غير أولئك الّذين ذكرناهم ألّفوا في الحديث: الصحاح و المسانيد و السنن و المصنفات و الزوائد و غيرها أمثال:

صحيح ابن خزيمة (ت: 311 هـ) .

صحيح ابن حبّان (ت: 354 هـ) .

الصحاح المأثورة عن رسول اللّه (ص) للحافظ أبي علي ابن السكن (ت: 353 هـ) .

مسند الطيالسي (ت: 204 هـ) .

مسند أحمد (ت: 241 هـ) .

سنن البيهقي (ت: 458 هـ) .

السنن لأبي بكر الشافعي (ت: 347 هـ) .

المعاجم الثلاثة للطبراني (ت: 360 هـ) .

المصنف لعبد الرزاق الصنعاني (ت: 211 هـ) .

مصنف ابن أبي شيبة (ت: 235 هـ) .

مجمع الزوائد للهيثمي (ت: 807 هـ) .

المستدرك للحاكم (ت: 405 هـ) .

و عشرات الموسوعات الحديثية الأخرى لمحدثين آخرين.

و في سيرة النبيّ و الصحابة و الفتوح ألّف أمثال:

خليفة بن خيّاط (ت: 240 هـ) الطبقات و التاريخ.

البلاذري (ت: 279 هـ) فتوح البلدان و أنساب الأشراف.

المسعودي (ت: 345 هـ) التنبيه و الإشراف و مروج الذهب.

الواقدي (ت: 207 هـ) المغازي.

ابن سعد (ت: 230 هـ) الطبقات.

و عشرات المؤلفات المعتبرة الأخرى لمؤلفين آخرين.

لما ذا اختصّ بالاهتمام الصحاح السّتّة في الحديث إلى حدّ إهمال غيرها، و في السير و المغازي: سيرة ابن هشام، و في التاريخ: تاريخ الطبري، مع عدم العناية بغيرهما.

و خلاصة القول: إنّ علماء مدرسة الخلفاء يوجّه إليهم النّقد في عملهم العلمي لأمرين:

أوّلا- إنّهم يكتمون من سنّة رسول اللّه (ص) سيرة و حديثا و من سائر الأخبار ما يخالف سياسة السلطات الحاكمة مدى القرون سواء أ كان ذلك ممّا يخصّ سيرة الأنبياء السلف أو سيرة خاتم الأنبياء و أهل بيته و صحابته، أو في العقائد الإسلامية أو تفسير القرآن، كما شاهدنا ذلك من الطبري و ابن كثير في تفسير آية: **وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ اَلْأَقْرَبِينَ** في كتمانهم لفظ (و وصيّي و خليفتي) في حقّ الإمام عليّ و تبديلها بـ (كذا و كذا) ، و كذلك فعلوا بالنصوص الّتي تبيّن سنّة الرسول (ص) في الأحكام الإسلامية الّتي تخالف

اجتهادات الخلفاء، كما سيأتي بيانه في بحث مصادر الشريعة الإسلامية لدى مدرسة الخلفاء في الجزء الثاني من هذا الكتاب، إن شاء اللّه تعالى.

ثانيا- لا ينبغي للمسلمين في هذا اليوم و هم على أبواب نهضة إسلامية شاملة أن يبقوا على تقليد أئمة المذاهب الأربعة في الفقه و لا على تقليد أصحاب الصحاح السّتّة في تصحيح الحديث و تضعيفه و خاصّة البخاري و مسلم، و كذلك في الأحكام الإسلامية الّتي اجتهد الخلفاء فيها في مقابل نصوص سنّة رسول اللّه (ص) بحسب ما رأوه من المصلحة في عصرهم، بل ينبغي أن يبحثوا عن سنّة رسول اللّه (ص) الصحيحة و يظهروا ما أخفي منها بحسب سياسة الخلفاء مدى القرون، ثمّ يجاهدوا في سبيل الدعوة لتوحيد كلمة المسلمين و العمل بكتاب اللّه و سنّة رسوله (ص) الصحيحة، و بذلك يتيسّر توحيد كلمة المسلمين حول كتاب اللّه و سنة رسوله (ص) المجمع عليها و ما ذلك من لطف اللّه على المسلمين ببعيد.

عود على بدء في بحث الوصية

لمّا كانت النصوص الدّالّة على حقّ الإمام علي في الحكم بعد النبيّ (ص) و حقّ الأئمة من ولده فيها من أهمّ ما يوجّه النقد لم ولي الحكم دونهم، لم يأل العلماء بمدرسة الخلفاء جهدا في كتمان تلكم النصوص، و كان من أهمّها بحث علماء أهل الكتاب بعد وفاة رسول اللّه (ص) عن وصيّه و أقوالهم فيه، مثل خبر الراهبين اللّذين مرّ عليهما الإمام عليّ في طريق صفّين.

بينما حفظ نظير تلك الأخبار علماء مدرسة أهل البيت في كتبهم

68

-، مثل خبر مجيء يهوديّين في عصر أبي بكر و سؤالهما عن وصيّ النبيّ و بعد أن أشار

(68) راجع أخبارهم في البحار. ط. طهران، الثانية 10/10-50.

النّاس إلى أبي بكر، و لم يجدا أجوبة أسئلتهما عنده، أرسلوا إلى الإمام علي، فحضر و أجاب عن أسئلتهما، فقالا: أنت وصيّ خاتم الأنبياء، و أسلما. و خبر آخرين من أهل الكتاب جاءوا على عهد عمر و جرى لهم مع عمر و عليّ مثل ما سبق ذكره على عهد أبي بكر، و قد مرّ بنا في ما سبق سؤال كعب الأحبار من الخليفة عمر عن أشياء من أحوال رسول اللّه (ص) و إحالة عمر إيّاه إلى عليّ بن أبي طالب، و استمرّت أمثال هذه المراجعات من أهل الكتاب و إسلامهم إلى عصور متأخّرة، فقد قال ابن كثير في تاريخه

69

-بعد ما نقل من التوراة: أنّ اللّه بشّر إبراهيم بإسماعيل و أنّه ينمّيه و يجعل من ذرّيّته اثني عشر عظيما، و نقل عن ابن تيمية أنّه قال: (و هؤلاء المبشّر بهم في حديث جابر بن سمرة، و لا تقوم الساعة حتّى يوجدوا.

قال: و غلط كثير ممّن تشرّف بالإسلام من اليهود، فظنّوا أنّهم الّذين تدعو إليهم فرقة الرافضة فاتّبعوهم) .

يا ترى ما هي أخبار الكثير من اليهود الّذين تشرّفوا بالإسلام و اتّبعوا الرافضة إنّ العلماء ارتأوا ما قاله الطبري: (لا يحتمل سماعها العامة) فأسقطوا أخبار أهل الكتاب الّذين أسلموا و اتّبعوا الرافضة جملة و تفصيلا.

عدد الأخبار و الروايات و النصوص الّتي أسقطوها

إذا قارنّا ما رواه ابن كثير في تاريخه من الحديث عن رسول اللّه (ص) في أمر الخوارج الّذين قاتلهم الإمام علي (ع) في النهروان و الّذي بلغ سبع عشرة صفحة من كتابه مع النزر اليسير من روايات رسول اللّه (ص) الّتي بقيت في

(69) . 6/250.

الكتب في أمر الجمل و صفّين أو غيرهما ممّا فيه فضيلة للإمام علي، يمكننا أن نقدّر عظم الخسارة في ما أخفي عن النّاس من حديث رسول اللّه (ص) و إنّما أبقوا الروايات الّتي وردت في شأن الخوارج الّذين خرجوا على الإمام عليّ، لأنّ الخوارج استمرّ خروجهم على السلطة بعد الإمام عليّ أيضا، و كان في نشر تلكم الأحاديث مصلحة للسلطة، فرووها في جميع كتب الأحاديث و بقيت سالمة إلى يومنا هذا.

و من أحاديث الرّسول (ص) الّتي كانت تخالف سياسة مدرسة الخلفاء و سعوا في كتمانها، أحاديث الرسول (ص) في حقّ الإمام عليّ بأنّه وصيّه، و كذلك فعلوا بما ورد في شأنه في شعر الصّحابة أو نثرهم، كما رأينا أمّ المؤمنين عائشة أنكرت الوصيّة، و ناقشنا الخبر الّذي روي عنها في ذلك؛ و كذلك رأينا:

أ- حذف بعضهم من الكلام ما فيه ذكر الوصيّة دون أن يشير إلى ذلك، كما فعلوه مع قصيدة النعمان بن عجلان الأنصاري.

ب- حذف بعضهم بعض الخبر مع الإبهام في القول، كما فعله الطبريّ، و ابن كثير في تفسيريهما بلفظ (وصيّي و خليفتي) في حديث رسول اللّه (ص) .

ج- حذف بعضهم من الخبر لفظ الوصيّة و حرّف الخبر كما فعله ابن كثير مع خطبة الإمام الحسين (ع) .

د- حذف بعضهم تمام الخبر الّذي فيه ذكر الوصيّة مع الإشارة إليه، كما فعل ذلك الطبري و ابن الأثير و ابن كثير مع كتاب محمّد بن أبي بكر.

هـ- حذف بعضهم تمام الخبر الّذي فيه ذكر الوصيّة مع عدم الإشارة إليه كما فعل ذلك ابن هشام في خبر دعوة الرسول (ص) لبني هاشم لما فيه قوله في علي: «و وصيّي و خليفتي فيكم» .

و- أوّل بعضهم معنى الوصيّة، كما فعل ذلك الطبراني في حديث الرسول (ص) و ابن أبي الحديد في كلام الإمام عليّ.

ز- غفل بعضهم عنها و أثبتها في كتاب له، و حذفها و أبدلها بقول مبهم في كتاب آخر له، كما فعله الطبري في تاريخه و تفسيره.

ح- أثبتها بعضهم في الطبعة الأولى من كتابه، و حذفها في الطبعة الثانية منها، كما فعله محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمّد (ص) .

ما بقي من النصوص الواردة عن الرّسول (ص) في حقّ آله في الحكم

كنّا في صدد إيراد النصوص الواردة عن رسول اللّه (ص) في حقّ الأئمة من آل الرسول (ص) و كان لا بدّ لنا في هذا السبيل من تقديم البحوث السابقة ليعرف أنّ النصوص الواردة عن الرسول (ص) في حقّهم منيت بأنواع من الكتمان الّذي ذكرناه لأنّها كانت مخالفة لسياسة الخلفاء مدى القرون، و لم يبق منها في كتب مدرسة الخلفاء سوى النزر اليسير الّذي غفل العلماء عنها و أوردوها في كتبهم و وفّقنا اللّه تعالى للعثور عليها، و ها نحن نوردها في ما يأتي بحوله تعالى، مضافا إلى ما سبق إيراده من النصوص.

تعيين الوصيّ بألفاظ مختلفة

ذكرنا في تعريف الوصيّ و الوصيّة في بحث المصطلحات أنّ تعيين الوصيّ يكون تارة بلفظ الوصيّة و مشتقّاتها، مثل أن يقول الموصي لوصيّه:

أوصيك بعدي بكذا و كذا، و أخرى بلفظ يؤدّي معنى الوصيّة، مثل أن يقول الموصي لوصيّه: أطلب منك أن تفعل كذا و كذا، و كذلك الشأن في إخباره الآخرين بذلك فإنّه يقول تارة-مثلا-: عهدت إلى فلان، أو أوكلت إليه بأمر كذا و كذا. و قلنا: انّ جميع هذه الألفاظ و نظائرها تدلّ على أنّ الشخص

القائل أوصى إلى الشخص الثاني بما أهمّه، بعده. و كذلك شأن رسول اللّه (ص) في تعيين وصيّه من بعده.

و من تلكم الألفاظ، ما ورد في اتّخاذ الرسول (ص) ابن عمّه وزيرا له، كما يرد في بحث وزير النبيّ الآتي:

وزير النبيّ (ص)

أ-في القرآن الكريم مع بيانه من سنّة الرسول:

سيأتي إن شاء اللّه قول الرسول (ص) للامام عليّ:

«أ ما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي؟» .

و قد ذكر اللّه منزلة هارون من موسى في ما حكاه من أمرهما؛ قال سبحانه في ما حكاه من طلب موسى من ربّه:

وَ اِجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي `هَارُونَ أَخِي، `اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي طه/29-31.

و قال سبحانه في استجابة طلبه:

وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى اَلْكِتَابَ وَ جَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً الفرقان/35.

ب-متى اتّخذ الرسول (ص) عليّا وزيرا.

يوم دعا رسول اللّه (ص) بني عبد المطلب و قال لهم: «أيّكم يؤازرني على هذا الأمر... » و أجابه من بينهم الإمام علي وحده، اتّخذه رسول اللّه (ص) يومئذ وزيرا في أمره.

و روت أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول اللّه (ص) يقول:

(اللّهمّ اجعل لي وزيرا من أهلي) ، دعا رسول اللّه (ص) ربّه و قال:

«اللّهمّ إنّي أقول كما قال أخي موسى: اللّهمّ اجعل لي وزيرا من أهلي أخي عليّا، اشدد به أزري» [1] .

و بتفسير آية **وَ اِجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي** من تفسير السيوطي:

لمّا نزلت هذه الآية دعا رسول اللّه ربّه و قال: «اللّهمّ اشدد أزري بأخي عليّ» فأجابه إلى ذلك.

و روى ابن عمر عن رسول اللّه (ص) أنّه قال للإمام عليّ:

«أنت أخي و وزيري تقضي ديني و تنجز موعدي... » إلى آخر الحديث في فضل الإمام عليّ [2] .

و أثبت رسول اللّه (ص) للإمام عليّ (ع) بقوله له: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي» جميع ما كان لهارون من موسى عدا النبوّة و في مقدمة ما كان لهارون أنّه كان وزير موسى، و سيأتي ذكر مصادره و في نهج البلاغة [3] : أنّ رسول اللّه (ص) قال للإمام عليّ:

«و لكنّك وزير» .

و جاء في ما نظم على لسان الأشعث في جوابه لكتاب الإمام عليّ إليه:

«وزير النّبيّ و ذو صهره... » .

يتّضح جليّا من قول الرسول (ص) لابن عمّه: أنت أخي و وزيري، تقضي ديني و تنجز موعدي، أنّه عيّنه وصيّا من بعده.

و كذلك الأمر في قوله: خليفتي، الآتي:

---

(1) الرياض النضرة 2/163، عن مناقب أحمد بن حنبل.
(2) معجم الزوائد 9/121. و كنز العمال، ط. الأولى 6/155، عن الطبراني.
(3) الخطبة 190.

خليفة النبيّ (ص)

ذكرنا في باب من استخلف النبيّ (ص) على المدينة في غزواته عن صحيح البخاري، باب غزوة تبوك: أنّ رسول اللّه (ص) لمّا خرج إلى تبوك و استخلف عليّا، فقال: أ تخلّفني في الصبيان و النساء؟قال:

«ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه ليس نبيّ بعدي» .

و قد حكى اللّه عن خبر هارون في ذلك و قال: **وَ قَالَ مُوسىَ لِأَخِيهِ هَارُونَ اُخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَ أَصْلِحْ...** الأعراف/142.

و في لفظ إحدى روايتي أحمد بن حنبل بمسنده [4] عن خبر دعوة الرسول (ص) بني عبد المطّلب ورد قول الرسول (ص) في حقّ عليّ:

«و خليفتي» .

هذا ما أمكننا ايراده في الوصي و الوزير و الخليفة في هذه العجالة. و في ما يأتي ما تبقى من النصوص بعد الكتمان بمدرسة الخلفاء.

و منها قوله (ص) في حقّ ابن عمّه، أنّه وليّ المسلمين بعده، كما يأتي:

وليّ المسلمين بعد الرسول (ص)

نصّ رسول اللّه (ص) على أنّ الإمام عليّا وليّ أمر المسلمين في أماكن متعددة، منها ما في الأحاديث الآتية.

---

(4) . 1/111.

أولا-حديث الشكوى

في مسند أحمد و خصائص النسائي، و مستدرك الحاكم، و غيرها، و اللّفظ للأوّل:

(عن بريدة، قال: بعث رسول اللّه (ص) بعثين إلى اليمن، على أحدهما عليّ بن أبي طالب (ع) ، و على الآخر خالد بن الوليد، فقال: إذا التقيتم فعليّ على الناس، و إن افترقتما فكلّ واحد منكما على جنده، قال: فلقينا بني زيد من أهل اليمن، فاقتتلنا، فظهر المسلمون على المشركين، فقتلنا المقاتلة و سبينا الذريّة، فاصطفى عليّ (ع) امرأة من السبي لنفسه. قال بريدة:

فكتب معي خالد بن الوليد إلى رسول اللّه (ص) يخبره بذلك، فلمّا أتيت النبيّ (ص) رفعت الكتاب فقرئ عليه، فرأيت الغضب في وجه رسول اللّه (ص) فقلت: يا رسول اللّه، هذا مكان العائذ، بعثتني مع رجل و أمرتني أن أطيعه، ففعلت ما أرسلت به، فقال رسول اللّه (ص) :

«لا تقع في عليّ، فإنّه منّي و أنا منه، و هو وليّكم بعدي، و إنّه منّي و أنا منه و هو وليّكم بعدي») [5]

و في رواية:

(فقلت: يا رسول اللّه، بالصحبة إلاّ بسطت يدك فبايعتني على الإسلام جديدا. قال: فما فارقته حتّى بايعته على الإسلام) [6] .

---

(5) مسند أحمد 5/356، و خصائص النسائي ص 24، باختلاف يسير. و مستدرك الصحيحين 3/110 مع اختلاف في اللفظ. و مجمع الزوائد 9/127. و في كنز العمال 12/207 مختصرا عن ابن أبي شيبة، و في 12/210 منه عن الديلمي؛ و راجع كنوز الحقائق للمناوي ص 186.
(6) مسند أحمد 5/350 و 358 و 361. و مجمع الزوائد 9/128، عن الطبراني في الأوسط

و في صحيح الترمذي، و مسندي أحمد و الطيالسي، و غيرها، و اللّفظ للأوّل، عن عمران بن حصين:

(إنّ أربعة من أصحاب رسول اللّه (ص) تعاقدوا-في هذه الغزوة-أن يشكوا عليّا إذا لقوا رسول اللّه (ص) . فلمّا قدموا عليه، قام أحدهم فقال:

يا رسول اللّه، أ لم تر إلى عليّ بن أبي طالب صنع كذا و كذا؟فأعرض عنه رسول اللّه (ص) .

و فعل الثاني منهم و الثالث و الرابع مثل أوّلهم، و في كلّ مرّة يعرض الرسول عن الشاكي. قال:

فأقبل رسول اللّه (ص) و الغضب يعرف في وجهه، فقال:

«ما تريدون من عليّ؟!ما تريدون من عليّ؟!ما تريدون من عليّ؟!إنّ عليّا منّي و أنا منه، إنّ عليّا منّي و أنا منه، و هو وليّ كلّ مؤمن بعدي») (7) .

شكوى ثانية

في أسد الغابة، و مجمع الزوائد، و غيرهما و اللفظ للأوّل:

(عن وهب بن حمزة: صحبت عليّا (رض) من المدينة إلى مكّة فرأيت منه بعض ما أكره فقلت: لئن رجعت إلى رسول اللّه (ص) لأشكونّك إليه.

فلمّا قدمت لقيت رسول اللّه (ص) فقلت: رأيت من عليّ كذا و كذا. فقال:

«لا تقل هذا فهو أولى الناس بكم بعدي») (8) .

فعن بريدة و لفظه: «من كنت وليه فعليّ وليّه» .

(7) سنن الترمذي 13/165 باب مناقب علي بن أبي طالب. و مسند أحمد 4/437. و مسند الطيالسي 3/111 ح 829. و مستدرك الحاكم 3/110. و خصائص النسائي ص: 19 و 16، و حلية أبي نعيم 6/294. و الرياض النضرة 2/171. و كنز العمال 12/207 و 15/125.

(8) أسد الغابة 5/94. و مجمع الزوائد 9/109.

زمان الشكوى

ذكر المؤرخون و كتّاب السير خرجتين للإمام عليّ إلى اليمن، و نراها ثلاث خرجات كما يأتي بيانها إن شاء اللّه تعالى في باب الاجتهاد، و على كلا التقديرين، فإنّ آخرها كانت في السنة العاشرة للهجرة، حيث التحق الإمام برسول اللّه (ص) في حجّة الوداع قبل يوم التروية. و الشكوى المذكورة في خرجاته لليمن إن كانت قدّمت لرسول اللّه (ص) مرّتين فإنّ أولاهما وقعت في المدينة قبل العام العاشر، و الثانية في مكّة و بعد وصول صحب الإمام إلى النبيّ (ص) قبل يوم التروية، حيث وصلوا مكّة قبل أيّام الحجّ.

و على هذا، فقد توهّم من العلماء من قال: إنّ قصة الغدير وقعت من أجل هذه الشكوى، و ذلك لأنّ قصة الغدير وقعت بعد الحجّ، و في الجحفة و بمحضر من جماهير المسلمين، و حديث الرسول (ص) هنا كان مع الشاكين خاصّة و في نفس المجلس و بعد إظهارهم الشكوى مباشرة.

أما الشكوى الثانية، فصريح الحديث أنها كانت بعد رجوعهما إلى المدينة.

ثانيا-نصوص أخرى لم يعيّن زمانها

عن ابن عباس:

«إنّ النبيّ قال لعليّ: أنت وليّ كلّ مؤمن بعدي» (9) .

و عن عليّ:

أنّ النبيّ قال له: «إنّك وليّ المؤمنين بعدي» (10) .

---

(9) مسند الطيالسي 11/360 ح 2752. و الرياض النضرة 2/203.
(10) تاريخ بغداد للخطيب 4/239. و كنز العمال 15/114 و 12/221.

الاحتفال بتنصيب الإمام عليّ وليّا للعهد بعد الرسول (ص) و وصيّا على الإسلام و المسلمين

احتفال عظيم يقيمه الرسول (ص) لتعيين وليّ عهده من بعده و وصيّه على الإسلام و المسلمين، فقد روى الحاكم الحسكاني:

(عن ابن عباس و جابر قالا: أمر اللّه محمدا (ص) أن ينصب عليّا للناس ليخبرهم بولايته، فتخوّف رسول اللّه (ص) أن يقولوا حابى ابن عمّه، و أن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى اللّه إليه: **يَا أَيُّهَا اَلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اَللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ اَلنَّاسِ** المائدة/67. فقال رسول اللّه (ص) بولايته يوم غدير خمّ) [11] .

و روى عن زياد بن المنذر أنّه كان يقول:

(كنت عند أبي جعفر محمد بن عليّ (ع) و هو يحدّث الناس إذ قام إليه رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الأعشى-كان يروي عن الحسن

---

(11) الحافظ عبيد اللّه بن عبد اللّه بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، الحذاء الحنفي النيسابوري، من أعلام القرن الخامس الهجري، ترجمته في تذكرة الحفاظ ط. الهند 4/390، و ط. مصر 3/1200، بآخر الطبقة 14. و قد رجعنا إلى كتابه شواهد التنزيل لقواعد التفصيل في الآيات النازلة في أهل البيت، تحقيق محمد باقر المحمودي ط. بيروت عام 1393 هـ.

و الحديث في 1/192 و رقم الحديث 249.

البصري-فقال له: يا ابن رسول اللّه، جعلني اللّه فداك، إنّ الحسن يخبرنا أنّ هذه الآية نزلت بسبب رجل، و لا يخبرنا من الرجل **يَا أَيُّهَا اَلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...** . فقال: لو أراد أن يخبر به لأخبر به، و لكنّه يخاف. إنّ جبرئيل هبط إلى النبيّ (ص) -إلى قوله: -فقال: إنّ اللّه يأمرك أن تدلّ أمّتك على وليّهم على مثل ما دللتهم عليه من صلاتهم و زكاتهم و صيامهم و حجّهم، ليلزمهم الحجّة من جميع ذلك، فقال رسول اللّه (ص) : يا ربّ إنّ قومي قريبو عهد بالجاهليّة، و فيهم تنافس و فخر، و ما منهم رجل إلاّ و قد وتره وليهم، و إنّي أخاف-أي من تكذيبهم-. فأنزل اللّه تعالى: **يَا أَيُّهَا اَلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** -يريد فما بلّغتها تامة- **وَ اَللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ اَلنَّاسِ** فلمّا ضمن اللّه له بالعصمة و خوفه أخذ بيد عليّ...) [12] .

و روى الحاكم الحسكاني:

عن ابن عبّاس في حديث المعراج، أنّ اللّه عزّ اسمه قال لنبيّه في ما قال:

«و إنّي لم أبعث نبيّا إلاّ و جعلت له وزيرا، و إنّك رسول اللّه (ص) و إنّ عليّا وزيرك» .

قال ابن عباس: [فهبط] [13] رسول اللّه (ص) فكره أن يحدث الناس بشيء منها إذ كانوا حديثي عهد بالجاهليّة-إلى قوله: -فاحتمل رسول اللّه حتّى إذا كان اليوم الثامن عشر أنزل اللّه عليه: **يَا أَيُّهَا اَلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ...** -إلى قوله: -فقال:

---

(12) شواهد التنزيل 1/191، و راجع تفسير الآية في أسباب النزول للواحدي، و نزول القرآن لأبي نعيم.
(13) كذا وردت.

«يا أيّها الناس، إنّ اللّه أرسلني إليكم برسالة، و إنّي ضقت بها ذرعا، مخافة أن تتّهموني و تكذّبوني، حتّى عاتبني ربّي فيها بوعيد أنزله عليّ... » (14) .

و روى الحسكاني و ابن عساكر:

عن أبي هريرة: أنزل اللّه عزّ و جلّ: **يَا أَيُّهَا اَلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ** -في عليّ بن أبي طالب- **وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...** (15) .

قصد أبو هريرة أنّ المقصود أن يبلّغ ما نزل في عليّ.

روى الحسكاني:

(عن عبد اللّه بن أبي أوفى، قال: سمعت رسول اللّه (ص) يقول يوم غدير خمّ و تلا هذه الآية: **يَا أَيُّهَا اَلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ...** ثمّ رفع يديه حتّى يرى بياض إبطيه، ثمّ قال: «ألا من كنت مولاه... ») (16) .

و روى الواحدي في أسباب النزول و السيوطي في الدّرّ المنثور عن أبي سعيد الخدري قال:

نزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالب:

يَا أَيُّهَا اَلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ... (17) .

---

(14) شواهد التنزيل للحسكاني 1/192-193، و في ص 189 منه نزول الآية فقط.

(15) شواهد التنزيل للحسكاني 1/187، و رواها ابن عساكر بترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق بطرق كثيرة في الحديث 452.

(16) الحسكاني 1/190.

و عبد اللّه بن أبي أوفى: علقمة بن خالد الحارث الأسلمي. صحابيّ شهد الحديبية، و عمّر بعد النبيّ (ص) ، مات سنة ستّ أو سبع و ثمانين، و هو آخر من مات بالكوفة من الصحابة.

و أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح. ترجمته بتقريب التهذيب 1/402. و أسد الغابة 3/121.

(17) أسباب النزول ص: 135. و الدرّ المنثور 2/298، و أراه هو الحديث المرقم 244 من

و في تفسير السيوطي:

(عن ابن مسعود قال: كنّا نقرأ على عهد رسول اللّه (ص) يا أيّها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك-أنّ عليا مولى المؤمنين-و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته...) [18] .

قصد ابن مسعود أنّهم كانوا على عهد رسول اللّه يقرءون في تفسير الآية هكذا.

و كان نزول هذه الآية في غدير خمّ، و في ما يلي تفصيل الخبر.

خبر يوم الغدير

لمّا صدر رسول اللّه من حجّة الوداع [19] نزلت عليه في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة [20] آية **يَا أَيُّهَا اَلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ...** [21] . فنزل غدير خمّ من الجحفة [22] و كان يتشعب منها طريق المدينة و مصر و الشام [23] و وقف هناك حتّى لحقه من بعده و ردّ من كان تقدّم [24] و نهى أصحابه عن سمرات متفرقات بالبطحاء أن ينزلوا تحتهنّ، ثمّ بعث إليهنّ فقمّ ما تحتهن من

قشواهد التنزيل، و راجع فتح القدير 2/57، و تفسير النيسابوري 6/194.

الواحدي، هو أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت: 468 هـ) ، و رجعنا إلى كتابه أسباب النزول ط. بيروت سنة 1395 هـ.

(18) الدرّ المنثور 2/298.
(19) مجمع الزوائد 9/105 و 163-165. و أنقل عن هذه الصفحات في ما يأتي من هذا البحث.
(20) رواه الحاكم الحسكاني في 1/192-193.
(21) سبق ذكر مصادره.
(22) مجمع الزوائد 9/163-165. و ابن كثير 5/209-213.
(23) مادة (الجحفة) من معجم البلدان.
(24) في تاريخ ابن كثير 5/213.

الشوك [25] و نادى بالصلاة جامعة [26] و عمد إليهنّ [27] و ظلّل لرسول اللّه (ص) بثوب على شجرة سمرة من الشمس [28] ، فصلى الظهر بهجير [29] ثمّ قام خطيبا فحمد اللّه و أثنى عليه، و ذكر و وعظ و قال ما شاء اللّه أن يقول، ثمّ قال:

«إنّي أوشك ان ادعى فأجيب، و إنّي مسئول و أنتم مسئولون، فما ذا أنتم قائلون؟» قالوا:

نشهد أنّك بلّغت و نصحت فجزاك اللّه خيرا؛ قال:

«أ ليس تشهدون أن لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمدا عبده و رسوله و أنّ الجنّة حقّ و أنّ النار حقّ؟» قالوا:

بلى نشهد ذلك.

قال: «اللهمّ اشهد» .

ثمّ قال: «ألا تسمعون؟» .

قالوا: نعم.

قال: «يا أيّها الناس إنّي فرط و أنتم واردون عليّ الحوض و إن عرضه ما بين بصرى إلى صنعاء [30] فيه عدد النجوم قدحان من فضّة، و إنّي سائلكم عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» . فنادى مناد: و ما الثقلان يا رسول اللّه؟ قال: «كتاب اللّه، طرف بيد اللّه و طرف بأيديكم، فاستمسكوا به،

(25) مجمع الزوائد 9/105 و السمر: نوع من الشجر، و قمّ: كنس. و قريب منه لفظ ابن كثير 5/209.
(26) مسند أحمد 4/281. و سنن ابن ماجة باب فضل علي، و تاريخ ابن كثير 5/209، و 5/210.
(27) مجمع الزوائد 9/163-165.
(28) مسند أحمد 4/372. و ابن كثير 5/212.
(29) مسند أحمد 4/281، سنن ابن ماجة باب فضل علي. و ابن كثير 5/212.
(30) كانت بصرى اسما لقرية بالقرب من دمشق، و أخرى بالقرب من بغداد.

لا تضلّوا و لا تبدّلوا؛ و عترتي أهل بيتي، و قد نبّأني اللّطيف الخبير أنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض، سألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدموهما فتهلكوا، و لا تقصروا عنهما فتهلكوا، و لا تعلّموهما فهم أعلم منكم» (31)

ثم قال: «أ لستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى يا رسول اللّه! (32)

قال: «أ لستم تعلمون-أو تشهدون-أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى يا رسول اللّه (33) .

ثمّ أخذ بيد عليّ بن أبي طالب بضبعيه فرفعها حتّى نظر الناس إلى بياض إبطيهما (34) ، ثمّ قال:

«أيّها الناس!اللّه مولاي و أنا مولاكم (35) ؛ فمن كنت مولاه، فهذا عليّ مولاه (36) . اللهمّ وال من والاه، و عاد من عاداه (37) ، و انصر من نصره، و اخذل

---

(31) مجمع الزوائد 9/162-163 و 165، و بعض ألفاظه في روايات الحاكم 3/109-110، و ابن كثير 5/209.

(32) مسند أحمد 1/118 و 119، 4/281. و سنن ابن ماجة 1/43 ح 116، و ورد (نعم) في مسند أحمد 4/281 و 368 و 370 و 372. و ابن كثير 5/209، و لدى ابن كثير 5/210: (أ لست أولى بكلّ امرئ من نفسه) .

(33) مسند أحمد 4/281 و 368 و 370 و 372، و ابن كثير 5/209 و 212.

(34) في رواية الحاكم الحسكاني 1/190، فرفع يديه حتّى يرى بياض إبطيه. و في ص 193 منه: حتّى بان بياض إبطيهما. و ضبعاه: الضّبع بسكون الباء: وسط العضد بلحمه. لسان العرب مادة: (ضبع) .

(35) الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل 1/191، و عند ابن كثير 5/209: و أنا مولى كلّ مؤمن.

(36) في جميع المصادر الّتي ذكرناها إلى هنا في جميع روايات الباب.

(37) مسند أحمد 1/118 و 119 و 4/281 و 370 و 372 و 373 و 5/347 و 370.

و مستدرك الحاكم 3/109. و سنن ابن ماجة، باب فضل عليّ. و الحاكم الحسكاني 1/190 و 191. و تاريخ ابن كثير 5/209 و 210-213، و قال ابن كثير في 5/209: فقلت لزيد:

هل سمعته من رسول اللّه؟فقال: ما كان في الدوحات أحد إلاّ رآه بعينه و سمعه بأذنيه. ثمّ قال

من خذله [38] ، و أحبّ من أحبّه، و أبغض من أبغضه» [39] .

ثمّ قال: «اللهمّ اشهد» [40] .

ثمّ لم يتفرقا-رسول اللّه و عليّ-حتّى نزلت هذه الآية:

اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ اَلْإِسْلاَمَ دِيناً المائدة/3.

فقال رسول اللّه (ص) :

اللّه أكبر على إكمال الدين و إتمام النعمة، و رضا الربّ برسالتي و الولاية لعلي [41] .

و في باب ما نزل من القرآن بالمدينة من تاريخ اليعقوبي:

(إنّ آخر ما نزل عليه: **اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ...** و هي الرواية الصحيحة الثابتة، و كان نزولها يوم النصّ على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب-صلوات اللّه عليه-بغدير خمّ) [42] .

فلقيه عمر بن الخطاب بعد ذلك فقال له:

هنيئا لك يا ابن أبي طالب، أصبحت و أمسيت مولى كلّ مؤمن و مؤمنة [43] .

قابن كثير: قال شيخنا أبو عبد اللّه الذهبي: و هذا حديث صحيح.
(38) مسند أحمد 1/118 و 119. و مجمع الزوائد 9/104 و 105 و 107. و شواهد التنزيل 1/193. و تاريخ ابن كثير 5/210 و 211.
(39) شواهد التنزيل للحسكاني 1/191. و تاريخ ابن كثير 5/210.
(40) شواهد التنزيل 1/190.
(41) رواه الحاكم الحسكاني عن أبي سعيد الخدري 1/157-158 ح 211 و 212، و عن أبي هريرة ص 158 ح 213، و في تاريخ ابن كثير 5/214 بإيجاز.
(42) اليعقوبي 2/43.
(43) مسند أحمد 4/281. و لفظ (بعد ذلك) من تاريخ ابن كثير 5/210.

و في رواية قال له:

بخ بخ لك يا ابن أبي طالب [44] .

و في رواية أخرى:

هنيئا لك يا ابن أبي طالب، أصبحت و أمسيت مولى كلّ مؤمن و مؤمنة [45] .

تتويج الإمام

و كانت لرسول اللّه عمامة، تسمّى السحاب كساها عليّا [46] و كانت سوداء اللون [47] و كان الرسول يلبسها في أيام خاصّة [48] مثل يوم فتح مكّة [49] و رووا في كيفيّة تتويج الإمام بها يوم الغدير كما يلي:

عن عبد الأعلى بن عدي البهراني قال:

دعا رسول اللّه (ص) عليّا يوم غدير خمّ فعمّمه و أرخى عذبة العمامة من خلفه [50] .

و عن عليّ (ع) قال:

---

(44) شواهد التنزيل 1/157 و 158.
(45) مسند أحمد 4/281، و سنن ابن ماجة باب فضائل عليّ، و الرياض النضرة 2/169، و لفظ (بعد ذلك) في تاريخ ابن كثير 5/210.
(46) في زاد المعاد لابن القيم، (فصل في ملابسه) : أي الرسول (ص) ، بهامش شرح الزرقاني على المواهب اللدنية 1/121.
(47) ورد ذكر لون العمامة الّتي توّج بها الإمام في رواية عبد اللّه بن بشر الآتية و الإمام نفسه.
(48) أشير إلى ذلك في كتب الحديث.
(49) صحيح مسلم كتاب الحجّ ح 451-452. و سنن أبي داود 4/54 باب في العمائم، و شرح المواهب 5/10، عن معرفة الصحابة لأبي نعيم.
(50) الرياض النضرة 2/289 في ذكر تعميمه إيّاه (ص) بيده، و أسد الغابة 3/114.

عمّمني رسول اللّه (ص) يوم غدير خمّ بعمامة سوداء طرفها على منكبي [51] .

و في مسند الطيالسي و سنن البيهقي قال:

عمّمني رسول اللّه (ص) يوم غدير خمّ بعمامة سدلها خلفي، ثمّ قال:

إنّ اللّه عزّ و جلّ أمدّني يوم بدر و حنين بملائكة يعتمّون هذه العمة...

و قال: إنّ العمامة حاجزة بين المسلمين و المشركين... [52] .

و عن عليّ (ع) : أنّ النبيّ (ص) عمّمه بيده، فذنّب العمامة من ورائه و من بين يديه، ثمّ قال له النبيّ (ص) : «أدبر» ، فأدبر. ثمّ قال له:

«أقبل» ، فأقبل. و أقبل على أصحابه فقال النبيّ (ص) : «هكذا تكون تيجان الملائكة» [53] .

و عن ابن عبّاس قال:

لمّا عمّم رسول اللّه (ص) عليّا بالسحاب قال له: «يا عليّ، العمائم تيجان العرب... » [54] .

و عن عبد اللّه بن بشر قال.

بعث رسول اللّه (ص) يوم غدير خمّ إلى عليّ فعمّمه و أسدل العمامة بين كتفيه، و قال: «و هكذا أمدّني ربّي يوم حنين بالملائكة معمّمين و قد أسدلوا العمائم، و ذلك حجز بين المسلمين و المشركين» [55] .

---

(51) في ترجمة عبد اللّه بن بشر من الإصابة 2/274، قال: أخرجه البغوي.

(52) كنز العمال 20/45. و مسند الطيالسي 1/23. و البيهقي 10/14.

(53) كنز العمال 20/45 عن مشيخة ابن باذان.

(54) كنز العمال عن الديلمي.

(55) هكذا رواه ابن طاوس في أمان الأخطار، غير أنّها في ترجمة عبد اللّه بن بشر بالإصابة 2/274، رقم الترجمة 4566، ليس فيها لفظ (يوم غدير خمّ) .

المناشدة

جمع عليّ الناس في رحبة مسجد الكوفة [56] ، ثمّ قال لهم:

أنشد اللّه كلّ امرئ مسلم سمع رسول اللّه يقول يوم غدير خمّ ما سمع إلا قام [57] و لا يقوم إلاّ من قد رآه [58] ، فقام ثلاثون من الناس. -و في رواية-فقام ناس كثير [59] . و قال عبد الرحمن: فقام اثنا عشر بدريا، كأنّي أنظر إلى أحدهم [60] فشهدوا حين أخذ بيده، فقال للناس: «أ تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» ، قالوا: نعم يا رسول اللّه

61

. قال: «من كنت موله، فهذا مولاه اللهمّ وال من والاه و عاد من عاداه

62

، و انصر من نصره و اخذل من

(56) تاريخ ابن كثير 5/211.
(57) رواه أبو الطفيل، عامر أو عمرو بن واثلة الليثي، ولد عام أحد، و رأى النبيّ و عمّر إلى أن مات سنة عشر و مائة، و هو آخر من مات من الصحابة، روى عنه جميع أصحاب الصحاح.

التهذيب 1/389.

و روايته بمسند أحمد 4/370، و في 1/118 منه بثلاثة أسانيد:

أ-عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم.

ب-عن سعيد بن وهب الهمداني الجنواني، و هو كوفي، ثقة، مخضرم، مات سنة خمس أو ست و سبعين، ترجمته في تهذيب التهذيب و قد رواها أحمد عنه مختصرا في 5/366.

ج-عن زيد بن يثيع الهمداني الكوفي، ثقة، مخضرم، من الطبقة الثانية من الرواة، ترجمته بتهذيب التهذيب 1/277.

(58) في رواية عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري المدني، الكوفي، ثقة من الثانية روى عنه جميع أصحاب الصحاح، و مات سنة نيف و ثمانين، ترجمته بتقريب التهذيب 1/496، و الرواية في مسند أحمد 1/119 ح 964.
(59) مسند أحمد 4/370 في حديث أبي الطفيل. و ابن كثير 5/212.
(60) حديث عبد الرحمن بمسند أحمد 1/961، و في 5/370. و ابن كثير 5/211.
(61) في مسند أحمد 1/118 و 4/370. و ابن كثير 5/211. و مجمع الزوائد 9/105.
(62) في مسند أحمد 1/118 و 119، و 4/370، و 5/370، و ابن كثير 5/211.

خذله»

63

.

قال عبد الرحمن: فقام إلاّ ثلاثة لم يقوموا، فدعا عليهم فأصابتهم دعوته

64

.

قال أبو الطفيل: فخرجت و كأنّ في نفسي شيئا، فلقيت زيد بن أرقم فقلت له: إنّي سمعت عليّا (رض) يقول كذا و كذا. قال: فما تنكره قد سمعت رسول اللّه يقول ذلك له

65

.

و في رواية: فقام ثلاثون من الناس

66

.

و في رواية: جاء رهط من الأنصار إلى علي في الرحبة فقالوا: السلام عليكم يا مولانا. قال: كيف أكون مولاكم و أنتم قوم عرب. قالوا: سمعنا رسول اللّه (ص) يوم خمّ يقول: «من كنت مولاه فإنّ هذا مولاه» . قال الراوي: فلمّا مضوا تبعتهم فسألت: من هؤلاء؟قالوا: نفر من الأنصار منهم أبو أيّوب.

و في رواية: فقال: من القوم؟قالوا: مواليك يا أمير المؤمنين

67

.

ما أشبه تعيين الوصيّ في هذه الأمّة بتعيين الوصيّ في أمّة موسى (ع)

رأينا في التوراة يقول في صدد تعيين الوصيّ لموسى بن عمران (ع) ما موجزه:

(63) مسند أحمد 1/118. و تاريخ ابن كثير 5/210.
(64) مسند أحمد 1/119 ح 964.
(65) مسند أحمد 4/370.
(66) مسند أحمد 4/270. و الرياض النضرة 2/162. و ابن كثير 5/212.
(67) مسند أحمد 5/419. و ابن كثير 5/212.

فقال الربّ لموسى: خذ يشوع بن نون رجلا فيه روح وضع يدك عليه و أوقفه قدّام كلّ الجماعة و أوصه أمام أعينهم و اجعل من هيبتك عليه لكي يسمع له كلّ جماعة بني إسرائيل حسب قوله يدخلون و حسب قوله يخرجون.

ففعل موسى ما أمره الربّ، أخذ يشوع و أوقفه قدّام كلّ الجماعة و وضع يديه عليه و أوصاه كما تكلّم الربّ....

و رأينا في القرآن الكريم بعد ما أوحى اللّه إلى خاتم أنبيائه (ص) في شأن الإمام عليّ ما أوحى، رأيناه يقول: **يَا أَيُّهَا اَلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اَللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ اَلنَّاسِ** و رأينا النبيّ (ص) بعد ذلك يأمر بالحجيج أن يجتمعوا في غدير خم، يرجع إليه من تقدم عليه و يلتحق به من تأخّر عنه، ثمّ يوقف الإمام عليّا و يرفعه أمام كلّ الجماعة و هم ينوفون على سبعين ألف و يخاطب الجمع و يقول لهم:

«أ لستم تشهدون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» و لما قال الجمع:

اللهم بلى، جعل الرسول من هيبته هذا على الإمام عليّ و قال:

«من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهمّ وال من والاه و عاد من عاداه... » كان ما أوردناه بعض النصوص الواردة في السنّة النبويّة في تعيين إمام الأمّة و ولي الأمر من بعده. و نذكر في ما يأتي بعض ما ورد في كتاب اللّه في هذا الصدد.

الولاية و أولو الأمر في القرآن الكريم

أ-ولاية عليّ في القرآن الكريم

نصّت الأحاديث السابقة على ولاية الإمام عليّ على المؤمنين بعد رسول اللّه (ص) و هذا بعينه ما عنته الآية الكريمة: **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اَللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ اَلصَّلاَةَ وَ يُؤْتُونَ اَلزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ** المائدة/55.

و يؤيد ذلك الروايات الآتية:

في تفسير الطبري، و أسباب النزول للواحدي و شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني و أنساب الأشراف للبلاذري و غيرها [1] :

عن ابن عباس و أبي ذرّ و أنس بن مالك و الإمام عليّ و غيرهم ما خلاصته:

---

(1) تفسير الطبري 6/186. و أسباب النزول للواحدي ص 133-134، و في شواهد التنزيل 1/161-164 خمس روايات عن ابن عباس و في ص 165-166 روايتان عن أنس بن مالك، و ستّ روايات أخرى في ص 167-169. و أنساب الأشراف للبلاذري ح 151 من ترجمة الإمام 1/الورقة 225. و غرائب القرآن للنيسابوري بهامش الطبري 6/167-168. و أخرج السيوطي كثيرا من رواياتها في تفسيره 2/293-294، و قال في لباب النقول في أسباب النزول ص 90-91 بعد إيراد الروايات: (فهذه شواهد يقوّي بعضها بعضا) .

(إنّ فقيرا من فقراء المسلمين دخل مسجد الرسول (ص) و سأل، و كان عليّ راكعا في صلاة غير فريضة [2] ، فأوجع قلب عليّ كلام السائل، فأومأ بيده اليمنى إلى خلف ظهره، و كان في إصبعه خاتم عقيق يماني أحمر يلبسه في الصلاة، و أشار إلى السائل بنزعه، فنزعه و دعا له و مضى فما خرج أحد من المسجد حتّى نزل جبرئيل (ع) بقول اللّه عزّ و جل: **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اَللَّهُ...** الآية [3] ، فأنشأ حسّان بن ثابت يقول أبياتا منها قوله:

أبا حسن تفديك نفسي و مهجتي # و كلّ بطيء في الهدى و مسارع

فأنت الّذي أعطيت إذ أنت راكع # فدتك نفوس القوم يا خير راكع

فأنزل فيك اللّه خير ولاية # فأثبتها في محكمات الشرائع

[4]

إيراد على دلالة الآية

أورد بعضهم على مفاد الروايات السابقة أنّ لفظ الآية: **اَلَّذِينَ آمَنُوا اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ اَلصَّلاَةَ وَ يُؤْتُونَ اَلزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ** جمع، فكيف يعبر بلفظ الجمع و يراد به الواحد و هو الإمام عليّ (ع) ؟ قال المؤلف: توهّم من قال ذلك، فإنّ الّذي لا يجوز إنّما هو استعمال اللّفظ المفرد و إرادة الجمع منه، أمّا العكس فجائز و شائع في المحاورات، و قد ورد نظائره في موارد متعدّدة في القرآن الكريم، مثل التعابير الّتي وردت في سورة المنافقين:

بِسْمِ اَللَّهِ اَلرَّحْمَنِ اَلرَّحِيمِ، `إِذَا جَاءَكَ اَلْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ

---

(2) يستفاد ذلك من رواية أنس حيث قال: خرج النبيّ إلى صلاة الظهر فإذا هو بعلي يركع.

و نظيرها رواية ابن عباس، و كلتاهما في شواهد التنزيل 1/163-164.

(3) إلى هنا أوردنا ملخّصه من شواهد التنزيل.

(4) نقلا عن كفاية الطالب الباب 61 ص 228، و بقية مصادر الحديث في تاريخ ابن كثير 7/357.

لَرَسُولُ اَللَّهِ وَ اَللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَ اَللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ اَلْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ إلى قوله تعالى: **وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اَللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ وَ رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ** إلى قوله: **هُمُ اَلَّذِينَ يَقُولُونَ لاَ تُنْفِقُوا عَلىَ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اَللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَ لِلَّهِ خَزَائِنُ اَلسَّمَاوَاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ لَكِنَّ اَلْمُنَافِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ `يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى اَلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ اَلْأَعَزُّ مِنْهَا اَلْأَذَلَّ وَ لِلَّهِ اَلْعِزَّةُ وَ لِرَسُولِهِ وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لَكِنَّ اَلْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ** المنافقون/1-8.

قال الطبري في تفسير السورة:

إنّما عني بهذه الآيات كلّها عبد اللّه بن أبي سلول... و أنزل اللّه فيه هذه السورة من أوّلها إلى آخرها، و بالنحو الّذي قلنا، قال أهل التأويل و جاءت الأخبار [5] .

و روى السيوطي بتفسير الآيات عن ابن عباس انّه قال:

و كلّ شيء أنزله في المنافقين-في هذه السورة-فإنما أراد عبد اللّه بن أبي [6] .

و موجز القصة كما نقلها أهل السير و ورد في التفاسير:

(انّ أجير عمر بن الخطاب، جهجاه الغفاري، ازدحم بعد غزوة بني المصطلق مع سنان الجهني حليف بني الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني:

يا معشر الأنصار!و صرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين!فغضب عبد اللّه بن أبيّ و معه رهط من قومه و فيهم زيد بن أرقم، غلام حديث السنّ فقال: أ قد فعلوها؟قد نافرونا و كاثرونا في بلادنا، و اللّه ما اعدّنا و جلابيب قريش هذه إلاّ كما قال القائل: سمّن كلبك يأكلك!أما و اللّه لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ، ثمّ أقبل على من حضره من قومه، فقال: هذا

(5) تفسير الطبري 28/270.
(6) تفسير السيوطي 6/223.

ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم، و قاسمتموهم أموالكم، أما و اللّه لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير بلادكم، فسمع ذلك زيد بن أرقم و مشى به إلى رسول اللّه و أخبره و عنده عمر بن الخطاب [7] .

فقال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه يا رسول اللّه. فقال: إذا ترعد له آنف كثيرة بيثرب. قال عمر: فإن كرهت يا رسول اللّه أن يقتله رجل من المهاجرين، فمر به سعد بن معاذ و محمد بن مسلمة فيقتلانه. فقال: إنّي أكره أن يتحدث الناس أنّ محمدا يقتل أصحابه [8] .

فذهب عبد اللّه إلى رسول اللّه، و حلف أنّه لم يكن شيء من ذلك، فلام الأنصار زيدا على قوله. و قالوا لعبد اللّه: لو رأيت رسول اللّه يستغفر لك.

فلوّى رأسه و قال: أمرتموني أن أومن فآمنت، و أمرتموني أن أعطي زكاة مالي فأعطيت، فما بقي لي إلاّ أن أسجد لمحمّد، فنزلت السورة فيه و هو المقصود بقوله تعالى: **هُمُ اَلَّذِينَ يَقُولُونَ لاَ تُنْفِقُوا عَلىَ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اَللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا** [9] .

و هو المقصود من قوله تعالى: **وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اَللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ...**) [10] .

في هذه السورة عبّر اللّه عن عبد اللّه بن أبيّ القائل الواحد، بقوله تعالى: **هُمُ اَلَّذِينَ يَقُولُونَ** و بقوله عزّ اسمه: **وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اَللَّهِ لَوَّوْا رُؤُسَهُمْ** . القائل و الفاعل واحد كما أجمع على ذلك المفسّرون، و أطبقت الروايات على ذلك، و إنّما أوردنا هذا على سبيل المثال

---

(7) تفسير الطبري 28/75.
(8) تفسير الطبري 28/74.
(9) تفسير الطبري 28/74.
(10) لخّصنا روايات متعددة وردت في تفسير الطبري 28/71 فما بعدها، و تفسير السيوطي 6/222 فما بعدها إلى غير ذلك ممّا ورد في التفاسير و السير.

و إلاّ فنظائرها متعدّدة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى:

وَ مِنْهُمُ اَلَّذِينَ يُؤْذُونَ اَلنَّبِيَّ وَ يَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ التوبة/61.

اَلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ اَلنَّاسُ إِنَّ اَلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ... آل عمران/173.

يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ اَلْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ... آل عمران/154.

هذه إلى غيرها ممّا عبّر فيها بلفظ الجمع و أريد بها الواحد، تعدّد نظائرها في القرآن الكريم.

ب-أولو الأمر: عليّ و الأئمة من ولده

أثبتت الروايات المتظافرة المتواترة السابقة أنّ عليّا هو مولى المؤمنين و وليّ أمرهم بعد رسول اللّه (ص) ، كما أنّها تفسّر المراد من أولي الأمر في الآية الكريمة:

يَا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اَللَّهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِي اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ النساء/59.

و دلّت على ذلك أيضا الأحاديث الآتية:

أ- في شواهد التنزيل عن علي أنّه سأل رسول اللّه عن الآية و قال: يا نبي اللّه من هم؟قال: أنت أوّلهم.

ب- و عن مجاهد: **وَ أُولِي اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ** .

قال: علي بن أبي طالب ولاّه اللّه الأمر بعد محمّد في حياته حين خلّفه رسول اللّه بالمدينة فأمر اللّه العباد بطاعته و ترك الخلاف عليه.

ج- و عن أبي بصير، عن أبي جعفر:

أنّه سأله عن قوله اللّه: **أَطِيعُوا اَللَّهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِي اَلْأَمْرِ**

مِنْكُمْ .

قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب.

قلت: إنّ الناس يقولون: فما منعه أن يسمّي عليّا و أهل بيته في كتابه فقال أبو جعفر:

قولوا لهم؛ إنّ اللّه أنزل على رسوله الصلاة و لم يسمّ ثلاثا و لا أربعا حتّى كان رسول اللّه هو الّذي يفسّر ذلك، و أنزل الحجّ فلم ينزل طوفوا أسبوعا حتّى فسّر لهم ذلك رسول اللّه، و أنزل: **أَطِيعُوا اَللّٰهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِي اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ** فنزلت في عليّ و الحسن و الحسين و قال رسول اللّه (ص) أوصيكم بكتاب اللّه و أهل بيتي إنّي سألت اللّه أن لا يفرق بينهما حتّى يردا عليّ الحوض، فأعطاني ذلك [10] .

ج-قول النبيّ (ص) : مثل أهل بيتي كسفينة نوح (ع) و مثل باب (حطّة) في بني إسرائيل

روى من الصحابة و أهل البيت كلّ من الإمام علي و أبي ذرّ و أبي سعيد الخدري و ابن عباس و أنس بن مالك:

أنّ رسول اللّه (ص) قال:

«مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا و من تخلّف عنها غرق» .

و في ألفاظ بعضهم:

«و مثل باب حطّة في بني إسرائيل» .

المصادر:

ذخائر العقبى للمحبّ الطبري ص: 20.

---

(10) الأحاديث: أ، ب، ج وردت متواليات في شواهد التنزيل 1/148-150.

مستدرك الحاكم 2/343، و 3/150.

حلية الأولياء لأبي نعيم 4/306.

تاريخ بغداد للخطيب 12/19.

مجمع الزوائد للهيثمي 9/168.

الدر المنثور للسيوطي بتفسير الآية: **وَ اُدْخُلُوا اَلْبَابَ سُجَّداً وَ قُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ** البقرة/58.

و في تاريخ الخلفاء للسيوطي ص: 270 بترجمة المنصور: عن المأمون عن الرشيد عن المهدي عن المنصور عن أبيه عن جده عن ابن عباس عن النبيّ (ص) :

«مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا و من تخلّف عنها هلك» .

كنز العمّال، ط. الأولى 6/153 و 216.

الصواعق لابن حجر ص: 75، رواها عن الدار قطني و الطبراني و ابن جرير و أحمد بن حنبل و غيرهم.

كلّ ما ذكرناه في ما سبق نصوص من الكتاب و السنّة تدلّ على تعيين اللّه و رسوله (ص) وليّ الأمر بعد الرسول (ص) . و في ما يأتي نصوص أخرى بألفاظ أخرى كما ترد في البحوث الآتية.

الأئمة: علي و بنوه عليهم السّلام مبلّغون عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله

حصر القرآن الكريم في عدّة آيات وظيفة الرسل في التبليغ مثل قوله تعالى:

مَا عَلَى اَلرَّسُولِ إِلاَّ اَلْبَلاَغُ المائدة/99.

و قوله: **وَ مَا عَلَى اَلرَّسُولِ إِلاَّ اَلْبَلاَغُ اَلْمُبِينُ** النور/54، و العنكبوت/18.

و قوله: **أَنَّمَا عَلىَ رَسُولِنَا اَلْبَلاَغُ اَلْمُبِينُ** المائدة/92، و التغابن/12.

و قوله: **فَهَلْ عَلَى اَلرُّسُلِ إِلاَّ اَلْبَلاَغُ اَلْمُبِينُ** النحل/35.

و حصر كذلك وظيفة خاتم الرسل خاصّة في التبليغ بقوله تعالى:

فَإِنَّمَا عَلَيْكَ اَلْبَلاَغُ آل عمران/20، و النحل/35، و الرعد/13.

و قوله: **إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ اَلْبَلاَغُ** الشورى/48.

و ينقسم التبليغ إلى تبليغ مباشر و تبليغ بواسطة، و إلى تبليغ ما حان وقت عمله و ما لم يحن، مثل حكم الطائفتين المتقاتلتين من المؤمنين و واجب المسلمين تجاه الحاكم الجائر، و ينقسم ما يبلّغه الرسول إلى قسمين:

أ- ما أوحي إلى الرسول لفظه و معناه و هو كتاب اللّه و يسمّى في هذه

الأمّة بالقرآن الكريم.

قال سبحانه: **وَ أُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا اَلْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ** الأنعام/19.

ب- ما أوحي إلى الرسول معناه دون لفظه. و بلّغه الرسول بلفظه الشريف، مثل تبليغه تفصيل أحكام الشرع.

و قال اللّه سبحانه: **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ اَلدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَ اَلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَ مَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسىَ وَ عِيسىَ أَنْ أَقِيمُوا اَلدِّينَ وَ لاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** الشورى/13.

إنّ الرسول (ص) عند ما يعيّن عدد ركعات الصلاة و أذكارها، و يبيّن سائر أحكامها و سائر أحكام الشرع الإسلاميّ، أو يبلّغ أنباء الأمم السابقة و الغيوب الآتية في هذه الدنيا أو العالم الآخر، إنّما يبلّغ ما أوحي إليه في غير القرآن الكريم **وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ اَلْهَوىَ `إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحىَ** و يسمّى هذا النوع من التبليغ في هذه الأمّة بالحديث النبويّ الشريف.

حصرت الآيات السابقة وظيفة الرسول بالتبليغ، و على هذا فإنّ الصفة المميّزة للرسول هي التبليغ، و إذا قال الرسول عن شخص: «إنّه منّي» يعني إنّه منه في أمر التبليغ و لا نقول هذا اعتباطا، بل قد وجدنا الرسول يصرّح بذلك في قسم من تلك الأحاديث، مثل ما ورد في قصّة تبليغ آيات البراءة التالية:

قصّة تبليغ آيات البراءة

وردت قصّة تبليغ سورة البراءة في صحيح الترمذي و تفسير الطبري و خصائص النسائي و مستدرك الصحيحين و غيرها، عن أنس و ابن عباس

و سعد بن أبي وقّاص و عبد اللّه بن عمر و أبي سعيد الخدري و عمر بن ميمون و عليّ بن أبي طالب [1] ، و أبي بكر. و نختار هنا ذكر موجز رواية الامام عليّ الواردة في مسند أحمد، قال:

دعا النبيّ أبا بكر فبعثه ببراءة لأهل مكّة، لا يحجّ بعد العام مشرك و لا يطوف بالبيت عريان و لا يدخل الجنة إلاّ نفس مسلمة، و من كان بينه و بين رسول اللّه (ص) مدّة فأجله إلى مدّته، و اللّه بريء من المشركين و رسوله.

قال: فسار بها ثلاثا ثمّ قال لعليّ: «الحقه فردّ عليّ أبا بكر و بلّغها أنت» .

قال: ففعل. فلمّا قدم على النبيّ (ص) أبو بكر بكى و قال: يا رسول اللّه حدث فيّ شيء؟ قال: «ما حدث فيك إلاّ خير، و لكنّي أمرت أن لا يبلّغه إلاّ أنا أو رجل منّي» [2] .

و في رواية عبد اللّه بن عمر:

«و لكن قيل لي: أنّه لا يبلّغ عنك إلاّ أنت أو رجل منك» [3] .

و في رواية أبي سعيد الخدري:

«لا يبلّغ عنّي غيري أو رجل منّي» [4] .

---

(1) سنن الترمذي 13/164-165. و مسند احمد 1/151، و 3/283، و راجع 1/150.
و خصائص النسائي ص 28-29. و تفسير الطبري 10/46. و مستدرك الصحيحين 3/51 و 52. و مجمع الزوائد 7/29، و 9/119.

(2) مسند أحمد 1/3، ح 4 من مسند أبي بكر و قال أحمد شاكر: (اسناده صحيح) .
و راجع كنز العمال و ذخائر العقبى.

(3) في مستدرك الصحيحين 3/51.
(4) في الدرّ المنثور بتفسير: **بَرَاءَةٌ مِنَ اَللَّهِ** .

تدلّنا القرائن الحالية و المقالية في المقام، أنّ القصد من التبليغ في هذه الروايات و ما شابهها تبليغ ما أوحى اللّه إلى رسوله من أحكام إلى المكلّفين بها في بادئ الأمر، و هذا ما لا يقوم به إلاّ الرسول أو رجل من الرسول.

و يقابل هذا التبليغ التبليغ الّذي يقوم به المكلّفون بتلك الأحكام بعد ما بلّغوا بها بواسطة الرسول أو رجل من الرسول، فإنّ لهم عند ذاك أن يقوموا بتبليغها إلى غيرهم، و يطّرد جواز هذا التبليغ و رجحانه و يتسلسل مع كلّ من بلغه الحكم إلى أبد الدهر.

و واضح أنّ الرسول (ص) عنى بقوله: «لا يبلّغ عنّي غيري أو رجل منّي» التبليغ من النوع الأوّل.

و يفسّر أيضا لفظ «منّي» في أحاديث الرسول (ص) حديث المنزلة الآتي:

عليّ من النبيّ (ص) بمنزلة هارون من موسى

في صحيح البخاري، و مسلم، و مسند الطيالسي، و أحمد، و سنن الترمذي، و ابن ماجة و غيرها [5] و اللفظ للأوّل: انّ رسول اللّه (ص) قال لعليّ:

«أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه ليس نبيّ بعدي» .

و لفظ مسلم و غيره:

---

(5) صحيح البخاري 2/200 باب مناقب علي بن أبي طالب. و صحيح مسلم 7/120 باب من فضائل علي بن أبي طالب. و الترمذي 13/171 باب مناقب علي. و الطيالسي 1/28 و 29 و ح 205 و 209 و 213. و ابن ماجة باب فضل علي بن أبي طالب ح 115. و مسند أحمد 1/170 و 173-175 و 177 و 179 و 182 و 184 و 185 و 330، و 3/32 و 338، و 6/369 و 438. و مستدرك الحاكم 2/337. و طبقات ابن سعد 3/1/14 و 15. و مجمع الزوائد 9/109-111. و مصادر أخرى كثيرة.

«إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي» .

و في رواية ابن سعد في الطبقات عن البرّاء بن عازب و زيد بن أرقم قالا:

لمّا كان عند غزوة جيش العسرة و هي تبوك قال رسول اللّه (ص) لعلي بن أبي طالب: إنّه لا بدّ من أن أقيم أو تقيم، فخلّفه، فلمّا فصل رسول اللّه (ص) غازيا قال ناس: ما خلّف عليّا إلاّ لشيء كرهه منه فبلغ ذلك عليّا فاتبع رسول اللّه (ص) حتّى انتهى إليه فقال له: ما جاء بك يا عليّ؟ قال:

لا يا رسول اللّه إلاّ أنّي سمعت ناسا يزعمون أنّك إنّما خلّفتني لشيء كرهته منّي، فتضاحك رسول اللّه (ص) ، و قال: يا عليّ، أ ما ترضى أن تكون منّي كهارون من موسى غير أنّك لست بنبيّ؟قال: بلى يا رسول اللّه، قال: فإنّه كذلك [6] .

و قد مرّ بعض ألفاظ الحديث في باب من استخلفه النبيّ (ص) على المدينة في غزواته.

المراد من لفظ «منّي» في أحاديث الرّسول (ص) :

إنّ لفظ «منّي» في حديث «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى» يوضّح المراد من هذا اللفظ في أحاديث الرسول (ص) الأخرى، و ذلك أنّ هارون لمّا كان شريك موسى في النبوّة و وزيره في التبليغ، و كان عليّ من خاتم الأنبياء بمنزلة هارون من موسى باستثناء النبوّة، يبقى لعليّ الوزارة في التبليغ.

و كذلك بيّن الرسول (ص) المراد من لفظ «منّي» في حديثه يوم عرفات في حجّة الوداع حيث قال:

---

(6) طبقات ابن سعد 3/ق 1/15. و مجمع الزوائد للهيثمي 9/111 باختلاف يسير.

«عليّ منّي و أنا من عليّ. لا يؤدّي عنّي إلاّ أنا أو عليّ» [7] ، و على هذا فإنّ الرسول (ص) فسّر لفظ «منّي» في هذه الأحاديث بكلّ وضوح و جلاء، و صرّح (ص) أنّ القصد منه؛ أنّه منه في مقام التبليغ عن اللّه إلى المكلّفين بلا واسطة. و من ثمّ يتّضح معنى «منّي» في أحاديث أخرى للرسول (ص) في حقّ الإمام عليّ و الّذي ورد فيها غير مفسّرة.

مثل ما ورد في رواية بريدة في خبر الشكوى أنّ الرسول (ص) قال له:

«لا تقع في علي فإنّه منّي و... » [8] .

و رواية عمران بن حصين: «إنّ عليّا منّي... » [9] .

في كل هذه الروايات قصد الرسول (ص) أنّ عليّا و الأئمة (ع) من ولده، من رسول اللّه (ص) في حمل أعباء التبليغ إلى المكلّفين مباشرة و وظيفتهم من نوع وظيفته، و على هذا فهم منه و هو منهم، يشتركون في التبليغ و يختلفون في أنّه يأخذ الأحكام الّتي يبلّغها من اللّه عن طريق الوحي، و هم يأخذونها عن طريق رسول اللّه (ص) فهم مبلّغون عن رسول اللّه (ص) إلى الأمّة و قد أعدّهم اللّه و رسوله (ص) لحمل أعباء التبليغ، و ذلك بما عصمهم اللّه من الرجس و طهّرهم تطهيرا، كما أخبر سبحانه عن ذلك في آية التطهير، و بما أفاض الرسول (ص) على الإمام عليّ خاصّة ممّا أوحى اللّه إليه، ثمّ ورث الأئمة من أبيهم الإمام عليّ ذلك واحدا بعد الآخر، كما نصّت على ذلك الروايات الآتية.

---

(7) أخرجه ابن ماجة في كتاب المقدمة، باب فضائل الصحابة ص 92 من الجزء الأوّل من سننه، و الترمذي، كتاب المناقب، 13/169 و هو الحديث: 2531 في ص 153 من الجزء السادس من الكنز في طبعته الأولى، و قد أخرجه الامام أحمد في ص 164 و 165 من الجزء الرابع من مسنده من حديث حبشي بن جنادة بطرق متعددة.
(8) مضى ذكر سندهما في باب: وليّ أمر المسلمين.
(9) مضى ذكر سندهما في باب: وليّ أمر المسلمين.

حامل علوم الرسول (ص)

في تفسير الرازي و كنز العمّال قال عليّ:

(علّمني رسول اللّه (ص) ألف باب من العلم و تشعّب لي من كلّ باب ألف باب) [10] .

و في تفسير الطبري و طبقات ابن سعد و تهذيب التهذيب و كنز العمال و فتح الباري و اللفظ للأخير:

عن أبي الطفيل قال: شهدت عليّا و هو يخطب و يقول:

(سلوني فو اللّه لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلاّ حدثتكم به، و سلوني عن كتاب اللّه، فو اللّه ما من آية إلاّ و أنا أعلم أ بليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل...) [11] .

و من هنا قال في حقّه رسول اللّه (ص) كما رواه جابر بن عبد اللّه:

«أنا مدينة العلم و عليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب» . قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد [12] .

و في رواية:

«فمن أراد العلم فليأت الباب» [13] .

---

(10) بتفسير الآية: **إِنَّ اَللَّهَ اِصْطَفىَ آدَمَ...** و كنز العمال 6/392 و 405.

(11) تفسير ابن جرير 26/116. و طبقات ابن سعد 2/ق 2/101. و تهذيب التهذيب 7/337. و فتح الباري 10/221. و حلية الأولياء 1/67-68، و كنز العمال 1/228.

(12) مستدرك الصحيحين 3/126. و في ص 127 منه بطريق آخر، و في تاريخ بغداد 4/348 و 7/172 و 11/48، و في ص 49 منه عن يحيى بن معين أنّه صحيح. و في أسد الغابة 4/22.

و مجمع الزوائد 9/114. و تهذيب التهذيب 6/320 و 7/427. و في متن فيض القدير 3/46. و كنز العمال ط. الثانية، 12/201، ح 1130. و الصواعق المحرقة ص 73.

(13) مستدرك الصحيحين 3/127-129.

و في رواية:

سمعت رسول اللّه (ص) يوم الحديبية و هو آخذ بيد عليّ يقول:

«هذا أمير البررة و قاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، -يمدّ بها صوته-أنا مدينة العلم و عليّ بابها، فمن أراد البيت فليأت الباب» [14] .

و لفظه في رواية ابن عباس:

«أنا مدينة العلم و عليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها» [15] .

و في رواية الإمام علي، قال رسول اللّه (ص) :

«أنا دار العلم و عليّ بابها» [16] .

و قال في حقّه-أيضا-كما رواه ابن عباس:

«أنا مدينة الحكمة و عليّ بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب» [17] .

و في رواية الإمام عليّ، قال رسول اللّه (ص) :

«أنا دار الحكمة و عليّ بابها» [18] .

و قال في حقّه كما في رواية أبي ذر:

«عليّ باب علمي و مبيّن لأمّتي ما أرسلت به بعدي... » [19] .

و قال كما في رواية أنس بن مالك:

أنّ النبيّ (ص) قال لعليّ (ع) :

---

(14) تاريخ بغداد للخطيب 2/377.

(15) كنز العمال ط. الثانية، 12/212، و ح 1219. و راجع كنوز الحقائق للمناوي.

(16) الرياض النضرة 2/193.

(17) تاريخ بغداد للخطيب 11/204، و سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عليّ بن أبي طالب.

(18) سنن الترمذي 13/171 باب مناقب علي بن أبي طالب، قال: و في الباب عن ابن عباس. و حلية الأولياء لأبي نعيم 1/64. و كنز العمال ط. الأولى، 6/156.

(19) كنز العمال ط. الأولى، 6/156.

«أنت تبيّن لأمّتي ما اختلفوا فيه بعدي» . قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين [20] .

و في رواية قال له:

«أنت تؤدي عنّي و تسمعهم صوتي و تبيّن لهم ما اختلفوا فيه بعدي» [21] .

و قد يسر اللّه لخاتم أنبيائه أن يزقّ ابن عمه العلم فيما هيّأ لهما من الاجتماع في بيت واحد منذ أن كان الإمام عليّ طفلا كما رواه الحاكم:

(كان من نعم اللّه على عليّ بن أبي طالب (ع) ما صنع اللّه و أراده به من الخير، أنّ قريشا أصابتهم أزمة شديدة، و كان أبو طالب في عيال كثير فقال رسول اللّه (ص) لعمه العباس و كان من أيسر بني هاشم:

يا أبا الفضل إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال و قد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه يخفّف عنه من عياله آخذ أنا من بنيه رجلا و تأخذ أنت رجلا فنكفلهما عنه، فقال العباس: نعم، فانطلقا حتّى أتيا أبا طالب، فقالا: إنّا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتّى تنكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول اللّه (ص) عليّا فضمّه إليه، و أخذ العباس جعفرا فضمّه إليه، فلم يزل عليّ (ع) مع رسول اللّه (ص) حتّى بعثه اللّه نبيّا فاتّبعه و صدّقه، و أخذ العباس جعفرا و ضمّه إليه و لم يزل جعفر مع العبّاس حتّى أسلم و استغنى عنه) [22] .

---

(20) مستدرك الصحيحين 3/122. و كنز العمال ط. الأولى، 6/156. و راجع المناوي في كنوز الحقائق ص 188.
(21) حلية الأولياء 1/63.
(22) مستدرك الصحيحين 3/576.

و روي عن زيد بن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جده (ع) قال:

(أشرف رسول اللّه (ص) من بيت و معه عمّاه العباس و حمزة، و عليّ و جعفر و عقيل في أرض يعملون فيها، فقال رسول اللّه (ص) لعمّيه: اختارا من هؤلاء. فقال أحدهما: اخترت جعفرا. و قال الآخر: اخترت عقيلا.

فقال: خيّرتكما فاخترتما، فاختار اللّه لي عليّا) [(23)] .

و قد أخبر الإمام بنفسه عن ذلك و قال:

(و قد علمتم موضعي من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بالقرابة القريبة، و المنزلة الخصيصة؛ وضعني في حجره و أنا ولد، يضمّني إلى صدره، و يكنفني في فراشه و يمسّني جسده، و يشمّني عرفه، و كان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه، و ما وجد لي كذبة في قول، و لا خطلة في فعل، و لقد قرن اللّه به صلّى اللّه عليه و آله من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالم، ليله و نهاره، و لقد كنت أتّبعه اتّباع الفصيل إثر أمّه، يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علما، و يأمرني بالاقتداء به، و لقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء، فأراه و لا يراه غيري، و لم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و خديجة، و أنا ثالثهما، أرى نور الوحي و الرسالة و أشمّ ريح النبوّة.

و لقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلّى اللّه عليه و آله، فقلت: يا رسول اللّه، ما هذه الرنّة؟ [(24)] فقال:

«هذا الشيطان أيس من عبادته، إنّك تسمع ما أسمع، و ترى ما أرى، إلاّ إنّك لست بنبيّ، و لكنّك لوزير، و إنّك لعلى خير» .

و لقد كنت معه صلّى اللّه عليه و آله لمّا أتاه الملأ من قريش، فقالوا له:

---

(23) مستدرك الصحيحين 3/576-577.
(24) الرنّة: الصيحة الحزينة.

يا محمد، إنّك قد ادّعيت عظيما لم يدّعه آباؤك و لا أحد من بيتك، و نحن نسألك أمرا إن أنت أجبتنا إليه و أريتناه علمنا أنّك نبيّ و رسول، و إن لم تفعل علمنا أنّك ساحر كذّاب. فقال صلّى اللّه عليه و آله: و ما تسألون؟ قالوا:

تدعو لنا هذه الشجرة حتّى تنقلع بعروقها و تقف بين يديك. فقال صلّى اللّه عليه و آله: إنّ اللّه على كلّ شيء قدير، فإن فعل اللّه لكم ذلك أ تؤمنون و تشهدون بالحقّ؟قالوا: نعم، قال: فإني سأريكم ما تطلبون، و إنّي لأعلم أنّكم لا تفيئون إلى خير [25] ، و إنّ فيكم من يطرح في القليب [26] ، و من يحزب الأحزاب. ثمّ قال صلّى اللّه عليه و آله: يا أيّتها الشجرة إن كنت تؤمنين باللّه و اليوم الآخر و تعلمين أنّي رسول اللّه فانقلعي بعروقك حتّى تقفي بين يدي بإذن اللّه. و الّذي بعثه بالحقّ لانقلعت بعروقها و جاءت و لها دوّي شديد، و قصف كقصف أجنحة الطير [27] ، حتّى وقفت بين يدي رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مرفرفة، و ألقت بغصنها الأعلى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و ببعض أغصانها على منكبي، و كنت عن يمينه صلّى اللّه عليه و آله فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا علوّا و استكبارا: فمرها فليأتك نصفها و يبقى نصفها، فأمرها بذلك، فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال و أشدّه دويّا، فكادت تلتفّ برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فقالوا كفرا و عتوا فمر هذا النّصف فليرجع إلى نصفه كما كان، فأمره صلّى اللّه عليه و آله فرجع، فقلت أنا:

لا إله إلاّ اللّه، إنّي أوّل مؤمن بك يا رسول اللّه، و أوّل من أقرّ بأنّ الشجرة فعلت ما فعلت بأمر اللّه تعالى تصديقا بنبوّتك و إجلالا لكلمتك، فقال القوم

---

(25) لا تفيئون: لا ترجعون.
(26) القليب-كأمير-البئر، و المراد منه قليب بدر طرح فيه نيف و عشرون من أكابر قريش، و الأحزاب: طوائف متفرقة من القبائل اجتمعوا على حربه (ص) في وقعة الخندق.
(27) القصف: الصوت الشديد. و (ريح قاصف) أي: شديد. و (رعد قاصف) أي:
شديد الصوت.

كلّهم: بل ساحر كذّاب عجيب السحر خفيف فيه، و هل يصدّقك في أمرك إلاّ مثل هذا؟-يعنوني-» [28] .

هكذا كان رسول اللّه (ص) يرفع للإمام في صغره كلّ يوم من أخلاقه علما و يأمره بالاقتداء به، و يزقّه العلم زقّا في كبره، و يخصّه بمناجاته.

و قد ورد في صحيح الترمذي و غيره و اللفظ للترمذي عن جابر قال:

(دعا رسول اللّه (ص) عليّا (ع) يوم الطائف فانتجاه، فقال الناس:

لقد طال نجواه مع ابن عمّه!فقال رسول اللّه (ص) :

«ما انتجيته و لكنّ اللّه انتجاه») [29] .

و في رواية:

(لمّا كان يوم الطائف دعا رسول اللّه (ص) عليّا فناجاه طويلا فقال بعض أصحابه...) الحديث [30] .

و في رواية جندب بن ناجية أو ناجية بن جندب:

(لمّا كان يوم غزوة الطائف قام النبيّ (ص) مع عليّ (ع) مليّا ثمّ مرّ، فقال له أبو بكر: يا رسول اللّه لقد طالت مناجاتك عليّا منذ اليوم!فقال:

«ما أنا انتجيته و لكنّ اللّه انتجاه») [31] .

و كان الإمام عليّ حريصا على أن يتلقى من رسول اللّه (ص) . و لمّا نزلت: **يَا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ اَلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً** المجادلة/12 [32] .

---

(28) الخطبة 190 من نهج البلاغة، 2/182-184.
(29) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب 13/173. و تاريخ بغداد للخطيب 7/402.
(30) أسد الغابة 4/27.
(31) كنز العمّال ط. الثانية، 12/200، ح 1122. و الرياض النضرة 2/265.
(32) تفسير السيوطي 6/185.

قال الطبري:

(نهوا عن مناجات النبيّ (ص) حتّى يتصدّقوا، فلم يناجه أحد إلاّ عليّ بن أبي طالب) [33] .

و في أسباب النزول للواحدي و غيره عن الإمام عليّ:

(كان لي دينار فبعته و كنت إذا ناجيت الرسول (ص) تصدّقت بدرهم حتّى نفد) [34] .

و في رواية:

(كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم فكنت إذا جئت إلى النبيّ (ص) ...) [35] .

و روى الزمخشري في تفسير الآية:

(أنّه تصدق في عشر كلمات سألهنّ رسول اللّه (ص)) .

و في رواية عن الإمام:

إنّ في كتاب اللّه لآية ما عمل بها أحد قبلي و لا يعمل بها أحد بعدي:

آية النجوى: **يَا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ...** الآية، كان عندي دينار-إلى قوله: -ثمّ نسخت فلم يعمل بها أحد، فنزلت: **أَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ...** المجادلة/13 [36]

هكذا كان مع رسول اللّه (ص) و لم يفارقه حتّى آخر لحظة من حياته.

قالت عائشة:

(قال رسول اللّه (ص) لمّا حضرته الوفاة:

«ادعوا لي حبيبي» ، فدعوا له أبا بكر، فنظر إليه، ثمّ وضع رأسه.

---

(33) تفسير الطبري 28/14-15. و الدرّ المنثور 6/185.
(34) أسباب النزول للواحدي ص 308، و الطبري في تفسير الآية.
(35) تفسير الآية في الدرّ المنثور 6/185. و الرياض النضرة 2/265.
(36) تفسير السيوطي 6/185. و الرياض النضرة 2/265. و الكشاف 4/76.

ثمّ قال: «ادعوا لي حبيبي» ، فدعوا له عمر، فلمّا نظر إليه، وضع رأسه.

ثمّ قال: «ادعوا لي حبيبي» فدعوا له عليّا (ع) ، فلمّا رآه أدخله في الثوب الّذي كان عليه فلم يزل يحتضنه حتّى قبض و يده عليه) [37] .

و عن ابن عباس:

(إنّ النبيّ ثقل و عنده عائشة و حفصة إذ دخل عليّ (ع) فلمّا رآه النبيّ (ص) رفع رأسه ثمّ قال: «ادن منّي، ادن منّي» ، فأسنده فلم يزل عنده حتّى توفي) [38] .

و عن أمّ سلمة قالت:

(و الّذي أحلف به أن كان عليّ (ع) لأقرب الناس عهدا برسول اللّه (ص) . عدنا رسول اللّه (ص) غداة و هو يقول: جاء عليّ؟جاء عليّ؟ مرارا، فقالت فاطمة: كأنّك بعثته في حاجة، قالت. فجاء بعد، قالت أمّ سلمة: فظننت أنّ له إليه حاجة فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب و كنت من أدناهم إلى الباب، فأكبّ عليه رسول اللّه (ص) و جعل يسارّه و يناجيه، ثمّ قبض رسول اللّه من يومه ذلك، فكان عليّ أقرب الناس عهدا) .

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد [39] .

عن ابن عباس، قال: قال رسول اللّه (ص) :

«من سرّه أن يحيى حياتي و يموت مماتي و يسكن جنّة عدن غرسها

(37) الرياض النضرة 2/237، ط. الثانية، مطبعة دار التأليف مصر، و ذخائر العقبى ص 72.
(38) مجمع الزوائد 9/36.
(39) مسند أحمد 6/300. و خصائص النسائي ص 40. و مستدرك الصحيحين 3/138-139.

ربّي، فليوال عليّا من بعدي، و ليوال وليّه، و ليقتد بالأئمة من بعدي فإنّهم عترتي خلقوا من طينتي، رزقوا فهما و علما، و ويل للمكذّبين بفضلهم من أمّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم اللّه شفاعتي» (40) .

إلى هنا ذكرنا ما ورد في حقّ الوصيّ الأوّل بعد الرسول (ص) ، و في ما يأتي نذكر ما ورد في شأن أوصياء الرسول بعد الوصيّ الأوّل.

---

(40) حلية الأولياء لأبي نعيم 1/86.

ما ورد في حقّ سبطي رسول اللّه (ص)

ذكرنا في ما سبق شيئا ممّا ورد في حقّ الإمام الأوّل عليّ بن أبي طالب.

و في ما يأتي نذكر ما ورد في حقّ سبطي رسول اللّه (ص) ، منه قوله لكلّ منهما: «هذا منّي» ، و قد عرفنا معنى (منّي) في البحث السابق.

الحسن و الحسين من رسول اللّه و سبطاه

في مسند أحمد عن المقدام بن معدي كرب:

أنّ رسول اللّه وضع الحسن في حجره و قال: «هذا منّي... » [1] .

و عن البراء بن عازب قال:

قال النبيّ (ص) للحسن أو الحسين: «هذا منّي» [2] .

و روى البخاري و الترمذي و ابن ماجة و أحمد و الحاكم عن يعلى بن مرّة أنّ رسول اللّه (ص) قال:

«حسين منّي و أنا من حسين، أحبّ اللّه من أحبّ حسينا، حسين سبط من الأسباط» [3] .

---

(1) مسند أحمد 4/132. و كنز العمال 13/99 و 100 و 16/262. و منتخب الكنز 5/106. و الجامع الصغير بشرح فيض القدير 3/145.
(2) كنز العمال 16/270.
(3) البخاري في الأدب المفرد باب معانقة الصبي ح 364. و الترمذي 13/195 في باب مناقب الحسن و الحسين. و ابن ماجة، كتاب المقدمة، باب 11، ح 144. و مسند أحمد 4/172.

و في رواية:

«الحسن و الحسين سبطان من الأسباط» [4] .

و عن أبي رمثة قال، قال رسول اللّه (ص) :

«حسين منّي و أنا منه هو سبط من الأسباط» [5] .

و في رواية:

«الحسن و الحسين سبطان من الأسباط» [6] .

و عن البراء بن عازب قال: قال رسول اللّه (ص) :

«حسين منّي و أنا منّه أحبّ اللّه من أحبّه، الحسن و الحسين سبطان من الأسباط» [7] .

إنّ قول رسول اللّه (ص) : «منّي» في هذه الروايات بحقّ الحسنين نظير قوله بحقّ أبيهما الإمام عليّ، أراد في جميعها، أنّهم منه في مقام تبليغ أحكام الإسلام.

و كذلك نرى أنّ قوله في حقّهما أنّهما سبطان من الأسباط، لا يعني أنّهما حفيدان كما أنّ جميع البشر ما عداهما حفدة، فهذا هذر من القول حاشا رسول اللّه (ص) منه، بل إنّ الألف و اللام في الأسباط للعهد الذهني من القرآن الكريم، أي: أنّهما من الأسباط المذكورين في كتاب اللّه في قوله تعالى:

قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَ مَا أُنْزِلَ إِلىَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ اَلْأَسْبَاطِ وَ مَا أُوتِيَ مُوسىَ وَ عِيسىَ وَ مَا أُوتِيَ اَلنَّبِيُّونَ مِنْ

قو مستدرك الحاكم 3/177. و وصف هو و الذهبي الحديث بانّه صحيح، و أسد الغابة 2/19 و 5/130.

(4) كنز العمال 16/270.

(5) كنز العمال 13/106.

(6) كنز العمال 13/101 و 105.

(7) كنز العمال 16/270.

رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ البقرة/136.

و قوله تعالى:

أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ اَلْأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارىَ... البقرة/140.

و قوله تعالى:

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ مَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَ مَا أُنْزِلَ عَلىَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ اَلْأَسْبَاطِ... آل عمران/84.

و قوله تعالى:

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلىَ نُوحٍ وَ اَلنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَوْحَيْنَا إِلىَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ اَلْأَسْبَاطِ وَ عِيسىَ وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هَارُونَ وَ سُلَيْمَانَ... النساء/163.

و عليه فإنّ الألف و اللام في «الأسباط» في حديث رسول اللّه (ص) بحقّ الحسنين للعهد الذهني عند المسلمين من هذه الآيات، و إنّ قول رسول اللّه (ص) في حقّهما نظير قوله في حقّ أبيهما: أنّه منه بمنزلة هارون من موسى، و قد شرح اللّه سبحانه تلك المنزلة فيما حكى عن موسى أنّه قال:

وَ اِجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي `هَارُونَ أَخِي `اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي `وَ أَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي `كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً `وَ نَذْكُرَكَ كَثِيراً `إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً `قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسىَ... طه/29-36.

و قوله تعالى:

وَ أَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ `قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ... القصص/34-35.

و قوله تعالى:

وَ قَالَ مُوسىَ لِأَخِيهِ هَارُونَ اُخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَ أَصْلِحْ وَ لاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ

اَلْمُفْسِدِينَ... الأعراف/142.

و فيما أخبر سبحانه عنهما و قال:

وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى اَلْكِتَابَ وَ جَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً... الفرقان/35.

و قال:

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسىَ وَ أَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ... المؤمنون/45.

في هذه الآيات جعل اللّه هارون ردءا لموسى و وزيرا و شريكا في النبوّة استخلفه موسى في قومه، فلمّا نصّ خاتم الأنبياء على أنّ عليّا منه بمنزلة هارون من موسى و استثنى من كلّ ذلك النبوّة و أنّه لا نبيّ بعده، بقي منها للإمام عليّ ردء و وزارة و مشاركة في التبليغ على عهد الرسول (ص) ، و من بعده الخلافة في قومه و حمل أعباء التبليغ. و كذلك الأمر مع ولديه الحسنين.

و نستثني النبوّة ممّا كان للأسباط لأنّه لا نبيّ بعد خاتم الأنبياء، و يبقى لهما حمل مسئولية تبليغ الأحكام الإسلامية عن اللّه.

أوردنا في ما سبق ما ورد في حقّ الأوصياء الثلاثة الأول بعد رسول اللّه (ص) و في ما يأتي نذكر ما ورد في شأن آخر أوصياء الرسول (ص) في السنّة النبويّة.

بشارات النبيّ (ص) بظهور المهديّ (ع) في آخر الزمان
المهديّ يواطئ اسمه اسم النبيّ (ص)

سنن الترمذي في باب ما جاء في المهدي (ع) ، و أبو داود في كتاب المهديّ و غيرهما قال رسول اللّه (ص) :

«لا تذهب الدنيا حتّى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي» [1] .

في مستدرك الصحيحين و مسند أحمد و غيرهما، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول اللّه (ص) :

«لا تقوم الساعة حتّى تملأ الأرض ظلما و جورا و عدوانا، ثمّ يخرج من أهل بيتي من يملأها قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و عدوانا» [2] .

---

(1) سنن الترمذي 9/74. و رواه أبو داود في صحيحه في كتاب المهديّ 2/7، و طبعة دار إحياء السنّة النبوية (د. ت) 4/106-107، ح 4282، و أبو نعيم في حليته 5/75. و أحمد بن حنبل في مسنده 1/376. و الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد 4/388. و كنز العمال ط. الأولى 7/188 بزيادة: (و خلقه خلقي) . و السيوطي في تفسير سورة محمد (ص) في تفسير الآية:

فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ اَلسَّاعَةَ... ، الدرّ المنثور 6/58.

(2) مستدرك الصحيحين 4/557. و رواه أبو نعيم في حليته 3/101 باختلاف يسير في اللفظ، و أحمد بن حنبل في مسنده 3/36، و غيرهم. و السيوطي في تفسير الآية: **فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ اَلسَّاعَةَ...** من سورة محمد (ص) 6/58.

إنّ المهدي (ع) من أهل بيت النبيّ (ص)

في سنن ابن ماجة في أبواب الجهاد عن أبي هريرة، قال:

قال رسول اللّه (ص) : «لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم لطوّله اللّه عزّ و جلّ حتّى يملك رجل من أهل بيتي، يملك جبل الديلم و القسطنطينية» .

و في سنن ابن ماجة-أيضا-في أبواب الفتن في باب خروج المهدي، و مسند أحمد و غيرهما، عن عليّ (ع) قال:

قال رسول اللّه (ص) : «المهدي منا أهل البيت يصلحه اللّه في ليلة» .

و رواه آخرون أيضا [3] .

و في مستدرك الصحيحين قال: عن أبي سعيد الخدري عن رسول اللّه (ص) :

أنّه قال: «المهديّ منّا أهل البيت، أشمّ الأنف، أقنى، أجلى، يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما، يعيش هكذا-و بسط يساره و إصبعين يمينة المسبّحة و الإبهام و عقد ثلاثة-» .

قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، و لم يخرجاه و رواه أبو داود أيضا [4] .

المهديّ (ع) من ولد فاطمة (ع)

و في سنن أبي داود عن أمّ سلمة قالت: سمعت رسول اللّه (ص)

---

(3) رواه أبو نعيم في حليته 3/177، و زاد فقال: في يومين، و رواه أحمد بن حنبل أيضا 1/84. و ذكر السيوطي في الدر المنثور 6/58 في تفسير سورة محمد (ص) الآية: **فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ اَلسَّاعَةَ** و قال: أخرجه ابن أبي شيبة و أحمد و ابن ماجة عن عليّ (ع) . كتاب الفتن، باب خروج المهدي ح 4085.

(4) مستدرك الصحيحين 4/557. و رواه أبو داود في صحيحه 6/136، كتاب المهدي من سنن أبي داود 4/107، ح 4285.

يقول: «المهديّ من عترتي من ولد فاطمة» [5] .

و في كنز العمّال قال: عن عليّ (ع) .

قال: «المهديّ رجل منّا من ولد فاطمة» [6] .

المهدي (ع) من ولد الحسين (ع)

و في ذخائر العقبى عن أبي أيّوب الأنصاري قال:

قال رسول اللّه (ص) : «يولد منهما-يعني الحسن و الحسين (ع) -مهديّ هذه الأمّة» [7] .

و في ذخائر العقبى-أيضا-قال: عن حذيفة أنّ النبيّ (ص) .

قال: «لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل ذلك اليوم حتّى يبعث اللّه رجلا من ولدي اسمه كاسمي، فقال سلمان: من أيّ ولدك يا رسول اللّه؟ قال: من ولدي هذا» ، و ضرب بيده على الحسين (ع) .

أكّد رسول اللّه (ص) في رواياته على إمامة الإمام الأوّل عليّ بن أبي طالب (ع) أكثر من سائر الأئمة، و على البشارة بآخرهم المهديّ، و على أنّ

---

(5) كتاب المهدي 4/7، ح 4284 باب خروج المهدي من كتاب الفتن 2/1368. و سنن أبي داود 7/134. و رواه ابن ماجة في صحيحه في أبواب الفتن في باب خروج المهدي و قال: المهديّ من ولد فاطمة. و رواه الحاكم أيضا في مستدرك الصحيحين 4/557 و قال: هو حقّ-يعني المهدي عليه السّلام-و هو من بني فاطمة. و ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال 2/24 و قال:

المهدي من ولد فاطمة. و ذكره السيوطي في الدرّ المنثور في تفسير سورة محمد (ص) من تفسير الآية **فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ اَلسَّاعَةَ** 6/58 و قال: أخرجه أبو داود و ابن ماجة و الطبراني و الحاكم عن أمّ سلمة.

(6) كنز العمال ط. الأولى 7/261.

(7) ذخائر العقبى ص 136.

عددهم اثنا عشر، لأنّه إذا ثبت الأوّل و الآخر و العدد، لا يبقى أدنى شك في من هم الأئمة الّذين عددهم اثنا عشر و أوّلهم الإمام عليّ و آخرهم المهدي، سلام اللّه عليهم أجمعين.

نصوص على إمامة أئمة أهل البيت (ع)

النصوص الواردة عن رسول اللّه (ص) على إمامة أهل البيت (ع) على الأمّة من بعده كثيرة، منها ما ورد في حقّ جميع أئمة أهل البيت، و أخرى تخصّ بعضهم. و ممّا ورد في عامّتهم حديث الثقلين.

حديث الثقلين

أ-في حجّة الوداع

روى الترمذي عن جابر، قال:

رأيت رسول اللّه في حجّته يوم عرفة و هو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول:

«يا أيّها الناس إنّي قد تركت فيكم، ما إن أخذتم به لن تضلّوا؛ كتاب اللّه و عترتي أهل بيتي» .

قال الترمذي: و في الباب عن أبي سعيد و زيد بن أرقم و حذيفة بن أسيد [1] .

---

(1) الترمذي 13/199 باب مناقب أهل بيت النبيّ. و راجع كنز العمّال 1/48.

ب-في غدير خمّ

في صحيح مسلم و مسند أحمد و سنن الدارمي و البيهقي و غيرها و اللفظ للأوّل، عن زيد بن أرقم، قال:

(إنّ رسول اللّه قام خطيبا بماء يدعى خمّا بين مكّة و المدينة... ثمّ قال:

«ألا يا أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، و إنّي تارك فيكم ثقلين: أوّلهما كتاب اللّه فيه الهدى و النور، فخذوا بكتاب اللّه و استمسكوا به... و أهل بيتي... ») (2) .

و في سنن الترمذي و مسند أحمد و اللفظ للأوّل:

«إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض، و عترتي أهل بيتي، و لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (3) .

و في مستدرك الصحيحين:

«كأنّي قد دعيت فأجبت، إنّي تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب اللّه، و عترتي؛ فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض... » (4) .

و في رواية:

---

(2) صحيح مسلم باب فضائل علي بن أبي طالب. و مسند أحمد 4/366. و سنن الدارمي 2/431 باختصار. و سنن البيهقي 2/148 و 7/30 منه باختلاف يسير في اللفظ. و راجع الطّحاوي في مشكل الآثار 4/368.

(3) الترمذي 13/201. و أسد الغابة 2/12 في ترجمة الإمام الحسن. و الدرّ المنثور في تفسير آية المودة من سورة الشورى.

(4) مستدرك الصحيحين و تلخيصه 3/109. و خصائص النسائي ص 30، و في مسند أحمد 3/17: «إنّي أوشك أن ادعى فأجيب» و في ص 14 و 26 و 59 منه أكثر تفصيلا. و طبقات ابن سعد 2/ق 2/2. و كنز العمّال 1/47 و 48 و في 97 موجزا.

«أيّها الناس إنّي تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن اتّبعتموهما، و هما كتاب اللّه و أهل بيتي عترتي... » .

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين [5] .

و قد ورد هذا الحديث بألفاظ أخرى في مسند أحمد و حلية الأولياء و غيرهما [6] عن زيد بن ثابت.

في الحديث السابق أخبر الرسول في آخر سنة من حياته: أنّه بشر، يوشك أن يأتيه رسول ربّه، و يدعى فيجيب و يلتحق بربّه، و قال: «إنّي تارك فيكم، ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب اللّه حبل ممدود من السماء إلى الأرض و عترتي أهل بيتي و لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» .

قاله مرّة في عرفة، و أخرى في غدير خمّ، و هذا النصّ من رسول اللّه في تعيين مرجع الأمّة من بعده، عمّ جميع الأئمة من عترته.

و في الروايات التالية:

نصّ الرسول (ص) على عددهم:
حديث عدد الأئمة

أخبر الرسول أنّ عدد الأئمة الّذين يلون من بعده اثنا عشر، كما روى عنه ذلك أصحاب الصحاح و المسانيد الآتية.

أ- روى مسلم عن جابر بن سمرة أنّه سمع النبيّ يقول:

---

(5) مستدرك الصحيحين 3/109 بطريقين، و قريب منه ما في 3/148.
(6) مسند أحمد 4/367 و 371 و 5/181. و تاريخ بغداد للخطيب 8/442. و حلية الأولياء 1/355 و 9/64. و أسد الغابة 3/147. و مجمع الزوائد للهيثمي 9/163 و 164.

«لا يزال الدين قائما حتّى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش» .

و في رواية:

«لا يزال أمر الناس ماضيا... » .

و في حديثين منهما:

«إلى اثني عشر خليفة... » .

و في سنن أبي داود:

«حتّى يكون عليكم اثنا عشر خليفة» .

و في حديث:

«إلى اثني عشر» [7] .

و في البخاري، قال: سمعت النبيّ (ص) يقول:

«يكون اثنا عشر أميرا» ، فقال كلمة لم أسمعها. فقال أبي: قال:

«كلّهم من قريش» .

و في رواية:

ثمّ تكلّم النبيّ (ص) بكلمة خفيت عليّ فسألت أبي: ما ذا قال رسول اللّه (ص) ؟فقال: «كلهم من قريش» [8] .

---

(7) صحيح مسلم 6/3-4 بباب الناس تبع لقريش من كتاب الإمارة. و اخترنا هذا اللفظ من الرواية لأنّ جابرا كان قد كتبها. و في صحيح البخاري 4/165، كتاب الأحكام. و سنن الترمذي باب ما جاء في الخلفاء من أبواب الفتن. و سنن أبي داود 3/106، كتاب المهدي. و مسند الطيالسي ح 767 و 1278. و مسند أحمد 5/86-90 و 92-101 و 106-108 و كنز العمّال 13/26-27. و حلية أبي نعيم 4/333.

و جابر بن سمرة بن جنادة العامري ثمّ السوائي، ابن أخت سعد بن أبي وقاص، و حليفهم، مات في الكوفة بعد السبعين، و روى عنه أصحاب الصحاح 146 حديثا، ترجمته بأسد الغابة.

و تقريب التهذيب. و جوامع السيرة ص 277.

(8) فتح الباري 16/338. و مستدرك الصحيحين 3/617.

و في رواية:

«لا تضرّهم عداوة من عاداهم» [9] .

ب- و في رواية:

«لا تزال هذه الأمّة مستقيما أمرها، ظاهرة على عدوّها، حتّى يمضي منهم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش، ثمّ يكون المرج أو الهرج» [10] .

ج- و في رواية:

«يكون لهذه الأمّة اثنا عشر قيّما لا يضرهم من خذلهم كلّهم من قريش» [11] .

د- «لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا» [12] .

هـ- و عن أنس:

«لن يزال هذا الدين قائما إلى اثني عشر من قريش فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها» [13] .

و- و في رواية:

«لا يزال أمر هذه الأمّة ظاهرا حتّى يقوم اثنا عشر كلّهم من قريش» [14]

ز- و روى أحمد و الحاكم و غيرهم و اللفظ للأوّل عن مسروق قال:

(كنّا جلوسا ليلة عند عبد اللّه (ابن مسعود) يقرئنا القرآن، فسأله رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول اللّه (ص) كم يملك هذه الأمّة من

---

(9) فتح الباري 16/338.
(10) منتخب الكنز 5/321. و تاريخ ابن كثير 6/249. و تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 10.
و كنز العمال 13/26. و الصواعق المحرقة ص 28.
(11) كنز العمال 13/27، و منتخبه 5/312.
(12) صحيح مسلم بشرح النووي 12/202. و الصواعق المحرقة ص 18، و تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 10.
(13) كنز العمال 13/27.
(14) كنز العمال 13/27 عن ابن النجار.

خليفة؟فقال عبد اللّه: ما سألني عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك، قال: سألناه فقال: اثنا عشر عدّة نقباء بني إسرائيل) (15) .

ح- و في رواية قال ابن مسعود: قال رسول اللّه:

«يكون بعدي من الخلفاء عدّة أصحاب موسى» (16) .

قال ابن كثير: (و قد روي مثل هذا عن عبد اللّه بن عمر و حذيفة و ابن عباس) (17) . و لست أدري هل قصد من رواية ابن عباس ما رواه الحاكم الحسكاني عن ابن عباس أو غيره.

نصّت الروايات الآنفة أنّ عدد الولاة اثنا عشر و أنّهم من قريش، و قد بيّن الإمام عليّ في كلامه المقصود من قريش و قال:

(إنّ الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم و لا يصلح الولاة من غيرهم) (18) . و قال:

(اللهمّ بلى لا تخلو الأرض من قائم للّه بحجّة إمّا ظاهرا مشهورا أو خائفا مغمورا لئلاّ تبطل حجج اللّه و بيّناته...) (19) .

---

(15) مسند أحمد 1/398 و 406.

قال أحمد شاكر في هامش الأول: اسناده صحيح.

و مستدرك الحاكم و تلخيصه للذهبي 4/501. و فتح الباري 16/339 مختصرا. و مجمع الزوائد 5/190. و الصواعق المحرقة لابن حجر ص 12. و تاريخ الخلفاء للسيوطي ص: 10.

و الجامع الصغير له 1/75. و كنز العمال للمتقي 13/27.

و قال: أخرجه الطبراني و نعيم بن حمّاد في الفتن.

و فيض القدير في شرح الجامع الصغير للمناوي 2/458. و أورد الخبرين ابن كثير في تاريخه عن ابن مسعود باب ذكر الأئمة الاثني عشر الّذين كلّهم من قريش 6/248-250.

(16) ابن كثير 6/248. و كنز العمال 13/27. و راجع شواهد التنزيل للحسكاني 1/455، ح 626.

(17) ابن كثير 6/248.

(18) نهج البلاغة الخطبة 142.

(19) ينابيع المودة للشيخ سليمان الحنفي في الباب المائة، ص 523. و راجع إحياء علوم الدين للغزالي 1/54. و في حلية الأولياء 1/80 بإيجاز.

و قال ابن كثير:

(و في التوراة الّتي بأيدي أهل الكتاب ما معناه: أنّ اللّه تعالى بشّر إبراهيم بإسماعيل و أنّه ينميه و يكثره و يجعل من ذرّيّته اثني عشر عظيما) .

و قال:

(قال ابن تيميّة: و هؤلاء المبشّر بهم في حديث جابر بن سمرة و قرّر أنهم يكونون مفرّقين في الأمّة و لا تقوم الساعة حتّى يوجدوا) .

و غلط كثير ممّن تشرف بالإسلام من اليهود فظنّوا أنّهم الّذين تدعو إليهم فرقة الرافضة فاتّبعوهم [20] .

قال المؤلف: و البشارة المذكورة، أعلاه في سفر التكوين، الإصحاح (17/الرقم:

18-20) من التوراة المتداولة في عصرنا. و قد جاءت هذه البشارة في الأصل العبري كالأتي:

جاء في سفر التكوين قول (الرب) لإبراهيم (ع) ما نصّه بالعبرية:

«في ليشّماعيل بيرختي أوتوؤ في هفريتي أوتو في هربيتي بمئود مئودا، شنيم عسار نسيئيم يوليد في نتتيف لكوي گدول» [21] .

و تعني حرفيا: «و إسماعيل أباركه، و أثمّره، و أكثّره جدا جدا، اثنا عشر إماما يلد، و أجعله أمة كبيرة» .

(20) تاريخ ابن كثير 6/249-250.
(21) «العهد القديم» سفر التكوين 17: 20، ص 22-23.

أشارت هذه الفقرة إلى أنّ المباركة، و الأثمار، و التكثير إنما يكون في صلب اسماعيل (ع) و «شنيم عسار» تعني «اثنا عشر» ، و لفظة «عسار» تأتي في «العدد التركيبي إذا كان المعدود مذكرا» [22] ، و المعدود هنا «نسيئيم» و هو مذكر و بصيغة الجمع لاضافة الـ (يم) في آخر الاسم، و المفرد «ناسى» و تعني: إمام، زعيم، رئيس» [23] .

و أما قول (الرب) لإبراهيم (ع) في الفقرة نفسها أيضا:

«في نتتيف كوي كدول» ، نلاحظ أنّ «في نتتيف» مكونة من حرف العطف (في) ، و الفعل (ناتن) بمعنى: (أجعل، أذهب) [24] ، و الضمير «يف» في آخر الفعل «نتتيف» يعود على إسماعيل (ع) ، أي «و أجعله» ، و أما كلمة (كوي) فتعني: «أمة، شعب» [25] ، و «كدول» تعني: «كبير، عظيم» [26] ، فتصبح (و أجعله أمة كبيرة) ، فيتضح من هذه الفقرة أنّ التكثير و المباركة إنّما هما في صلب إسماعيل (ع) ، مما يجعل القصد واضحا في الرسول محمد (ص) و أهل بيته (ع) باعتبارهم امتدادا لنسل إسماعيل (ع) ، ذلك لأن اللّه (تعالى) أمر إبراهيم بالخروج من بلاد «نمرود» إلى الشام، فخرج و معه امرأته «سارة» و «لوط» ، مهاجرين إلى حيث أمرهم اللّه (تعالى) ، فنزلوا أرض فلسطين.

و وسّع اللّه (تعالى) على إبراهيم (ع) في كثرة المال، فقال: «ربّ ما أصنع بالمال و لا ولد لي» ، فأوحى اللّه (عزّ و جلّ) إليه «إني مكثّر ولدك حتى يكونوا عدد النجوم» . و كانت «هاجر» جارية لسارة، فوهبتها لإبراهيم (ع) ، فحملت منه،

---

(22) «المعجم الحديث» عبري-عربي، ص 316.
(23) المصدر السابق، ص 360.
(24) المصدر السابق، ص 317.
(25) المصدر السابق، ص 84.
(26) المصدر السابق، ص 82.

و ولدت له إسماعيل (ع) ، و إبراهيم (ع) يومئذ ابن «ست و ثمانين سنة» (27) .

و القرآن الكريم يشير إلى هذه الحقيقة من خلال توجّه إبراهيم (ع) بالدعاء إلى اللّه تعالى: «ربّنا إنّي أسكنت من ذرّيّتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرّم ربّنا ليقيموا الصّلاة فاجعل أفئدة من النّاس تهوي إليهم و ارزقهم من الثّمرات لعلّهم يشكرون» (28) . فالآية الكريمة تؤكّد أن إبراهيم (ع) قد أسكن بعضا من ذرّيّته و هو إسماعيل (ع) و من ولد منه في مكّة و دعا اللّه تعالى أن يجعل في ذرّيّته الرّحمة و الهداية للبشرية ما بقي الدهر، فاستجاب اللّه لدعوته بأن جعل في ذرّيّته محمّدا (ص) و اثني عشر إماما من بعده. و قد قال الإمام الباقر (ع) : «نحن بقية تلك العترة و كانت دعوة إبراهيم لنا» (29) .

خلاصة الأحاديث الآنفة

نستخلص ممّا سبق و نستنتج: أنّ عدد الأئمة في هذه الأمّة اثنا عشر على التوالي، و أنّ بعد الثاني عشر منهم ينتهي عمر هذه الدنيا.

فقد ورد في الحديث الاوّل:

«لا يزال هذا الدين قائما حتّى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة... » .

فإنّ هذا الحديث يعيّن مدّة قيام الدين و يحدّدها بقيام الساعة، و يعيّن عدد الأئمة في هذه الأمّة باثنى عشر شخصا. و في الحديث الخامس:

«لن يزال هذا الدين قائما إلى اثني عشر من قريش فاذا هلكوا ماجت

---

(27) «تاريخ اليعقوبي» ج 1، ص 24-25، مؤسسة نشر ثقافة أهل البيت (قم)
(28) سورة إبراهيم، الآية: 37.
(29) نقلنا ما ورد في الأصل العبري من التوراة و التعليق عليها من مقال للاستاذ أحمد الواسطي في مجلة التوحيد، اصدار منظمة الإعلام الإسلامي في طهران. العدد: 54، ص 127-128

الأرض بأهلها» .

و يدل هذا الحديث على تأبيد وجود الدين بامتداد الاثني عشر و أن بعدهم تموج الأرض.

و في الحديث الثامن: حصر عددهم باثني عشر بقوله:

«يكون بعدي من الخلفاء عدّة أصحاب موسى» .

و يدلّ هذا الحديث على أنّه لا خليفة بعد الرسول عدا الاثني عشر. و أنّ ألفاظ هذه الروايات المصرّحة بحصر عدد الخلفاء بالاثني عشر و أنّ بعدهم يكون الهرج و تموج الأرض و قيام الساعة تبيّن ألفاظ الأحاديث الأخرى الّتي قد لا يفهم من ألفاظها هذا التصريح.

و بناء على هذا لا بدّ أن يكون عمر أحدهم طويلا خارقا للعادة في أعمار البشر كما وقع فعلا في مدّة عمر الثاني عشر من الأئمة أوصياء النبيّ (ص) .

حيرتهم في تفسير الحديث

لقد حار علماء مدرسة الخلفاء في بيان المقصود من الاثني عشر في الروايات المذكورة و تضاربت أقوالهم.

فقد قال ابن العربي في شرح سنن الترمذي:

(فعددنا بعد رسول اللّه (ص) اثني عشر أميرا فوجدنا أبا بكر، عمر، عثمان، عليّا، الحسن، معاوية، يزيد، معاوية بن يزيد، مروان، عبد الملك بن مروان، الوليد، سليمان، عمر بن عبد العزيز، يزيد بن عبد الملك، مروان بن محمد بن مروان، السفاح...) .

ثمّ عدّ بعده سبعا و عشرين خليفة من العباسيّين إلى عصره، ثمّ قال:

(و إذا عددنا منهم اثني عشر، انتهى العدد بالصورة إلى سليمان و إذا عددناهم بالمعنى كان معنا منهم خمسة، الخلفاء الأربعة و عمر بن عبد العزيز

و لم أعلم للحديث معنى) [30] .

و قال القاضي عياض في جواب القول: أنّه ولي أكثر من هذا العدد:

(هذا اعتراض باطل، لأنّه (ص) لم يقل: لا يلي إلاّ اثنا عشر، و قد ولي هذا العدد، و لا يمنع ذلك من الزيادة عليهم) [31] .

و نقل السيوطي في الجواب:

(انّ المراد: وجود اثني عشر خليفة في جميع مدة الإسلام إلى القيامة يعملون بالحقّ و إن لم يتوالوا) [32] .

و في فتح الباري:

(و قد مضى منهم الخلفاء الأربعة و لا بدّ من تمام العدة قبل قيام الساعة) [33] .

و قال ابن الجوزي:

(و على هذا فالمراد من «ثمّ يكون الهرج» : الفتن المؤذنة بقيام الساعة من خروج الدجال و ما بعده) [34] .

قال السيوطي:

(و قد وجد من الاثني عشر الخلفاء الأربعة و الحسن و معاوية و ابن الزبير و عمر بن عبد العزيز، هؤلاء ثمانية، و يحتمل أن يضمّ إليهم المهديّ العباسي لأنّه في العباسيّين كعمر بن عبد العزيز في الأمويّين، و الطاهر العباسي أيضا لما أوتيه من العدل و يبقى الاثنان المنتظران أحدهما المهديّ لأنّه من أهل

---

(30) شرح ابن العربي على سنن الترمذي 9/68-69.
(31) شرح النووي على مسلم 12/201-202. و فتح الباري 16/339. و اللفظ منه و كرّره في ص 341.
(32) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 12.
(33) فتح الباري 16/341. و تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 12.
(34) فتح الباري 16/341. و تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 12.

البيت) [35]

و قيل:

(المراد: أن يكون الاثنا عشر في مدّة عزّة الخلافة و قوة الإسلام و استقامة أموره، ممّن يعزّ الإسلام في زمنه، و يجتمع المسلمون عليه) [36] .

و قال البيهقي:

(و قد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك ثمّ وقع الهرج و الفتنة العظيمة ثمّ ظهر ملك العباسية، و إنّما يزيدون على العدد المذكور في الخبر، إذا تركت الصفة المذكورة فيه، أو عدّ منهم من كان بعد الهرج المذكور) [37] .

و قالوا:

(و الّذين اجتمعوا عليه: الخلفاء الثلاثة ثمّ عليّ إلى أن وقع أمر الحكمين في صفّين فتسمّى معاوية يومئذ بالخلافة، ثمّ اجتمعوا على معاوية عند صلح الحسن، ثمّ اجتمعوا على ولده يزيد و لم ينتظم للحسين أمر بل قتل قبل ذلك، ثمّ لمّا مات يزيد اختلفوا إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير، ثمّ اجتمعوا على أولاده الأربعة: الوليد، ثمّ سليمان، ثمّ يزيد، ثمّ هشام، و تخلل بين سليمان و يزيد عمر بن عبد العزيز، و الثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك اجتمع الناس عليه بعد هشام تولى أربع سنين) [38] .

---

(35) الصواعق المحرقة ص 19 و تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 12. و على هذا يكون لأتباع مدرسة الخلفاء، إمامان منتظران أحدهما المهديّ، في مقابل منتظر واحد لأتباع مدرسة أهل البيت.

(36) أشار إليه النووي في شرح مسلم 12/202-203. و ذكره ابن حجر في فتح الباري 16/338-341. و السيوطي في تاريخ الخلفاء ص 10.

(37) نقله ابن كثير في تاريخه 6/249 عن البيهقي.

(38) تاريخ الخلفاء ص 11. و الصواعق ص: 19. و فتح الباري 16/341.

بناء على هذا فإنّ خلافة هؤلاء الاثني عشر كانت صحيحة لإجماع المسلمين عليهم و كان الرسول قد بشّر المسلمين بخلافتهم له في حمل الإسلام إلى الناس.

قال ابن حجر عن هذا الوجه: (إنّه أرجح الوجوه) .

و قال ابن كثير:

(إنّ الّذي سلكه البيهقي و وافقه عليه جماعة من أن المراد هم الخلفاء المتتابعون إلى زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق الّذي قدمنا الحديث فيه بالذمّ و الوعيد فإنّه مسلك فيه نظر، و بيان ذلك أنّ الخلفاء إلى زمن الوليد بن يزيد هذا أكثر من اثني عشر على كلّ تقدير، و برهانه أنّ الخلفاء الأربعة، أبو بكر و عمر و عثمان و عليّ خلافتهم محقّقة... ثمّ بعدهم الحسن بن عليّ كما وقع لأنّ عليا أوصى إليه، و بايعه أهل العراق... حتّى اصطلح هو و معاوية... ثمّ ابنه يزيد بن معاوية، ثمّ ابنه معاوية بن يزيد، ثمّ مروان بن الحكم، ثمّ ابنه عبد الملك بن مروان، ثمّ ابنه الوليد بن عبد الملك، ثمّ سليمان بن عبد الملك، ثمّ عمر بن عبد العزيز، ثمّ يزيد بن عبد الملك، ثمّ هشام بن عبد الملك، فهؤلاء خمسة عشر، ثمّ الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فإن اعتبرنا ولاية ابن الزبير قبل عبد الملك صاروا ستّة عشر، و على كلّ تقدير فهم اثنا عشر قبل عمر بن عبد العزيز، و على هذا التقدير يدخل في الاثني عشر يزيد بن معاوية و يخرج عمر بن عبد العزيز، الّذي أطبق الأئمة على شكره و على مدحه و عدّوه من الخلفاء الراشدين، و أجمع الناس قاطبة على عدله، و أنّ أيّامه كانت من أعدل الأيام حتّى الرافضة يعترفون بذلك، فإن قال: أنا لا أعتبر إلاّ من اجتمعت الأمّة عليه لزمه على هذا القول أن لا يعدّ عليّ بن أبي طالب و لا ابنه، لأنّ الناس لم يجتمعوا عليهما و ذلك أنّ أهل الشام بكمالهم لم يبايعوهما.

و ذكر:

أنّ بعضهم عدّ معاوية و ابنه يزيد و ابن ابنه معاوية بن يزيد، و لم يقيد بأيام مروان و لا ابن الزبير، لأنّ الأمّة لم تجتمع على واحد منهما، فعلى هذا نقول في مسلكه هذا عادّا للخلفاء الثلاثة، ثمّ معاوية، ثمّ يزيد، ثمّ عبد الملك، ثم الوليد بن سليمان، ثمّ عمر بن عبد العزيز، ثمّ يزيد، ثمّ هشام، فهؤلاء عشرة، ثمّ من بعدهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق، و يلزمه منه إخراج عليّ و ابنه الحسن، و هو خلاف ما نصّ عليه أئمة السنة بل الشيعة) (39) .

و نقل ابن الجوزي في كشف المشكل وجهين في الجواب:

أولا: (انّه (ص) أشار في حديثه إلى ما يكون بعده و بعد أصحابه، و إنّ حكم أصحابه مرتبط بحكمه، فأخبر عن الولايات الواقعة بعدهم، فكأنّه أشار بذلك إلى عدد الخلفاء من بني أميّة، و كأنّ قوله: «لا يزال الدين» أي الولاية إلى أن يلي اثنا عشر خليفة، ثمّ ينتقل إلى صفة أخرى أشدّ من الأولى، و أوّل بني أميّة يزيد بن معاوية و آخرهم مروان الحمار، و عدّتهم ثلاثة عشر، و لا يعدّ عثمان و معاوية و لا ابن الزبير لكونهم صحابة، فإذا أسقطنا منهم مروان بن الحكم للاختلاف في صحبته، أو لأنّه كان متغلّبا بعد أن اجتمع الناس على عبد اللّه بن الزبير، صحّت العدّة، و عند خروج الخلافة من بني أميّة وقعت الفتن العظيمة و الملاحم الكثيرة حتّى استقرّت دولة بني العبّاس فتغيّرت الأحوال عمّا كانت عليه تغييرا بيّنا) (40) .

و قد ردّ ابن حجر في فتح الباري على هذا الاستدلال.

---

(39) تاريخ ابن كثير 6/249-250.

(40) فتح الباري 16/340، عن ابن الجوزي في كتابه (كشف المشكل) .

و نقل ابن الجوزي الوجه الثاني عن الجزء الّذي جمعه أبو الحسين بن المنادي في المهدي، و أنّه قال:

(يحتمل أن يكون هذا بعد المهدي الّذي يخرج في آخر الزمان، فقد وجدت في كتاب دانيال: إذا مات المهدي، ملك بعده خمسة رجال من ولد السبط الأكبر، ثمّ خمسة من ولد السبط الأصغر، ثمّ يوصي آخرهم بالخلافة لرجل من ولد السبط الأكبر، ثمّ يملك بعده ولده فيتمّ بذلك اثنا عشر ملكا كلّ واحد منهم إمام مهديّ، قال: و في رواية... ثمّ يلي الأمر بعده اثنا عشر رجلا: ستّة من ولد الحسن، و خمسة من ولد الحسين، و آخر من غيرهم، ثمّ يموت فيفسد الزمان) .

علّق ابن حجر على الحديث الأخير في صواعقه و قال:

(إنّ هذه الرواية واهية جدّا فلا يعول عليها) [41] .

و قال قوم:

(يغلب على الظنّ أنّه عليه الصلاة و السلام أخبر-في هذا الحديث-بأعاجيب تكون بعده من الفتن حتّى يفترق الناس في وقت واحد على اثني عشر أميرا، و لو أراد غير هذا لقال: يكون اثنا عشر أميرا يفعلون كذا، فلمّا أعراهم عن الخبر عرفنا أنّه أراد أنّهم يكونون في زمن واحد...) [42] .

قالوا:

(و قد وقع في المائة الخامسة، فإنّه كان في الأندلس وحدها ستّة أنفس كلّهم يتسمّى بالخلافة و معهم صاحب مصر و العباسية ببغداد إلى من كان يدّعي الخلافة في أقطار الأرض من العلوية و الخوارج) [43] .

---

(41) فتح الباري 16/341. و الصواعق المحرقة لابن حجر ص 19.
(42) فتح الباري 16/338.
(43) شرح النووي 12/202. و فتح الباري 16/339. و اللفظ للاخير.

قال ابن حجر: (و هو كلام من لم يقف على شيء من طرق الحديث غير الرواية الّتي وقعت في البخاري هكذا مختصرة...) [44] . و قال:

(إنّ وجودهم في عصر واحد يوجد عين الافتراق فلا يصحّ أن يكون المراد) [45] .

قال المؤلف: هكذا لم يتّفقوا على رأي في تفسير الروايات السابقة، ثمّ إنّهم أهملوا إيراد الروايات الّتي ذكر الرسول (ص) فيها أسماء الاثني عشر لأنّها كانت تخالف سياسة الحكم بمدرسة الخلفاء مدى القرون. و خرّجها المحدّثون بمدرسة أهل البيت في تآليفهم بسندهم إلى أبرار الصحابة عن رسول اللّه (ص) و نقتصر هنا على إيراد نزر يسير منها في ما يأتي ممّا رواه الفريقان:

أسماء الاثني عشر لدى مدرسة الخلفاء:

أ- الجويني [46] عن عبد اللّه بن عباس، قال: قال رسول اللّه: أنا سيّد النبيين و عليّ بن أبي طالب سيّد الوصيّين، و أنّ أوصيائي بعدي اثنا عشر، أوّلهم عليّ بن أبي طالب و آخرهم المهدي.

ب- الجويني-أيضا-بسنده عن ابن عباس، قال: قال رسول اللّه:

إنّ خلفائي و أوصيائي و حجج اللّه على الخلق بعدي الاثني عشر أوّلهم أخي و آخرهم ولدي.

---

(44) فتح الباري 16/338.
(45) فتح الباري 16/339.
(46) قال الذهبي في ترجمة شيوخه بتذكرة الحفاظ ص 1505: الإمام، المحدّث الأوحد، الأكمل، فخر الإسلام، صدر الدين إبراهيم بن محمد بن حمويه الجويني الشافعي، شيخ الصوفية. و كان شديد الاعتناء بالرواية و تحصيل الأجزاء. أسلم على يده غازان الملك.

قيل: يا رسول اللّه، و من أخوك؟ قال: علي بن أبي طالب.

قيل: فمن ولدك؟ قال: المهدي الّذي يملأها قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما. و الّذي بعثني بالحقّ بشيرا و نذيرا لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل اللّه ذلك اليوم حتّى يخرج فيه ولدي المهدي فينزل روح اللّه عيسى بن مريم فيصلّي خلفه، و تشرق الأرض بنور ربّها و يبلغ سلطانه المشرق و المغرب.

ج- الجويني-أيضا-بسنده قال: سمعت رسول اللّه (ص) يقول:

أنا و عليّ و الحسن و الحسين و تسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون [47] .

اقتضت سياسة الحكم لدى مدرسة الخلفاء مدى القرون إخفاء أمثال الأحاديث الآنفة عن أبناء الأمة الإسلامية و إسدال الستار عليها. و جاهد القسم الأكبر من أتباع مدرستهم في هذا السبيل كما مرّ بنا فعلهم بأمثالها في بحث دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنّة الرسول (ص) الّتي تخالف اتجاهها.

و ليس هذا مجال إيراد تلكم الأحاديث، و إنّما نورد في ما يأتي تراجم الاثني عشر الّذين تواترت الإشارة إليهم و التنصيص على أسمائهم في أحاديث الرسول (ص) :

تراجم الأئمة الاثني عشر بعد الرسول (ص)

الإمام الأوّل:

(47) الأحاديث أ، ب، ج وردت في فرائد السمطين نسخة مصورة مخطوطة في المكتبة المركزية لجامعة طهران برقم 1690/1164-1691 الورقة 160.

أمير المؤمنين عليّ (ع) .

أبوه: أبو طالب بن عبد المطّلب بن هاشم.

أمّه: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

كنيته: أبو الحسن و الحسين، أبو تراب.

لقبه: الوصيّ، أمير المؤمنين.

مولده: ولد في الكعبة بيت اللّه الحرام [48] ، سنة ثلاثين بعد عام الفيل.

وفاته: قتله الخارجي عبد الرحمن بن ملجم بالكوفة في رمضان سنة أربعين للهجرة. و دفن خارج الكوفة في النجف الأشرف.

الإمام الثاني:

الحسن بن عليّ بن أبي طالب.

أمّه: فاطمة الزهراء بنت رسول اللّه (ص) .

كنيته: أبو محمد.

لقبه: السبط الأكبر، المجتبى.

مولده: ولد في المدينة في النصف من رمضان سنة ثلاث بعد الهجرة.

وفاته: توفّي لخمس ليال بقين من ربيع الأول سنة خمسين للهجرة.

و دفن بالبقيع في المدينة المنورة.

الإمام الثالث:

الحسين بن علي بن أبي طالب.

أمّه: فاطمة الزهراء بنت رسول اللّه (ص) .

(48) إنّ أمّه فاطمة بنت أسد كانت تطوف بالبيت و هي حامل بعليّ (ع) فضربها الطلق ففتح لها باب الكعبة فدخلت فوضعته فيها، المستدرك 3/483. و راجع تذكرة خواصّ الأمّة ص 10.

و المناقب لابن المغازلي ص 7.

كنيته: أبو عبد اللّه.

لقبه: السبط، شهيد كربلاء.

مولده: ولد في المدينة في شعبان سنة أربع للهجرة.

وفاته: قتله جيش الخليفة يزيد مع أهل بيته و أنصاره في محرم سنة إحدى و ستّين. و قبره في كربلاء من مدن العراق [49] .

الإمام الرابع:

عليّ بن الحسين الشهيد.

أمّه: غزالة، و قيل: شاه زنان.

كنيته: أبو الحسن.

لقبه: زين العابدين، السجّاد.

مولده: ولد في المدينة سنة ثمان و ثلاثين أو سبع و ثلاثين أو ثلاث و ثلاثين.

وفاته: توفي سنة أربع و تسعين للهجرة. و دفن في البقيع إلى جانب عمّه الحسن السبط [50] .

الإمام الخامس:

محمد بن عليّ السجاد.

أمّه: أمّ عبد اللّه بنت الحسن بن عليّ.

---

(49) راجع تراجم الأئمة، على و ابنيه الحسن و الحسين عليهم السلام في ذكر حوادث سنة 40 و 50 و 60 للهجرة بتاريخ الطبري، و ابن الاثير و الذهبي و ابن كثير، و في ذكر تراجمهم بتاريخ بغداد و دمشق، و الاستيعاب و أسد الغابة و الإصابة، و طبقات ابن سعد، و لم يطبع في الطبعة الأوربية و البيروتية من طبقات ابن سعد ترجمة السبطين و إنما طبع بعد ذلك.

(50) راجع ترجمته في ذكر حوادث سنة 94 هـ بتاريخ ابن الاثير و ابن كثير و الذهبيّ، و ترجمته بطبقات ابن سعد و حلية الأولياء. و وفيات الأعيان. و تاريخ اليعقوبي 2/303. و المسعودي 3/160.

كنيته: أبو جعفر.

لقبه: الباقر.

مولده: ولد في المدينة سنة خمس و أربعين للهجرة.

وفاته: توفي سنة سبع عشرة و مائة للهجرة. و دفن في البقيع إلى جانب أبيه [51] .

الإمام السادس:

جعفر بن محمد الباقر.

أمّه: أمّ فروة بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر.

كنيته: أبو عبد اللّه.

لقبه: الصادق.

مولده: ولد في المدينة سنة ثلاث و سبعين للهجرة.

وفاته: توفي سنة ثمان و أربعين و مائة للهجرة. و دفن في البقيع إلى جانب أبيه [52] .

الإمام السابع:

موسى بن جعفر الصادق.

أمّه: حميدة.

كنيته: أبو الحسن.

---

(51) راجع ترجمته بتذكرة الحفاظ للذهبي. و وفيات الأعيان. و صفوة الصفوة. و حلية الأولياء. و تاريخ اليعقوبي 2/320. و تاريخ الإسلام للذهبي. و تاريخ ابن كثير في ذكرهما حوادث سنة 115 و 117 و 118.

(52) راجع ترجمته بحلية الأولياء و وفيات الأعيان و تاريخ اليعقوبي 2/381. و المسعودي 3/346.

لقبه: الكاظم.

مولده: ولد في المدينة سنة ثمان و عشرين و مائة للهجرة.

وفاته: توفّي سنة ثلاث و ثمانين و مائة للهجرة في سجن الخليفة هارون الرشيد ببغداد. و دفن في مقابر قريش في الجانب الغربي من بغداد يوم ذاك، و في مدينة الكاظمية في العراق اليوم (53) .

الإمام الثامن:

علي بن موسى الكاظم.

أمّه: الخيزران.

كنيته: أبو الحسن.

لقبه: الرضا.

مولده: ولد سنة ثلاث و خمسين و مائة للهجرة في المدينة المنورة.

وفاته: توفّي سنة ثلاث و مائتين. و دفن بطوس خراسان (54) .

الإمام التاسع:

محمد بن عليّ الرضا.

أمّه: سكينة.

كنيته: أبو عبد اللّه.

لقبه: الجواد.

---

(53) راجع ترجمته في مقاتل الطالبيين و تاريخ بغداد. و وفيات الأعيان و صفوة الصفوة.

و تاريخ ابن كثير 2/18. و تاريخ اليعقوبي 2/414.

(54) راجع ترجمته بتاريخ الطبري. و ابن الأثير. و تاريخ الإسلام للذهبي و تاريخ ابن كثير في ذكر حوادث سنة 203 هـ، و وفيات الأعيان. و تاريخ اليعقوبي 2/453. و المسعودي 3/441.

مولده: ولد سنة خمس و تسعين و مائة للهجرة في المدينة المنورة.

وفاته: توفّي سنة مائتين و عشرين للهجرة ببغداد. و دفن إلى جانب جدّه موسى بن جعفر بمقابر قريش (55) .

الإمام العاشر:

عليّ بن محمد الجواد.

أمّه: سمّانة المغربية.

كنيته: أبو الحسن العسكري.

لقبه: الهادي.

مولده: سنة أربع عشرة و مائتين للهجرة في المدينة المنورة.

وفاته: توفي سنة أربع و خمسين و مائتين. و دفن بمدينة سامراء (سر من رأى) بالعراق (56) .

الإمام الحادي عشر:

الحسن بن عليّ الهادي.

أمّه: أمّ ولد اسمها سوسن.

كنيته: أبو محمد.

لقبه: العسكري.

مولده: ولد سنة إحدى و ثلاثين و مائتين في سرّ من رأى.

---

(55) راجع ترجمته بتاريخ بغداد 3/54. و وفيات الأعيان. و شذرات الذهب 2/48. و المسعودي 3/464.

(56) راجع ترجمته بتاريخ بغداد 12/56. و وفيات الأعيان. و تاريخ اليعقوبي 2/484. و المسعودي 4/84.

وفاته: توفي سنة ستّين و مائتين. و دفن في سرّ من رأى [57] .

و قبور جميع الأئمة الأحد عشر المذكورين يزورها المسلمون اليوم و عليها قباب عالية عدا الأئمة الأربعة المدفونين في البقيع بالمدينة المنورة، فإنّ الحكم الوهّابي لما دخل المدينة هدمها مع سائر قبور أزواج الرسول (ص) و قبور صحابته.

الإمام الثاني عشر:

الحجة محمد بن الحسن العسكري.

أمّه: أمّ ولد يقال لها نرجس، و قيل: صيقل.

كنيته: أبو عبد اللّه، أبو القاسم.

لقبه: القائم، المنتظر، الخلف، المهدي صاحب الزمان.

مولده: ولد في سامراء سنة خمس و خمسين و مائتين.

و هو آخر الأئمة، و هو حيّ يرزق [58] .

تنبيه مهم

ورد في إحدى الروايات الماضية:

«... يمضي منهم اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش، ثمّ يكون المرج و الهرج» .

و في أخرى:

«لن يزال هذا الدين قائما إلى اثني عشر من قريش، فإذا هلكوا ماجت

---

(57) راجع ترجمته في وفيات الأعيان. و تذكرة خواص الأمّة لسبط ابن الجوزي الحنفي. و مطالب السئول في مناقب آل الرسول للشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (ت: 654 هـ) . و تاريخ اليعقوبي 2/503.

(58) تذكرة خواص الأمّة لسبط ابن الجوزي. و مطالب السئول. و وفيات الأعيان.

الأرض بأهلها» .

و كلا اللّفظين يدلاّن على نهاية العالم بعد الثاني عشر ممّن يأتون من بعد النبيّ (ص) ، و على هذا فلا بدّ أن يطول عمر أحد الاثني عشر إلى نهاية الدنيا، و هذا ما وقع فعلا بطول عمر الوصيّ الثاني عشر المهدي، محمد بن الحسن العسكري (ع) ، فإنّ مجموع الروايات يصدق على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام المذكورين و لا يصدق على من سواهم. و الحمد للّه. ـ

الفصل الرابع خلاصة بحث الإمامة لدى المدرستين

الواقع التاريخي لإقامة الخلافة في صدر الإسلام أقوال مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة مناقشة مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة و الإمامة الاستدلال بكلام الإمام عليّ (ع) وجوب طاعة الحاكم و عدم عزله بالفسق و إعلان المعصية الإمامة لدى مدرسة أهل البيت عليهم السلام أوصياء النبيّ (ص) الاثنا عشر من بعده اتّجاه السلطة الحاكمة زهاء ثلاثة عشر قرنا

الواقع التاريخي لإقامة الخلافة في صدر الإسلام

ينبغي أن ندرس الواقع التاريخي لإقامة الخلافة قبل البدء بعرض آراء المدرستين في الخلافة و الإمامة.

بداية الأمر:

عقد رسول اللّه في مرض وفاته لواء بيده لمولاه أسامة بن زيد، و أمّره على جيش فيه المهاجرون و الأنصار، مثل أبي بكر و عمر و أبي عبيدة و سعد بن أبي وقّاص، فعسكر بالجرف و غضب عليهم لما تكلّموا في تأميره أسامة عليهم و قال: إنّه لخليق بالإمارة، فذهبوا إلى معسكرهم و ثقل رسول اللّه فجاء أسامة و ودّعه، و قال الرسول: انفذوا بعث أسامة، و في ما همّوا بالرحيل يوم الاثنين جاءهم الخبر أن الرسول قد حضر [1] ، فأقبلوا إلى المدينة، و حضروا في بيت الرسول فقال: هلمّوا أكتب لكم كتابا لن تضلّوا بعده أبدا. فقال عمر: إنّ النبيّ غلبه الوجع و عندكم كتاب اللّه، فحسبنا كتاب اللّه، فلمّا أكثروا اللّغط و الاختلاف قال: قوموا عنّي، لا ينبغي عند نبيّ التنازع.

قال ابن عبّاس: فتنازعوا و لا ينبغي عند نبيّ التنازع، فقالوا: هجر

---

(1) حضر: حضره الموت.

رسول اللّه، و بكى ابن عبّاس حتّى خضب دمعه الحصباء.

موقف الخليفة عمر:

توفّي الرسول و أبو بكر غائب بالسنح فأخذ عمر يقول: ما مات رسول اللّه و لكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى و غاب عن قومه أربعين ليلة، و اللّه ليرجعنّ رسول اللّه فليقطعنّ أيدي رجال يزعمون أنّه مات. و قال: من قال إنّه مات علوت رأسه بسيفي، فتلوا عليه الآية: **وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ اَلرُّسُلُ أَ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ اِنْقَلَبْتُمْ عَلىَ أَعْقَابِكُمْ** آل عمران/144.

و قال له العبّاس: إنّ رسول اللّه قد مات، هل عند أحدكم عهد من رسول اللّه في وفاته فليحدّثنا.

لم ينته عمر من كلامه و تهديده حتّى ازبدّ شدقاه، و لمّا أقبل الخليفة أبو بكر و تلا الآية **وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ...** ، سكت عمر.

سقيفة بني ساعدة و بيعة أبي بكر

اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة و جثمان رسول اللّه (ص) بين أهله يغسلونه، و أخرجوا سعد بن عبادة-و كان مريضا-فذكر سابقة الأنصار و قال: استبدّوا بهذا الأمر، فأجابوا: قد وفقت في الرأي و لن نعدو ما رأيت، نولّيك هذا الأمر. فسمع بذلك أبو بكر و عمر فأسرعا مع جماعتهما إلى السقيفة، و ذكر أبو بكر سابقة المهاجرين و قال: هم أولياؤه و عشيرته و أحقّ الناس بهذا الأمر من بعده و لا ينازعهم ذلك إلاّ ظالم.

فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الأنصار أملكوا عليكم أمركم، فإنّ الناس في فيئكم و لن يجترئ مجترئ على خلافكم فإن أبى هؤلاء إلاّ ما سمعتم، فمنّا أمير و منهم أمير.

فقال عمر: هيهات لا يجتمع اثنان في قرن... لا ترضى العرب أن يؤمّروكم و نبيّها من غيركم.

و هدّد أحدهما الآخر بالقتل.

فقالت الأنصار أو بعض الأنصار: لا نبايع إلاّ عليّا. فتخوّف عمر من الاختلاف و قال لأبي بكر: ابسط يدك أبايعك. و سبقه بشير بن سعد و بايع، فناداه الحباب بن المنذر: عققت عقاق أ نفست على ابن عمّك الإمارة!؟ و بايع عمر و أبو عبيدة، و قالت الأوس: لئن وليتها الخزرج مرّة لا زالت لهم الفضيلة عليكم و ما جعلوا لكم فيها نصيبا، فبايعوا أبا بكر، فانكسر على سعد بن عبادة و الخزرج و كادوا يطئون سعد بن عبادة، فقال أصحابه: اتّقوا سعدا لا تطئوه.

فقال عمر: اقتلوه قتله اللّه.

ثمّ قام على رأسه فقال: لقد هممت أن أطأك حتّى تندر [2] عضوك. فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر فقال: و اللّه لو حصصت منه شعرة ما رجعت و في فيك واضحة.

فقال أبو بكر: مهلا يا عمر، الرفق هاهنا أبلغ. فأعرض عنه عمر.

فحمل سعد إلى بيته.

و أخرج أبو بكر من السقيفة، و جاءت قبيلة أسلم فبايعت، فانتصر بهم أبو بكر، و أقبلت الجماعة تزفّه إلى مسجد رسول اللّه (ص) . فصعد المنبر، و شغلوا عن دفن رسول اللّه حتّى كان يوم الثلاثاء، فجاءوا إلى المسجد ثانية فجلس أبو بكر على منبر رسول اللّه و وقف عمر و قال: إنّ قوله بالأمس لم يكن من كتاب اللّه و لا عهدا من رسوله، و لكنّه كان يرى أنّ الرسول (ص) سيدبّر أمرهم و يكون آخرهم، و إن اللّه أبقى فيهم القرآن يهتدون به، و قد جمع

(2) تندر عضوك: حتّى تسقط أعضاؤك.

أمركم على صاحب رسول اللّه، قوموا فبايعوه، فبايعه الناس عندئذ بعد بيعة السقيفة، ثمّ خطب أبو بكر فقال: قد وليت عليكم و لست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني....

شغلوا عن رسول اللّه بقيّة الاثنين و ليلة الثلاثاء و يوم الثلاثاء، و صلّى المسلمون على رسول اللّه زمرا زمرا، و خلّى أصحاب رسول اللّه (ص) بين جثمانه و أهله، فولوا إجنانه [3] . و لم يشهد أبو بكر و عمر غسل الرسول (ص) و تكفينه و دفنه.

قالت عائشة: ما علمنا بدفن الرسول حتّى سمعنا صوت المساحي في جوف اللّيل.

و تخلّف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين و الأنصار و بنو هاشم و مالوا مع عليّ بن أبي طالب.

فذهبوا إلى العباس ليستميلوه فجابههم بالردّ.

و تحصّن في دار فاطمة جماعة من بني هاشم و جمع من المهاجرين و الأنصار، فبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة و قال له: إن أبوا فقاتلهم.

فأقبل بقبس نار على أن يضرم عليهم الدار، فلقيتهم فاطمة فقالت:

يا ابن الخطاب أ جئت لتحرق دارنا؟قال: نعم، أو تدخلوا في ما دخلت فيه الأمّة.

و إليه أشار أبو بكر في مرض موته حين قال:

(أمّا إنّي لا آسي على شيء في الدنيا إلاّ على ثلاث فعلتهنّ وددت أنّي لم أفعلهن... فوددت أنّي لم أكشف عن بيت فاطمة و لو أغلق على حرب...) .

---

(3) تولوا دفنه.

ثمّ إنّ عليّا حمل فاطمة ليلا إلى بيوت الأنصار يسألهم النصرة و تسألهم فاطمة الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنت رسول اللّه مضت بيعتنا لهذا الرجل، و لو كان ابن عمّك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به، فيقول عليّ:

أ فكنت أترك رسول اللّه (ص) في بيته لم أجهّزه و أخرج إلى الناس أنازعهم في سلطانه؟و تقول فاطمة: ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغي له، و لقد صنعوا ما اللّه حسبهم.

و كان معاوية يعيّر أمير المؤمنين عليّا بهذا الموقف و يقول:

(و أعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلا على حمار و يداك في يدي ابنيك الحسن و الحسين يوم بويع أبو بكر الصدّيق، فلم تدع أحدا من أهل بدر و السوابق ألاّ دعوتهم إلى نفسك و مشيت إليهم بامرأتك و أدللت إليهم بابنيك و استنصرتهم على صاحب رسول اللّه... فلم يجبك منهم إلاّ أربعة أو خمسة... و مهما نسيت فلا أنسى قولك لأبي سفيان لمّا حرّكك و هيجك:

لو وجدت أربعين ذوي عزم لناهضتهم) .

و روى البخاري ما دار بين ابنة رسول اللّه (ص) و أبي بكر و قال:

فهجرته فاطمة فلم تكلّمه حتّى توفّيت بعد ستّة أشهر، و دفنها زوجها و لم يؤذن بها أبا بكر، و كان لعليّ من الناس وجه حياة فاطمة فلمّا توفيت انصرفت وجوه الناس عن عليّ فلم يبايع عليّ ستّة أشهر و لا أحد من بني هاشم حتّى بايعه عليّ، فلمّا رأى عليّ انصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر.

و قال البلاذري: و لم يخرج أحد إلى قتال العدوّ قبل أن يبايع عليّ.

و ممّن تخلف عن بيعة أبي بكر: فروة بن عمرو، و خالد و أبان و عمر بنو سعيد الأموي، فلمّا بايع بنو هاشم بايعوا.

و سعد بن عبادة لم يبايع، و أشار الأنصار أن يتركوه فإنّه لا يبايع حتّى

يقتل و ليس بمقتول حتّى يقتل معه ولده و أهل بيته و طائفة من عشيرته، فتركوه، فقال له عمر في أوّل خلافته، من كره جوار جار تحوّل عنه. فذهب إلى الشام، فبعث عمر رجلا فقال له: أدعه إلى البيعة و احتل له، فإن أبى فاستعن اللّه عليه، فذهب الرجل إلى الشام و وجد سعدا بحوارين من قرى حلب فدعاه إلى البيعة فأبى فرماه بسهم فقتله.

بيعة عمر

لمّا حضر أبو بكر دعا عثمان خاليا فقال: اكتب: بسم اللّه الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، أمّا بعد-فأغمي عليه-فكتب عثمان: فإنّي استخلفت عليكم عمر بن الخطاب و لم آلكم خيرا، ثمّ أفاق أبو بكر فقرأها عليه فأقرّها أبو بكر.

ثمّ جاء عمر مع الكتاب إلى مسجد الرسول (ص) و قال للنّاس:

اسمعوا و أطيعوا قول خليفة رسول اللّه (ص) إنّه يقول: إنّي لم آلكم نصحا.

و هكذا بايع الناس عمر.

الشورى و بيعة عثمان

لمّا طعن عمر قيل له: لو استخلفت. قال: لو كان سالم حيّا لاستخلفته، و لو كان أبو عبيدة حيّا لاستخلفته، ثمّ قال: لأجعلنّها شورى بين ستّة، و عيّنهم من قريش، و ولى أبا طلحة زيد بن سهل الخزرجي على خمسين من الأنصار، و أمر صهيبا أن يصلّي بالناس ثلاثة أيام، فإذا انتهت الأيّام الثلاثة و اتّفقوا على واحد فليضرب أبو طلحة عنق الّذي يخالف، و إن اجتمع ثلاثة على رجل و ثلاثة على رجل كانوا مع الّذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، و إن صفق عبد الرحمن بإحدى يديه على الأخرى، عليهم أن يتّبعوه و من أبى

ضربوا عنقه، فلمّا توفي الخليفة قال عبد الرحمن: إنّي أخرج نفسي منها و سعدا على أن أختار أحدكم فأجابوا إلاّ عليّا فإنّه أبى من ذلك و لمّا أصرّوا عليه أن يقبل أحلف عبد الرحمن أن لا يميل إلى هوى و أن يؤثر الحقّ و أن لا يحابي ذا قرابة، فحلف له، فقال: اختر مسددا.

ثمّ اجتمعوا في مسجد الرسول فمدّ يده إلى عليّ و قال:

امدد يدك أبايعك على كتاب اللّه و سنّة رسوله و سيرة الشيخين.

فقال: أسير فيكم بكتاب اللّه و سنّة نبيّه ما استطعت.

ثمّ مدّ يده إلى عثمان فوافق على ذلك.

ثمّ مدّ يده إلى عليّ فقال مثل مقالته الأولى، فأجابه مثل الجواب الأول.

ثمّ قال لعثمان مثل المقالة الأولى، فأجابه مثل ما كان أجابه، ثمّ اتّجه إلى عليّ فقال له مثل المقالة الأولى.

فقال الإمام عليّ: إنّ كتاب اللّه و سنّة نبيّه لا يحتاج معهما إلى طريقة أحد. أنت مجتهد أن تزوي هذا الأمر عنّي.

فاتّجه عبد الرحمن إلى عثمان و أعاد عليه القول، فأجابه مثل الجواب الأوّل، فصفق على يده و بايعه، فقال الإمام عليّ لعبد الرحمن: حبوته حبوة دهر، ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم فيه علينا، فصبر جميل و اللّه المستعان على ما تصفون، و اللّه ما وليت عثمان إلا ليردّ الأمر إليك، و اللّه كلّ يوم في شأن.

و بايع أصحاب الشورى عثمان، و كان عليّ قائما فخرج مغضبا، فقال له عبد الرحمن: بايع و إلاّ ضربت عنقك، و لم يكن يومئذ سيف مع أحد، و لحقه أصحاب الشورى فقالوا: بايع و إلا جاهدناك، فأقبل معهم حتّى بايع عثمان.

بيعة الإمام عليّ

لمّا قتل عثمان و رجع إلى المسلمين أمرهم و انحلوا من كل بيعة سابقة، تهافتوا على الإمام عليّ، اجتمع المهاجرون و الأنصار فيهم طلحة و الزبير فأتوا عليّا فقالوا: هلمّ نبايعك.

فقال: لا حاجة لي في أمركم أنا معكم، فمن اخترتم فقد رضيت به.

فقالوا: و اللّه ما نختار غيرك. فاختلفوا إليه مرارا ثمّ أتوه في آخر ذلك.

فقالوا: إنّه لا يصلح الناس إلاّ بإمرة و قد طال الأمر، لا و اللّه ما نحن بفاعلين حتّى نبايعك.

قال: ففي المسجد فإنّ بيعتي لا تكون خفيا و لا تكون إلاّ عن رضى المسلمين.

فاجتمعوا في المسجد يهرعون إليه، و أول من صعد إليه فبايعه طلحة ثمّ تتابع المهاجرون و الأنصار ثمّ سائر الناس فبايعوا عليّا (4) .

بعد هذا العرض ندرس في ما يأتي آراء المدرستين في أمر الإمامة و الخلافة.

---

(4) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط. الأولى 1/240-241 و ط. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم 4/8-9.

أقوال مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة

أولا-الخليفة أبو بكر، قال يوم السقيفة:

لن يعرف هذا الأمر إلاّ لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسبا و دارا، و قال: رضيت لكم عمر و أبا عبيدة فبايعوا أيّهما شئتم [1] .

و في رواية قال:

هم أولياؤه و عشيرته و أحقّ الناس بهذا الأمر من بعده و لا ينازعهم ذلك إلاّ ظالم [2] .

ثانيا-قال عمر في السقيفة مخاطبا الأنصار:

(و اللّه لا ترضى العرب أن يؤمّروكم و نبيّها من غيركم، و لكنّ العرب لا تمتنع أن تولّي أمرها من كانت النبوّة فيهم و ولي أمورهم منهم، و لنا بذلك على من أبى الحجّة الظاهرة و السلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمّد و إمارته و نحن أولياؤه و عشيرته؟إلاّ مدلّ بباطل أو متجانف لإثم أو متورّط في هلكة) [3] .

---

(1) البخاري، كتاب الحدود، باب: رجم الحبلى 4/120.
(2) تاريخ الطبري، ط. أوربا 1/1840.
(3) تاريخ الطبري، ط. أوربا 1/1841.

و قال في آخر شهر من عمره عند ما بلغه أنّ أحدهم يقول:

لو قد مات أمير المؤمنين بايعت فلانا.

فقال عمر:

(من بايع رجلا من المسلمين على غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو و لا الّذي بايعه تغرّة أن يقتلا) (4) .

و قال عند ما طعن و عيّن الستّة للشورى:

(لو أدركني أحد رجلين فجعلت هذا الأمر إليه لوثقت به: سالم مولى أبي حذيفة، و أبو عبيدة الجراح) (5) .

و قال:

(لو كان سالم حيّا ما جعلتها شورى) (6) .

ثالثا-أتباع مدرسة الخلفاء قالوا:

تنعقد الإمامة بعهد الإمام من قبل، لأنّ أبا بكر عهد بها لعمر و لم تتوقّف على رضا الصحابة، و تنعقد أيضا باختيار أهل الحلّ و العقد، و اختلفوا في عددهم، فمن قائل تنعقد ببيعة خمسة لأنّ الّذين بايعوا أبا بكر أيضا كانوا خمسة، و لأنّ عمر جعلها في ستّة ليبايع خمسة منهم السادس.

و قال الأكثر منهم: تنعقد بواحد، لأنّ العباس قال لعليّ: امدد يدك أبايع، و لأنّه حكم، و حكم حاكم واحد نافذ.

و قالوا:

(و من غلب عليهم بالسيف حتّى صار خليفة و سمّي أمير المؤمنين فلا يحلّ لأحد يؤمن باللّه و اليوم الآخر أن يبيت و لا يراه إماما برّا كان أو فاجرا

(4) البخاري، باب رجم الحبلى 4/120.
(5) طبقات ابن سعد ط. بيروت، دار صادر، 3/343.
(6) بترجمة سالم من الاستيعاب و أسد الغابة 2/246.

فهو أمير المؤمنين) [7] .

و رووا أنّ رسول اللّه (ص) قال: «تسمع و تطيع للأمير و إن ضرب ظهرك و أخذ مالك» .

و إنّ الخليفة لا ينعزل بالفسق و الظلم و تعطيل الحقوق و لا يخلع و لا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه و تخويفه للأحاديث الواردة بذلك.

كانت هذه آراء أتباع مدرسة الخلافة و ينبغي لنا أن ندرس المصطلحات الّتي تدور في هذا البحث أولا ثمّ نناقش الآراء المذكورة.

تعريف المصطلحات

أوّلا-الشورى

التشاور و المشاورة في لغة العرب: استخراج الرأي بمراجعة البعض البعض الآخر، و بهذا المعنى ورد في قوله تعالى: **وَ أَمْرُهُمْ شُورىَ بَيْنَهُمْ** أي يتشاورون في أمورهم فالكلمة ليست مصطلحا شرعيا.

ثانيا-البيعة

أ- البيعة في لغة العرب: الصفقة على إيجاب البيع، و صفق يده و على يده بالبيعة و البيع: ضرب بيده على يده عند وجوب البيع، و تصافقوا: تبايعوا.

و كانت العرب تعقد الحلف و العهد بأساليب مختلفة، مثل أنّهم كانوا يضعون أيديهم في جفنة مملوءة طيبا و يتعاهدون على أمر، أو في جفنة مملوءة دما.

ب- البيعة في الإسلام علامة على معاهدة المبايع المبايع له أن يبذل له

---

(7) راجع قبله بحث الإمامة لدى مدرسة الخلافة.

الطاعة في ما تقرر بينهما و يقال: بايعه عليه مبايعة أي: عاهده عليه، قال اللّه تعالى: **إِنَّ اَلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اَللَّهَ يَدُ اَللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ...** الفتح/10.

و أوّل بيعة أخذها رسول اللّه من المسلمين في العقبة الأولى كانت على الإسلام.

و الثانية: البيعة الثانية الكبرى أيضا بالعقبة بايعهم على الحرب لإقامة المجتمع الإسلامي.

و سمّيت البيعة الأولى بيعة النساء لأنّ البيعة كانت على الإسلام دون ما قتال.

و البيعة الثالثة: أخذها تحت الشجرة في الحديبيّة عند ما ندب الناس إلى العمرة، فخرجوا محرمين للعمرة، و لمّا صدّتهم قريش عن البيت و تهيّأت للقتال، تبدّلت السفرة من العمرة إلى القتال و كانت الحالة الثانية مخالفة لما انتدبهم إليها فاقتضت الحالة أن يأخذ منهم البيعة على العمل الجديد و غير المعهود، و فعل ذلك و أعطت البيعة ثمرها في إرعاب أهل مكّة.

و على ما ذكرنا قامت البيعة الأولى: على الإسلام دون ما قتال، و الثانية:

على إقامة الدولة الإسلاميّة و القتال من أجلها، و الثالثة: البيعة على القتال في تلك السفرة. هذا ما كان في سيرة رسول اللّه (ص) من أمر البيعة. و ورد في حديثه (ص) أنّه كان يأخذ البيعة على الطاعة في ما يستطيعون و لم يكن يبايع الغلام غير البالغ شرعا.

و يتّضح لنا من دراسة سيرة الرسول (ص) أنّ للبيعة ثلاثة أركان: أ- المبايع.

ب- المبايع له.

ج- المعاهدة على الطاعة.

و تقوم البيعة على تفهّم ما يطلب الطاعة بالقيام به ثمّ تنعقد المعاهدة بضرب المبايع على يد المبايع له، و البيعة على هذا مصطلح شرعيّ و شروط تحقّق البيعة وفق الشرع الإسلامي. غير واضحة للكثير من المسلمين و هي:

أ- أن يكون المبايع ممّن تصحّ منه البيعة فلا تصحّ من صبيّ أو من مجنون لأنّهما غير مكلّفين شرعا، و أن يكون مختارا لأنّ البيعة كالبيع لا ينعقد بأخذ المال من صاحبه قهرا و دفع الثمن له، و لا تنعقد البيعة بأخذها بالجبر و بحدّ السيف.

ب- أن لا يكون المبايع له من المتجاهرين بالمعصية لأنّ الرسول (ص) قال: «لا طاعة لمن عصى اللّه تبارك و تعالى» [8] .

ج- لا تصحّ البيعة للقيام بما نهى اللّه عنه و خلافا لأوامره و أوامر الرسول (ص) لأنّ الرسول قال: «فإذا أمر بمعصية فلا سمع و لا طاعة» [9]

ثالثا و رابعا-الخليفة و أمير المؤمنين

الخلافة في لغة العرب: النيابة عن الغير، و الخليفة: من يقوم مقام الغير و يسدّ مسدّه.

و بهذا المعنى ورد في القرآن الكريم مثل قوله تعالى في سورة الأعراف:

وَ اُذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ (69) .

و في حديث الرسول (ص) : «اللهم ارحم خلفائي» و قال في تعريف الخلفاء: «الّذين يأتون بعدي يروون حديثي و سنّتي» .

إذا فالخليفة في القرآن و الحديث ليست اسما للّذي يحكم باسم النيابة عن رسول اللّه (ص) ، و كذلك كان الأمر إلى زمان الخليفة عمر حيث كان يقال

---

(8) راجع فصل المصطلحات، خامسا: البيعة.

(9) راجع فصل المصطلحات، خامسا: البيعة.

له: خليفة خليفة رسول اللّه، ثمّ قيل له: أمير المؤمنين، و بقي الأمر كذلك إلى عصر العباسيّين و على عهدهم كانوا يصفونهم بخليفة اللّه إلى جنب تسميتهم بأمير المؤمنين و في عصر العثمانيّين سمّوا الحاكم الإسلامي الأعلى بالخليفة و بقيت هذه التسمية متداولة بين المسلمين حتّى اليوم.

إذا فإنّ لفظ الخليفة من مصطلحات المسلمين و ليست مصطلحا شرعيّا و كذلك أمير المؤمنين.

خامسا-الإمام

الإمام في اللّغة: من يأتمّ به الناس، و بهذا المعنى ورد في القرآن الكريم غير أنه قيّد الإمامة بشروط ذكرها في قوله تعالى لإبراهيم: **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً** و قوله: **لاَ يَنَالُ عَهْدِي اَلظَّالِمِينَ** .

إذا فالإمامة جعل من اللّه و عهد لا يناله من اتّصف بالظّلم سواء أ كان ظالما لنفسه أو لغيره و بذلك أصبح (الإمام) مصطلحا شرعيّا و تسمية إسلاميّة.

سادسا-الأمر و أولو الأمر

إنّ الأمر استعمل في لغة العرب و عرف المسلمين و النصوص الإسلامية بمعنى الولاية على الناس و الحكم.

أمّا أولو الأمر فيصحّ اعتباره مصطلحا إسلاميّا لوروده في القرآن بمعنى الولاية على الناس في قوله تعالى:

أَطِيعُوا اَللَّهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِي اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ النساء/59.

و تختلف المدرستان في تشخيص أولي الأمر و وليّ الأمر بعد رسول اللّه (ص) ، فإنّ مدرسة أهل البيت ترى أنّ تعيين الإمام و وليّ الأمر بعد

الرسول (ص) من اللّه، يعيّن من يشاء و يبلّغ الرسول أمّته بذلك. و ترى مدرسة الخلافة أنّه يتعيّن بالبيعة و بالاستيلاء على الحكم بالقهر و الغلبة، و بعد استيلائه على الحكم كيف ما كان تجب طاعته. و من ثمّ أطاعوا الخليفة يزيد و قتلوا و سبوا ذريّة الرسول (ص) و أباحوا مدينة الرسول و قتلوا البقيّة من أصحابه و التابعين و رموا الكعبة بالمنجنيق، و بعد كلّ تلكم الأفعال لا يزالون يسمّونه بأمير المؤمنين إلى عصرنا الحاضر.

سابعا-الوصيّ و وصيّ النبيّ

الوصيّ في الكتاب و السنّة: هو الإنسان الذي أوصى إليه غيره أن يقوم بعد وفاته بأمر يهمّه سواء في ذلك أن يقول الموصي لوصيّه: أوصيك أن تفعل كذا و كذا من بعدي، أو يقول: أعهد إليك أن تفعل كذا و كذا من بعدي، و كذلك الشأن في إخباره الآخرين بالوصيّة فإنّه سواء في ذلك أن يقول: فلان وصيّي من بعدي، أو يقول: فلان يقوم بعدي بعمل كذا و كذا، و ما شابهها من الالفاظ الدالّة على الوصيّة. و وصيّ النبيّ: هو الإنسان الذي يعهد إليه النبيّ بأمر شريعته و أمته من بعده.

مناقشة آراء مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة و الإمامة

أوّلا-الشورى

إن أوّل من ذكر الشورى لإقامة الخلافة هو الخليفة عمر بن الخطّاب، و لم يستند في ذلك إلى دليل من الكتاب و السنّة بل اعتمد اجتهاده الخاصّ فمن اتّخذ سيرة الصحابة و أقوالهم في عداد كتاب اللّه و سنّة رسوله من مصادر الشريعة الإسلاميّة فله أن يتّخذ من السنّة العمرية هذه سندا لهذا الحكم في إقامة الخلافة. على أنّ سنّته هذه مخالفة لسنّته و سنّة الخليفة الأوّل أبي بكر في إقامة حكم الخليفة الأوّل أبي بكر فإنّها كانت فلتة حسب تعبير الخليفة عمر و تقييمه لها و كذلك مخالفة-أيضا-لسنّتهما في إقامة حكم الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فإنّ الخليفة الأوّل ولى الخليفة عمر على المسلمين من بعده، و كلاهما لم يستشيرا المسلمين في كلام المقامين، و مخالفة-أيضا-لقول الخليفة عمر: لو كان أبو عبيدة حيّا لاستخلفته و لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّا لاستخلفته، فإنّ هذا القول يخالف الالتزام بالشورى! و على فرض صحّة إقامة الخلافة على أساس الشورى العمريّة، فكيف ينبغي أن تكون الشورى؛ و كم ينبغي أن يكون عدد المتشاورين؟في الأغلب قالوا ينحصر عدد المتشاورين في ستّة، يبايع خمسة منهم السادس، أضف إلى ما سبق السؤال عن المسوّغ لإعطاء عبد الرحمن بن عوف خاصّة حقّ اتّخاذ

القرار النهائيّ من دون الآخرين في تلك الشورى. ثمّ ما المسوغ لقتل من خالف قرار عبد الرحمن و رأيه؟ثمّ من الّذي كان يخشى منه المخالفة لرأي عبد الرحمن من دون الآخرين؟و أخيرا هل اتّبعت مدرسة الخلافة الشورى العمرية مرّة واحدة و أقامت الخلافة كذلك لواحد من الخلفاء طوال القرون؟ هذه أسئلة تتوارد على الشورى العمرية.

أمّا ما استدلّ به أتباع مدرسة الخلفاء في هذا الصدد، فما كان من استدلالهم بالآية الكريمة: **وَ أَمْرُهُمْ شُورىَ بَيْنَهُمْ** فإنّه لا يستفاد منها أكثر من رجحان التشاور بين المؤمنين في أمورهم، فإنّه سبحانه و تعالى لو أراد الوجوب في هذا الأمر لقال: كتب اللّه على المؤمنين أو قال: فرض عليهم، إلى ما شابههما من الألفاظ الدالّة على وجوب الفعل على المؤمنين.

و ما كان من استدلالهم بآية **وَ شَاوِرْهُمْ فِي اَلْأَمْرِ** فقد أوضحنا في ما سبق بأنّ الآية في مقام توجيه الرسول (ص) أن يدعو المسلمين إلى القتال بأسلوب المشاورة؛ و ليس بأسلوب الملوك الجبابرة الّذين يلقون أوامرهم إلى الناس بقولهم مثلا: أصدرنا أمرنا الملكيّ بكذا. و قد صرّح الجليل سبحانه بعد هذه الجملة بأنّ رأي المسلمين ليس ملزما لرسول اللّه (ص) حيث قال: **فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ** ، إذا فالقيام بالعمل يكون على أساس عزم الرسول (ص) و ليس على ما يرتئيه المؤمنون، و يوضح ذلك بجلاء الأمثلة الّتي ذكرناها من مشاورة الرسول المسلمين في موارد كانت عاقبة الأمر معلومة لرسول اللّه مسبقا مثل مشاورته إيّاهم للقتال في غزوة بدر.

ثمّ إنّ مشاوراته (ص) كانت في مقام استجلاء رأي المسلمين في كيفيّة تنفيذ الأحكام الإسلاميّة و ليست في مقام استنباط الحكم الشرعيّ بالتشاور، أضف إلى كلّ ذلك أنّ اللّه تعالى قال: **وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اَللَّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ اَلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اَللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ**

ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِيناً الأحزاب/36.

إذا فإنّ رجحان المشاورة ينحصر بمورد لم يقض اللّه و رسوله (ص) فيه أمرا و في ما قضى اللّه و رسوله (ص) فيه أمرا، تكون المشاورة معصية للّه و رسوله (ص) و ضلالا مبينا.

ثانيا-البيعة

عرفنا ممّا سبق: أنّ البيعة لا تنعقد للقيام بمعصية الخالق و لا لمتجاهر بمعصية الخالق و لا بالإكراه و حدّ السيف.

أمّا أصحاب مدرسة الخلافة فإنّهم قالوا: تنعقد الخلافة ببيعة خمسة و قال بعضهم: تنعقد ببيعة واحد و حضور شاهدين، و استدلّوا بعمل الصحابة.

ثالثا-عمل الصحابة

يصحّ الاستدلال بعمل الصّحابة في ما إذا اعتقدنا أنّ سيرة الصّحابة مثل كتاب اللّه و سنّة رسوله مصدر للتشريع الإسلامي، ثمّ إنّ عمل الصحابة يخالف بعضه البعض الآخر كما رأينا في ما سبق، و من ثمّ وقع الخلاف في آراء أتباع مدرسة الخلافة كما شاهدنا في ما سبق. و على هذا بعمل أيّ من الصّحابة نقتدي و قول من منهم و من الأتباع نأخذ!؟

الاستدلال بكلام الإمام عليّ

أمّا ما استدلّوا به من كلام للإمام عليّ، فإنّه كان في مقام الاحتجاج على معاوية و جماعته بما التزموا به. على أنّ إجماع الصّحابة بما فيهم الإمام عليّ و سبطا الرسول (ص) الحسن و الحسين حجّة. و هذا هو مفهوم كلام الإمام المذكور.

وجوب طاعة الحاكم و عدم عزله بالفسق و إعلان المعصية:

قالوا: لا ينعزل الحاكم الّذي سمّوه بالإمام بالفسق و الفجور و إعلان المعصية.

و قالوا: على المسلم السمع و الطاعة للإمام الفاسق و إن ضرب ظهره و أخذ ماله، و لا يجوز الخروج عليه.

و قالوا: إنّ يزيد بن معاوية المتجاهر بالفسق و الفجور بالبيعة أصبح أمير المؤمنين، و نتيجة لاعتقادهم بصحّة بيعته استطاع أن يجهّز جيشا من المعتقدين بصحّة بيعته و يقتل بهم ذريّة الرسول بكربلاء و يسبيهم و يسير بهم أسرى من كربلاء إلى عاصمة ملكه الشام.

و بنتيجة تلك البيعة استطاع أن يجهّز جيشا آخر من المعتقدين بصحّة بيعته و يغزو بهم مدينة الرسول (ص) و يبيحها لجيشه ثلاثة أيّام، فقتلوا جمعا من أصحاب الرسول (ص) و تابعيهم، و أخذوا البيعة من الآخرين على أنّهم عبيد أقنان ليزيد، و هتكوا أعراضهم و فعلوا ما شاءوا من جرائم لم يشهد المسلمون نظيرها في تاريخهم الطويل، ثمّ غزا بهم مكّة فضربوا بيت اللّه الحرام و الكعبة بالمنجنيق. و بعد كلّ تلك الجرائم يلقّبونه بأمير المؤمنين حتّى اليوم و يكتبون في مدحه الكتب و ينشرون، فإنا للّه و إنا إليه راجعون.

الإمامة لدى مدرسة أهل البيت (ع)

كانت تلكم آراء مدرسة الخلفاء في الإمامة و الخلافة و أدلّتهم. أمّا مدرسة أهل البيت فإنّها تستدلّ بخطاب اللّه لإبراهيم و قوله له: **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً** و جواب اللّه لطلب إبراهيم حين قال: **وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي اَلظَّالِمِينَ** على أنّ الإمامة عهد من اللّه لا يناله الظالم لنفسه أو لغيره. و تستدلّ بقوله تعالى في حقّ أهل البيت: **إِنَّمَا يُرِيدُ اَللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ اَلرِّجْسَ أَهْلَ اَلْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** على عصمة أهل البيت محمّد و أهل بيته-صلوات اللّه عليهم أجمعين-من الذنوب، و كذلك تستشهد بسيرة أهل البيت، حيث لم يسجل منهم في التاريخ أمر مخالف للعصمة.

أمّا الأدلّة على إمامتهم فإنّنا إذا درسنا سيرة الرسول في أمر تعيين وليّ الأمر من بعده نجد أنّه لم يغب عن بال الرسول (ص) و من حوله أمر الإمامة من بعده، فإنّ بعضهم طلب من الرسول أن يكون لهم الأمر من بعده فأجابه الرسول: «الأمر إلى اللّه يضعه حيث يشاء» و أخذ منهم البيعة في إقامة المجتمع الإسلامي «أن لا ينازعوا الأمر أهله» و عيّن الإمام عليّا في أوّل يوم دعا إلى الإسلام وزيرا له و خليفة من بعده، و شاهدناه-أيضا-يستخلف على المدينة كلّما غاب عنها لأمر ما و إن كانت المسافة ميلا أو أقلّ من ذلك.

و كذلك لم يترك أمّته هملا أبد الدهر، و فعل (ص) كما فعل الرسل من قبله في تعيينهم الأوصياء من بعدهم و إخبارهم أممهم بذلك، و عيّن وصيّه و وليّ الأمر من بعده في أماكن مختلفة و أزمنة متعددة بأقوال تواترت عنه مثل قوله (ص) لسلمان عند ما سأله عن وصيّه من بعده:

«إنّ وصيّي و موضع سرّي.... عليّ بن أبي طالب (ع) » إلى غير هذا من أحاديث النبيّ (ص) التي نصّ فيها (ص) على أنّ عليّا وليّ الأمر من بعده، و لذلك اشتهر الإمام عليّ بلقب الوصيّ مدى القرون، و ورد ذكره في أشعار الشعراء و أقوال الخطباء و احتجاجات المناظرين صحابة و تابعين و علماء و خلفاء و أمراء، كما مرّ بنا أمثلة منها.

و لمّا كان اشتهار الإمام بأنّه وصيّ خاتم الأنبياء يخالف سياسة الخلفاء و اتّجاه مدرستهم، بالغوا جيلا بعد جيل في كتمان أحاديث الرسول (ص) الّتي نصّ فيها على أنّ عليّا (ع) وصيّه سواء كان التعيين بلفظ الوصيّ أو بألفاظ أخرى مثل الوليّ و أولي الأمر. و قد أوردنا عشرة أمثلة من أنواع كتمانهم في ما سبق مثل حذفهم بعض الحديث و تبديله بكلمة مبهمة، كما فعلوا مع نصّ «وصيّي و خليفتي فيكم» الّذي ورد في سنّة الرسول (ص) فإنّهم حذفوه و أبدلوه بقولهم: (و كذا و كذا) .

و تأويلهم بعض النصوص من سنّة الرسول في هذا الشأن.

و مثل نهيهم عن كتابة سنّة الرسول.

و قتلهم من خالفهم في ذلك مثل قتل النسائي أحد أصحاب الصحاح الستّة الّذي كتب (خصائص الإمام عليّ) .

و لم يقتصر نهيهم عن نشر الحقائق بالنصوص الواردة في حقّ الأئمة الاثني عشر، بل شمل النهي كلّما يخالف مصلحة السلطة الحاكمة، فقد قال رسول الخليفة يزيد لعبد اللّه بن الزّبير، عند ما خلع يزيد و قد اجتمعوا في بيت

اللّه بمكّة:

يا ابن الزبير، أ تصعد المنبر و تتكلم في أمير المؤمنين بكلّ قبيح ثمّ تشبه نفسك بحمام مكة!؟ثمّ قال: يا غلام!ائتني بقوسي و سهمي. قال: فأتي بقوسه و سهامه، فأخذ سهما فوضعه في كبد قوس ثمّ سدّده نحو حمام مكّة.

و قال: يا حمامة، أ يشرب أمير المؤمنين؟قولي: نعم!أما و اللّه لو قلت:

نعم، لمّا أخطأك سهمي هذا. يا حمامة: أ يلعب أمير المؤمنين بالقرود و الفهود و يفسق في الدين؟قولي: نعم!أما و اللّه لئن قلت: نعم لا أخطأك سهمي هذا... [1] .

و في شأن وصيّ الرسول (ص) خاصّة بالغوا في قلب الحقائق إلى حدّ أنّهم لعنوه في خطب صلاة الجمعة زهاء تسعين عاما في جميع بلاد المسلمين عدا سجستان (سيستان) ، و مع كل ذلك الحجر و الشدّة المتناهية فيه-إلى حدّ قتل من روى عن الرسول (ص) في فضله حديثا-مع كل ذلك انتشر شيء ممّا يضرّ بمصلحة الخلفاء في بعض كتب الحديث و التفسير و السيرة و ما شابهها فعالج ذلك أتباع مدرستهم بإحراق مكتبات كان فيها مئات الألوف من الكتب بخطوط مؤلّفيها [2] لما فيها من شيء يضرّ مصلحة الخلفاء، و بعد كلّ تلك الشدّة في منع نشر الحقائق بقي في سنّة الرسول (ص) الّتي بأيدينا من طرق مدرسة الخلفاء النصوص الآتية في أئمّة أهل البيت. مثل قوله (ص) :

«عليّ منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي» .

و في غدير خم لمّا أمره اللّه أن يعيّن وليّ الأمر من بعده و نزلت آية:

يَا أَيُّهَا اَلرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اَللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ اَلنَّاسِ صعد منبرا من أحداج الإبل و رفع عليّا.

---

(1) تمام الخبر مع ذكر مصادره في ذكر خبر (ثورة أهل الحرمين) في ما يأتي من الجزء الثالث من هذا الكتاب.

(2) راجع قبله بحث (إحراق الكتب و المكتبات) .

و قال: «اللّه مولاي و أنا مولاكم فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه و عاد من عاداه» و توّج عليّا بعمامته السحاب فنزلت آية:

اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ اَلْإِسْلاَمَ دِيناً .

و نزلت فيه:

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اَللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ اَلَّذِينَ آمَنُوا اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ اَلصَّلاَةَ وَ يُؤْتُونَ اَلزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ .

و قال في حقّ كلّ من الحسنين:

«هذا منّي» .

و قال: «الحسن و الحسين سبطان من الأسباط» .

و في حقّ الأئمة من بعده: الإمام عليّ و الأحد عشر من بنيه. أخبر الرسول:

أنّهم أولو الأمر في آية:

يَا أَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اَللَّهَ وَ أَطِيعُوا اَلرَّسُولَ وَ أُولِي اَلْأَمْرِ مِنْكُمْ .

و فيهم قال رسول اللّه (ص) :

«مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا و من تخلّف عنها غرق» . و جعلهم أعدال القرآن و قال:

«إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه و عترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا من بعدي، و قد أنبأني اللّطيف الخبير أنّهما لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض» .

و يظهر من قول الرسول هذا: أنّ أحد الأئمة لا بدّ أن يطول عمره و يبقى مع القرآن إلى يوم القيامة.

و عيّن عددهم في قوله:

«لا يزال هذا الدين قائما حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر» .

و في رواية:

«لا يزال أمر الناس ماضيا إلى اثني عشر» .

و في رواية بعدها:

«ثمّ يكون المرج و الهرج» .

و في رواية:

«فإذا هلكوا ماجت الأرض بأهلها» .

و في رواية قال عن عددهم أنّهم اثنا عشر عدّة نقباء بني إسرائيل.

و لا تصدق هذه الروايات على غير الأئمة الاثني عشر من أهل بيت رسول اللّه (ص) الّذين طال عمر آخرهم و بعدهم يكون فناء الدنيا. و بما أنّ علماء مدرسة الخلافة لم يرتضوا أئمة أهل البيت، فقد حاروا في تفسير هذه الروايات الصحيحة و لم يستطيعوا تأويلها بما يرضون به أنفسهم.

و في ما يأتي أسماء أولئك الاثنا عشر كما نصّ عليهم الرسول (ص) في أحاديث أخرى له.

أوصياء النبيّ الاثنا عشر من بعده:

الأول: عليّ بن أبي طالب، أمير المؤمنين، الوصي.

الثاني: الحسن بن عليّ، السبط الأكبر.

الثالث: الحسين بن عليّ، السبط الأصغر، الشهيد.

الرابع: عليّ بن الحسين، السجاد.

الخامس: محمد بن عليّ، الباقر.

السادس: جعفر بن محمد، الصادق. ـ

السابع: موسى بن جعفر، الكاظم.

الثامن: عليّ بن موسى، الرضا.

التاسع: محمد بن عليّ، الجواد.

العاشر: عليّ بن محمد، الهادي.

الحادي عشر: الحسن بن عليّ، العسكري.

الثاني عشر: محمد بن الحسن، المهدي، الحجّة، المنتظر.

اتّجاه السلطة الحاكمة زهاء ثلاثة عشر قرنا

اقتصرنا في ما أوردنا من الأدلّة على إمامة أئمة أهل البيت الاثني عشر (ع) في ما سبق على ما ورد في أوثق مصادر الدراسات الإسلاميّة بمدرسة الخلفاء و بالإضافة إلى ذلك فقد وردت في مصادر الدراسات الإسلامية بمدرسة أهل البيت النصوص الكثيرة المتواترة الواردة عن رسول اللّه (ص) في النصّ على إمامة الأئمة الاثني عشر (ع) بأسمائهم و صفاتهم.

و يقول أتباع مدرسة أهل البيت (ع) : ينبغي أن لا يغرب عن بالنا أنّ صحة خلافة الخلفاء أمويّين و عباسيّين و عثمانيّين و غيرهم من الخلفاء و من تبعهم من الأمراء و الولاة و القضاة و أئمة الجمعة و الجماعة في البلاد الإسلاميّة زهاء ثلاثة عشر قرنا كانت متوقّفة على كتمان ما ورد في إمامة الإمام عليّ بن أبي طالب و الأئمة من ولده (ع) .

فإنّه مثلا في زمن الخليفة هارون الرشيد أصبح أبو يوسف قاضي قضاة المسلمين بتعيين الخليفة هارون الرشيد و مشروعيّة منصبه متوقّفة على صحّة خلافة هارون الرشيد و صحّة خلافة الرشيد متوقّفة على عدم وجود نصّ على إمامة الأئمة الاثني عشر، و كذلك الأمر بالنسبة إلى وزارة البرامكة، فإنّهم أصبحوا وزراء لخليفة المسلمين بسبب صحّة خلافة هارون، و كذلك جميع

أمراء جيوش المسلمين في عصره أصبحوا أمراء لجيوش المسلمين بتعيين خليفة المسلمين هارون الرشيد، و كذلك شأن ولاة الخليفة على البلاد، فإنّ أمير صنعاء و أمير مكّة و أمير المدينة و الكوفة و الشام و الإسكندرية و الريّ و خراسان و سائر البلاد الإسلامية في جميع الأقاليم، و كذلك أئمة الجمعة و الجماعة في جميع البلاد الإسلاميّة من أقصى بلاد إفريقيا إلى ما وراء خراسان و بلاد الحجاز و اليمن و الشّام و العراق إلى غيرها من البلاد الإسلاميّة. كلّ أولئك أصبحوا في مناصبهم يعيشون معيشة المترفين بشرعيّة خلافة هارون الرشيد و شرعيّة خلافة هارون الرشيد متوقّفة على عدم وجود إمامة معيّنة منصوبة من قبل اللّه و منصوص عليها من قبل رسول اللّه (ص) في ذلك العصر و هو الإمام موسى بن جعفر (ع) و لا في إمامة سائر الأئمة (ع) قبله.

و هذا الأمر كان جاريا و ساريا في زمن يزيد و معاوية و عثمان و غيرهم إلى آخر خلفاء العثمانيّين، فإنّ كلّ أولئك المنتفعين بخلافة الخلفاء جلّ العصور إنّما انتفعوا بمناصبهم و معايشهم لعدم وجود نصّ على إمامة أيّ إمام غير الخلفاء على حدّ زعمهم و مع كلّ ذلك بقيت النصوص السّابقة في إمامة الأئمة من أهل البيت (ع) منتشرة في مصادر الدراسات الإسلاميّة بمدرسة الخلفاء إلى اليوم، و ذلك لأنّ اللّه شاء أن يتمّ الحجّة على الناس مدى العصور، و ما شاء اللّه كان.

بعد الانتهاء من دراسة رأي المدرستين في الصّحابة و الإمامة نستعين اللّه و ندرس في ما يأتي رأي المدرستين في مصادر الشريعة الإسلامية و كيفية استفادة كلّ منهما منها، إن شاء اللّه تعالى.

آراء القراء حول الكتاب

587

صورة من كتاب الاستاذ الجزائري الأول:

أ-كتاب الاستاذ الفاضلي الجزائري الأول للمؤلف:

بسمه تعالى إلى السيد مرتضى العسكري-حفظه اللّه- السلام عليكم و رحمة اللّه و بركاته وفقني اللّه للاطلاع على كتابكم معالم المدرستين و تأثرت بما جاء فيه من طرح عميق و مناقشة موضوعية جعلتني أعيد النظر في كثير من مسلماتي إلى أن هداني اللّه إلى موالاة أهل البيت و اقتفاء مدرسة الإمامة بعد أن عشت عمري كله تابعا لمدرسة الخلافة، و بقدر سروري بمضمون سفركم الجليل تأسفت لكون هذا الفكر النيّر محجوب عن سكان المغرب العربي و أنا فرد منهم لذا كتبت لكم ملتمسا منكم الامور التالية:

1- أن تبعثوا لي نسخة من هذا الكتاب القيم لأن النسخة التي معي عارية مستردّة لاحد اخواننا العراقيين و لقد جهدت في الحصول على نسخة أخرى و لكن ديار الغربة هنا تدع مجال الحركة محسورا.

2- أن توافونا ببعض كتبكم القيمة فأنا لم أقرأ لكم غير الكتاب المذكور آنفا و لعلّ في البقية ما يشفي الغليل و ينقع العطش.

3- أن تأذنوا لنا في الاقتباس من مشكاتكم لبعض المجلات التي نكتب بها في المغرب العربي عامة و الجزائر على وجه أخص سواء بتلخيص بعض البحوث أو بترجمتها إلى الفرنسية من دون تجاوز للأصل أو تحميل للكلام

على غير الأوجه التي أريد بها.

و أملنا يا سيدنا أن يمنّ اللّه عليكم بعاجل الشفاء و أن يحفظكم ذخرا للإسلام و مذهب أهل البيت سلام اللّه عليهم.

أصغر خدامكم: محمّد الحسني الجزائري 25/محرم/1411

صورة من كتاب الاستاذ أبو جعفر إلى جريدة الجهاد:

ب-كتاب الاستاذ أبو جعفر إلى جريدة الجهاد [1]

بسم اللّه الرحمن الرحيم الحمد للّه رب العالمين و الصلاة على أشرف خلقه و سيد أنبيائه محمد و آله الميامين و عترته الطاهرين اللهم صل على محمد و آل محمد أما بعد إلى الأخوة الكرام القائمين على جريدة الجهاد أحييكم بتحية الإسلام العظيم قائلا لكم السلام عليكم و رحمة اللّه و بركاته طالبا منكم نشر هذه الرسالة المتواضعة و هي عبارة عن شكر و تقدير و احترام لحضرة أخينا العلاّمة السيد آية اللّه مرتضى العسكري جزاه اللّه عنّا خيرا.

كم غمرت الفرحة هذا العبد الضعيف بعد خمسة و عشرين سنة من الضلالة عن الطريق السويّ المتمثل في حملة مشعل النور لأهل البيت عليهم السلام، حينما تلقيت أول دفعة من كتب السيد و التي كانت بالنسبة لي خير معين على تبصري للأمور على حقيقتها. و كلّها تشتمل على دلائل دامغة و حجج ساطعة تقرع أهل الباطل الحكام الخونة و وعاظهم من العلماء العملاء المأجورين من طرف قوى الاستكبار العالمي و الّذين يقفون كحجر عثرة ضد مسيرة هذه الأمّة و دورها الطليعي التاريخي في مقاومة خطّ معاوية و ابنه يزيد و خطهما المنحرف عن الشريعة السمحاء.

---

(1) جريدة الجهاد جريدة سياسية اسلاميّة يصدرها حزب الدعوة الإسلامي.

إنّها حقا تدعو إلى طاولة الحوار الهادئ القائم على أسس علمية دون تجريح و إلى نقاش بناء بعيدا عن الخلافات المذهبية التي مزّقت و ما زالت تمزّق هذه الأمّة، لكن هيهات أن ينصاع أهل الباطل إلى الحقّ لأنّهم يعرفون نقاط ضعفهم.

كما أشكر بهذه المناسبة الأخوة الأعزاء و على رأسهم أبو شعيب [2] المحترم و الّذي يعود إليه الفضل الأول في وقوفي على الأمور كما هي في الأصل لا كما اعتادت المصادر المنحرفة على كتابتها فجزاكم اللّه عنّا و عن الإسلام خيرا.

كما أطلب من الأخوة القائمين على جريدة الجهاد و لواء الصدر [3] أن يفتحوا في أعدادهم المقبلة مواضيع تاريخية تخصّ وصول أول دفعة من حملة فكر أهل البيت عليهم السلام إلى شمال المغرب و بالضبط منطقة كتسامة هذه الأخيرة التي عرفت بولائها لأهل البيت (ع) إلى أن جاءت الأنظمة المتعاقبة على الحكم عاملة على طمس هويتها الحقيقية و السلام عليكم و رحمة اللّه و بركاته أخوكم في اللّه أبو جعفر هولاندا

(2) إنّ الأخ (أبو شعيب) هو الذي زوده بمؤلفات المؤلف.
(3) جريدة لواء الصدر جريدة سياسية اسلاميّة يصدرها مكتب حجة الإسلام السيد الحكيم.

المستدرك

اما در روایتها، حتی پاسخ به این پرسش را نمتوانیم بیابیم که در چه زمان و چگونه آن تغییر محسوس که سیر بعدی تحول تدریجی را پدید آورد، صورت گرفته است؛ یعنی چه زمانی پندار «جانشین پیامبر خدا» (خلیفهء رسول اللّه) جای خود را به پندار «جانشین خدا در زمین» (خلیفة اللّه فی الارض) داده است.

این تفسیر تازهء واژهء «خلیفه» که از بیخ و بن با اسلام آغازین مغایر بود، مبایست رفته رفته به خواست پروردگار بخشایندهء مهربان، خلیفه را جایگزین شهر یاران آتشپرست و یا مسیحی گرداند. هنوز روشن نیست که این تحول در چه زمانی و در چه شرایطی روی داده است. آیا تأثیر بیزانس بر آن بوده است یا نه؟ تنها متوان گفت که لقب «خلیفة اللّه» در روزگار بنی أمیة به کار رفته است. از فرزدق، شاعر روزگار بنی أمیة چامهای هست [27] که در آن خلیفه سلیمان (از 715 تا 717 م.) سلف خلیفه عمر دوم، «خلیفة اللّه» نامیده شده است. داستانی هست دربارهء خلیفه هشام (از 724 تا 743 م) که چگونه یکی از چاپلوسان از او پرسیده بود: «چه کسی را گرامتر مداری، جانشینت (خلیفهات) را و یا پیامبر را؟» و، هنگامی که خلیفه پاسخ داده بود که «جانشینم را» ، چاپلوس نتیجه گرفته بود که «خلیفه» نزد پروردگار از پیامبر بالاتر است. [28] اگر نوشتهء روی یك سکهء مسین بیزانسی-تازی، درست خوانده شده باشد، [29] بایستی بپذیریم که عبد الملك پدر ولید، سلیمان و هشام، هنوز پیش از تغییر سکهها یعنی در سدهء هفتم میلادی خود را «خلیفة اللّه» نامیده بوده است. اما ویژگی رفرم پولی عبد الملك-یعنی هنگامی که هنوز تلاش نداشتند نام خلیفه را کنار نام خدا و پیامبر بگذارند و روی سکههای زر و سیم تنها آیات و احادیث منوشتند و بس-به خوبی نشان مدهد که فرمانروایان هنوز بر آن نبودند که مفهوم

---

(27) ادب، ص 7.

(28) دینوری، ص 346. در اثر طبری (ج 2، ص 1199) دربارهء ولید نیز چنین داستانی هست. نیز مقابله شود با داستان همین مؤلف (ج. 1، 2748) دربارهء اعتراض عمر اوّل به لقب «خلیفة اللّه» .

(29) تیزنهاوزن، سکههای خلفای مشرق، ص 275 (ش 2681) :
.) Lavoix,Catalogue des monnaies I,p. 25) N. 83

«خلیفة اللّه» را از حوزهء چاپلوسی و خوشامدگویی درگاهشان به حوزهء شرع منتقل کنند و گسترش دهند. (30)

عباسیان در این باره با گستاخی بیشتری دست به کار شدند و در روزگار مأمون (از 813 تا 833 م.) برای نخستین بار پس از رفرم پولی عبد الملك، فرمانروای دولت، خودش را در روی سکهها «خلیفة اللّه» نامید.

این نکته که سقوط بنی أمیة (سال 750 م.) برای همیشه به یگانگی جهان اسلام پایان داد، از جنبهء پیآمد، دارای اهمیت بیشتری است. نه تنها اسپانیا که شاهزادهای از بنی أمیة، از سوریه گریخته و حکومت خود را در آنجا مستقر کرده بود، بلکه مراکش و بخش باختری الجزایر نیز بیرون از قلمرو عباسیان بود. اما عباسیان گذشته از قلمرو پهناور خویش، در برابر دشمنانشان این برتری را نیز داشتند که شهرهای مقدس اسلام در حیطهء فرمانروایی آنان بود و مراسم زیارت حج هم زیر رهبری آنان و یا نمایندگانشان انجام میگرفت. جاذبهء مکه و مدینه در میان سنیان و شیعیان هنوز چنان بزرگ بود که فرمانروایانی که این شهرها در قلمرو آنان نبود جسارت نمیکردند خودشان را «امیر المؤمنین» و یا «خلیفه» بنامند و در ضمن، آنها عباسیان را نیز با چنین عنوانهایی نمیپذیرفتند بزرگ بنی امیهء اسپانیا را «پسر (نوادهء) خلفا» و[-ابن خلیفة اللّه]و بزرگ ادریسیان شیعی مراکش را «پسر (نوادهء) پیامبر خدا» [-ابن رسول اللّه] مینامیدند اما خوارج از این کار شرم نداشتند و بزرگان دودمان رستمیان که در بخش باختری الجزایر فرمانروایی داشتند، خود را «خلیفه» مینامیدند، البته آنهم به معنی جانشین پیامبر، همچون سرور جامعهء مؤمنان (31) .

(30) عبارت خلفاء اللّه در اسناد رسمی نیز دیده مشود، چنانچه در فرمان ولید دوم. (طبری، ج 2، ص 1759، 9) .
(31) ابن خرداد به، ص 87.

نداء و دعوة لتجديد حياة إسلاميّة و توحيد كلمة المسلمين

إلى رابطة العالم الإسلامي بمكّة المكرمة و الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة و الحوزات العلميّة في النجف الأشرف و خراسان و قم و أصفهان و الجامع الأزهر في القاهرة و جامعة الزيتونة و القيروان في تونس و جامعة القرويين بالمغرب.

إلى مفكري العالم الإسلامي و علمائه و كتّابه.

إلى المجاهدين المخلصين في سبيل إعادة حياة إسلاميّة في بلاد المسلمين.

إلى المصلحين الغيارى الساعين لتوحيد كلمة المسلمين إليكم جميعا أقدّم هذا النداء و هذه الدعوة (بكلّ تجلّة و احترام) و أقول إنّ العالم الإسلامي بدأ ينهض لتجديد حياة إسلاميّة.

و للوصول إلى هذا الهدف الجليل، ينبغي القيام بدراسة موضوعيّة لما ورثه جميع المسلمين من مصادر سنة الرسول (ص) ، سيرة و حديثا. و عدم البقاء على تقليد السلف الصالح في استنباط الأحكام الشرعيّة و لا في دراية الحديث. و بذلك يتحقّق الوصول إلى معرفة الإسلام من الكتاب و السنّة، و يتيسّر توحيد كلمة المسلمين حولهما للقيام بتجديد حياة إسلاميّة.

و ها أنا ذا أقدّم إليكم جميعا هذه البحوث الّتي نظمت للوصول إلى الهدف المذكور، راجيا النظر فيها بتجرّد علمي، و تنبيهي على الأخطاء الّتي تلازم غير المعصوم.

قل هذه سبيلي أدعوا إلى اللّه على بصيرة أنا و من اتّبعني و سبحان اللّه و ما أنا من المشركين.

المؤلف